

المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب

رينفارت دوزي
المستشرق الألماني



إن الاقتراح الوارد من الشعبة الثالثة من المعهد الملكي للبلاد المنخفضة، في
جلستها المنعقدة في ١٦ كانون الأول ١٨٤١ صيغ على هذه الشاكلة :
« تأليف بحث مستكمل الشروط عن الألبسة، سواء تلك التي كان يرتديها
الجنسان من العرب في مختلف العهود وفي مختلف الأقطار، أو تلك التي ما انفكوا
يلبسونها حتى الآن، بحيث تبرز على هذه الصورة كل قطعة من قطع ملبوساتهم،
وذلك بعد توطئة عامة، على أن تتبع الطريقة الهجائية في الحروف العربية، وعلى
أن تذكر معالم الشكل، ونوع النسيج، وخاصية الاستعمال... »
وقد رست الجائزة المقترحة على الإجابة، التي فاز بها دوزي، في جلسة الشعبة،
المنعقدة في ٢٠ تشرين الثاني ١٨٤٣.

س.أ. دن تكس

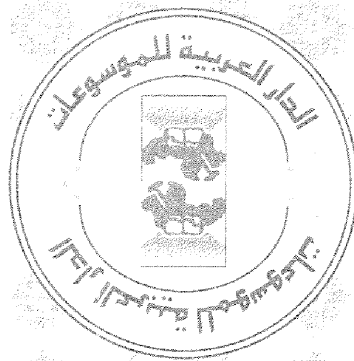
السكرتير الدائم للشعبة الثالثة بالمعهد الملكي في البلاد المنخفضة

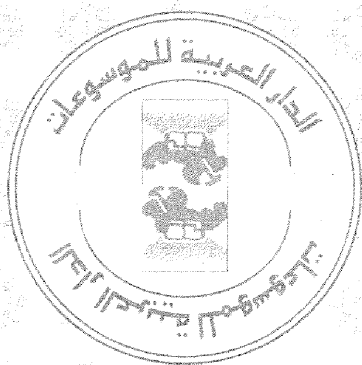


ISBN 978-9953-563-38-1



9 789953 563381





المعجم المفصل بأسماء
الملابس عند العرب

اسم الكتاب: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب
المؤلف: رينهارت دوزي المُستشرق الهولندي
الطبعة الأولى: ٢٠١٢م - ١٤٣٣هـ

© جميع الحقوق محفوظة

ISBN 978-9953-563-38-1



الدار العربية للموسوعات

المدير العام: خالد العاني

الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط١ - بيروت - لبنان
ص.ب. ٥١١ الحازمية - هاتف: ٩٥٢٥٩٤ ٥ ٠٠٩٦١ - فاكس: ٤٥٩٩٨٢ ٥ ٠٠٩٦١
هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣ ٣ ٠٠٩٦١ - ٥٢٥٠٦٦ ٣ ٠٠٩٦١
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله
بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or
transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher

المُعْجَمُ الْمُنْفَصَلُ بِأَسْمَاءِ الْمَلَلِ ابْنِ عَبْدِ الْعَرَبِ

تأليف

رينهارت كوزي
المستشرق الهولندي

ترجمة

د. أكرم فاغل

الدار العربية للموسوعات

كلمة المترجم

لا أدري هل أحمد نفسي أم ألحها على القيام بترجمة هذا المعجم . إذ لم أكد أخطو في شعابه بضع خطوات ، حتى قامت بوجهي عقبات لا حصر لها : فمن لغات أجنبية قد يبلغ تعدادها العشرين ، غربية وشرقية ، قديمة وحديثة . . . والحديثة : كالفرنسية والهولندية والألمانية والأسبانية ، مكتوبة بلغة قديمة ، والقديمة مكتوبة بلغة أقدم ، كاللاتينية واليونانية . وهناك الآرامية والسريانية والعبرانية والقبطية والحشية . وثمة كلمة يقول عنها المؤلف إنها كلدانية ، في حين ظهر بعدئذ إنها عبرية . وهو يستطرد استطرادات عجيبة ، يهواها الطبع العربي ، ولا يستنكرها الطبع الجرمانى ، ولكن السليقة اللاتينية تعافها وتستنكرها . ولو أن دوزي كان يعمل تحت إشراف أستاذ فرنسي لنسف كتابه نفساً !

ودوزي لا يكتفي بالاستطراد ، بل يفسر بعض النصوص تفسيراً خاطئاً ، ويبني على ذلك التفسير حكماً خاطئاً . ويوصي بإضافة التصريف الفلاني الذي ابتدعه إلى المعاجم العربية والتصريف الآخر إلى القواميس الفارسية . وهو يدحرج الحوادث التاريخية دحرجة سريعة في تعليقاته ، حتى يكاد ينسيك الموضوع الأصلي .

وشهدته مرة يضيف ثلثين من التعليقات إلى الثلث الثالث وهو النص، دون ضرورة ملحة.

ويضرب صفحاً عن ذكر المصادر أحياناً: فهناك اسم بدون مؤلف ومؤلفات بدون مؤلف.

لم أذكر هذه المآخذ لأقبح في قيمة هذا الكتاب وخطر شأنه، لأننا يجب أن نتذكر أن المؤلف ألفه بين الأعوام ١٨٤١ - ١٨٤٣م، في قلة من المصادر التي بعضها لم يطبع حتى يومنا هذا. والكتاب ليس كله ملابس، بل فيه تاريخ وأدب وفولكلور.

وهو يتناول الأزياء في جميع الأقطار العربية، شرقيها وغربيها. ولكن هذه المواد تخصص أكثر ما تخصص الأندلس وأقطار المغرب العربي ومصر.

وإذا أردنا أن نقع على سائر أسماء الملابس العربية، فإننا سنصاب بخيبة أمل. ولكننا نرى طريقة للبحث ونماذج مدروسة ومحاولة جليلة يؤسفني أن أقول أن عربياً واحداً لم يحاول مثلها.

والأنكى من ذلك أن الكتاب ظل أكثر من قرن قابلاً في نصه الأول. وقد اهتديت إلى الكتاب بحكم تعييني مديراً للفنون والثقافة الشعبية في وزارة الإعلام العراقية، إذ وجدت من الخير نقله إلى لغة الضاد، لأنه مصدر عالمي يراجع في فرنسا وانكلترا ومصر، وأخيراً في العراق. ولأننا نعاين في العالم كله فورة فولكلورية جامحة.

أما الطريقة التي سلكتها فهي الاحتفاظ بأسلوب المؤلف، لأنني أرجو من القارئ أن يقرأ دوزي كما كان يشاء دوزي أن يقرأه. وأما النصوص العربية فقد حققتها ما وسعني التحقيق. إلا أن بعضها مسطر بالعامية، فكان لا مناص من إبقاء الوضع على - . . ولكنني من جهة

أخرى صححت رواية الآيات الواردة في الكتاب دون الإشارة إلى هذا التصحيح، لأنني لا أريد أن أتخذلق على حساب دوزي. على أنني قد أشير إلى التصوير في بعض الأحيان، على سبيل التنبيه على وجود هفوات.

مقدمة المؤلف دوزي

مهما تكن الخطوات، التي خطاها الأدب العربي في مجال التقدم والرفي، واسعة في هذه الأزمنة الأخيرة، فليس بمقدورنا أن ننكر أن علم فقه اللغة لم يقطع نفس الأشواط التي قطعتها العلوم التاريخية والجغرافية. بل أرانا مرغمين على الاعتراف بأننا، في حلبة علوم اللغة، لم نندفع إلى أبعد مما اندفع إليه الباحثون في عهد غوليوس Golius.

فالحقيقة إننا ما زلنا، في الحالة الراهنة للعلم، غير قادرين على التفكير تفكيراً جدياً بوضع معجم عربي شامل. فإن مكتبات أوروبا وآسيا وأفريقيا ما تبرح تطوي أضالعها على الآلاف من المجلدات المخطوطة، التي ما انفكت حتى عناوينها مجهولة لدينا. ذلك لأن مخطوطات أعرق الكتب كلاسيكية في الأدب العربي لم تتناولها يد التحقيق والتدقيق، بالعناية اللازمة، حتى يومنا هذا، ولم يعارض بعضها ببعض.

وإن القيام بطبع خمسين مؤلفاً من الطراز الأول لا يعد عمراً كبيراً، إذا وازناه بالعدد الهائل من الكتب الذي ينتظر بلهفة نشره على الكافة. وإنني إذ أتحدث عن معجم عربي أعني بذلك قاموساً يأخذ على عاتقه - إلى جانب اهتمامه، بكل ما لديه من طاقة، بالمعنى الدقيق

الذي كانت تعنيه كل كلمة لدى نشأتها - مهمة جعلنا نعلم بصورة محكمة واضحة مختلف المفاهيم التي تلقّتها كل كلمة في الجزيرة العربية وفي فارس وفي سورية وفي أفريقيا، إلخ... وأخيراً نناشد هذا القاموس أن يكتشف لنا عن كل المعاني التي عبرت عنها الكلمات في جميع الأقطار التي تألفت منها هذه الامبراطورية العربية المترامية الأطراف، التي امتدت من الهند حتى حدود فرنسا.

وإنني أتحدث عن هذا المعجم المنشود الذي انتظر منه أن يستند على الدوام إلى نصوص المؤلفين، فيخط لنا، إذا صح التعبير، تاريخ كل كلمة، وقصة كل جملة. هذا المعجم المفقود الذي يميز، بوضوح وجلاء، المعاني الخاصة لكل كلمة في قطر معين من الأقطار العربية، من المعاني التي كانت تعرف عنها الكلمة في قطر معين آخر: القاموس الذي يجب أن يميز معنى كل كلمة لدى الشعراء، من معناها الخاص لدى كتاب النشر.

وختاماً، إنني أحلم بالقاموس المنظوي على كل التعابير العلمية والفنية، المشروحة شرحاً منهجياً. ولكنني أكرر القول أن الأزمّة التي استطاع أن يؤلف خلالها هذا المعجم ما انفكت بعيدة كل البعد عنا. وبوسعنا ونحن نرقب هذا العهد المرموق، أن ندفع عجلة علوم اللغة إلى الأمام بثلاث طرق. الطريقة الأولى تنحصر في تدبيح تعليقات وملاحظات من صميم فقه اللغة على هيئة كتاب لمؤلف من المؤلفين، أو بإضافة ملحق يشرح الكلمات التي أوردها المؤلف في كتابه وذلك حين يقدر نشر ذلك الكتاب. وهذا القاموس الصغير هو بمثابة تكملة للمعجم موضوع البحث.

وهذا النهج هو الوسيلة المتبعة بصورة عامة حتى هذا اليوم. أما الطريقة الثانية فهي جمع الكلمات التي تؤلف، صنفاً من الأصناف. وأما

الطريقة الثالثة فهي الاختصار على لغة قرن واحد أو على لغة قطر واحد. ولكن هذه الطريقة لم تتبع حتى هذه اللحظة.

لن أتوقف هنا لمناقشة مختلف المنافع التي تجنيها كل طريقة من هذه الطرق، ولكنني سأحملكم فقط على ملاحظة أن الطريقة الثانية التي كنت أول من اتبعها في هذا الكتاب انصياً لبرنامج المعهد، هي التي تنفحنا بفوائد حقيقية، لا سيما إذا كانت الكلمات المطلوب شرحها تتعلق بالأخلاق والعادات.

فاسمحوا لي إذن أن أقول كلمة واحدة عن الخطة التي رأيت من المحتم عليّ أتباعها.

لقد آمنت بأهمية تحقيق الوقائع في عمل له هذه الطبيعة، وأن أقرب بين شهادات واستشهادات المؤلفين، وإن أعارض بعضهم ببعض. ولم أجروا على المجازفة وركوب متن الشطط في متاهات من التخمينات الاشتقاقية، التي لو عرضها شخص آخر غيري لبدت مقبولة رائعة بارعة، ولكن هذه الظنون لن تأتي بنتيجة يطمأن إليها مطلقاً.

إن المخطوطات التي ذكرتها تعود ملكيتها إلى مكتبة ليدن. وقد أخذت على عاتقي تنبيه القراء دوماً حين تؤلف هذه المخطوطات شطراً من مكتبات أخرى. وأرى لزماً عليّ أن ألفت الأنظار إلى إنني حرصت كل الحرص بنشري نصوصاً لمؤلفين من العصر الوسيط للأدب العربي على إيرادها كما كانت مرسومة في المخطوطات. وإن قواعد النحو التي اتبعها هؤلاء المؤلفون تشد بعيداً عن القواعد التي نحاها نحاة البصرة ونحاة الكوفة، فوجب عليّ ألا أمسح المؤلفين بإعارتهم نحواً لم ينحوه.

لقد شملني دي گايانگوس De Gayangos بلطفه فأعازني بضع مخطوطات من مخطوطاته. وسترون على وجه التخصيص أن النسخة

النفيسة لرحلة ابن بطوطة، التي يقتنيها هذا العلامة، هي التي أفادتني إفادة بالغة لا مثيل لها. وإن هذا السفر هو كتاب من النسق الرفيع من عدة وجوه. أما المختصر المترجم من قبل لي Lee، فإنه لا يهبنا إلا فكرة ضعيفة كل الضعف عن أهمية الكتاب الأصلي.

فأرجو من دي غايانغوس أن يأذن لي بتقديم فروض الحمد والامتنان إليه، وإزجاء عواطف الاعتراف بالجميل لشخصه الكريم على الإحسان الذي خصني به.

وإنني لأجسر على أن أؤمل العفو عن بعض الهفوات التي وقعت في لغة هذا الكتاب الفرنسية، إذ يكاد يكون أمراً مستحيلاً على أجنبي مثلي أن يتجنبها. وربما كان أهون عليّ أن أكتب الكتاب باللغة اللاتينية، ولكن الموضوع يتعارض وهذه اللغة، ذلك لأنني لو استعملت هذا اللسان لأرغمت إرغاماً على تفسير الكلمات العربية بتعابير مستعارة من اللغة الرومانية العتيقة، التي لم تعد مدلولاتها معروفة لدينا بصورة دائمة.

المدخل

في العهود الإسلامية الأولى، يوم كان الناس جميعهم على وجه التقريب بداءة، وكانت المدن صغيرة ضئيلة الشأن، كاد فن الخياط يكون مجهولاً، فقد كانت الشملات البسيطة، المنسوجة قطعة واحدة، كافية لضمان وقاية المشتملين بها من صبارة القر وحمارة القيظ. وليس بوسعنا أن نتصور استطاعة خياطة الألبسة وفق طراز أنيق، وكان الحائك وحده يقوم بهذه المهمة. ولكن العرب باستيلائهم الخاطف على شط كبير من آسيا ومن أفريقيا ومن أوروبا، وجدوا أنفسهم مرتبطين بعلاقات وثيقة مع شعوب تلك المناطق التي قهروها واستولوا على ديارها، في حين أن هذه الشعوب كانت تفوق العرب الفاتحين مدنية وحضارة، فلم يكن بد للعرب من هجر حياتهم البدوية شيئاً فشيئاً، والشروع في الاستقرار الدائم في المدن^(١) فأدركوا يومذاك أن في مقدورهم عمل ثياب أشد أناقة من

(١) راجع ابن خلدون (المقدمة، مخ - ٣٥٠ (أ)، ص ١٥٨ و ١٥٩ - الفصل الخاص بصناعة الحياكة والخياطة: أعلم أن المعتدلين من البشر في معنى الإنسانية لا بد لهم من الفكر في الدفء كالفكر في السكن. ويحصل الدفء باشتمال المنسوج للوقاية من الحر والبرد. ولا بد لذلك من الحام الغزل حتى يصير ثوباً واحداً، وهو النسج والحياكة. فإن كانوا بادية اقتصروا عليه وإن كانوا إلى الحضارة فصلوا تلك =

الشمالات التي كانوا يلتفون بها، فاستعاروا طرزاً كثيرة من طررز الشعوب المغلوبة على أمرها معهم. ولما كان الترف والبذخ والنعيم قد خطا كل منها خطوات واسعة في أبهة الفرس، فإن بلاط بغداد قد طفق يتفاقم لديه شعور تأثره الذي وقع تحت سطوته من احتكاكه واختلاطه بجيرانه ورعاياه. وكان لانتعاش الحضارة وازدهارها وتقدم التجارة وانتشارها إن أنشئت مصانع من كل نوع، كانت تنسج فيها الأقمشة الحريرية الفاخرة وطرائف الديباج التي لا سبيل إلى حصرها، وقد أحرزت بغداد العديد منها.

أما في الغرب فكانت الحالة على النقيض من ذلك، فإن العرب قد اختلطوا بالمغاربة والبربر. وكانت هذه الشعوب غليظة مخشوشنة.

= المنسوجة قطعاً يقدرزون منها ثوباً على البدن بشكله وتعدد أعضائه واختلاف نواحيها. ثم يلائمون بين تلك القطع بالوصلات حتى تصير ثوباً واحداً على البدن ويلبسونها.

والصناعة المحصلة لهذه الملاءمة هي الخياطة. وهاتان الصناعتان ضرورتان في العمران، لما يحتاج إليه البشر من الرفه. فالأولى لنسج الغزل من الصوف والكتان والقطن إسداء في الطول وإحاماً في العرض وأحكاماً لذلك النسج بالالتحام الشديد. فيتم منها قطع مقدرة: فمنها الأكسية من الصوف للاشتمال، ومنها الثياب من القطن والكتان للباس. والصناعة الثانية لتقدير المنسوجات على اختلاف الإشكال والعوائد، تفصل أولاً بالمقراض قطعاً مناسبة للأعضاء البدنية، ثم تلمح تلك القطع بالحياكة المحكمة وصلأ أو حبكأ أو تنبتأ أو تفتحأ على حسب نوع الصناعة. وهذه الثانية مختصة بالعمران الحضري لما أن أهل البدو يستغنون عنها، وإنما يشتملون الأثواب اشتمالاً. وإنما تفتيل الثياب وتقديرها وإحامها بالخياطة للباس من مذاهب الحضارة وفنونها. وتفهم سر هذا في سر تحريم المخيط في الحج، لما أن مشروعية الحج مشتملة على نبذ العلائق الدنيوية كلها والرجوع إلى الله تعالى.

وكانت أوطأ من قاهريها في سلم الحضارة، فكان الترف مجهولاً لديها،
وحين اختلط العرب بهذه الأقوام، استعار هؤلاء من العرب لباسهم الخشن
ولكن بصورة جزئية.

أما في أسبانيا، فإن العرب، وعلى وجه التخصيص خلال فترة
امبراطوريتهم الأخيرة، قد استعاروا الشطر الكبير من أزياء الفرسان
النصارى. ويؤكد ابن سعيد^(١) بصورة قاطعة أن أقبية العرب أسبانية
كانت تماثل أقبية المسيحيين ويقول ابن الخطيب^(٢) في معرض حديثه
عن محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش الذي توفي في
النصف الثاني من القرن السادس الهجري ما يلي: «وآثر زي النصارى
من الملابس والسلاح واللجم والسروج».

ونتيجة لاختلاط العرب بالأجانب، كان هناك تباين كبير على الدوام
بين أزياء الشعوب المختلفة التي كانت تتألف منها الامبراطورية العربية
المتراصة الأطراف.

وبوسعنا أن نميز بسهولة بين عربي من الشرق وعربي من الغرب.
ويقول ابن إياس^(٣) وهو يحدثنا عن المؤرخ المشهور ابن خلدون: «واستقر
لما تولى القضاء وهو بزي المغاربة فعد ذلك من النوادر». ويقول
النويري^(٤) وهو يخبرنا عن وفاة الملك القاهر بهاء الدين أبي محمد
عبد الملك بن الملك المعظم: «وكان يلبس ملابس العرب ويتزيا بزيهم
ويركب كمركبهم ويتخلق بأخلاقهم في كثير من أفعاله». وحتى أولئك

(١) ابن سعيد لدى المقرئ (نفع الطيب، مخ غوتا ص ٤٥).

(٢) الإحاطة، مخ دي غايانغوس، ص ١٨٦.

(٣) تاريخ مصر، مخ ٣٦٧، ص ٢٠٢.

(٤) النويري تاريخ مصر، مخ ٢، ص ٢٧٠، حوادث عام ٦٧٦.

الذين كانوا يقطنون في المدن متقاربين بعضهم من بعض، كانوا يرتدون الأزياء المختلفة. ويوم حظر فيليب الثاني على مغاربة أسبانيا ارتداء زيهم القومي عبّر أحدهم المسمى مارمول فرانسيסקو مولاي مؤنس Francisco NunezMuley عن هذه الحالة بالكلمات التالية: «إن أزياء نساءنا ليست أزياء مغربية. إن أزياءهن هي أزياء قشتالة».

وفي الأقطار الأخرى كانت الشعوب الإسلامية تتباين في عمامتها وثيابها وأحذيتها، فهل بوسع أحد أن ينكر أن أزياء النساء المغربيات الأفريقيات وأزياء النساء التركيات تختلف كل الاختلاف عن الأزياء التي ترتديها نساؤنا في غرناطة؟ كما أن أزياء الرجال تختلف كذلك، ذلك لأن أزياء فاس ليست شبيهة بأزياء تلمسان، وكذلك أزياء تونس ليست مثل أزياء مراكش، وكذلك تنطبق الحالة على تركيا والامبراطوريات الأخرى^(١).

وبالإضافة إلى ذلك فهناك بون شاسع بين أزياء الطبقات المختلفة التي يتألف منها المجتمع الإسلامي. ويبدو الاختلاف أشد ما يبدو في شكل العمامة التي تميز النبيل عن ابن الشعب والجندي، هذه العمامة التي قد يعرف الناس عن طريقها المركز الذي يشغله الرجل الذي يصادفونه^(٢) ولكن يجب علينا ألا نلجأ إلى تطبيق هذه الطريقة بصورة عامة إلا على سكان المدن، لأن البدو يكادون يحتفظون بالزي العربي القديم، وهم يراعون أوامر الدين ونواهي أكثر مما يراعيها سكان المدن.

وقد نطق الرسول محمد ﷺ بالعديد من الأحكام في سبيل منع تفشي

(١) مارمول، ثورة الموريسكيين (المتنصرين)، ص ٣٨، مج ٣.

(٢) انظر كوتوفيك، رحلة إلى أورشليم، ص ٤٨٦. وراجع بارثي رحلة عبر صقلية والشرق، ج ٢، ص ٧٤، ٧٥.

الأزياء المترفة الباذخة بين ظهراي أشياعه. واستنبط فقهاء الشريعة الإسلامية من هذه الأحاديث نظاماً يضم التعاليم والنصوص الخاصة بالأزياء، وهي التي سنعرضها مقتفين آثار خطى المؤلفات في الفقه الحنفي والمالكي.

يقول صاحب ملتقى الأبحر^(١): إن الملابس تستعمل في ستر العورة، وفي اتقاء غائلة الحر وصوله البرد^(٢) والخير كل الخير أن تكون الألبسة مصنوعة من القطن أو الكتان، لا هي زاهية باهية للغاية ولا هي أسمال بالية إلى ما لا نهاية. ولا يحرم التزين إذا كانت الغاية منه إظهار نعم الله وآلائه التي منّ بها علينا، ولكن يحرم إبداء الزينة إذا كان الباعث على إرتدائها منبعه الزهو والخيلاء والكبرياء. وإن التواضع في هيئة اللباس هو في غالب الأحيان موصى به من قبل أعظم حكماء شبه جزيرة العرب وفارس. فيقول النويري مثلاً^(٣) وهو يكيل المديح لصلاح الدين: «وكان لا يلبس إلا ما يحل كالكتان والقطن والصوف». ويقول المؤلف نفسه في موضع آخر^(٤)، بمناسبة وفاة الأمير جمال الدين آيد غدي العزيز: «وكان مقتصداً على ملبسه. يلبس ثياب القطن من الهندي والبلعبي وغيره مما يباح ولا يكره لبسه».

وارتداء الحرير حلال على النساء، ولكن هذا القماش محرم على الرجال. فلا يحل لهؤلاء سوى أن يكون لهم في ملابسهم حاشية من

(١) مخا ٨٧، ص ١٠٦، مخا ١٠٨، ص ٢١١، مخا ١٢١، ص ٦٤.

(٢) راجع مرجي دوسون Mouradjea d'Ohsson (السحنة العامة للامبراطورية العثمانية، ج ٢، ص ١٣٠).

(٣) تاريخ مصر، مخا ٢، ص ٢٥٤.

(٤) المرجع السابق، مخا ٢، ص ١٨٠.

الحرير. هذه الحاشية التي يجب ألا تتجاوز الأربع أصابع عرضاً^(١) أو يجب ألا تتجاوز الأصبعين^(٢) كما يقول الآخرون.

ويرى المالكيون أن هذه الحاشية يجب أن تكون أقل من أصبع عرضاً^(٣).

وقد تحدث الرسول ﷺ في كلمات على درجة كبيرة من العنف والشدة حول الألبسة الحريرية. فقال: «من لبس الحرير في الدنيا فلن يلبسه في الآخرة»^(٤). وقال كذلك: «إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة»^(٥).

ويجيز الحنفيون للرجال ارتداء الألبسة التي لحمتها من الحرير وسداها من نسيج آخر. وعلى النقيض من ذلك لا يجوز ارتداء الأقمشة التي سداها من الحرير ولحمتها من نسيج آخر إلا في أوقات الحروب.

أما المالكيون فلم يسد الاتفاق بين صفوفهم، فهم مختلفون بشأن جواز ارتداء القماش المسمى (خزا) وهو النسيج الذي سداه من الحرير

(١) يحل للنساء لبس الرحير ولا يحل للرجال إلا قدر أربع أصابع كالعلم. (ملتقى الأبحر).

(٢) صحيح البخاري، ج ٢، مخ ٣٥٦، ص ١٦٩.

(٣) ابن أبي زيد، الرسالة، مع شرح أبي الحسن علي الشاذلي، مخ ١١٩٣، ص ٧٤٦.

(٤) صحيح البخاري، ج ٢، مخ، ص ١٦٩.

(٥) ابن أبي زيد، الرسالة، مخ ١١٩٣، ص ٧٤٥، مع الشرح: «واختلف في لبس الخزبخاء وزاء معجمتين وهو ما سداه حرير ولحمته صوف مثلاً على أقوال أشار إلى اثنين منها بقوله فأجيز وكره صحح في القبس الأول واستظهر ابن رشد الثاني. والثالث يحرم لبسه القرافي وهو ظاهر مذهب مالك لقوله عليه الصلاة والسلام في حلة عطارذ وكان يخالطها الحرير: إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة».

ولحمته من الصوف ولكن الكثرة الكاثرة من (دكاترة المسلمين) فقهاء المسلمين تشجبه وتحرمه^(١).

أما الألوان المستحبة إلى أبعد الحدود فهما الأبيض والأسود^(٢). يستحب اللون الأبيض لأن الرسول ﷺ قال: «إن الله يحب الثياب البيض وإنه خلق الجنة بيضاء». وقال مؤرخ أفريقي^(٣) وهو يغدق الثناء على عبد الرحمن الأول، أول ملوك الأندلس: «كان يلبس البياض ويعتم به». واللون الأسود مستحب لأن الرسول ﷺ كان يرتديه في يوم فتح مكة، إذ كان كاسياً بجبة سوداء ومعتماً بعمه من نفس اللون^(٤). أما الشيعة فيمقتون اللون الأسود، على الضد من ذلك، لأننا نقرأ في رحلات شاردان^(٥): «لا يلبس الناس اللون الأسود في الشرق، لا سيما في إيران، فإن هذا اللون هو لون تشاؤمي وكره، بحيث لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم إليه وهم يسمونه لون الشيطان». أما اللون الأحمر واللون الأصفر فهما لوان غير شرعيين^(٦).

ونحن نجهل سر هذه الكراهية، ولكنني افترض أن اللون الأصفر (المعصفر) هو لون غير شرعي لأنه لو الكراهية^(٧)، وإن اللون الأحمر

(١) ويستحب الأبيض والأسود (ملتقى الأبحر).

(٢) مجمع الأنهر، ط القسطنطينية، ج ٢، ص ٢٥٨: لقوله ﷺ: «إن الله يحب الثياب البيض وإنه خلق الجنة بيضاء».

(٣) لدى المقري، تاريخ مصر، مخ دي غوتا، ص ٣٥٣.

(٤) المجمع (الكتاب القيم).

(٥) شاردان، ج ٣، ص ٦٩.

(٦) ملتقى الأبحر (ويكره الأحمر والمعصفر).

(٧) راجع كتابي (تاريخ بني عباد، ج ١، ص ٣٢، ت ١٠٥).

مقيت لأنه لون الدم. وبالرغم من ذلك فإن المسلمين يرتدون في أغلب الحالات ثياباً معصفرة أو حمراء.

وإذا آمننا بما يقوله ابن جني^(١) وكذلك الواحدي^(٢) في الموضوع نفسه، فإن الشواب اليوافع كن يرتدين الأردية الحمر عادة. أما الثياب الخضراء فلم يكن بوسع أحد أن يتزيا بها سوى الإشراف أو عترة الرسول محمد ﷺ وذرياتهم.

ويبدو بخصوص موضوع الأزياء عدم وجود اختلاف كبير بين الحنفيين والمالكيين والشافعيين، ولكن يخیل إليّ أن طائفة أحمد بن حنبل - وهي أشد الطوائف الإسلامية تزمناً - قد أمعنت في الجمود إلى قرار سحيق في هذا المجال. وإليكم ما نقرأ في تاريخ مصر للنويري^(٣): «وفي هذه السنة فوض قضاء قضاة الحنابلة بدمشق إلى شمس الدين أبي عبد الله محمد - ووصل إليه بتقليد القضاء من الأبواب السلطانية في يوم السبت ثامن صفر وقرىء بجامع دمشق بحضور القضاة والأعيان وخرج القاضي شمس الدين المذكور من الجامع ماشياً إلى دار السعادة^(٤) فسلم على نائب السلطنة ثم نزع الخلعة السلطانية وتوجه إلى جبل الصالحية وجلس للحكم في سابع^(٥) صفر وما غير هيئته ولا عادته في مشيه وحمل

(١) شرح ديوان المتنبي، مخ٢٦، ص١١٠٣.

(٢) شرح ديوان المتنبي، مخ٥٤٢، ص٣٣.

(٣) مخ٢، ورقة ٨٧، حوادث عام ٧١٦.

(٤) دار السعادة هي بلاط النائب في دمشق، لأننا نقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ٢، ص١٠٩): «وفي عاشر شهر رمضان أمر نائب السلطنة بدمشق بهدم العمائر على حبس باب الجديد إلى باب الفرديس (الفرايس؟). (ذكر الإدريسي هذا الباب، ح ١، ص ٣٥٢) وفي التاسع والعشرين من شهر رمضان جمع القضاة والفقهاء بدار السعادة في مجلس نائب السلطنة».

(٥) هذا هو معنى كلمة «هيئة» أحياناً. ويروي ابن بطوطة (مخدي غايانگوس ص ١٦٣) =

حاجته ويجلس للحكم على مئزر غير مبسوط بل يضعه في يده ويجلس عليه ويكتب في محبرة زجاج^(١) نعله بيده فيضعه على مكان وإذا قام من مجلس الحكم حمله أيضاً حتى يصل آخر الإيوان فيلقيه ويلبسه. هكذا أخبرني من أثق بأخباره واستمر على ذلك وهذه عادة السلف.

وأنا في جهل مطبق ما إذا كان هذا التواضع المفرط من شئنة كافة مشايخي مذهب الإمام أحمد بن حنبل، أم من شيمة القضاة لوحدهم، فيؤسفني كل الأسف إنه لم يكن بمقدوري حتى مراجعة إحدى أمهات الكتب في الفقه الحنبلي حول هذه النقطة، إذ يبدو أن هذه الأسفار نادرة الوجود في أوروبا.

وسنقارن بغية تكوين فكرة لأنفسنا عن التغيرات التي طرأت على الأزياء العربية، بين أزياء المحدثين وبين زي رجل من الطبقة المترفة في القاهرة في القرن السادس عشر، بعد الغزو التركي.

كان الرسول ﷺ يرتدي باديء الأمر قميصاً من القطن الأبيض^(٢) ينسدل ردهاءه إلى معصميه^(٣)، وكان يضيف إلى هذا القميص سروالاً منسوجاً^(٤). ويخيل إليّ أن النبي ﷺ كان لا يرتدي على القميص

= إن سلطان الهند منح كل مدينة «صاحب الخبر» أي مستخدماً يعلمه عن وصول الغرباء. ويضيف بهذه المناسبة: «وكتبوا اسمه ونعته وثيابه وأصحابه وخيله وخدامه وهيئته من الجلوس والمأكل». ونجد بعد ذلك حول كلمة مئزر الجملة التالية، المستعارة من كتاب لابن إياس: «ومئزر صوف أبيض تردى به كهينة الصوفية».

(١) راجع لين (المصريون المحدثون، ح ١، ص ٤٣): «كان الكتبة المصريون القدماء ورجال الأدب وكثيرون غيرهم، يحمل كل منهم دواة من الفضة أو النحاس أو الصفر».

(٢) راجع معجمي حول كلمة القميص.

(٣) النووي، تهذيب الأسماء، ص ٣٣.

(٤) راجع معجمي حول كلمة السروال.

والسروال إلا رداء واحداً هو الجبة، وهي عبارة عن رداء طويل من الصوف مطرزة بالحرير ومفتوحة من الأمام^(١). وكان لهذا الرداء ردهاء الضيقان، أو كان بالأحرى قباء^(٢) وهو كساء طويل مرصع بالأزرار من الجهة الأمامية. وكان الرسول في مناسبات أخرى يرتدي بدل هذه الثياب شملة من النسيج الخشن، وهي ما نسميه عادة بالبردة^(٣) المكونة من قطعة كبيرة من النسيج الصوفي السميك، وهي شهباء اللون مجزعة تلف جسده الكريم كله. وكان الرسول محمد ﷺ يرتدي العمامة البيضاء أو السوداء، ويرسل إحدى نهايتها على ظهره^(٤). أما حذاء الرسول فكان يتألف من (صندل) نعال معمول من جلد البعير^(٥) ومربوط بشراكين يرتمي أحدهما على منتصف القدم ويمر الآخر بين الأصبع الكبرى والثانية، وكان في بعض الأحيان ينتعل الخف العالي الرقبة^(٦).

وهكذا نرى أن ملابس الرسول ﷺ كانت من البساطة في الذروة، وهي نفسها بساطة ملابس سكان الصحراء في يومنا هذا^(٧).

ولا يرتدي البداية في عصرنا الحالي إلا قميصاً من القطن وثوباً طويلاً، أو رداء من الصوف بدلاً من هذا الثوب، اقتداء بالرسول محمد ﷺ.

-
- (١) راجع معجمي حول كلمة الجبة.
 - (٢) انظر النووي (الكتاب القيم السابق ومعجمي حول كلمة القباء).
 - (٣) راجع معجمي حول كلمة البردة.
 - (٤) راجع معجمي حول كلمة العمامة.
 - (٥) النووي (الكتاب القيم السابق).
 - (٦) راجع معجمي حول كلمة النعل.
 - (٧) راجع معجمي حول كلمة الخف، والنوي (الكتاب القيم السالف).

يتألف زي رجل من سكان القاهرة في القرن السادس عشر من عدد من الملابس العديدة، ولم نعد نلاحظ في هذه القطع تلك البساطة التي كانت تميز زي النبي، وما زالت بادية للعيان في أزياء البدويين، فكانوا يرتدون فوق القميص والسروال ثوباً طويلاً اسمه (قفطان) وهو نسيج من الحرير، على ألوان مختلفة مختلطة ببعضها^(١)، وهذا الثوب كان له ردنان في غاية الطول^(٢). وكانوا يشدون على القفطان حزاماً طويلاً من الحرير أو من الليف أو من الصوف^(٣)، وتلي ذلك الجبة، أو الرداء الطويل المفتوح من الجهة الإمامية، التي كان ردها قصيرين ولا تصل تماماً إلى المعصمين بحيث يمكن رؤية ردي القفطان الطويلين وقد تجاوزا الأصابع.

إن هذا الرداء كان أكثر قصراً في الجهة الإمامية منه في الجهة الخلفية، وكان يعمل من القماش الأحمر أو الأزرق أو الأشهب^(٤). وكانوا يلبسون فوق الجبة ثوباً فضفاضاً يدعى (فرجية) تعمل من المواد الرديئة عادة وقد تبطن أحياناً بالفرو أو بغيره^(٥). أما الاعتماد فكان يتألف بادی الأمر من طاقيّة صغيرة من النسيج القطني^(٦) ثم تلاها الطربوش الأحمر^(٧) المصنع من القطن المضغوط، وأخيراً جاء دور القطعة

(١) انظر بركهارت، ملاحظات على البدو والوهابيين، ص ٢٦ ومعجمي حول كلمة الغباز.

(٢) انظر معجمي حول كلمة الخفتان.

(٣) انظر معجمي حول كلمة الحزام.

(٤) انظر هيلفرتش، قصة رحلة مختصرة حقيقية، ص ٣٩٣، ومعجمي حول كلمة الجبة.

(٥) معجمي - الفَرَجِيّة.

(٦) معجمي - الطاقيّة والقيع.

(٧) معجمي - الطربوش.

القماشية من الموصلية المحيطة بالرأس^(١) إحاطة السوار بالمعصم ألا وهي العمامة. وكانت الأحذية تعمل من الجلد المراكشي^(٢).

إن جمال وكمية الثياب تخلع في الشرق الأبهة والوجاهة على مرتديها. ويقول المثل الفارسي: «قربت بلباس»^(٣). ومعنى ذلك كما يقول تافرنبيه: «يحسن استقبالك وتكريمك وقبولك لدى البلاط وفي أوساط العظماء بقدر ما يكون هندامك حسناً». أما في مصر، فإننا نقرأ في وصف مصر (الأطلس، الجزء الثاني، الصفحة ٢٤)^(٤): «كلما زاد تكديس الوجهاء للملابس على أبدانهم زاد اعتبارهم وفاض عليهم الاحترام الذي ينشدونه».

إذن فلا غرابة ولا عجب إذا رأينا الشرقيين يعنون كل العناية بنظافة ملابسهم وتعطير أجسامهم بالروائح العطرية الفواحة. ونجد في كتاب الأغاني^(٥): «ملاء مطيبة». ونقرأ في تاريخ مصر للنويري^(٦) إنه وجد بين كنوز أحد العظماء: «لعبة من العنبر على قدر جسده برسم ثيابه توضع ثيابه عليها لتكتسب رائحتها»^(٧) ونقرأ كذلك هذا البيت في كتاب ألف ليلة وليلة^(٨):

وتميس بين مزعفر ومعصفر ومعنبر وممسك ومصندل

-
- (١) معجمي - العمامة.
 - (٢) معجمي - المركوب.
 - (٣) راجع شاردان، الرحلات، ج ٣، ص ٧٢، تافرنبيه، الرحلات، ج ١، ص ٦٣١، ريجاردسون، حول كلمة القربة.
 - (٤) الأطلس، ح ٢، ص ٢٤.
 - (٥) ح ٢، ص ٤١. (النويري، مخك (٢) ص ١٥٤، حوادث عام ٥١٥.
 - (٦) مخ، ل، ص ٦٦.
 - (٧) ترجمة النص الخاص باللعبة.
 - (٨) ط مكنائتن، ح ١، ص ١٦٩.

ونعثر في مكان آخر من الكتاب نفسه على هذه العبارة: «لبست تلك البدلة الفاخرة وكانت مطيبة»^(١). ونقع في الكتاب ذاته أيضاً على هذه الجملة: «فقدت تبخره (القناع) فطارت شرارة فأحرقت طرفه»^(٢).

ويقول بركهارت عن وهابي نجد أنهم يعطرون بعناية كوفياتهم بعطور من المسك والورس وكذلك أردان ثيابهم بصورة خاصة^(٣).

ونقرأ في كتاب «قلائد العقيان» للفتح بن خاقان، هذين البيتين لابن زيدون:

أعباد يا أوفى الملوك لقد سطا عليك زمان من سجيته الغدر
فهلا عداه ان عليك حليه وذكرك في أردان أيامه عطر^(٤)
وفي قصيدة للمتنبى:

أت زائراً ما خامر الطيب ثوبها وكالمسك من أردانها يتضوع^(٥)
وهو بيت ينظر إلى بيت لامرئ القيس:

ألم ترياني كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب
وقد جرت العادة في تكريم ذات من الذوات أن تخلع عليه ثياب
التشريف، وهي عادة قديمة في الشرق. ومع ذلك نرى إذا ملنا إلى
تصديق ما يقوله المقرئ إن أول من مارس هذه العادة من أمراء
المسلمين هو هارون الرشيد بخلعه ثياب الشرف على نديمه جعفر بن

(١) ج ١، ص ٥٦٨.

(٢) ح ٣، ص ١٨٢.

(٣) ملاحظات على البدو والوهابيين، ص ١٣١.

(٤) ابن زيدون، لدى ابن خاقان، ص ٣٨.

(٥) الديوان، مخ ٥٤٢، ص ٢٢. راجع الواحدي وابن جني.

يحيى البرمكي. قال المقرئزي^(١) بالحرف الواحد في الجزء الثاني من مخطوطة «وصف مصر»: «وأول من علمته خلع عليه من أهل الدولة جعفر بن يحيى البرمكي».

إن لباس التشريف يسمى خلعة ويدعى في العصور الأحدث من العصور القديمة تشريفاً. وكان من الأمور المعروفة يوم دخول هذه العادة أن يخلع الأمير الرداء الذي يرتديه ويكسو به الشخص الذي رام تشريفه أو مكافأته، ولكن لا يبدو في أعقاب ذلك أن الأمراء كانوا لا يهبون إلا الثياب التي كانت في خزائن ملابسهم الخاصة، أو الثياب الجديدة، ولكن خلع الثياب كان دائماً دلالة على التشريف بأن يلبس المرء الثياب التي كان يرتديها الأمير نفسه، ولم يغفل المؤرخون ذكر هذه الظاهرة^(٢).

ويقول النويري: «أنعم على الأمير سيف الدين قلاوون بشربوش كان قد لبسه».

ولو أردنا أن نقرر على وجه الدقة من أي ملابس كانت تتألف الخلعة أو التشريف في مختلف الأحقاب لواجهنا مشكلة عويصة للغاية بالإضافة إلى أنه يخيل إلينا أن الثياب التي كانت تؤلف الخلعة خلال حكم بعض السلالات كانت تتوقف على اختيار الأمير التحكيمي. ومع ذلك فإن فيرس^(٣) يخيل إليه أن الخلعة تنحصر في الأغلب الأعم أو في الحالات الخاصة بالقباء، ولكن يجب على أن أبرهن هنا أن هذا الرأي غير قائم على

(١) وصف مصر، ح ٢، مخ ١٧٢، ص ٣٥١: وأول من علمته خلع عليه من أهل الدول جعفر بن يحيى البرمكي.

(٢) تاريخ مصر، مخ ٢م، ص ٢١٥.

(٣) في تعليقه على تاريخ اليمن، رتجرس، ص ١٤٠.

أساس . صحيح أن ملابس التشريف في عهد حسن باشا الذي كان يحكم اليمن كانت تقتصر على الأقبية^(١)، ولكن لم تكن الحالة في بغداد وفي مصر مثلاً على هذه الشاكلة . وكانت الخلعة وكان التشريف مؤلفين من مختلف الملابس . ويعلمنا النويري^(٢) أن لباس التشريف الممنوح من قبل خليفة بغداد الملك الناصر داود كان يتألف من قباء أطلس ومن شربوش . ويروي لنا المؤرخ نفسه في مكان آخر أن الخلعة المعطاة من قبل الخليفة العباسي المعتصم بالله^(٣) كانت مؤلفة من عمامة سوداء وفرجية مزينة بالذهب . ونقرأ في أسفل هذا الخبر أن لباس التشريف الموهوب من الخليفة كان مكوناً من عمامة من الديباج الأسود ومن دراعة . والخلعة التي كانت تمنح في مصر إلى أحد الوزراء كانت تتشكل من الجبة ومن فرجية ومن طرحة^(٤) . وكان التشريف ينحصر كذلك في مختلف الملابس . وأخيراً هناك كلام آخر للنويري^(٥) يدل دلالة واضحة على أن حلل التشريف كانت تتباين بالنظر للقماش المصنوعة منه^(٦) وللأجزاء التي تتألف منها^(٧) وذلك حسباً للطبقة التي ينتمي إليها الرجل موضوع التشريف والمكافأة، أو حسب الخدمات التي كان قد أداها للأمر^(٨) .

(١) راجع تاريخ اليمن، مخ ٤٧٧، ص ١٨، ٣٤، ٦٠، ٦١، ١١٢، ١٧٦، ٢٨٤، ٢٩٨، ٣١٩.

(٢) تاريخ مصر .

(٣) المرجع السابق، ص ٨٢، حوادث عام ٦٤٣.

(٤) المرجع السابق، ص ١٤٤.

(٥) النويري، المرجع السابق، مخ ٢، ص ٣٢.

(٦) راجع النويري، المرجع السابق، مخ ٢، ص ٥٨، ٧٥، ٨٣، ١١٦، مخ ١٩ب، ص ٢٢ و ٢٣، ١٣٥.

(٧) المرجع السابق، مخ ١٩ب، ورقة ٢٥، ص ٣٠.

(٨) راجع النويري، المرجع السابق، مخ ٢، ص ٤٩، ٨٢، ١٤٤، مخ ١٩ب، ص ٣، كامفر، التحف النادرة، ص ٦٥، وتعليقة سمليه على كلستان سعدي، ص ٤٦.

أما لباس الشرف المعطى من قبل الخلفاء العباسيين فقد كان على وجه التأكيد أسود اللون^(١). ولا تستعمل الألبسة في الشرق لسوء الحظ كأداة للزينة فقط، فإن شيطان الكره أو الانتقام يستخدمها لينتزع من العدو الحياة بصورة دنيئة. ونحن الغربيين نعلم أن الملابس كانت تستخدم في العصر الوسيط للغرض نفسه. وإن قلة من الأمثلة المقتبسة من التاريخ الإسلامي لكافية للبرهنة على أن هذا الثأر الخسيس لم يكن غير معروف في الشرق. ويقص علينا النويري^(٢) إن السلطان الأيوبي الملك المعظم كان قد أضمر في نفسه حقداً عنيفاً للقاضي القضاة، لأن هذا القاضي كان قد أفنع أخت صلاح الدين (ست الشام بنت أيوب) أن توصي بأموالها إلى المؤسسات الخيرية. ولما كان الملك المعظم يطمح هو نفسه إلى إحراز هذه الأموال فإن آماله قد خابت نتيجة لحماية القاضي. فبحث الأمير خلال بعض الوقت عن ذريعة يتذرع بها للانتقام من القاضي ولكن دون جدوى. وأخيراً اهتدى إلى هذه الذريعة فأرسل رسولاً إلى القاضي وهو في مجلس حكمه يحيط به جماعة كبيرة من العدول والمتحاكمين. ويمضي المؤرخ في قصته فيقول^(٣): «فجاء الرسول وقال للقاضي: «السلطان يسلم عليك ويقول لك: الخليفة سلم الله عليه إذا أراد أن يشرف أحداً من أصحابه خلع عليه من ملابسه. ونحن نسلك طريقه. وقد أرسل إليك من ملابسه وأمر أن تلبسه في مجلسك هذا وأنت تحكم بين الناس. وكان الملك المعظم أكثر ما يلبس قباء أبيض وكلوته صفراء. وفتح الرسول البقعة^(٤). فلما نظر القاضي إلى ما فيها وجم^(٥)».

(١) راجع النويري مثلاً، تاريخ مصر، مخزن، ص ٢٨.

(٢) النويري، تاريخ مصر، مخزن، ص ٥.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر حول كلمة البقعة أو البقشة التعليق حول كلمة التحتانية.

(٥) وضعت وجم محل وحم الواردتين في المخطوطتين.

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة: «فأخبرني الرسول الذي أحضر هذه الخلعة والرسالة بذلك قال: وكان السلطان قد أمرني أن ألبسه إياها بيدي أن امتنع أو توقف. فأشرت عليه بلبسها وأعدت عليه الرسالة. فأخذ القباء ووضعه على كتفه ووضع عمامته بالأرض ولبس الكلوتة الصفراء على رأسه. ثم قام ودخل بيته». وتضيف المخطوطة: «ومرض أثر هذه الحادثة ورمى كبده ومات». ويقال أن ذلك كان في يوم الأربعاء سابع عشرين شهر ربيع الأول سنة تسع عشرة وسبع مائة (النص كما هو - المترجم). ومات ملك قشتالة (دون أنريك) مسموماً، طبقاً لما تقوله بعض التواريخ الأسبانية، وذلك لأن ملك غرناطة محمد كان قد أهدى إليه حذاء طويل العنق مشبعاً بالسموم^(١).

وكان الرجال والنساء يرتدون الثياب السود على حد سواء في العهود القديمة علامة على الحداد، وذلك لأننا نعلم أن زي الخلفاء العباسيين الأسود كان قد اتخذ كشارة من شارات الحداد بسبب وفاة الإمام إبراهيم بن محمد. ونقرأ كذلك في تاريخ مصر للنويري ما يلي: «شق القاهرة وهو لابس السواد وإعلامه كذلك حزناً على الظاهر». ولكن لم تعد ألبسة الحداد تلبس بعد هذه العصور من قبل الرجال، وذلك لأن هذا يعني عدم الخضوع لمشيئة القدر والحكمة الإلهية^(٢). ومع ذلك فإن النساء ما زلن يرتدين ألبسة الحداد في الشرق، ولكن بمناسبة وفاة الأزواج والأقرباء. فنحن نقرأ في الإحاطة لابن الخطيب، إن الشاعرة الشهيرة حفصة عشيقه أبي جعفر أحمد بن سعيد الشاعر الذائع الصيت ووزير حاكم غرناطة، لبست الحداد لدى علمها بقتل حبيبها. ولكن هذه الحالة ولا ريب استثناء من القاعدة.

(١) مؤلف كتاب الروضتين الشهير (تاريخ نور الدين وصلاح الدين).

(٢) راجع كوندن، تاريخ حكم العرب في أسبانيا، ح ٣ وكوباروفياس، كنز اللغة القشتالية، مدريد، ١٦١١، حول كلمة Barzeqoi.

وينحصر الحداد في أن تصبغ النساء القميص وخمار الرأس وحجاب الوجه والمنديل باللون الأزرق الغامق أو باللون الأسود على وجه التقريب، مضافاً إلى اللون النيلي. وفي أن يرتدين ملابس الحداد سبعة أيام أو خمسة عشر يوماً أو أربعين يوماً أحياناً^(١).

أما في الأندلس أثناء حكم الخلفاء الأمويين فإن ملابس الحداد كانت بيضاً، لأننا نقرأ في تاريخ الأندلس (نفح الطيب؟) للمقري: «عليهم الظهائر البيض شعار الحزن».

والعرب يرتدون الملابس الحمر أو الصفر (المعصفرة) حين يريدون إظهار أنهم في أوج سورة الغضب. فنحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة: «لبس بدلة الغضب وهي بدلة حمراء». ولكن ربما كانت هذه العدة شنشنة تركية^(٢).

وفي المغرب يشير اللون الأصفر إلى الغضب، ذلك لأن (بيدرو دي سان اولون)^(٣) و(وندس) يلاحظان أن ملوك مراکش، إذا نوا سفك الدماء، فإنهم يرتدون في معظم الحالات الملابس الصفر.

(١) بركهات، أسفار في الجزيرة العربية، ج٢، ص٢٧٤، لين ألف ليلة وليلة، ج١، ص١٣٤، ٥١٨. مقتبسات من قصة عنترة، ص٩٢، ١٥٤ ألف ليلة وليلة، ط مكنان، ج١، ص٣٣٩.

(٢) لاحظ تعليق لين، ج١، ص٣٢٦، ٣٢٧.

(٣) الحالة الراهنة للإمبراطورية المراكشية، ص٦٣، ١٧٢. ورحلة إلى مكناس، ص١٣٣.

الملابس عند العرب

الإِثْب والمِثْبَة

وبعد فإننا نقرأ لدى الجوهري (ج ١، مخ ٨٥، ص ٢٨) إِثْب: «الإِثْب البقير وهو ثوب أو برد يشق في وسطه فتلقيه المرأة في عنقها من غيركم ولا جيب والجمع أِثُوب. وفي القاموس المحيط (ط) كلكتا (ص ٤٤٣): الإِثْب بالكسر والمِثْبَة كمكنسة برد يشق فتلبسه المرأة من غير جيب ولا كمين، والبقيرة، ودرع المرأة، وما قصر من الثياب فنصف الساق، أو سراويل بلا رجلين، أو قميص بلا كمين. وقد وجدت في مجمل اللغة لابن فارس «مخ ٤٨٥»: الإِثْب كالبقيرة. وينتج من هذه الشروح، التي قدمها اللغويون العرب، إن الإِثْب والمِثْبَة يعملان بصورة عامة من قطعة قماش^(١)، وبصورة خاصة من قطعة قماش

(١) إن كلمة ثوب تعني أيضاً قطعة قماش، فنحن نطالع في ألف ليلة: فمضيت وعمدت إلى ثوبين من الدباج الرومي وجئت بهما إليه وقلت للخياط فصل هذه أربعة ملابس اثنين مفرجة واثنين غير مفرجة. ونقرأ في مكان آخر من ألف ليلة وليلة أيضاً: «اقطع لها من هذا الثوب كسوة وخيطها. وقال والله ما أرضى لنفسى =

مخططة، تشق من وسطها، وحيث تدخل المرأة رأسها من الفتحة المعدة لهذا الغرض. وهذا الثوب محروم من الكمين، وغير مفتوح من جهة الصدر. ويخيل إلينا إن بساطة هذا الثوب تشير إلى أن هذا اللباس كان يرتدي في العهود الإسلامية الأولى، وما زال النساء - حتى يومنا هذا - يرتدينه في شبه الجزيرة العربية، لأن علي بيگ يقول في (الأسفار، ج ٢، ص ١٠٦) وهو يتحدث عن نساء مكة: «إنهن ما يفتأن يلبسن» القميص، على هيئة عجبية غريبة للغاية لا نكاد نتصورها. ويتألف هذا القميص من قطعتين مربعتين من القماش طول كل منهما ست أقدام وعرضها خمس أقدام مخططة بصورة مجتمعة من الأعلى، حاشا فتحة في الوسط ينساب منها الرأس. أما الزوايا السفلية فمقورة بمقدار سبع بوصات تقريباً، وكأنها جزء من دائرة، بحيث إن ما كان في بدايته زاوية يصبح تقوية محفورة. وهاتان التقويرتان مخيطان معاً، ولكن الجزء السفلي والجوانب تبقى مفتوحة من الأعلى إلى الأسفل. وترتدي موسرات النساء هذه الأقمصة المعمولة من النسيج الحريري المخطط تخطيطاً خفيفاً دقيقاً. وهو رقيق رقة الغاز ويجلب من مصر. والنساء المذكورات يصففن طيات طيات على الأكتاف، ويعلقنه حول أجسامهن بمعونة حزام. والإتب بصورة عامة يعني كافة الملابس القصيرة، التي لا تصل إلى أكثر من منتصف السيقان، كما أن الإتب يعني - أيضاً - نوعاً من السراويل القصيرة، السروال الذي لا فتحة فيه لدخول السيقان، أو أنه قميص لا كم له.

= من جميع ما معي كفنأ أكفن فيه فتصدق عليّ بكفن». فبعث إليه نصف ثوب بغدادي ومائتي درهم فكفنه بهما. (تاريخ مصر للنويري (مخطوطة ٢).

المُتَبِّب

لا وجود لهذه الكلمة لدى الجوهري. ولكن تشير هذه الكلمة حسب رأي القاموس (ط كلكتا، ص ٤٣) إلى نفس اللباس المشار إليه بكلمة مشمل، وهو رداء يشتمل به (المتبب كمنبر. المشمل) راجع كلمة مشمل.

الأُخْرُوق

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكن يخیل إليّ إنها تعني ضرباً من ضروب تيجان الرأس المستعملة في المغرب. يقول ابن بطوطة (الرحلة، مخطوطة دي گایانگوس) في مقاله عن بلغار الفولگا: وعلى رأسها البغطاق وهو أخروف (كذا) مرصع بالجواهر وفي أعلاه ريش الطواويس. ويقول بعد ذلك: وعلى رأس كل واحدة من البنات (الخادومات) الكلا (كلاه بالفارسية) وهو شبه الأخروف (كذا) وفي أعلاه دائرة ذهب مرصعة بالجواهر وريش الطواويس من فوقها. ويستخلص من الفقرات السالفة إن كلمة أخروق كانت تعني في المغرب: «نوعاً من التيجان الصغيرة». (راجع ألف ليلة وليلة ت لين، ج ١، ص ٤٢٤) المعمولة من الذهب، المرصعة بالأحجار الكريمة، التي يستعملها النساء أعطية لرؤوسهن وتحلياً بها. ولعلها نفس الزينات الرأسية التي تحمل في أقطار الشرق الأخرى اسم تاج^(١).

(١) إن كلمة بغطاق التي يستعملها هنا ابن بطوطة (بالفارسية بغتاف) وجدت مشروحة بعد ذلك على هذه الشاكلة: «وعلى رأس الخاتون البغطاق وهو مثل التاج الصغير، مكلل بالجواهر وبأعلاه ريش الطواويس».

الإزار والإزْر وفي اللهجة المصرية الإيزار

كان يبدو في العهود الإسلامية الأولى أن كلمة إيزار قد استعملت لتعني ثوباً بصورة عامة مهما كان شكل هذا الثوب. فالبخاري (صحيح، ج ٢، مخ ٣٥٦) عنده باب يحمل عنوان: باب الإزار المهدب^(١) يقول فيه: ويذكر عن الزهري وأبي بكر بن محمد وحزمة بن أبي أسيد ومعاوية بن عبد الله بن جعفر أنهم لبسوا ثياباً مهدبة. والمسألة في هذا الكلام هي مسألة ثياب بصورة عامة، وينبغي أن نضيف إلى ذلك أن القاموس (ط كلكتا. ص ٤٥١) قال في ضمن ما قاله إن كلمة إزار تعني كل ما سترك. ومع ذلك فمن المحتمل أن المؤلف أراد أن يشير بصورة خاصة إلى الأردية المسمى واحداً إزاراً، وهي الإزر التي كان يشتمل بها الرجال في عهد محمد ﷺ. ويخيل إلينا أن رجال عمان كانوا مشهورين بهذه الأزياء، لأننا نقرأ في عيون الأثر (مخ ٣٤٠). إن الرسول قد ترك يوم وفاته، فيما تركه من ثياب أخرى إزاراً عُمانياً. وهذا ما يجعلني أعتقد جازماً أن المعنى في الكلام السالف بالإزار هو الرداء، ذلك لأن المؤلف أبا الفتح محمد أو بالأحرى مستنده ابن فارس قد ذكر بالإضافة إلى ذلك ثوبين من تلك الثياب التي يسمى مفرداً حبرة. (راجع كلمة حبرة في موضعها من هذا المعجم). ونجد كذلك كلمة إزار مستعملة في محل كلمة بردة بالمعنى نفسه. وقد ترك محمد ﷺ كذلك إزاراً آخر، سأحدث عنه في موضع من المواضع التالية.

أما في العصور المتأخرة، فيبدو أن كلمة إزار لم تعد تستعمل لتعيين رداء من أردية الرجال، ولكن هذه الكلمة قد استعملت طوال عهود

(١) الصيغة الثانية من فعل هذب لا وجود لها في القاموس.

الإسلام، منذ عهد محمد ﷺ حتى أيامنا هذا، للدلالة على هذا الغطاء الكبير أو الرداء الواسع الذي تلتف به نساء الشرق. ولننظر أول ما ننظر إلى لين كيف يصف هذه اللقافة ولنجاهد بعد ذلك في البرهنة باستشهادات عديدة على ما قدمناه نحن من رأى. أما المحقق الانكليزي - وهو مشهور بجدارته واستحقاقه بنفاذ بصيرته فيصف الإزار على الهيئة التي ترتديه بها النساء المصريات في يومنا هذا (ألف ليلة وليلة، ج ١، ص ٢١٠). وراجع كذلك كتاب (المصريون المحدثون، ج ١، ٦٣) إذ يقول: «الإزار هو قطعة من النسيج تلتف بها النساء العربيات عادة عندما يبرزن للجمهور. عرض هذا الإزار ذراعان أو أكثر من ذلك (حسب طول المرأة المشتملة به). وطوله ثلاث أذرع، وتسحب النساء من قسمه الخلفي حاشية على الجزء العلوي من الرأس وعلى الجبين: ويعلقن هذه الحاشية حينئذ بشرط مخيط من الداخل. أما البقية فتتدلى إلى الخلف وإلى كل جهة حتى تبلغ الأرض أو تكاد تمسها، وهذا الإزار يلف الجسم كله تقريباً، لأن المرأة تمسك بنهايته بصورة تجعله يلفها من الجهة الإمامية أيضاً، وهكذا تغيب في هذا الكيس. وعلى هذه الهيئة يخفى هذا الثوب كل قطع الحلل الأخرى الملبوسة عدا جزءاً صغيراً من الثوب الواسع الفضفاض (ثوب أو سبله) هو جزء آخر من اللباس الغرض منه تمكين المرأة من التجول أو من ركوب الخيل أو ركوب الحمار). وهناك خمارة الوجه. وهو يصنع الآن بصورة عامة من الخام الأبيض. وهذا النوع من الإزار كان مستعملاً في عهد محمد ﷺ. ففي صحيح البخاري (ج ٢، مخ ٢٥٦) في الباب الذي سبق لنا ذكره عن الإزار المهدب، نقرأ القصة التالية، مستندة إلى رواية عائشة ؓ: قالت: «جاءت امرأة رفاعة القرظي رسول الله ﷺ وأنا جالسة وعنده أبو بكر فقال: يا رسول الله إني كنت تحت رفاعة فطلقني وبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وإنه

والله ما معه يا رسول الله إلا مثل هذه الهدبة وأخذت هدبة من جلبابها، فسمع خالد بن سعيد قولها وهو بالباب لم يؤذن له. قالت فقال خالد: «يا أبا بكر ألا تنهي هذه عما تجهر به عند رسول الله ﷺ» فلا والله ما يزيد رسول الله ﷺ على التبسم. فقال لها رسول الله ﷺ: «لعلك تريدان أن ترجعي إلى رفاعه، حتى لا يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته» فصار سنة بعد. وكلمة جلباب حسب رأي الجوهري (ج ١، مخ ٨٥) هي كلمة ملحفة. والملحفة طبقاً لآراء المؤلفين الأندلسيين الذين سنجد كلامهم فيما بعد هي الإزار نفسه^(١). ولنمض الآن من شبه الجزيرة العربية إلى مصر. وإذ نصل إلى وادي الكنانة نقرأ في النويري تاريخ مصر، (مخ ٢) إن العلماء قرروا، في مجمع من مجامعهم أن النساء اليهوديات والنصرانيات سيكنن مجبرات على التمنطق بالزنانر تحت الإزار أو حسب رواية أخرى - يبدو إنها أكثر احتمالاً لدى النويري - يشد الزنار فوق الإزار لا تحته. (وأما المرأة فتشد الزنار من تحت الإزار وقيل من فوق الإزار وهو الأولى. ونقرأ لدى السيوطي (حسن المحاضرة، مخ ١١٣): وفي سنة خمس وخمسين وسبعمائة أمر بأن يكون إزار النصرانية أزرق وإزار اليهودية أصفر وإزار السامرية أحمر. وبهذه الطريقة كان الناس يستطيعون لأول وهلة التفريق بين هذه المرأة وتلك من جهة ممارسة هذا الدين أو ذاك في حين أن المرأة المسلمة كانت ترتدي الإزار الأبيض فهي متميزة في كل الأحوال. ونجد لدى ابن إياس (تاريخ مصر، مخ ٣٦٧، ص ٣٩٨): «وكانت الغاسلة إذا خرجت تغسل ميتة تأخذ ورقة من عند المحتسب وتجعلها فوق عصابتها مخيطة في إزارها حتى يعلم أنها

(١) يخطط المستشرق الطائر الصيت سيلفستر دي ساسي بين الزنار والحزام. فالزنار في مصر هو حزام الشعوب دافعي الجزية (اليهود والمسيحيين والسامريين) أما زنار المسلمين فهو الحزام!

غاسلة» (إذ في عام ٨٤٠ حرم السلطان على النساء الخروج من منازلهن). ونجد في ألف ليلة وليلة - (ط مكنائتن ج ٢، ص ١٢١): عليها ثياب مشرطة وإزار وسخ قديم. وفي مكان آخر من الكتاب المذكور ص ١٢٤: ثم إني غطيت عيني وداريت بطرف إزاري من الناس. وحط فمه تحت إزاري على خدي. وفي موقع آخر ص ٢٢٩: كشفت نقابها عن وجهها وقلعت إزارها. وفي موضع آخر (ج ٢، ص ٢٢٨): وضعت على رأسها إزاراً عسلياً. وأخيراً نقرأ في (ج ٣، ص ٥٤٠): وهي ملفوفة في إزار من حرير مزركش بذهب (والحديث عن جارية تجري عملية بيعها).

ويطيب لي أن أقر هنا إن أهل مصر اليوم لم يعودوا يسمون الآن هذا الرداء أو الشملة إذا كانا مصنوعين من الحرير إزاراً، إذ أن هذا الإزار الحريري يطلق عليه اليوم اسم حبرة.

وإن الرحالة الأوروبيين، الذين زاروا مصر في مختلف الأزمان، يتحدثون أيضاً عن هذا اللباس، ولكن معظمهم لا يوردون اسمه. فنحن نقرأ في قصة هيلفريش ما يلي: «إن النساء كن يرتدين حين يخرجن إلى مدينة القاهرة أردية متماثلة. وأعني بذلك إنهن ساعة يزمن البروز من منازلهن تلتحف أجسامهن بقماش أبيض بديع ناعم الملمس، وإنهن يسحبن أرديتهن من الجهة الخلفية على الرأس، وإنهن يعلقن ملابسهن من الجهة الأمامية تحت العنق. وبعد ذلك يلففن أنفسهن بدقة وإحكام بهذا الرداء الذي يغطي ذواتهن به حتى مواقع أقدامهن. وإن هذه الأقمشة التي يستعملنها كأردية لها من الحاشية العليا نوع من الهدب الحريري الأحمر المرصع بالذهب». ونقرأ في رحلة متيكازا ص ٩٠ إن النساء إذا عزم على الخروج من بيوتهن غطين أنفسهن تغطية تامة برداء أبيض من القطن المنفوش، وهو نسيج يسميه الأهالي بافتة، وهم يجلبونه من الهند،

ويغطين أنفسهن به من سمت الرأس إلى أخمص القدم^(١) ولعل وايلد أيضاً يتحدث في كتابه (ص ٢٠٤) عن الإزار حين يقول عن نساء مصر: «إن النساء المصريات - أثناء سفرهن أو ساعة خروجهن من منازلهن - يرتدين لباساً أبيض على رؤوسهن ليستترن به». ويتحدث كورني (ص ٢١٨) في رحلته عن النساء العربيات في القاهرة فيعبر على هذه الصورة: «إنهن حين ينطلقن خارج دورهن يضعن على رؤوسهن وعلى أجسادهن لباساً من القماش الأبيض يغطيهن تغطية شاملة بحيث لا يدع لهن شيئاً يفلت من هذه الظلمة سوى عين واحدة تستطيع أن تهدى كل امرأة إلى طريقها. إن هذه الأغطية تشبه تلك التي يستعملها الأسبان».

ويجب علي أيضاً أن ألفت النظر إلى أن كلمة إزار في مصر تلفظ وتكتب كذلك (إيزار). ولقد رأينا سالفاً أن هذه الصيغة استعملت من قبل ابن إياس. وهي بعد ذلك ليست نادرة الوقوع في نص ألف ليلة وليلة الذي نشره هاييخت. راجع مثلاً الجزء الأول الصفحات ١٩٤، ٣١٠، و ٣٥٢ مكررة و ٣٥٦. وراجع أيضاً بركهارت (الأمثال العربية رقم ٥٦) فهو يكتب هذه الكلمة على نفس الهيئة حين يروي المثل التالي: «إن لقيتها قطع إزارها قال الدورة على لم الشمل». وترجمتها عندي: «إذا وجدتها فاشطر إزارها شطرين» فيجيبه الآخر: «المهم في اللحظة الراهنة هو إيجاد الفرصة لملاقاتها». (ومع ذلك فبركهارت يتوهم حين يقول: «إن الإزار هو شملة المرأة المصنوعة على وجه العموم من الحرير الأسود أو من القطن من نفس اللون. فإذا كانت الشملة التي نتحدث بشأنها فتسمى حبرة. وأخيراً فإن لين يجزم بصراحة بأن الناس في مصر يقولون (إيزار).

(١) يبدو إذن أن الكلمة الفارسية بافته كانت مستعملة في مصر أيضاً. ففي كتاب آين أكبري (ج ١ ص ٩٨) إن البافته هي اسم من بين أسماء مسوجات القطنية.

فإذا تركنا مصر أيضاً وعبرنا إلى بلاد البربر وجدنا الإزار في القرنين السادس عشر والسابع عشر في مراكش وفي فاس. إذ يقول ديبكودي توريس في (قصة الشرفاء، ص ٨٦) في معرض الحديث عن سيدات مراكش: «إنهن يرتدين فوق فساتينهن لباساً طويلاً يسمينه إزاراً، وهو الذي يسمونه في غرناطة ملحفة، وهي مصنوعة من الحرير أو من الصوف مع زركشات وحواشي من الجوانب مطوية طيات غاية في الذوق والإبداع بحيث تتعلق بالصدر بالإضافة إلى ترصيعها ببعض الحلقات والأقراط ومواد الزينة ويخترقها دبوس. وهذه التحليات - ذهبية كانت أم فضية - إنما هي لدى الأغنياء. أما لدى الطبقات الأخرى فهي من المعدن. ونقرأ كذلك في موضوع النساء في فاس في كتاب دي مارمول (وصف أفريقيا ج ٢): «إن النساء على جانب مفرط من الجمال ولو أنهن لسن متعفات في أغلب الحالات وهن يرتدين الألبسة بأناقة رائعة للغاية ويتزين لدى خروجهن من منازلهن بالملابس البيض الفاخرة المصنوعة من الذهب ومن الحرير، وتلتف فوق هذه الملابس الملاحف أو الإزار المعمولة من النسيج الهولندي الفاره، المزينة من نهايتها بالحرير الملون. وهذه الأردية طويلة طول أغطية السرر ولكنها ليست واسعة سعتها وعليها في حواشيها شرائط من الحرير الأبيض أو من لون آخر وكلها منسوجة في نفس الإزار. وبعد أن تلتف النساء بهذه الإزار يشددنها إلى الصدر بحلقة ضخمة من الفضة أو الذهب أما في الصيف فهو الزي الاعتيادي للنساء النبيلات. ويخبرنا دابر في كتابه عن أفريقيا ص ٢٤١ إن الخادمة التي وجدت ضمن أعضاء سفارة ملك مراكش وفاس في امستردام عام ١٦٥٩ - كانت ترتدي إزاراً مصنوعاً من القطن الأبيض الدقيق. ويبدو لنا أن الإزار لم يعد مستعملاً في يومنا هذا في فاس ومراكش، ذلك لأن المحقق المدقق الدانمركي هوست لم يتحدث عنه.

أما في مالطه فيكتبون ويلفظون كلمة ليزار وكلمة ليزور. فالكلمة الأولى في حالة الأفراد والكلمة الثانية في صيغة الجمع. وهذه الكلمة تعني في هذه الجزيرة أيضاً شملة واسعة (راجع فاسالي اللغة المالطية، المجموعة ٤٤٢).

كان الإزار مستعملاً في سورية أيضاً وما برح مرتدي في تلك الربع حتى يومنا هذا. ونحن نقرأ في رحلة هيلفريش أن النساء في أورشليم يتكيسن في شملة بيضاء بدلاً من الرداء الذي يلف رؤوسهن وكافة ثيابهن، بحيث أنك لا تستطيع تمييز هذه المرأة من المرأة الأخرى وهي الحالة السائدة في القاهرة. ويقول لويس دي فارتما أن النساء في دمشق مرتديات أفخر الحلل، أما ملابسهن الفوقانية فهي من القطن الأبيض الناعم، وهذه الملابس لينة الملمس دقيقة الصنع كأنها قدت من الحرير. ويروي دانديني في (رحلة من جبل لبنان، ص ٤٦) إن نساء طرابلس في سورية يلتحفن - لدى خروجهن - اتحافاً تاماً في شرشف من الكتان الأبيض أو من القطن بحيث أن الناظرين إليهن لا يرون حتى أيديهن بالرغم من تملكهن حرية تحريك أذرعتهم وأيديهن. أما دارفيو في كتابه (مذكرات، ج ٦ ص ٤٣٦) فيقول أن النساء الحلبيات يرتدين فوق ثيابهن «دثاراً واسعاً من القماش الأبيض يغطيهم من رؤوسهن إلى أقدامهن». ويقول فون ريشتر وهو في صدد الحديث عن عرائس التجار الأفرنج في حلب: «إن زي السيدات هو الزي العام السائد على الساحل السوري - فهن حين يخرجن يرتدين شملة بيضاء يدفعنها من وراء على الرأس ويعقدنها من الأمام تحت الأنف، بحيث أنك إن لم تكن على معرفة خاصة بالأنوف لن تستطيع التعرف على المتنكرات في هذه الهيئة». وأخيراً يقول المقدم ناپييه، وهو يتحدث عن نساء بيروت (ذكريات عن سورية، ج ١ ص ١١٧): «إنهن ملفتات التفافاً تاماً بالإزار

أو بالشملة الطويلة البيضاء التي تلف الرأس فتخفي الوجه وتسقط على الأرض في طيات عديدة، بحيث أنهن لا يكدن يعرفن من قبل أصدقائهن أو من قبل ذويهن الأدين». (راجع الكتاب نفسه، ج ١ ص ١٣٣ و ١٤٣).

ويخيل إلي أن الإزار كذلك دائم الاستعمال لدى النساء المارونيات. (راجع لايت. رحلات إلى مصر والنوبيا والأرض المقدسة وجبل لبنان وقبرص ص ٢٢٠ ودقق الصور).

أما في الجزيرة فيبدو أن الإزار هناك نادر الوجود.

ومع ذلك فإننا نقرأ في أحد كتب بكنكهام (رحلات إلى بلاد ما بين النهرين ج ١، ص ٣٩٢) إن النساء في ديار بكر يرتدين أحياناً إزرها المصنوعة من الموصلي الأبيض كتلك الإزار التي ترتديها النساء في إزمير وفي دمشق.

ليس في مقدوري أن أدع هذه المادة دون أن أترجم بعض فقرات مارمول (وصف افريقيا، ج ٣٣) ذلك الكتاب الغامض المغمور. إذ يقول الرجل في معرض كلامه عن النساء المصريات: «إنهن يرتدين الشملات الواسعة البيض المصنوعة من القطن الناعم الدقيق الذي يجلب من الهند، وهذه الأغشية مفصلة تفصيلات مختلفة، فبعضها يشبه أزر بلاد البربر وبعضها يسمى في مصر ليسيا (هي كلمة عربية تعني غطاء أو خماراً) فهل أراد بليسيا الإزار الذي أعرفه؟ لا أدري».

ولا بد من جهة أخرى أن يكون مارمول قد زار مصر في عهد قريب كل القرب من كتابه ألف ليلة وليلة، وقد رأينا في السطور السالفة إن كلمة إزار تظهر أحياناً في هذا الكتاب. وأخيراً فإن الوصف المعطى من قبل مارمول عن ليسيا النساء المصريات ينطبق كل الانطباق على أوصاف الإزار التي فرغنا توأ من قراءتها. لذلك أرى أن مارمول واهم وأنه قد أساء الفهم

ولكن مارمول كاتب مرموق بحيث لا يسعنا السكوت عن ملاحظاته ولو كانت خاطئة.

أما صيغة إزاره فهي نادرة، ولم أقع عليها إلا في هذا البيت المنسوب للأعشى الذي نقله الجوهري (ج ١، مخ ٨٥) (الكامل):

كتميل النشوان يسر فل في البقير وفي الإزاره

إن كلمة إزار - التي تشير إلى الغطاء الواسع الذي تلف المرأة به جسمها كله - قد استعملت من قبل الشعراء للدلالة على المرأة نفسها. فنحن نقرأ هذا البيت الذي يرويه الجوهري (ج ١، مخ ٨٥): (الوافر):

ألا أبلغ أبا حفص رسولاً فدى لك من أخي ثقة إزاري

ويضيف اللغوي: قال أبو عمرو الجرمي يريد بالإزار هاهنا المرأة: (راجع القاموس، ط كلكتا، ص ٤٥١)، ولكن لكلمة إزار معنى آخر أيضاً. فهي تعني نوعاً من الثياب لتغطية الأرداف والأعضاء الطبيعية (العورة). فنحن نقرأ في عيون الأثر (مخ ٣٤٠) إن الرسول ترك بين مخلفاته: إزاراً طوله خمسة أشبار. وقد حرم رسول الله على المؤمنين ارتداء الثباين أو السراويلات خلال أيام الحج، وأمر بالتعويض عنها بالإزار. ولكنه قال: «من لم يجد إزاراً فليلبس سراويل». (راجع صحيح البخاري، ج ٢، مخ ٣٥٦). وراجع باب البرانس وباب العمام. ويقول النويري في (تاريخ مصر، مخ ٢): فأعطاني هذا الإزار وقال: «قد أحرمت فيه عشرين حجة، وأخيراً يعلمنا وايلد Wild في أحد كتبه (ص ٦٤) ما يلي: وفي تلك الأمسية، واصل الحجاج سفرهم لدى غروب الشمس، فلم يردوا ألبستهم، ولكنهم اكتفوا بستر أعضائهم الطبيعية فقط بنسيج ولف أجسامهم عموماً بالإحرام الذي هو قطعة من القماش المصنوع من الشعر. (راجع كذلك في الصحيح، الكلم النوايع، ص ١٢١).

ويروى الرواة أن النبي ﷺ قال: «إنها ستفتح عليكم أرض العجم وستجدون فيها بيوتاً يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال إلا بإزار». (الرسالة لابن زيد، مخ ١١٩٣، ص ٧٤٧).

ويبدو أن صيغة إزر نادرة الوقوع. فنحن نقرأ في الميداني (مخ ٢٣٢ ص ١٦) المثل التالي: «إن كنت بي تشد أزرك فأرخه». ويشرح الميداني هذا المثل فيقول: «أي أن تتكل عليّ في حاجتك فقد حرمتها». ويظهر أن كلمة إزر معناها هنا حزام، كما قال فريتاك في (الأمثال العربية، ج ١، ص ٢٥) أو بالأحرى هي كما يقول أُرَزَك بعد ضم همزة الكلمة محل وضع حزامك، أي وسط الجسم. ولكن الجوهري لم يورد معنى لكلمة حزام وكذلك فعل القاموس، ولكنني أنبه إلى الحماسة (ط فريتاك، ص ٦٥٧) قد فسرت معنى كلمة مؤزر على هذا النحو: «قوي من الإزر وهو موضع عقد الإزار من الحقو».

المِثْزَر، المِثْزَرَة، المِثْزَار

تعني كلمة مِثْزَر تَبَاناً Caleçon. وهذا ما يقطع به لين في ترجمته لألف ليلة وليلة (ج ٢، ص ٣٩٨) حيث يقول إن كلمة ميزر أو مِثْزَر تستعمل حالياً (في مصر) للدلالة على: زوج من سراويل. ونجد هذه الشريعة في الفقه المالكي: «لا يدخل الرجل الحمام إلا بمِثْزَر» (ابن أبي زيد، الرسالة، مخ ١١٩٣، ص ٧٤٧). ولدى النويري أن الحاكم بأمر الله (تاريخ مصر، مخ ٢ك). (٢) ص ٩٨ أمر «أن لا يدخل أحد الحمام إلا بمِثْزَر». ذاتها يرويها المقرئ، ويوردها سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية، ج ١، ص ٥٥ النص العربي). ونقرأ لدى ابن أبياس (تاريخ مصر، مخ ٣٦٧، ص ٢٤٩، في حوادث عام ٨٢٤): «قيل لما أرادوا غسل الملك

المؤيد لم يجدوا له إلا إناء صغيراً يصبون به عليه الماء ولا وجدوا له منشفة ينشفون بها لحيته حتى أخذوا منديل بعض من حضر غسله ولا وجدوا له مئزرأ يسترون به عورته حتى أخذوا مئزر بعض الجواري النائحات وهو مئزر أسود سعيدي خشن فسبحان من يعز ويذل.

إن كلمة مئزر التي لا يمنحها فريتاك إلا معنى كلمة باليم (Pallium) أي صدر الكاهن أو المشمال أو اللفاع الأفريقي، تعني كذلك قطعة القماش التي تستر العورة، والتي تلبس من السرة إلى أسفل. ونحن نقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخدي غايانگوس، ص ٢٢٦، ٢٢٧): «وبها زاوية حسنة فيها شيخ حسن الصورة والسيرة يسمى بمحمد العريان لأنه لا يلبس عليه إلا ثوباً من سرتة إلى أسفل وباقي جسده مكشوف وهو تلميذ الصالح الولي محمد العريان القاطن بقرافة مصر. حكاية هذا الشيخ: وكان من أولياء الله تعالى قائماً على قدم التجريد يلبس مئزرة وهو ثوب يلبسه من سرتة إلى أسفل». وتعني كلمة مئزرة كذلك: كساء. فنحن نقرأ لدى ابن عباس (تاريخ مصر، مخ ٣٦٧، ص ٢٨١، حول حوادث عام ٨٢٢): «وكان السلطان لابس جبة صوف أبيض وعلى رأسه عمامة صغيرة بعذبة مرخاة على كتفه ومئزر صوف أبيض تردى به كهيئة الصوفية». ونجد في ألف ليلة وليلة (نشر مكناتن، ج ١، ص ١٥٨): «وضع عليهم ميزراً أسود وصاروا يتفرجون من تحت الميزر». ويقول فيما يقوله (فان سليب) (تقرير جديد عن رحلة إلى مصر، ص ٣٠٧) - وهو يصف أزياء رهبان القديس أنطوان على سفح جبل كولزم - المئزر الذي هو في اللغة القبطية أحياناً (ميزروس) وأحياناً (بلوز) هو رداء كبير من قماش أسود بطائنه بيضاء، شبيه بأردية الآباء اليسوعيين، إلا أنه بلا ياقة. ولكنهم في غير حالات السفر لا يستعملونه إلا في حالات نادرة جداً». أما في يومنا هذا فإن كلمة ميزر لم تعد تستعمل - كما يبدو - بهذا المعنى في مصر. راجع لين (ألف ليلة

وليلة، ح ٢، ص ٣٩٨) أما القاموس فيقول أن كلمة مئزر لها معنى كلمة باليوم (Pallium) أي صدر الكائن أو المشمال أو اللفاع الأفريقي. ولعل المستشرق (فان سليب) كان ينظر إلى هذه الصيغة حين كتب كلمة الميزر.

وأخيراً فإن كلمة مئزر تشير إلى نوع توك Toque (قطعة خرقه أو مئزر أو قلنسوة أو طاقيه القاضي). ذلك لأننا نقرأ لدى ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي غايانگوس): «ومن غريب ما اتفق لي يومئذ إنني دخلت فرأيت القضاة والخطباء والشرفاء (ص ٨٠) قد استندوا إلى حيطان المَشُور^(١) وهو

- (١) تعني كلمة مَشُور في لغة عرب المغرب قاعة في قصر. راجع: مارمول في كتابه (وصف أفريقيا، ح ٢ ص ٢١، مج ٢) حيث يروى لنا أن قصر امبراطور مراكش يحتوي على قاعتين فخمتين، تسميان Mexuars حيث يجلس السلطان، فيعقد في إحدى القاعتين المجلس العام الذي يوسع الناس كافة أن يشهدوه، ويعقد في القاعة الأخرى المجلس الذي يشهده خواص البلاط، إذ يجتمعون للتشاور وتبادل وجهات النظر في المسائل المهمة بحضور الملك. ويسمى المشور الخاص، في رسائل ابن الخطيب.
- ويترجم بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) مجلس الملك بـ: Consejo real و Chancelleria إلى مَشُور. و secretario إلى صاحب المَشُور. ويذكر ديكو دي توريس في كتابه (قصة الشرفاء ص ٢٠٣) كلمة Mesuar، حيث يعقد الملك مجلسه. وفي مكان آخر (ص ١٦٣) يقول: وكان الرؤساء والشيوخ في Mezuar، وهو المحل الذي اعتادوا الاجتماع فيه مع الملك أثناء بحث الشؤون العامة. وفي جهة أخرى يورد المؤلف بعض الكلام (ص ٣١٧) فيقول: يبدو أن الملك يتناول طعامه في المشور، ويؤكد نفس هذه الواقعة مارمول (ح ٢، ص ١٠٣، مج ٢). وأن مؤلف الكتاب الذي عنوانه (مهمة تاريخية في مراكش، ح ٢، ص ٥٠) يكتب Mexuar مثل مارمول، ويفسر هذه الكلمة بأنها قاعة مخصصة للجلسات العامة. ونحن نقرأ في رحلة ابن جبير (مخ، ص ١٩٠): «وبهذا المشور يجلس السلطان الجلوس العام». ويبدو أن هذا النوع من القاعات كان معظمه مكشوفاً إن لم يكن كله. إذ يقول جاكسون في كتابه (تقرير عن مراكش، ص ١٢١) إنه يوجد قرب القصر في مدينة مراكش المشور M'shoar أو محل عقد المجلس، وهو بناية =

غاص بهم من جميع جهاته وهم بين باك ومتباك ومطرق وقد لبسوا فوق

= واسعة على شكل مربع، محوطة بجدران، ولكنها مكشوفة، ويعقد الامبراطور هناك جلساته لسماع أفراد رعيته وإقامة ميزان العدالة. وفي كتاب آخر هو (تقرير عن تمبكتو، ص ١٣٨) يقول نفس الرحالة ما يلي: رفعت خيامنا الخاصة في المشور mushoir أي في محل عقد الجلسات، على أرض متبسطة محاطة بسور، حيث يجتمع الشيخ إلى مختلف عشائر سوس فيعظها. ويقول يبدو دي سان أولون في كتابه (حالة امبراطورية مراكش الراهنة، ص ١٧٥) إن المشورة mishuart هي رحبة مكشوفة، مزدانة بأعمدة ونقوش بارزة من الرخام. ويكتب لمبرير في تابه (ولة في مراكش، ص ٢٤٦) machoire ويشرح هذه الكلمة بأنها جزء مكشوف من القصر. وتدل كلمة مشور كذلك على جزء من قصر منفصل عن بقية العمارة. ويقرر جارنت في كتابه (رسالة جواباً على أسئلة غربية مختلفة، ص ٤٨): «يوجد قرب قصر مدينة مراكش عمارة فخمة، تدعى michouar يقطنها العلوج أو المرتدون الذين يرافقون الملك على الدوام لدى خروجه». ونقرأ في كتاب (رحلة في ولايات البربر عام ١٧٨٥، ص ٤٨) ما يلي: «يوجد عدد هائل من المشاور أو المساكن المنفصلة، بحيث يستحيل تعدادها». وبعد ذلك نقرأ (ص ٥١): «يوجد مشور عام عظيم بجوار الأماكن التي تسكنها النساء الواتي هن في خدمته، هناك حيث تقع أربعة بنايع وحمامات مزوقة بالمرمر. ويقتصر المشور على أربع مقاصير يتوسطها فناء وحديقة. وهذا المشور قريب الشبه بالدير».

لقد رأينا أعلى كلامنا هذا أن كلمة مشور تدل بصورة خاصة على القاعة المعدة للاجتماعات. ولهذا السبب فإن هذه الكلمة تطلق كذلك على الاجتماع العام نفسه، كما يؤكد ذلك بصورة قاطعة هوست في كتابه (أخبار من مراكش، ص ١٦٩) وكذلك كرابردي همسو في كتابه (مرآة جغرافية وإحصائية لامبراطورية مراكش، ص ١٩٨). وتعني كلمة مشور في أيامنا هذه حصناً أو قلعة. راجع: العقيد سكوت (يوميات إقامة في مخيم عبد القادر الجزائري (اسم الله) ص ٧١، ١٦٠، ٢٣٦، ٢٤٢، ٢٦٠).

ولعل لكلمة مشور نفس المعنى في كلام ابن بطوطة (المخطوطة، ص ٢٦٨): «والمشور في وسط هذه المدينة وهو كبير جداً ودار الإمارة في وسطه وهو يحف به من جميع الجهات».

ثيابهم ثياباً خامة من غليظ القطن غير محكمة الخياطة بطائنها إلى أعلى وجوهها مما يلي أجسادهم وعلى رأس كل واحد منهم قطعة خرقه أو مئزر أسود وهكذا يكون فعلهم إلى تمام أربعين يوماً وهي نهاية الحزن عندهم وبعدها يبعث السلطان لكل من فعل ذلك كسوة كاملة». حدث هذا عقب وفاة ابن الملك ايدج. ونجد في تاريخ مصر لابن إياس (مخ ٣٦٧، ص ٢٨٨): «وكان السلطان لابس جبة صوف أبيض وعلى رأسه مئزر أبيض ملفوفاً عمامة صغيرة بعذبة مرخاة». وبهذا المعنى عبرت كلمة المئزر إلى أسبانيا تحت صيغة الميزر Almaizar ويقرر معناها كوياروفياس في كتابه (كنز اللغة القشتالية، مدريد، ١٦١١، فيقول الميزر Amaizar عبارة عن لفافة رأس أو برقع مراكشي يشبه الطرحة. وهذه اللفافة مصنوعة من الحرير الخالص الموشى بضروب الألوان مع هدبات وعذبات. ويقول ديكودي أوربا أن هذه الكلمة بصيغتها العربية تنطق على هذا المنوال: إزار Yzarum هي الأداة، وما - كما قلنا في مواضع أخرى - هي علامة اسم أداة: Al-ma-yzerum, almaizar, couverture ويلف المغاربة هذا الإزار حول الرأس، ويدعون نهايات الحواشي تتدلى على الأكتاف». وبهذا المعنى توجد كلمة الميزل Almaizal أو الميزر almaizar في عدة كتب أسبانية قديمة. وكانت تلبس هذه اللفافة من قبل الرجال والنساء على حد سواء. راجع (أغاني الموريسكيين الشعبية، ص ٢٣٧ و ٢٣٩ إلخ -، وحروب غرناطة الأهلية، ص ٢٣٧ و ٢٣٩). وقد عبرت كلمة مئزر كذلك إلى إيطاليا، ففي جنوه تطلق كلمة ميزارو Mezzaro على قطعة كبيرة من القماش ملونة مزخرفة تغطي المرأة بها رأسها وكتفيها. راجع: (أوصاف جنوه، عام ١٧٨١، مع الصورة). أما كلمة مئزار فلا أتذكر إنني صادفتها.

الأشاح

انظر كلمة وشاح.

الأَصْدَة، الأَصِيدَة، المؤَصَّد، المؤَصَّدة

يبدو أن هذه الكلمة لم تكن مستعملة إلا في العهود الإسلامية الأولى، وذلك لأن علماء أجلة من العرب لم يكونوا يعرفون على وجه الضبط والدقة أي نوع من الملابس تدل عليه هذه الكلمة. فنحن نقرأ لدى ابن فارس (مجلد اللغة، مخد ٤٨٥): «الأصدة قميص صغير يلبسه الصبيان». ونقرأ كذلك لدى الجوهري (مخد ٨٥، ص ١٩٢): «الأصدة بالضم قميص صغير يلبس تحت الثوب». قال الشاعر (البيضاوي):

ومرهك سال أمتاعاً بأصدته لم يستعن وحوامي الموت تغشاه
ويضيف الجوهري: «وتلبسه أيضاً صغار الجواري». وتقول أصدته
تأصيداً».

قال كثيراً (الطويل):

وقد درعوها وهي ذات مؤصد مجوب ولما تلبس الدرع رثدا
ولا وجود لكلمة مؤصد في قاموس فريتاگ. ولكننا نجد في
القاموس (ط كلكتا، ص ٣٤٠): «الأصدة بالضم قميص قصير صغير
للمصغرة أو يلبس تحت الثوب كالأصيدة والمؤصدة». ويقول التبريزي
في شرح الحماسة (ص ٢٢٣) في معرض حديثه عن البقعة المسماة ذات
الأصا من كلمة أصدة ما يلي: «فأما الأصدة فهي ثوب لم تتم خياطته.
وقيل هي البقيرة. وقيل بل هي الصدر».

قال الشاعر (البسيط):

مثل البرام غداً في أصدة خلق لم يستعن وحوامي الموت تغشاه
وهذا البيت نفسه موجود في هامش الجوهري مع التعليق التالي:
«لم يستعن أي لم يخلق عانته. والبرام القراد. وأراد حوائم الموت فهي أسباب الموت».

وإنني متأكد من سرقة هذا البيت من البيت الذي سبق أن قرأناه: فإن كلمتي (لم يستعن) قد استعملتا كذلك من قبل السارق، كما نرى في معنى آخر، بالإضافة إلى أننا نعلم أن حلق العانة عادة متبعة لدى الرجال المسلمين والنساء المسلمات.

الإلظماق جمعه الإلظماقات



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وقد شوه عرب الأندلس الكلمة التركية طوماق على هذه الشاكلة. ويترجم بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) الكلمة الأسبانية borzegui بالظماق، وجمعها الطماقات، ويترجم Calçada cosa de borzguies إلى ملابس الإلظماق وجمعها إلى ملابس الإلظماق. وافترض أن العرب قد أضافوا أداتهم إلى الكلمة التركية (الطوماق) وبعد ذلك اعتبروا ال وكأنها جزء لا يتجزأ من الكلمة، وبعد مضي رده من الزمن، خلعوا على كلمة الطماق الحروف الصائتة لمصدر من الصيغة الثامنة، الذي كان في مقدورهم، بل كان واجباً عليهم، إضافة أداتهم إليه أيضاً. ولما كنت لا أعتقد بوجود فارق كبير بين كلمة التماك Itimâk المغاربة وبين كلمة le toumâk توماك الأتراك في مدينة الجزائر، في القرن السادس عشر، فإنني سأترجم هنا ما قاله ديبغو دي هيد في كتابه

(خطط مدينة الجزائر، ص ٢٠، مج ٢) عن الكلمة الأخيرة «إنهم يسمون جزماتهم tumaques (sus borzequies) وهذه تكون صفراء فاقعة الصفرة أو برتقالية، أو ذات ألوان أخرى. وهناك قلة من الناس تحتذي هذه الأحذية إذا كانت سودا أو بيضا.

الأنتاري أو الأنطاري



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويكتب منينسكي Meninski وهندوكلو في كتابهما (مجموعة كلمات وتعابير جوهرية باللغات التركية واليونانية الحديثة والألمانية، ص ٨٠) أنطاري. ولكن الفارس آميديه جوبير Amédée Jaubert في كتابه (النحو التركي، ص ٣٢٦) ولين في كتابه (المصريون المحدثون، ج ١، ص ١٥٢) كتباً: أنتاري.

ولما زار الرحالة نيور الشرق وكتب كتابه (وصف الجزيرة العربية، ج ١، ص ١٥٢) كان سكان القاهرة من الطبقة العليا ومن الطبقة المتوسطة يرتدون الأنتاري، وهو اللباس الذي كانوا قد استعاروه من الأتراك دون ريب. ويقول نيور: «كان القوم يلبسون فوق القميص والشكشير (الجقشير) Schakschir الأنتاري، المبطن بالقماش الذي يعلو الركب بشبرين تقريباً».

أما اليوم فإن هذا اللباس لم يعد يرتدي من قبل الرجال في مصر، ولكن السيدات يستعملنه في بعض الأحيان. وإن أنتاريهن هذا يختلف بالرغم من ذلك مع أنتاري الرجال من ناحية الشكل. وإليكم وصفه من قبل لين في (كتاب القيم): «إنه كالسترة القصيرة، يعلو قليلاً وسط الجسم، وهو يشبه تمام الشبه اليلك الذي اقتطع منه الجزء الأسفل.

ويلبس الناس أحياناً هذه السترة القصيرة بدلاً من اليك، إذن فهو مصنوع من قماش مخطط بالألوان، منسوج من الحرير، أو من القطن أو بالأحرى من الموصلي المنقوش أو المحوك من خيوط ملونة، وهو أحياناً أبيض اللون خالص البياض، وله ردتان طويلان، وقد فصل على هيئة تسمح له بأن يزرر من الجهة الأمامية ابتداء من الصدر وانتهاء بنهايته. فهو مفصل على وجه العموم بصورة تدع نصف الصدر مكشوفاً (هذا الصدر الذي هو مع ذلك مستور بالقميص): ولكن كثيراً من السيدات يرتدين الأنتاري الفضفاض بصورة مفرطة لدى هذا الجزء من الجسم.

البابوش أو البابوج



تسللت هذه الكلمة التي هي كما نعلم من أصل فارسي (بابوش) إلى اللغة العربية كما تغلغت في اللغة الفرنسية، واندست في اللغة اليونانية الحديثة بلفظ (توبابوتسي). وبوسعنا أن نستشير فيمن نستشيرهم عن البوابيج التي تحتذيها نساء اسطنبول الرحالة الفرنسي تيفنو في كتابه (قصة رحلة إلى المشرق، ص ٥٦)، كما نستطيع مراجعة دي برين في كتابه (أسفار عبر آسيا الصغرى، ص ١٣١).

يقول تيفنو (ص ٣٢٩) في معرض كلامه عن البدو: «بعض هؤلاء البداية لهم بوابيج تشبه أخفافنا». ويقول دارفيو في كتابه (رحلة من فلسطين صوب الأمير الأعظم، ص ٢٠٨) وهو يصف زي الأمراء البدو الشتائي: «إن بوابيجهم المصنوعة مما تصنع منه الخفاف Babouches أي من نفس الجلد المراكشي الأصفر، يستعملونها استعمالنا الخفاف، وهم يخلعونها إذا أرادوا الجلوس أو إذا مشوا على الأبسطة والسجاجيد». ويقول الرحالة نفسه بعد ذلك (ص ٢١١) واصفاً طراز

السيدات لدى البدو: «إن بوابيجهن صغيرة ومزركشة». ويقول في مكان آخر (ص ٢١٢) متحدثاً عن ملابس الرجال بصورة عامة: «إن لهم أقداماً حافية داخل جزماتهم حين يمتطون الجياد، أما في مخيماتهم فيضعون كذلك هذه الأقدام داخل البوابيج التي لها ما لخفنا من آذان وزوائد وثقوب تمكن من ربطها بالأرجل، وهذه البوابيج ليس لها سوء نعل خفيف مع حرمانها من الكعوب». ويرى المؤلف ذاته (ص ٢١٣) إن النساء بصورة عامة يدرجن حافيات الأقدام أثناء موسم الصيف، أما في الشتاء فيلبسن البوابيج المصنوعة على هيئة بوابيج الرجال تقريباً.

ويذكر ريشتر في كتابه (رحلة إلى الشرق الأوسط، ص ٢٦٣) «بوابيج» (Paputschen) النساء الحلبيات، ويفسر هذه الكلمة بكونها (Pantoufles). ويبدو أن البوابيج باقية الاستعمال في اليمن، ذلك لأننا نقرأ في كتاب (رحلة إلى اليمن السعيدة أمستردام، ١٧١٦، ص ٢٠٨): «كانت ساقا ملك اليمن وقدماه عاريتين إلا من بابوج على الطريقة التركية».

وتختلف بوابيج مدينة الجزائر عن تلك البوابيج التي يستعملها البدو. وذلك بعدم وجود آذان وزوائد وثقوب فيها، فهي من حيث النتيجة لا يمكن شدها وربطها. ويقول دارفيو في كتابه (مذكرات، ج ١، ص ٢٨١) عن مغاربة هذه المدينة: «إنهم يمشون حفاة الأقدام عراة السيقان ولا أحذية لهم إلا البوابيج التي هي أحذية مسطحة مسمرة تحت الأعقاب، ولا آذان لها ولا زوائد مثل أخفنا Pantoufles». ويتحدث بيدو دي سان أولون في كتابه (الحالة الراهنة للإمبراطورية المراكشية، ص ٩٠) عن البوابيج التي يلبسها المراكشيون. راجع أيضاً كتاب (رحلة لافتداء الأسرى، ص ٥٠). ويظهر أن البوابيج في مصر كانت تلبس قديماً من قبل الرجال، أيام الحملة الفرنسية، وإن الكونت دي شابرول في كتابه

(وصف مصر، ح ١٨، ص ١٠٩) يزودنا حول هذا الموضوع بالتفصيلات التالية: «إن الحذاء - يتألف قبل كل شيء من المزد Mest (مز) ثم من بابوش Babouch ومن سرمه Sarmeh (رجع كلمة سرموجة) أي الخفاف المصنوعة من الجلود المراكشية التي يضع المغاربة أقدامهم فيها مدرجة في (المز)، ويخلع هؤلاء بوابيجهم والسرمة، كلما دخلوا في شقة مفروشة بالسجاجيد، وذلك تأدباً واحتشاماً».

وفي أيامنا هذه يبدو أن النساء القاهريات قد ظللن وحدهن لابسات هذه البوابيج: «إنهن يلبسنها في بيوتهن حين لا يدرجن على السجاجيد، وبوابيجهن هذه مديبة كثيراً ومصنوعة من الجلد المراكشي الأصفر». راجع بين (المصريون المحدثون، ح ١، ص ٦٠). على أن النساء ما برحن يستعملن هذا الحذاء لدى خروجهن من منازلهن. (المرجع السابق، ص ٦٣). ولعل هذا النوع من الخفاف كان مستعملاً لدى نساء مصر في القرن السادس عشر، ذلك لأننا في الأقل نقرأ في كتاب (ملاحظات بلون، ص ٢٣٤) إن النساء في مصر يلبسن أيضاً البواتين (المحددة) الكعوب على طريقة التركيات.

(Des botines ferrées par le talon, à la manière des Turques).

وليست المسألة هنا مسألة خف، ذلك لأن هذا النوع من الخفاف لم يصل إلى علمي إنه محدد الكعب. des fers au talon ويلفظ أهل مصر هذه الكلمة على هذه الصورة (بابوج)، ذلك لأن لين يكتب Bâboog، ولدى هذا المؤلف يمثل الحرف G اللاتيني الحرف ج العربي^(١).

(١) لعل العكس هو الصحيح. فالمصريون يلفظون الجيم العربي كـ (ج) يقابل لديهم g اللاتيني. ويلفظون البابوج (بابوگ) تماماً كما كتبها لين (Bâboog) (المترجم).

الباروة جمعها الباروات

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وإن الكلمة الأسبانية Alpargate، التي تدل على (صندل) نعل مجبّل، مصنوع من القنب أو من الحلفاء مشتقة، على رأي أحد كبار علماء اللغة العربية، وهو ديبكيودي أوربا (لدى كوباروفياس، الكنز، مدريد، ١٦١١)، من كلمة قرق العربية، تلك الكلمة التي لا وجود لها في قواميسنا. ولكنها كلمة نجد مثلها في الكلمة الأسبانية: Alcorque. تبدو هذه النظرة للوهلة الأولى من التفاهة بمكان، ومع ذلك فهي الحقيقة التي لا يأتيها الباطل: فكلمة قرق جمعها قرقات، ولما كانت كلمة (قرق) تشكل زوجاً، فإن المسيحيين قد قالوا: El-par-korkat. ومن هذا المنطلق تشكلت بعدئذ كلمة Alpargate. وإن عرب الأندلس - كما بوسعنا أن نتصور - لم يستطيعوا أن يتعرفوا على (قرة) هم في كلمة Alpargate فصنعوا باروة وجمعها باروات. ويفسر بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) كلمة Alpargate بأنها باروة. وجمعها باروات. على أن هذا اللغوي يعطي نفس هذه الكلمة العربية ترجمة للكلمة الأسبانية Alpargate. راجع المؤلف نفسه في كلمتي: (Calçada, Calçado). ويطرجم كوباروفياس (الكنز) كلمة Alpargate بأنها حذاء مصنوع من الحبال، يستعمله الموريسكيون (المتصرون) كثيراً.

الْبَتُّ، البتات

يرى الجوهري (ح١، مخ٨٥، ص١٠٥) كما يرى القاموس (ط كلكتا، ص١٧٤) إن (البت الطيلسان من خز ونحوه) ويورد الجوهري

بهذا الصدد الأبيات التالية، التي قيلت في ثوب، وهي من نظم أحد المتصوفة، التي صاغها في لغة صوفية (وقال في كساء من صوف) - الرجز:

من يك ذا بت فهذا بتي

مقيظ مصيف مشتي

نسجته من نعجات ست

لا يساورني أدنى ريب في أن هذه النعجات الست ترمز إلى الدرجات الست التي يتألف منها التصوف كما يرى بعض العارفين. راجع ثولوك (المتصوفة والشطحات الصوفية لدى الفرس، ص ٣٢٩). إذن يبدو من هذه العبارة أن بوسعنا أن نخلص إلى أن البت كان من صوف أو من أديم نعجة. والواقع إننا نقرأ في (ملاحظات بلون، ص ٤١١) إن «الشارة التي كان يلبسها الدراويش لإظهار أنهم من أتباع دين محمد ﷺ هي جلد نعجة على أكتافهم: ولا يلبسون لباساً إلا أن يكون جلدأً واحداً لنعجة أو لكبش - هذا إلى اتخاذ شيء يستر المواضع المخجلة (العورة)». وبوسعنا الوقوع على نفس التفصيلات لدى راولف في كتابه (وصف حقيقي للرحلات، ص ١٤٩).

البِجَاد



إننا قارئون في الجوهري (ج ١، مخ ٨٥، ص ١٩٣): البجاد كساء مخطط من أكسية الأعراب، ومنه ذو البجادين واسمه عبد الله. ونجد كذلك في القاموس (ط كلكتا، ص ٣٤١): «وككتاب كساء مخطط. ومنه عبد الله ذو البجادين دليل». ويقول كذلك التبريزي، في شرحه للحماسة، ص ٦٤٣: «كساء مخطط من أكسية الأعراب». راجع كذلك (أبا العلاء، لدى ريسكه، ص ٦٢).

ولما كانت المعلومات التي أدلى بها العرب حول هذه الكلمة نزره للغاية، ونظراً لأنني لم أصادف هذه الكلمة بذاتي في نص بوسعه أن يلقي ضوءاً أسطع على معنى هذه الكلمة الحقيقي، فليس في مقدوري أن أقول أكثر من أن الكلمة تعني كساء مخططاً من تلك الأكسية التي يرتديها الأعراب البداءة، وأن عبد الله أبا الرسول كان يرتدي بجادين، فسمي بذِي البجادين.

البُخْنُق

يقول الجوهري (ج ٢، مخ ٨٥، ص ١٠٩) والفيروزآبادي (القاموس، ط كلكتا، ص ١٢٤٦): «البخنق خرقة تتقنع بها الجارية فتشد طرفيها تحت حنكها لتقي الخمار من الدهن والدهن من الغبار».

ويبدو أن البخنق في عهد المقرئ كان يدل على نفس الشيء الذي نسميه الآن طاقية، لأن هذا المؤلف في المادة المعنونة «سوق البخانقين» لا يمنحنا من تفاصيل إلا عن الطاقية. (وصف مصر، ح ٢، مخ ٣٧٢، ص ٣٥٨). وسنجد هذه المادة الممتعة للغاية موسعة مع ترجمة وتعليقات في موضوع الطاقية. ولذلك أكتفي هنا الآن بملاحظة وجوب إضافة جمع بخنق بخانق إلى القاموس وإذا آمنا بما يقوله فريتاك، فإن كلمة بخنق تشير كذلك إلى:

- ١ • خرقة توضع على رؤوس الأطفال لتقيهم من البرد.
- ٢ • خمار صغير للمرأة، برقع أو برنس، ولكن من حجم صغير.

ويقول المتنبي:

يقتل العاجز الجبان وقد يعجز عن قطع بخنق المولود

البَدْرِيَّة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكن استناداً إلى تقرير النقيب ليون في كتابه (أسفار في الشمال الأفريقي، ص ٦) تشير كلمة بدرية في طرابلس الغرب إلى صدرية مطرزة محرومة من الردينين .

البَدَن

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بوصفها تشير إلى ثوب قصير معدوم الردينين . ولكننا نقرأ لدى ابن بطوطة (الرحلة، مخدي غايانگوس، ص ١٥٨): «وأهل مكة لهم ظرف ونظافة في الملايس وأكثر لباسهم البياض فترى من ثيابهم أبداناً ناصعة ساطعة» .

راجع كذلك المقري (نفع الطيب، مخدي غوتا، ص ٥٧٧) .
وراجع أيضاً بركهارت (رحلات إلى الجزيرة العربية، ج ١، ص ٣٥٥) وهو يتحدث عن سكان مكة وجدة: «إن الأقيية التي يرتديها أفراد الطبقة المتوسطة نظيفة، وتصنع غالباً من الموسلين الهندي الأبيض، دون أن تكون مبطنة بأية بطانة وتدعى بدنأً . وهي تختلف عن الأنطاري الذي يرتدى في المشرق عادة بكونها غاية في القصر ولا أردان لها، وعلى وجه العموم تكون أقل حرارة» . ويعلمنا الرحالة بعد ذلك (ص ٣٣٦) إن الرجال لا يرتدون البدن عادة إلا في الشتاء وهو مصنوع من خام الهند المخطط، يلبسونه بدون حزام . ونقرأ في مكان آخر (ح ٢، ص ٢٤٢): «البدن لا يلبس في المدينة إلا نادراً . ويبدو أن هذا اللباس الخاص بالجزيرة العربية لم يتجاوز حدود هذه البقعة» .

الْبُرْجْدُ

تشير هذه الكلمة إلى كساء مخطط غليظ .

يقول الجوهري (ح ١ ، مخ ٨٥ ، ص ١٩٤) كما يقول القاموس (ط كلكتا ، ص ٣٣٤) : « البرجد كساء غليظ . ويشبه طرفه في البيت الثامن من معلقته الطريق التي ارتادها بالطرف النهائي من برجد (كأنه) ظهر برجد^(١) . وبوسعنا أن نرى تعليق العلامة ريسكه ، ص ٦١ ، ٦٢ ، على هذا الكلام . إذ يقول الشارح بهذا الصدد : البرجد كساء فيه خطوط .

الْبُرْدَة ، الْبُرْدُ

قبل أن نورد تفصيلات عن هذا اللباس ، نرى من الضروري أن نؤلف عنه فكرة بالغاً ما بلغت هذه الفكرة من قلة الدقة . فدونكم إذن - كيفية وصفه من قبل لين في ترجمته لكتاب (ألف ليلة وليلة ج ٣ ص ٢٤١) : « البردة قطعة طويلة من القماش الصوفي السميك ، الذي يستعمله الناس لإكساء أجسامهم به خلال النهار والمتخذ كذلك غطاء أثناء الليل . أما لون هذا القماش فأسمر ، أو رمادي . ويبدو أن هذا النسيج كان في العهود القديمة مخططاً على الدوام » .

والبخاري في صحيحه (ج ٢ ، م ٣٥٦ ، ص ١٦٨) يعرض علينا فصلاً عنوانه : « باب البرود والحبرة والشملة » الذي نقرأ فيه ما يلي : « وقال خباب شكونا إلى النبي ﷺ وهو متوسد بردة له » . والرواية التالية يرويها أنس بن مالك . قال : « كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ

(١) البيت المشار إليه هو :

أمون كاللواح الأران نصأتها على لاحب كأنه ظهر برجد

الحاشية فأدركه أعرابي فجلبه بردائه^(١) جبذة^(٢) شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله (ﷺ) قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته. ثم قال يا محمد من لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه رسول الله (ﷺ) ثم ضحك ثم أمر له بالعطاء. والحديث التالي يرويه سهل بن سعد. قال: «جاءت امرأة ببردة فقالت: هل تدرون ما البردة. قال سهل: نعم هي الشملة منسوج في حاشيتها. قالت: يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها. فأخذها رسول الله (ﷺ) محتاجاً إليها. فخرج إلينا وإنها لإزاره. فجلسها رجل من القوم فقال: يا رسول الله اكسنيها. قال: نعم. فجلس ما شاء الله في المجلس ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه. فقال له القوم: ما أحسنت. سألتها إياه وقد عرفت إنه لا يرد سائلاً - فقال الرجل: والله ما سألتها إلا لتكون كفني يوم أموت. قال: سهل: وكانت كفنه».

وسنجد الحديث التالي في موضوع كلمة (نمرة) والحديثين الأخيرين في موضوع كلمة (حبرة).

جاء في عيون الأثر (م ٣٤٠، ص ١٨٩) إن النبي (ﷺ) كان يلبس يوم الجمعة برده الأحمر. ونقرأ للمسعودي (لدى كوزكارتن، طرائف عربية، ص ١٦٨) إن الخليفة المقتدر العباسي، كان يضع على كتفيه وصدرة وظهره البردة التي كان يرتديها رسول الله (ﷺ) (والبردة التي كانت للنبي ﷺ) على كتفيه وصدرة وظهره.

إن هذا اللباس كان مستعملاً في الأندلس، فنحن نرى في ملاحظة دي غايانگوس (المقري، تاريخ السلالات الإسلامية في الأندلس، ج ١،

(١) إن هذا الكلام يبرهن لنا بصورة واضحة أن كلمة رداء تقابل كلمة مانتو Manteau بصورة عامة، لذلك فلا حاجة لمعاونة القراء عنا البحث عن كلمة رداء في كتابي هذا.

(٢) إن كلمة جبذه لا وجود لها في القاموس.

ص ٤١٣) إن هذا الرداء كان نوعاً من الكساء الغليظ^(١) وهناك أيضاً كاتب لامع هو ابن خاقان يذكر كلمة برد في مواضع كثيرة من مجازاته واستعاراته - فنجد مثلاً هذه الجملة لدى هذا المؤلف في (قلائد العقيان، ج ١، م ٣٠٦، ص ٦): «برد عمره قشيب». ومعنى ذلك إن حياته تشبه برداً جديداً. ونجد كذلك في مكان آخر (لدى فيرس Wijrs، عن ابن خاقان، عن ابن زيدون، ص ٢٣): فوافاها والربيع قد خلع عليها برده^(٢).

ويبدو أن البرد كان معروفاً كثيراً لدى فلاحي مصر في الأزمنة الغابرة. إذ يقول وايلد في كتابه (وصف رحلة أسير مسيحي، ص ٢٠٤): إن فلاحي هذا القطر يرتدون فوق قميصهم الواسع الفضفاض بردة طولها عشر أذرع وعرضها ذراعان يلفون بها أجسامهم ويلتحفون بها في الليل». ولا يتطرق إلى ذهني شيء من الشك بتأناً حين يتحدث أحد الرحالة الأقدمين وهو بلون في كتابه (ملاحظات، ص ٢٢٦) عن أحد الأكسية بأن هذا الكساء هو البردة نفسها، فيقول بأن المصريين يرتدون قميصاً طويلاً أبيض اللون ليس على شيء من التعقيد في التفصيل، كما يرتدون نوع رداء لا خياطة فيه، يصنع من الصوف وكأنه سجادة خفيفة يلفون به أكتافهم وجزءاً من أجسامهم وليس لهم من رداء حين يجوسون خلال الديار. وإذا اتفق لهم عبور ماء عميق فإنهم يلفون رداءهم وقميصهم حول رأسهم، فكانهم عقدوا على رؤوسهم التيجان، وهكذا يستطيعون عبور نهر النيل حتى في أيام الفيضان... إن كلمة السجادة التي استعملها الرحالة الفرنسي الشيخ المحترم تصور لنا البردة أدق التصوير.

(١) راجع كلمة كساء في محلها.

(٢) لقد اشتق الأسبان من كلمة برد صفة هي Burdo التي سموها بها نسيجاً غليظاً كما سموها بها رداء غليظاً.

وحسبما يقول لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٣٧٩) البردة لا يرتديها في أيامنا هذه إلا عدد ضئيل من الفلاحين المصريين، وهذه البردة تكون في بعض الأحيان خالية من الزخرفة كما تكون في أحيان أخرى مخططة بصورة مقاربة النقوش بحيث يخيل للناظر إليها عن كثب إنها ذات لون واحد.

وأعتقد أن البردة كانت مستعملة كذلك لدى بدو مصر، لأنني اقرأ في رحلة منتكازة إلى أورشليم (ص ١١٢): «إن بعض البدو يسترون أجسامهم بقطعة من القماش طولها خمس أذرع، ويتدلى ثلاثة أرباع هذه القطعة تقريباً من جهة الذراع اليسرى». ونقرأ كذلك في كتاب كوپان (درع أوروبا، ص ٣٢٥): «إن عامة الناس هناك يسترون أجسامهم بمجرد قطعة قماش من الصوف تلتف حولها التفاف الأفاعي» ونطالع في قصة تيقنو (قصة رحلة إلى المشرق، ص ٢٣٩): «إن الناس يدرجون مرتدين قميصاً طويلاً أزرق اللون مخيطاً من جميع الجهات حتى الأسفل، ولهم قطعة قماش كبيرة من الصوف الأبيض الغليظ يلفونها عدة لفات على أجسادهم وتحت آباطهم وفوق أكتافهم». وأخيراً، يقول دارفيو في كتابه (مذكرات، ج ١، ص ٢٠٥ و ٢٠٦) عن البدو في الاسكندرية الذين يؤجرون حمرهم للمسافرين: «إن أرديتهم لا تحول بينهم وبين العدو والكدح مطلقاً، وهذه الأردية تنحصر في قطعة طويلة من البركان أو في النسيج الصوفي الهفهاف، الذي يردفون نهاية منه على رؤوسهم ويحيطون سواعدهم وأجسامهم وأوراكهم بسائره، ويربطونه ربطاً محكماً بحزام جلدي، بحيث لا يحتاجون إلى تفصيل ولا خياطة باتخاذهم منها ما يشبه مسوح الرهبان وما يماثل الأردان والأثواب والسراويل».

وكانت اليمن بصورة خاصة مشهورة بحياكة الأقمشة التي كانت تصنع منها البرود. (النويري، نهاية الأرب، م ٢٧٣، ص ٩٦) - وكانت

تعمل كذلك في دمياط. وإليكم ما يقوله كوبان في كتابه (درع أوروبا، ص ٤٧٩ و ٤٨٠): «إن طائفة من سكان دمياط بارعون في الفنون الميكانيكية، وقد مهروا على وجه التخصيص في حياكة الأقمشة المنقوشة بألوان مختلفة، وتسمى هذه الأقمشة (بور) Bourgs ولعلها البرشم التي لا أعرف معناها.

البُرْطُلُّ، البُرْطُلُّ

يفسر الجوهري (ج ٢، م ٨٥، ص ١٨٠) والقاموس (ط كلكتا، ص ١٣٩٦) هذه الكلمة بأنها قلنسوة. راجع هذه الكلمة^(١).

البُرْقَع، البُرْقَع، البُرْقُوع

إليكم ما نقرأ لدى الجوهري (ج ٢ - م ٨٥ - ص ٢): البُرْقَع والبُرْقَع للدواب ونساء الأعراب، وكذلك البُرْقُوع. قال يصف جؤذراً (الطويل):
وخدا كبرقوع الفتاة ملمعا وروقين لما يعدوان تقشرا

ونحن نعلم عن الشعراء العرب أنهم كثيراً ما أوردوا كلمة برقع في أشعارهم - كأمثال المتنبي وأبي العلاء المعري وغيرهما. (بعد تفهمنا للبيت الذي استشهد به الجوهري يخيل إلينا أن البرقع كان ملوناً بمختلف الألوان في قديم الزمان) وأن شعراء العرب طالما ذكروا هذا البرقع في مجازاتهم واستعاراتهم. ولكن يبدو إن هذا البرقع قد زال من عالم الاستعمال في العصر الوسيط من التاريخ العربي - كما يظهر أن سلطنة الأزياء قد أحلت محله أنواعاً أخرى من البراقع. وأرى إننا

(١) تاج الأسقف Mitre (المترجم).

سنحاول عبثاً إذا سولت لنا أنفسنا البحث عن هذه الكلمة في كتاب ألف ليلة وليلة - هذا الكتاب الذي وردت فيه أسماء أخرى من البراقع . وإنني أرى - إن لم أكن متوهماً - إن البرقع لم يوجد في مصر إلا في مستهل القرن المنصرم تقريباً . ويصف الكونت دي شابرول في كتابه (وصف مصر ج ٨ - ص ١١٤) هذا الخمار على هذا المنوال «حجاب يستر الوجه من جذر الأنف - ويشد إلى زينة الرأس أعلى الجبين ومن كل جانب . وهو قطعة من الموصلي أو من نسيج الكتان الأبيض الرقيق - طوله طول الوجه ويتدلى حتى الركبتين . وهذا الخمار لا غنى عنه للمرأة التي تغادر منزلها» . ونقرأ كذلك في كتاب بوكوك المعنون (وصف الشرق - ج ١ - ص ٣٢٩): «إن عوام النساء يضعن على وجوههن نوعاً من الغطاء الخفيف مشدوداً بشريط إلى زينة الرأس فوق الأنف» . ونطالع في تقرير ويطمان (رحلات في تركيا الآسيوية وسورية ومصر - ص ٣٧٩): «إن قطعة من الحرير تؤدي أكمل الأداء وظائف البرقع - بحيث لا يستطيع المشاهد أن يرى من الوجه إلا العينين تقريباً» . (يقول المؤلف هذا القول عن عوام النساء - وفي اللوحة العشرين يمكن رؤية زي امرأة من القاهرة من طبقة أعلى . والبرقع الأسود يتجاوز وسط هذا الجسم فقط) . وتشير كلمة البرقع إلى الشيئي الذي تشير إليه كلمة يشمق التركية - ذلك لأننا نقرأ في كتاب تيرنر (يوميات جولة في المشرق - ج ٢ - ص ٣٠٨) إن هذا الرحالة واجه - أثناء رحلته من دمياط إلى الاسكندرية - نساء قبطيات «مبرقات يشمق yatchmak طويل أسود يبدأ من نهاية الأنف ويتدلى حتى الركبتين» ، ويقول المؤلف نفسه في مكان آخر (ج ٢ - ص ٣٩٦) - متحدثاً عن عوام نساء القاهرة: «ويتدلى من هذه الطرحة على الجبين ، مستعيناً ببعض الحلى الذهبية أو الفضية أو النحاسية الصفر - يشمق من القطن الأسود أو من الحرير الذي يغطي الوجه بتمامه اللهم إلا العينين - ويهبط حتى

الصدر - بل قد ينحدر أحياناً حتى يصل إلى الركبتين». وفي الختام دونكم ما نقرأ في الكتاب الجميل لمؤلفه لين (المصريون المحدثون - ج ٦١): «البرقع أو خمار الوجه (لنساء الطبقة المتوسطة) هو عبارة عن قطعة طويلة من الموصلي الأبيض - وهي تغطي الوجه بأكمله - إلا العينين - وتتدلى حتى تبلغ القدمين أو تكاد. ويشد هذا البرقع إلى النهاية العليا بشريط ضيق يطوق الجبين. وهذا - شأنه شأن البرقع من الأعلى - مخطط إلى شريط آخر يدور حول الرأس». ويقول نفس المؤلف بعد ذلك (ج ١ - ص ٦٤) أن عوام النساء يضعن برقعاً مصنوعاً من الكريب - (الكريشة) الأسود الغليظ - وبعض النسوة من عترة الرسول يضعن البراقع الخضراء على وجوههن». وأخيراً يتناول بالوصف في مكان آخر (ج ١ - ص ٦٦ - ٦٧) زينة البرقع على هذه الشاكلة فيقول: «إن القسم الأعلى من البرقع مزدان في معظم الحالات باللائى الزائفة وبقطع من النقود الذهبية وبتحليلات أخرى من نفس المعدن وهي صغيرة تسمى (برق) - كما يحلّى في بعض الأحيان أيضاً بحبات من المرجان - وتحت هذه قطع من النقود الذهبية. وتوضع أحياناً قطع معدنية فضية ضئيلة القيمة - والعادة المتبعة كثيراً هي وضع زوجين من السلاسل المعدنية أو الفضية - كل سلسلة معلقة بنهاية من الجهة العليا وتسمى (عيون). وبوسعنا أن نشاهد هيئة البرقع في كتاب لين (المصريون المحدثون × ج ١ - ص ٦٢ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦) وفي الكتاب التالي (وصف مصر - المصور - ج ١ - اللوحة ٤١). ولا يوضع في أيامنا هذه غير هذا النقاب على وجوه النساء في مصر. أما في سورية - فنساء البدو تلبس البرقع - ويسمون كبلس Kebils. راجع برگهات (تعليقات على البدو والوهابيين - ص ٢٩). وقد ظل هذا النوع من الحجاب مستعملاً كذلك في الساحل السوري. (راجع - تيرنر يوميات في المشرق - ج ٢ ص ١٠٥ - ٣٠٤). أما في الجزيرة العربية فإن البرقع

ملبوس في أيامنا هذه من قبل نساء مكة وجدة والمدينة - فهن يضعن على وجوههن البراقع البيض أو الزرق. راجع (رحلات في الجزيرة العربية - ج ١ - ص ٣٣٩ - ج ٢ - ص ٢٣٩).

ويبدو أن البرقع كان مستعملاً في شيراز خلال القرن الرابع عشر - ذلك لأن ابن بطوطة يقول في رحلته - متحدثاً عن نساء هذه المدينة: «ويخرجن ملتحفات متبرقات فلا يظهر منهن شيء». (الرحلة - ورقة ٨٣ - مخ دي گايانگوس). ويتحتم عليّ كذلك أن ألفت النظر إلى أن كلمة برقع في ما وراء النهر لا تشير إلى ستر للوجه ولكنها تعني غطاء كبيراً أو رداء تلتف به المرأة التفافاً شاملاً. ونحن نقرأ في قصة الرحالة فريزر (رحلة إلى خراسان - الملحق ب - ص ٨٩): «تطرح النساء على الجسم (چادر) chudder أو ملحفة من الحرير تدعى boorkah - وهذه تغطي الجسم من الرأس إلى القدمين - ولكنهن يدعن فتحة صغيرة على هيئة شبكة بجوار العينين - والحالة نفسها متبعة لدى الفرس، وهذا الإجراء يسري حكمه على سواكن الحواضر فقط. أما نساء الريف فهن حواسر الوجوه وكذلك شأن عجائز المدن. (المرجع السابق - ص ٨٦). وفي موضع آخر يقول المؤلف نفسه (ص ١٠٤): «إن نساء المدن والقرى يتقنعن كالمسلمات في الولايات الأخرى وهن يضعن براقع boorkas على وجوههن تتدلى من الرأس حتى القدمين».

الْبَرْكَان، الْبَرْكَان، الْبَرْكَانِي، الْبَرْكَانِي



تشير هذه الكلمات أما إلى هذا النوع الغليظ من القماش (الزملوط Camelot الذي يسميه الفرنسيون Bouracan، كما يسميه الأسبان Barracan - وهما كلمتان مشتقتان من التسمية العربية بركان - أو إنها تعني رداء

مصنوعاً من هذا القماش . ومع ذلك ، طبقت كلمة بركان ، في هذه الأزمنة الحديثة ، على أردية مصنوعة من الأقمشة الأكثر نعومة والأعلى ثمناً ، ولكنها في الوقت نفسه قد فصلت على هيئة البركانات القديمة . ويتحدث ديبغو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر ، ص ٩ ، مج ١) عن بدو مدينة الجزائر فيعبر عن الموضوع بالعبارات التالية : «إن ملابسهم هي قطعة من البركان (Un padaço de barragan) البالي الممزق . وهم يلفون أجسامهم بها ، ويتخذون منها في الليل غطاء لمنامهم وفرشهم . وتستعملها النساء نفس الاستعمال» . وفي مكان آخر من نفس الكتاب (ص ٨ ، مج ٤) يتناول عين المؤلف كلمة بركان بمعنى رداء ، فيقول إن قبائل مدينة الجزائر يرتدون جميعاً كساء Alquicer (راجع كلمة كساء) . يغطون أجسادهم به ، أو يلبسون بركاناً Barragan غليظاً ، مصنوعاً من الصوف العادي يلفون أجسامهم به» . ويقول أخيراً دي هيدو (ص ١٩ ، مج ٢) إن البركانات المفرطة في دقة الصنع ، التي تستعمل أردية للنساء ، تجلب إلى مدينة الجزائر من بلاد البربر ، ولكن البركانات الغليظة التي يستتر بها الأعراب (البدو) أو يلبسونها هم والفقراء تصنع في قسطنطينية وفي كولو . وما يزال البركان حتى أيامنا هذه يستعمل في المغرب . فنحن نقرأ في كتاب بلاكير Blaquiere (رسائل من مالطة ، ج ٢ ، ص ٧٥) : «إن الأعراب يلبسون نوعاً من البركان الأسمر تعلوه عمامة . الأول ملتف كيفما اتفق حول الجسم ، ويبدو في غاية اللطافة والحلاوة بتعلقه بالكتف اليسرى» . وفي قصة انكليزية أخرى (قصة إقامة عشر سنوات في طرابلس الغرب ، ص ٢٠) : «إن البدو يلبسون بركاناً صوفياً سميكاً لونه لون البن الغامق ، طوله خمس أو ست أذرع وعرضه ذراعان تماماً أو على وجه التقريب . وهذا زيهم في النهار ، إما في الليل فهو فرشهم وغطاؤهم . ويلبسون هذا الثوب بضم نهايته العاليتين بمعونة سنبك من

الحديد أو الخشب، وبعد أن توضع هاتان النهايتان على الكتف اليسرى يطوى الرداء طيات حول الجسم، ويلبس بعض البدو هذا الثوب بصورة بديعة خلافة. ويرتدي البدو نفس النوع من البركان، الذي هو بالنسبة لمعظمهم اللباس الوحيد، لأن من النسوة من يضمن إليه قميصاً. وإذا رجعنا إلى تقرير النقيب ليون (أسفار في الشمال الأفريقي، ص ٣٩) علمنا أن البركان يلبس من قبل الرجال والنساء العرب القاطنين في أطراف طرابلس الغرب، وإن نساء المدينة يرتدين كذلك هذا اللباس لدى خروجهن من بيوتهن. (المرجع السابق، ص ١٧) أما بركان نساء الطبقة العليا فإنه مصنوع من الحرير أو من خيوط القطن الناعمة، وهؤلاء النساء يؤثرن الألوان البراقة، وهن يلبسن الأردنية في هيئة تشكل فستاناً أنيقاً، وذلك بعقده بصورة رائعة على الرأس وعلى الكتفين (المرجع السابق، ص ١٨). قارن اللوحة الثانية). ونحن نقرأ في السفر المعنون (قصة إقامة عشر سنوات في طرابلس الغرب، ص ٦): «إن نساء الطبقة المتوسطة يخرجن عادة ماشيات على الأقدام، ولكنهن لا يخرجن أبداً دون أن يكن مصحوبات بجارية أو بخادمة. وهن يلتفن حينئذ التفافاً تاماً بحيث يكون من الاستحالة بمكان تبين شيء عدا طولهن، ذلك لأنه ليس من السهولة تبين حتى قامتهن. ولهؤلاء النسوة رداء - يدعى بركانا - يبلغ طوله نحو ذراع ونصف ذراع وعرضه أربع أو خمس أذرع. وهذا الرداء يغطيهن كل التغطية، وهن يسددن به وجوههن سداً محكماً فلا يكدن يدعن إلا فتحة بالغة الصغر لرؤية طريقهن. والنساء اليهوديات يلبسن هذا القسم من أزيائهن نفس اللبسة تقريباً. ومع ذلك فهن يتركن إحدى العينين للرؤية، وهذا ما لا تفعله المرأة المغربية ولو كان ثمن هذا التصرف الدنيا بأجمعها، إذا كانت تأبه للرأي العام، ذلك لأنها لو تجرأت ففعلت فإن سمعتها بالتأكيد سينالها كل سوء». (المرجع السابق، ص ٣١). ويقول

الرئيس الأول دنهام (رحلة إلى الشمال الأفريقي، ج ١، ص ٢٧) إن الرجال يرتدون البركان المصنوع من الحرير الأبيض الشفاف... والبركان الغليظ يلبس كذلك في سخنا (راجع ليون، ص ٧٣). ويقرر روجيه في كتابه (الأرض المقدسة، ص ٢٠٥) في معرض التحدث عن البدو:

«بعضهم يدرجون عراة فلا يرتدون سوى بركان أو إزار من أغلظ الأصواف يلفون به الجسم لفاً لإخفاء البطن والأجزاء المخجلة (العورة)».

البريم

إننا نقرأ لدى الجوهري (ج ١ - مخ ٨٥ - ص ٢٦٨): «وقال أبو عبيد: البريم الحبل المفتول يكون فيه لوانان وربما شدته المرأة على وسطها وعضدها». وأنشدنا الأصمعي (الطويل):

«إذا المرضع العوجاء جال بريمها»

ونقرأ كذلك في القاموس: وقد يعلق على الصبي يستدفع به العين خيطان مختلفان، أحمر وأبيض (ط كلكتا - ص ١٥٧٧) تشده المرأة على وسطها وعضدها وكل ما فيه لوانان مختلفان وحبل للمرأة فيه لوانان مزين بجوهر تشده المرأة على وسطها وعضدها.

ونطالع في شرح أشعار جرير أيضاً (مخ ٦٣٣ - ص ١٠٢) البريم الحقباب وخيط تشده المرأة في حقوها. وإنما جعله بريما لاختلاف ألوانه وكل لونين مختلفين فهو بريم. يريد جال بريمها من هزالها وربما كان من خرز. وفي شرح التبريزي للحماسة (ص ٥٥٦): والجديل هو الوشاح أو ما تشده المرأة في حقوها من الأدم المصفور وليس هذا من عادة العرب وإنما الإماء يفعلن ذلك. وإذا كان من لونين فهو البريم وهذا

يشد في أحقى الصبي تدفع به العين وإنما يتخذون البريم من الخيوط ليشد في أحقى الصبيان فتدفع به العين (راجع ص ٧٠٤ من نفس الكتاب). وراجع كذلك كاترمير في ملاحظته القيمة حول العين السيئة بخصوص المثل الواحد والثلاثين من أمثال الميداني - وهي موجودة في المجلة الآسيوية - السلسلة الثالثة - الجزء الخامس - الصفحة ٣٤٢ - ولم ينس هذا العالم الجليل أن يورد عبارتي التبريزي اللتين فرغتم من قرائتهما).

وما برح البريم مستعملاً في أيامنا هذه لدى البدو - وإليكم ما كتبه حول هذا الموضوع بركهارت في كتابه (تعليقات على البدو والوهابيين - ص ٢٨): «إن الرجال والنساء يرتدون منذ الطفولة حزاماً من الجلد على أجسادهم العارية ويتألف هذا الحزام من خمسة سيور جلد مبرومة على بعضها بحيث إنها عادت تشكل جبلاً له سمك أصبع. وقد سمعت من يقول أن النساء يشددن سيورهن المنفصل بعضها عن بعض حول أجسامهن. والنساء والرجال سواء في تزيين الأحزمة بقطع من الأشرطة أو بالتمائم والتعاويذ والأحجية. والعنزيون يسمون هذا الحزام حقوا hhakou - ويسميه أهل الشمال ببريم Bireim ويقول الرحالة نفسه (ص ١٣١) في نفس الكتاب - في معرض حديثه عن الرجال والنساء المجاورين لمكة والطائف: «إن النساء والرجال على حد سواء يشدون فوق ميادعهم الجلدية أحزمة جلد مؤلفة من أشرطة جلدية طويلة دقيقة مبرومة اثنتي عشرة برمة أو أكثر - وهي ملتفة على أجسامهم. وتشد النساء أشرطة مماثلة - ملفوفة على جلد البطن العاري تحت الميدة - وهذه عادة شائعة في الصحراء بتمامها. ويؤكد البدو أن محمداً - ﷺ - كان يتحزم بحزام من هذا النوع».

البُرْنُس، البُرْنُوس، البَرْنُوس

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويتبادر إلى الذهن إن من الصعوبة بمكان تقرير ما كانت تعنيه كلمة برنس في قديم الزمان . وطبقاً لرأي القاموس (ط كلكتا، ص ٧٣٩) يكون معناها قلنسوة طويلة أو كل ثوب رأسه منه، دراعة كان أو جبة أو ممطراً . ويقول أحد شراح شعر المتنبي المجهولين في الشريقات، ج ١، ص ٢٨٩) إن البرنس الصغير هو بخنق . لذلك لا يبدو لي من باب الاستحالة التامة إن كلمة برنس كانت تعني في العهود القديمة نوعاً من الطاقات الصغيرة التي كانت تعتمر بها الرؤوس، ذلك لأن كلمة قلنسوة، التي يستعملها مؤلف القاموس تعني حقيقة - كما سنرى ذلك فيما بعد - طاقية أو عرقية . وهكذا فإن هذا اللغوي - حين يقول قلنسوة طويلة - يظهر أنه يشير إلى: طاقية تتدلى حتى الكتف . أما كلمة بخنق المستعملة من قبل شارح المتنبي فإنها تشير كذلك إلى عرقية (راجع ص ٥٥ و ٥٦) . ويزودنا البخاري (الصحيح، ج ٢، مخ ٣٥٦، ص ١٦٧) بفصل من هذا الكتاب معنون: باب البرانس . وأرى إن كلمة برنس مستعملة فيه كذلك بمعنى طاقية . وإليك كلمات البخاري: وقال لي مسدد، حدثنا معتمر، سمعت أبي قال: رأيت على أنس برنساً أصفر من خز . حدثنا إسماعيل قال حدثني أن رجلاً قال: يا رسول الله ما يلبس المحرم من الثياب؟ قال رسول الله ﷺ: لا تلبسوا القمص ولا العمائم ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف، إلا أحد لا يجد النعلين إلخ . .

وإذ أن هذه الكلمة قد عينت في الأزمنة القديمة طاقية فإنها لتشير إشارة - لا سبيل إلى الاسترابة في أمرها - في صور الحديث، إلى معطف ضخم له قلنسوة . وإنني أفترض أن كلمة برنس في القديم كانت

لا تنطبق إلا على قبعة الراهب الكبوشي التي كانت تشبه البرنس القديم، أو الطاقية، وتلقى المعطف بأجمعه، على طريق التوسع، هذه التسمية منذ ذلك الحين.

ولنبداً بالمغرب. وها نحن نقرأ في كتاب ديوغو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر، ورقة ٨، مج ٢) الذي يتحدث عن الجزائريين العرب: «يرتدون فوق جماع ثيابهم لباساً يشبه المعطف وهو البرنس الأبيض Albornoz ولكن أفراد الطبقة الأرفع يرتدون البرانس الملونة السود أو الزرق، وفي أيام البرد يتدثرون بدثار آخر من نفس الألوان. وفي مكان آخر (ورقة ١٩، مج ٢) يخبرنا المؤلف إن هذه البرانس تجلب من تلمسان إلى مدينة الجزائر، والكثير من هذه البرانس البيض والسود والزرق بديع النسيج محكمه».

ونجد في كتاب مارمول (وصف أفريقيا، ج ٢، ورقة ٨٣، مج ٢) في مادة مدينة مكناس: «إن النساء يغزلن الصوف الدقيق وينسجن برانس فاخرة من الحرير والقطن، وبرانس أخرى من القطن والصوف يطلق عليها اسم Borno de Mequinez (que llaman Mequinecis) وهذه البرانس مدعاة للتقدير والإعجاب في أفريقيا، ذلك لأنها تنسج نسجاً أنيقاً فتكون طويلة الأعمار، بالإضافة إلى كونها دقيقة الصنع».

ويقول دارثيو في كتابه (مذكرات ج ٥، ص ٢٨١) في الفصل المعنون: «ملابس رجال ونساء مدينة الجزائر» ما يلي: «إن المغاربة والمتنصرين (الموريسكيين) والآخرين الذين يساكنونهم في المدن - لهم - برنس أبيض منطرح على أكتافهم يقوم لديهم مقام المعطف». ويضيف إلى ذلك (ص ٢٨٢) إن الأتراك في مدينة الجزائر «ينسدل على أكتافهم برنس له قبعة في نهايتها عقدة ضخمة من الحرير». ويقول بعدئذ (ص ٢٨٣ و ٢٨٤) إن معطفهم الاحتفالي حين يجوسون دروب المدينة

زائرين أو غادين إلى الديوان هو برنس من القماش الأسود شتاءً أو من الكربون^(١) الحريري أو من الصوف. أما اللون فهو ذاته صيفاً وشتاءً. وهذه البرانس التي سبق لي أن وصفتها لها حواشي وهذبات مطرزة بالحرير تحيط بها من كل جانب. وهي ضيقة من الأعلى وواسعة من الأسفل، ولها قبعات تشبه قبعات الرهبان والكبوشيين التي تعلق كل واحدة منها قنزعة ضخمة من الحرير. وهم يغطون رؤوسهم بقبعات البرانس لدى سقوط المطر. والبرانس كافة تكون عادة سوداء اللون سمة التواضع والاحتشام التي يتظاهر بها القوم. وهذا اللون لليهود وحدهم - القاطنين في مملكة مراکش وفاس، حيث يلبس الناس الآخرون البرانس البيض أو الحمر. فهم يلبسون الأطفال البرانس الحمر في مدينة الجزائر، ويستعمل وجهاء الناس في الريف هذا اللون أيضاً. أما رجال الأدب والمفتون فإنهم يرتدون البرانس البيض. ويصنع أهل تلمسان هذه البرانس، وهي محوكة بصورة تجعل أحد جوانبها متموجاً كأنه عنقاش (زملوط Camelot) أما الجانب الآخر فيشبه أصواف الحملان المجمعة التي ترد من البحر الأسود. وهم يدعون الشعر متوجهاً إلى الداخل أثناء موسم الشتاء ويدعونه متجهاً إلى الخارج في فصل الصيف أو عندما تمطر السماء ذلك لأن المطر ينساب فوقه دون أن يخترقه، وإذا ألحت عليه الأمطار بمدرارها فإن نفذه عدة نفذات يكفي لعودته جافاً كأن لم يمعن فيه الغيث». ويكتب وندس في كتابه (رحلة إلى مكناس، ص ٢٨) كلمة البرنس هكذا Albormooce ويورد تفاصيل عن هذا الكساء. ونحن نقرأ في رحلة شو إلى بلاد البربر والشرق (ج ١، ص ٣٢٠): «إن البرنس الذي يشبه معاطفنا يلبس في أغلب الأحيان فوق (الحيك Le Hyke) ليقى لابس من

(١) نوع من الكريشة الغليظة.

البرد. وهو إلى ذلك فرع مرموق من فروع صناعات الأنسجة الصوفية لديهم. وهم ينسجون قطعة واحدة، وهو ضيق حول العنق، ومزود بقبعة، أو بقمع مخروطي Une chausse d'Hippocras لتغطية الرأس، أما من الجهة السفلى فهو واسع يشبه رداء الفارس. وبعض هذه البرانس مطرزة من الأسفل من نهايات الحواشي والهدبات.

وفي منتصف القرن الماضي لم يعد البرنس الذي يلبسه أهالي مملكة فاس ومراكش يسمى برنساً وإنما يدعى زلحمًا (راجع هذه الكلمة)، ولم يبق من عشاقه الذي يلبسونه إلا اليهود. فقد ترك هذا البرنس أو هذا البرنوس، كما يكتبه هوست في كتابه (أخبار من مراكش، ص ١٤٦) فإن هذا الرحالة الجليل يتحدث عنه على هذه الشاكلة: «إن جميع اليهود يلبسون البرنس Le bemûs الأسود، ولكن لا يسمح لهم بارتدائه على نفس الهيئة التي يرتدي بها المغاربة الزلحم Zolhâm، وعلى العكس من ذلك، ما يكون لدى المغاربة من الجهة الأمامية يوضع لدى اليهود على أحد الأكتاف، وما يكون لدى المغاربة من الجهة الخلفية يوضع لدى اليهود على الكتف الآخر. (انظر اللوحة الثانية والعشرين، الشكل الأول). إن المزعوم علي بيك (الأسفار ج ١، ص ٤) يصف على هذا المنوال البرنس كما يرتديه أهالي طنجة: «نوع من أنواع الأكياس. أجل، كيس كبير غليظ له قبة». ويكون هذا الرداء أبيض اللون في هذه المدينة ويلبس فوق الحيك (المرجع السابق، ص ١٦). ويزودنا هذا الرحالة حول برنس اليهود بنفس التفاصيل التي نجدها في الكتاب الذي ذكرناه آنفاً لمؤلفه هوست (علي بيك، ص ٣٣) واعتماداً على تقريب النقيب ليون (أسفار في الشمال الأفريقي، ص ٦) نعلم أن سكان طرابلس الغرب يرتدون البرنس الصوفي الأبيض الناعم، ويلبسون في المناسبات الرسمية كساء آخر له شراط من ذهب.

وأرى أن العبارة التالية من قصة (رحلات فان خيستلا، ص ٣١) وهو أقدم جميع هؤلاء الرحالين يجب أن تطبق على البرنس. يقول: «إن المغاربة يرتدون أيضاً نوعاً من أنواع الغمء (غطاء للرأس) وهو دائماً من نفس اللون، ويقرب كثيراً من هيئة ذلك النوع الذي يرتديه الرهبان الشارتريون Les Chartreux ولكنه أوسع كثيراً، بحيث يبدو وكأنه حلة القداس الخارجية Une chasuble إذن فالبرنس موضوع البحث هنا كان أبيض اللون.

وفي العبارات التي فرغنا من قراءتها لم يصل إلى علمنا أن البرنس كان أخضر اللون كذلك. ولكن يبدو أن اللون الأخضر للبرانس يوجد أحياناً في أيامنا هذه في الجزائر، ذلك لأنني قرأت في (صحيفة ليدن، الجمعة، ١٢ آب ١٨٤٢): «يشاع في مرسيليا حادثة وصول رجل محترم من أهالي الجزائر إلى هذه المدينة يدعى المزاري بيك. وقد ظهر المزاري نفسه مرتدياً - كما هي عادته - برنساً أخضر اللون مفرط الروعة» إلخ.

إن مؤلف تاريخ المرابطين والموحدين الذي عنوانه «الحلل الموشية، مخ ٢٤، ص ٩» يعد من بين الهدايا المهداة من قبل الأمير يوسف بن تاشفين إلى عمه أبي بكر بن عمر: مائة برنوس منها منيرة وكحل وحمر. وقد كان البرنس في أسبانيا رهن الاستعمال، ومن هذه الكلمة العربية اشتق الأسبان كلمتهم البرنز Alborno الذي جرى وصفه على قلم كوباروفياس (الكنز، مدريد، ١٦١١) على هذا النحو: «إنه معطف مقفل، مزود بقبعة، ويلبس أثناء السفر. وهو مصنوع من قماش لا ينفذ الماء فيه، ويستعمل المغاربة هذا النوع من المعاطف كثيراً أو يتخذونه غطاء. ويقول أوربا إنه معطف أفريقي ضد المطر يدعى برنساً، وهو اسم بربري سماه به الزناتية». ونقرأ في نفخ الطيب للمقري (مخدي غوتا، ص ٨٨) إن لباس الشرف، المهدى من قبل الحاكم الثاني إلى

أوردنيو الرابع كان دراعة منسوجة بالذهب وبرنساً مثلها له لوزة مفرغة من خالص التبر مرصعة بالجواهر والياقوت.

أما في مصر فكان الممالك يرتدون البرنس، لأنني أقرأ في قصة الأمير رادزيفيل Le prince Radzivil (الرحلة، ص ٣٠): «وعلى لباسهم الفوقاني الذي يسمونه البرنس يسدلون من الجهة الخلفية جلد حيوان» أما في أيامنا هذه فإن المصريين لا يلبسون البرنس، لأن كلا من الكونت دي شابرول وليون لم يتحدث عنه. (راجع لين هذا في ترجمته لكتاب ألف ليلة وليلة، ج ٣، ص ١٥٧).

أما عن صيغة الكلمة فقد رأينا آنفاً أن هوست قد كتب هذه الكلمة هكذا (برنوس)، وفي مالطة ينطقون هذه الكلمة نفس النطق فيقولون برنوس (راجع فاسيلي، قويميس مالطي، مج ٢٤). ويقول لين في (كتابه القيم) إنهم ينطقون بالكلمة على شكلين، فيقولون برنوس وبرنس، وقد فرغنا من معرفة وجود الكلمة مكتوبة هكذا: برنوس في المخطوطات الثلاث للحلل الموشية. وفي عبارة أخرى من نفس الكتاب نقراً كذلك كلمة (برنوس) في مخطوطة ليدن (ص ٨) وفي مخطوطة (دي غايانغوس، ورقة ١٣) على حد سواء.

البَطَان والجمع البَطَانَات



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وكان البطان مستعملاً في أسبانيا، وهو يشير إلى حذاء قروي معمول من جلد الثور المدبوغ، ذلك لأن بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) يترجم كلمة أباركادي پالو Abarca de palo بكلمة بطان وجمعها بطانات، كما يترجم هاتين الكلمتين أباركادو كالسادو

Abarcado calçado بكلمتي ملابس البطانات. ويقول كوبروفياس عن كلمة أباركا Abarca في كتابه (كنز اللغة القشتالية): البطان هو نوع من الأحذية القروية التي يستعملها القرويون. وهذه الأحذية على طرازين: الطراز الأول معمول من الخشب. ولما كان لها شكل الزوارق المسطحة فقد سميت:

(Avarcas que por tener forma de varcas, se dixeron avarcas).

أما الطراز الآخر فمعمول من جلد الثور المدبوغ، وهي تشد إلى الأقدام بخيوط غليظة ويوجد تحت الجلد قطع من الجوخ. وبواسطة هذه الأحذية يستطيع المشي على الثلج دون تعرض لخطر. والملاحظ كل الملاحظ أن الكلمة العربية بطان وجمعها بطائن تعني كذلك قارباً صغيراً. فيبدو لي إذن أنه من المحتمل كل الاحتمال إن الاسم العربي بطان قد سمي به نوع من هذه الأحذية، لأنها كانت تشبه قارباً مسطحاً، شأنها شأن الكلمة الأسبانية abarca (avarca).

البغلطاق أو البغلوطاق



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وقد سبق لعالمين جليلين من الطراز الأول هما كاترمير في كتابه (تاريخ السلاطين المماليك، ج ١، ق ٢ ص ٧٥ و ٧٦) وفليشر في كتابه (De glossis Habichtianis, pag. 32) إن جمعا تفصيلات عن هذه الكلمة. فلا يسعنا هنا إلا أن نقدم نتيجة أبحاثهما.

إن كلمة بغلطاق أو بغلوطاق التي جمعها بغالطق تشير إلى: قميص بغير ردينين أو بردنين قصيرين للغاية، وهو يلبس تحت الفرجية، وكان

يصنع من قطن بعلبك الأبيض^(١) أو الأخضر وقد وجدت في (تاريخ مصر للنويري: مخز، ص ١١٦) إن هذا الثوب كان يصنع أيضاً من الأطلس المديني (المعدني) Madin^(٢). ونحن نقرأ فيه كلمة (بغلطات ولكنها

(١) (٢) أو مل ألا يفتاظ القراء حين يجدون هنا بعض التفاصيل عن قطن بعلبك الأبيض. فإننا نقرأ لدى ابن إياس (تاريخ مصر، مخز ٣٦٧، ص ١٠٤): «وفيها استأذن السلطان القاضي بدر الدين محمود الكلشاني كاتب السر الشريف في أن العسكر يلبس الصوف الملون. فأذن لهم في ذلك. وكانوا لا يلبسون إلا الصوف الأبيض فقط. وكان أرباب الدولة المتعممون يلبسون في الصيف البعلبي الأبيض وفي الشتاء الصوف الأبيض. فأول من لبس الصوف الأخضر القاضي شرف الدين الدمايني ناظر الجيش الذي تولى بعد القصيري فتبعه بقية المباشرين». ولا توجد كلمة الكلشاني في كتاب «لب الألباب». - وفي مكان آخر (ص ١٠٣) يقول نفس المؤلف: «عشرين حمال أثواب بعلبيكي». وأنا ألاحظ عابراً وجوب إضافة (حمال) في هذا المعنى إلى القاموس. وقرأ لدى نفس المؤلف ص ٣٥، ١٢٣. إذ يبدو أن الأقمشة القطنية البعلبية كانت تستعمل لتكفين الموتى، لأننا نطالع لدى ابن إياس (المرجع السابق، ص ٣٥٢) بصد الطاعون المشهور الذي حاق بمصر عام ٨٣٣: «وتزايد الموت حتى صاروا لا يجدون النعوش ويحملون الأموات على الأبواب وما أشبه ذلك. وصار البعلبي والبطائن غير موجودة وارتفع سعرها جداً». ويجب إضافة كلمة نعوش الموجودة لدى (D. Germano de Silesia. pag. 243) إلى القاموس وإنني أترجم كلمة بطينة على هذه الشاكلة مقتضياً أثر بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات) الذي يترجمها Baldres. ويخيل إلي أن الجثث كانت تكفن بهذه البطائن، وبالرغم من أن هذه العادة لم تعد متحكمة في مصر فإننا نرى مع ذلك شهادة لين (المصريون المحدثون، ح ٢، ص ٣٢١) وشهادات مؤلفين آخرين إن جثث الموتى كانت تكفن في قطع عديدة من القماش. فإذا لم أكن متوهماً في ترجمتي لعبارة ابن إياس فإنه ينبغي تقبل زعمي في أن القدماء كانوا يكفنون الجثث بقطعة من القماش القطني الأبيض ثم يدرجونها في جلد خروف مدبوغ. ونجد لدى ابن بطوطة (الرحلة، مخز دي غايانغوس، ص ٣٠): «يصنع بعلبك الثياب المنسوبة إليها من الأحرام وغيره». ويمكن الرجوع إلى مارمول في كتابه (وصف أفريقيا، =

أغلوطه). وكانت هذه الثياب تزين بالجواهر واللاّلىء بل كان بعضها ينسج ويطعم كله بالأحجار الكريمة. وأخيراً فهو نفس اللباس الذي كان يدعى قباسلاري، وكان شائع الاستعمال رفيع الشهرة أثناء حكم الملك الناصر محمد وكان قد رفع قدره الأمير (سلار) فسمى باسمه. أما كلمة (بغلثاق) الفارسية الأصل فيبدو إنها لم تكن مستعملة إلا في مصر.

البَقِير، البَقِيرَة

نحن نقرأ لدى الجوهري (ج ١ - مخ ٨٥ - ص ٢٦٢): «البقيرة الإتب. وهو قميص لا كُمين له تلبسه النساء. ونقرأ نفس المعنى في القاموس (ط كلكتا - ص ٤٦٦): «برد يشق فيلبس بلا كُمين كالبقير» (راجع كلمة إتب).

البَقْيَار

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس. ولكننا نقرأ لدى النويري (تاريخ مصر - مخ ٢ - ورقة ٦٩) بمناسبة

= ح ٣، ص ١١١) وما تزال بعلبك حتى أيامنا هذه مشهورة بمصنوعات القطنية البيضاء. فنحن نقرأ في كتاب بركهارت (رحلات إلى سورية، ص ١٥): «إن سكان بعلبك يصنعون أقمشة من القطن الأبيض شبيهة بأقمشة زحلة». ويبدو أن كلمة بعلبكي تعني كذلك أقمشة حريرية، فإننا على الأقل نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة، طبعة هاييخت، ح ٣، ص ١٣٩: «قلع الخليفة من عليه ثوبين سكندري وبعلبكي من حرير». وانظر حول صفة معدني ملاحظة كاترمير (تاريخ السلاطين المماليك، ح ٢، ق ١، ص ٣٣) فحسب رأي هذا العالم الجليل إن الكلمة مشتقة من مدينة معدن Madin الواقعة في أرمينيا، قرب الفرع الرئيس من فروع دجلة. وكانت هذه البلدة مشهورة بأقمشتها الأطلسية البديعة التي تصنع فيها.

وفاة قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن الخليل - التي حدثت عام ٦٣٧: «وأما سبب ولايته القضاء بدمشق فإنه قد بلغ الملك المعظم عن القاضي جمال الدين المصري قاضي قضاة دمشق إنه يتعاطى الشراب. فأراد تحقيق ذلك عياناً. فاستدعاه وهو في مجلس الشراب. فحضر إليه فلما رآه قام إليه وناولته هنباً مملوءاً خمراً. فولى القاضي جمال الدين المصري ورجع فغاب هنية. ثم عاد وقد خلع ثياب القضاء: الطرحة والبقيار والفوقانية. ولبس قباء وتعمم بتخفيفه وحمل منديلاً. ودخل على الملك في زي الندماء وقبل الأرض وتناول الهنب من يده وشرب ما فيه ونادم المعظم فأحسن منادمته. فأعجبه. وأعتذر من فزاره إنه ما كان يمكنه تعاطي ذلك وهو في زي القضاة. فاغتبط الملك المعظم به. ولما انقضى مجلس الشراب ورجع المعظم إلى حسه علم أنه لا يجوز له أن يقره على ولاية القضاة وقد شاهد من أمره ما شاهد. ففوض القضاء للقاضي شمس الدين وخلع عليه».

نرى من هذه الحكاية الغريبة أن البقيار كان ملبوس القاضي على وجه التخصيص - والقضية الآن هي قضية أن نعلم ماهية هذا اللباس. - إن كلمة بقيار أو بقياز تعني بالفارسية حسب قواميسنا: «Tapeti non villosi genus, (nigrum, ex pililiscamelinis)».

وهذا ما يحملني على التفكير إن كلمة بقيار في كلامنا هذا كانت تعني: «نوعاً من الثياب المصنوعة من وبر البعير» وكان هذا الثوب يرتدى تحت الفوقانية. والحقيقة إن البقيار وفق رأي الزمخشري:

(مقدمة الأدب، ق ١، ص ٦٢. Lexicon arab. Pres.).

يدل على نفس الثوب المسمى بـ(بركان) - راجع هذه الكلمة.

البَلْغَة والجمع البَلَاغِي

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وأرى، كما يرى، Dombay في كتابه:

(Gramm. ling. Mauro-Arabica, pag 82).

إن هذه الكلمة تعني حذاء، في المغرب^(١).

البُلُوط والجمع البلاليط أو البُلُوطَة والجمع البُلَالِيط

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويترجم بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية وعربية) saya de muger (تنورة نسائية) بكلمة بلوطة وجمعها بلاليط، ويترجمها كذلك بـ: ملوطة. ولكن يخليل إليّ أن بلوطة ليست سوى تحريف لملوطة (راجع هذه الكلمة)، ذلك لأن العرب طالما أبدلوا حرف الميم بحرف الباء فيقولون مثلاً (منفسج) بدل بنفسج (راجع الكالا في كلمة فيولتا violeta والصيغة نفسها نصادفها في كتاب ألف ليلة وليلة) إلخ ويترجم الكالا كذلك sayo de varon (رداء رجالي فضفاض) بكلمة بلوط والجمع بلاليط.

(١) قال دوزي في كتابه «المستدرك على المعاجم العربية» ما يلي:
«البَلْغَة هي النعل المتخذ من الحلفاء، وهي التي يسميها أهل الأندلس ومن صاقبهم من أهل العدو بالبلغة. وقد ورد ذكرها في مطلع قصيدة لابن عبد الملك يمدح بها المأمون أبا العلاء بن منصور من بني عبد المؤمن:
لتبليغها المضطر تدعى ببلغة وإن قست بالتشبيه شبهتها نعلًا
وكلمة بلغة ما تزال مستعملة في المغرب وفي مصر. (المترجم).

البَدَد والجمع البُنود

تعني هذه الكلمة حزاماً. راجع مسالك الأبصار، في كتاب كاترمير، ملاحظات ومقتبسات، ج ٨، ص ٢٩٥ حيث نقرأ: «يشدون المناطق والبُنود». وينبغي إضافة هذا المعنى لكلمة بند إلى القاموس.

البَنِش أو البَنِيش

لا وجود لهذه الكلمة لا في القواميس العربية ولا التركية ولا الفارسية. ومع ذلك فهي على وجه التأكيد ليست من أصل عربي، ولما كنت لم أصادفها مطلقاً لدى المؤلفين العرب فإنني أرى أن الملابس الذي تشير إليه لم يرتد إلا في العصور الحديثة.

ونحن نقرأ في كتاب بوكوك، وصف الشرق، (ج ١، ص ١): «وفوق هذا الثوب (لعله الخفتان) يلبس القوم ثوباً آخر ردها ضيقان شبيهان بثوب يوناني وهو يدعى بنيشاً Gelijk een Grieksche tabbaard وهو الثوب الاعتيادي». ويضيف الرحالة أن الناس في سورية يرتدون البَنِش benisj الحريري، ولكن هذا الثوب لا وجود له في مصر. ويكتبه الرحالة نيبور، في كتابه (رحلة إلى الجزيرة العربية، ج ١، ص ١٥٢) على هذه الصورة Benisch. وبوسعنا أن نرى هيئة تفصيل هذا الكساء في وصف الجزيرة العربية في اللوحة السادسة عشرة من كتابه (وصف الجزيرة العربية). ويصف الكونت دي شابرول، في كتابه (وصف مصر، ج ٨، ص ١٠٨) الثوب الذي نحن بصدد التحدث عنه على هذه الصورة، «البَنِش رداء واسع فضفاض، ردها كبيران للغاية، حيث أنهما يفوقان كثيراً في طولهما الذراع وطول اليد، وهذان الردهان مشقوقان من نهايتهما». وبعد

ذلك نطالع (ص ١١٠): «إن البنيش Benych هو ثوب واسع من الجوخ - ونقرأ كذلك في وصف مصر (الأطلس، ج ٢، شروح الصور ص ١١) حول موضوع تجار مكة: «إنهم يضيفون إلى ثوبهم الاعتيادي بوصفهم مسلمين بنيشاً طويلاً عريضاً من الصوف مخطط بخطوط طويلة وسوداء» ويصف لايت Light الزي الدرزي في كتابه (رحلات إلى مصر والنوبيا والأرض المقدسة وجبل لبنان وقبرص، ص ٢٢٠) فيذكر وجود إزار غليظ من الصوف يدعى بنيشاً Beneesh وهو مخطط بخطوط سوداء وبيضاء. ونقرأ لدى فون ريشتر، رحلة إلى الشرق الأوسط ص ١٤٢: «فجلب لي القواص بنایش أي إزار تلف الجسم كله، فاشتريت منها بنيشاً واحداً، لأن القوم أخبروني إن جبتي كانت غاية في الدمامة والسماجة بحيث لا يصح عرضها في مجتمع أنيق أناقة دمشق. وهكذا فقد مضيت بهذا الزي الرائع المصنوع من الجوخ الأزرق والمزركش بالذهب إلخ» وفي كتاب مؤلفه بركهارت وعنوانه (رحلات في الجزيرة العربية، ج ١، ص ٣٣٨) نقرأ: «ياله من بنيش لونه لون القرنفل مبطن بالأطلس». وجاء في رحلة بكنكهان إلى بلاد ما بين النهرين، (ج ١، ص ٤٤٣): «إن أثقل ثوب معروف لدى سكان ماردين هو الجبة أو البنيش لدى سكان أنقرة وضواحيها» (راجع كذلك الجزء الأول، الصفحة السادسة) من كتاب الرحالة فريزر المعنون (رحلات إلى كردستان وبلاد ما بين النهرين، فهو يتحدث عن البنيش أو الرداء المصنوع من الجوخ الناعم المطرز في الأغلب الأعم - حين يتطرق إلى أترك بغداد، كما يتحدث عنه رپل Rüppel في كتابه (رحلة إلى الحبشة، ج ١، ص ٢٤) وإليكم ما يقوله لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٤١): «هؤلاء القوم يلبسون أيضاً البنش أو البنيش، وهو ثوب من الجوخ، له ردنان طويلان، شبيهان بردني القفطان ولكنهما أوسع، وإذا توخينا الحقيقة قلنا ثوب المراسيم

والاحتفالات، ويجب ارتداؤه فوق الثوب الجوخى الآخر وأعني الجبة ولكن هناك الكثيرون الذين يرتدونه عوض الجبة». وبمقدورنا كذلك أن نرى شكل الكساء في كتاب لين (ج ١، ص ٤٠)، (الصورة اليسرى).

والبنش، حسب رأي النقيب ليون، في كتابه (أسفار في الشمال الإفريقي، ص ١) الذي يكتبه Beneish هو ثوب يرتديه رجال طرابلس الغرب. ويضيف هذا الرحالة أن البنش يشبه القفطان من حيث الهيئة ولكنه يختلف عنه من جهة التطريز. ويرد ذكر «البنش الحريري اللازوردي» في كتابي دهنام وكلابرتون (أسفار في شمال أفريقيا، ج ١، ص ٢٧).

ونحن نرى أن البنش ما زال يرتدى في أيامنا هذه في طرابلس الغرب، وفي مدن مصر وسورية، وفي الجزيرة، وفي العراق العربي، وفي شبه الجزيرة العربية.

البَناقَة والجمع البَنَائِق

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويقول ديانگو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر) في معرض حديثه عن نساء مدينة الجزائر: «إن جميع النساء - مغربيات كن أو تركيات أو مرتدات - يحملن - على رؤوسهن أول ما يحملن نوعاً من Una como escofia يخفين فيها شعرهن - ويسمينها باللغة المغربية, Lartia, ou, benigna. وهي معمولة من التيل ومطرزة من الجهة الأمامية بالحرير الملون الأخضر والأصفر - إلخ». وفي أعقاب هذا الكلام يكتب: albanega. ويترجم بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية)

هذه الكلمات (Cofia de muger, et, alvanga Cofia) بكلمة بناقة وجمعها بنائق.

وقد رأينا أن ديكو دي هيدو يكتب كلمة بناقة: Albanega ولكنه يكتبها أيضاً: El beniga. والحقيقة أن المؤلفين الأسبان يعبرون عن صوت (أ) - الذي يلفظه عرب المغرب (é) بحرف (ن) أو (ب). وهيدو نفسه يكتب الكلمة العربية شاشية هكذا Xixia وفي كتاب مفردات بيدرو دي الكالا نجد أن (آ) العربية تنقلب دائماً إلى (i). ومع ذلك ليس هناك من شك في وجوب كتابة بناقة وليس بنيقة - لأن الكلمة العربية البنية قد تسللت إلى اللغة الأسبانية في صيغة Albanéga أو Alvanéga - وفي اللغة الأسبانية (é) تجاوب (أ) العربية. ويجزم كوبروفياس في كتابه (الكنز - مدريد - ١٦١١) بأن الكلمة الأسبانية Albanega هي Albanega أو Alvanega وهي في اللاتينية Reticulum عبارة عن شبكة على هيئة دائرة تضعها النساء عادة على رؤوسهن - فيغطين بهذه الوسيلة شعورهن - وهي كلمة عربية مشتقة من فعل (بنق) Venega ومعنى ذلك جمع - سوى (Resserrer-Rassembleur) وربما ينبغي علينا التسليم بهذا الرأي الاشتقاقي للغوي الأسباني - لأن المعاجم العربية تنص على أن جملة بنق كلامه تعني جمعه وسواه. ولعل بوسعنا أن نرى مع ذلك أن كلمة عربية أخرى - وهي كلمة بنيقة التي تشير إلى قطعة القماش التي توضع في رदन قميص تحت موقع الإبط والمسماة نفاجة أو نفرة الإبط - قد ولدت فعلاً هو فعل بنق. والواقع أن فعل بنق يعني فيما يعنيه: وضع نفرة الإبط في قميص وجملة بنق كلامه لا تعني إذن شيئاً آخر سوى: وضع نفرات الإبط لخطابه أي جمع الأفكار والجمال في نظام منسق. ومن المحتمل كذلك أن تكون كلمة بناقة تحريفاً لكلمة بنيقة - وأن يكون هذا النوع من التيجان في العصور الغابرة منحصراً في قطعة من التيل توضع فوق رؤوس النساء.

وقد استعارت العائلة الأسبانية Vanega اسمها من الكلمة العربية بناقة. وبوسعكم أن تروا في كتاب كوبروفياس المناسبة التي منح بها فارس من فرسان هذه الأسرة هذا الاسم.

البُوش

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بالمعنى المراد.

ولكننا نقرأ في كتاب برگهارت (ملاحظات حول البدو والوهابيين ص ٢٧): «إن عباء بغداد هي أفخر العباء أما العباء التي تصنع في حماه ذات الأردن القصيرة العريضة فتسمى Bouch». ويقول نفس الرحالة في كتاب آخر (رحلات في سورية - ص ١٤٧) في معرض حديثه عن حماه «والعباء - أو الأردنية الصوفية التي تعمل هنا هي غاية في الجودة وحسن السمعة». وأعتقد أن هذه الكلمة مشتقة من اسم مدينة مصرية تدعى بوش^(١) كما يمكن رؤية ذلك في قاموس فريتاك - وهذه المدينة كانت مشهورة بالثياب التي تصنع فيها.

ولعل مدينة بوش ومصانعها قد عفى عليها النسيان في الأزمنة

(١) تحدث العديد من المؤلفين عن هذا المكان - راجع مثلاً أبا الفداء (البلدان - ص ١٠٧) ويكتب لي في كتابه (أسفار ابن بطوطة - ص ١٤) الكلمة هكذا Bauch - وهذا غلط - فإليكم ما قرأته في رحلة ابن بطوطة (مخدي غايانگوس - ص ١٤): مدينة بوش وضبطها بضم الباء الموحدة وآخرها شين معجم. وهذه المدينة أكثر بلاد مصر كثناً. ومنها يجلب إلى سائر الديار المصرية وإلى أفريقيا. حقيقة أن الرحالة لا يتحدث عن الثياب الصوفية التي تصنع في هذه المدينة - ولكنه يقول بعد ذلك - في معرض حديثه عن مدينة البهنسة القريبة من بوش: «وتصنع بهذه المدينة ثياب الصوف الجيدة». فإذا تحقق كذلك وجود مصانع للثياب الصوفية في بوش فإن تخميني حول أصل كلمة بوش - البادي في النص - يكون قد تأيد.

الحديثة - ولكن كلمة بوش ما تنفك حية مشيرة إلى نوع من القماش (الصوفي - كما أظن).

وهكذا فقد طبقت كلمة بوش خطأ على الأقمشة المعمولة في حماه - ثم سميت بها العباء التي تصنع في هذه البلدة.

التَّبَان

هذه الكلمة - كما سبق أن لاحظنا - ليست سوى تحريف للكلمة الفارسية تنبان التي تعني سراويل من الجلد يستعملها المصارعون^(١) كما تعني سراويل من الكتان يرتديها الملاحون. وهذه الكلمة قد احتفظت بالمعنى الأخير أثناء مسراها إلى اللغة العربية. وإليك ما يقوله الجوهري (ج ٢ - مخ ٨٥ - ص ٣٤٣) حول هذه الكلمة: «والتَّبَان بالضم والتشديد سراويل صغيرة مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط يكون للملاحين. وفي حديث عمار أنه صلى في تَبَان فقال: «إني ممثون».

ويترجم بيدرو دي الكالا Pedro de Alcala في كتابه (مفردات) عربية أسبانية: (Vocabulario Espanol Arabigo) كلمة Bragas بكلمة تَبَان. راجع كوباروفياس Cobarruvias في كتابه (كنز اللغة القشتالية، مدريد، ١٦١١ Tesoro de la lengua Castellana, حول كلمة (Bragas).

(١) إن هذا التبان هو اللباس الوحيد للمصارعين في الشرق - كما نستطيع رؤية ذلك لدى نيكولو دي نيكولي Nicolo de Nicolai في كتابه ملاحه وسفر: (Navigationi et Viaggi, fol. 174, 175).

ورد في أخبار معركة كربلاء أن الحسين بن علي رضي الله عنه لبس التبان قبيل خروجه إلى المعركة وغرضه من ذلك أن يبقى له بعد السلب - إذا قتل - ما يستر به جسمه، لأن التبان لا مطمع فيه لأحد! (هادي العلوي).

التَّتْرِيةُ الجمعُ التَّتْرِيات

إن هذه الكلمة التي - كما نرى - ليست في الحقيقة والواقع إلا صفة منسوبة لكلمة تتر - لا وجود لها في القاموس . وهي تشير إلى قباء مصنوع على الطريقة التتيرية . راجع ملاحظة كاترمير في كتابه (تعليقات ومقتبسات عربية - ج ١ - ص ٢١٣) . ونستخلص من عبارة المقرئزي التي أوردها هذا العالم الجليل ، أن التتريات كانت مؤلفة من الحرير الأحادي اللون المزركش الحواشي والمطعم بالذهب .

التَّحْتَانِيَّةُ

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .
ولكننا نجد في مخطوطة بخط النويري نفسه (تاريخ مصر - مخ ١٩ ب ، ص ١٣) : «وخلع عليه أطلساً معدنياً أبيض وتحتانية أطلس بطرز زركش على الفرجيتين» . وأعتقد أن التحتانية كانت فرجية تحتانية - وإن الفرجية الفوقانية كانت تدعى تحتانية (راجع هذه الكلمة) .
ويقول ابن بطوطة (الرحلة - مخ دي غايانغوس - ص ٢٥٩) في كلامه عن سومطرة : «وأخرج من البقشة ثلاث فوط . إحداها من خالص الحرير والأخرى حرير وقطن . والأخرى حرير وكتان . وأخرج ثلاثة أثواب يسمونها التحتانيات من جنس الفوط» .

التَّكَّةُ، وفي لهجة مصر الدِكَّةُ

إن تباين (سراويلات) الشرقيين لا فتحة لها من الجهة الأمامية مثل تبايننا ، فنجم عن هذه الحالة عدم تزودها بالأزرار . ولربطها يستعمل

الشرقيون التكة. ويفسر القاموس (ط كلكتا، ص ١٣٥١) هذه الكلمة بأنها رباط السراويل، وحسب تقرير لين، في كتابه الموسوم (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٣٩) إن الدكة أو التكة هي رباط أو مشد مطرز النهايتين بالحرير الملون، ولو أنه محجوب بالملابس الفوقانية، وبإحاطته بالجسم يستعمل لربط الثبان. ونحن نقرأ في الكتاب المعنون مجمع الأنهر (ط القسطنطينية، ج ٢، ص ٢٩٩) وفي القنية «تكره التكة المعمولة من الإبريسم - هو الصحيح - لكن في الفتاوى الصغرى والذخيرة وشرح القدوري لا تكره التكة من الحرير عند الأمام وعن أبي يوسف تكره».

ونجد لدى السيوطي (حسن المحاضرة، مخ ١٣، ص ٣٣٤، حوادث سنة ٢٨) «زفت مطر الندى (قطر الندى؟) بنت خمارويه بن أحمد بن طولون من مصر إلى الخليفة المعتضد. ونقل أبوها في جهازها ما لم ير مثله. كانت من جملتها ألف تكة مجوهره».

وجاء في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنائتن، ج ١، ص ٣٣٣) أو ط هابخت، ج ٢٤، ص ٣٩٤: «لا يصح له ذلك لأنه مكتوب على دكة لباسي قول صعب». ونقرأ في مكان آخر من ط هابخت، ج ٤ ص ٣٩٧: «فمد يده وملس على جسدها. ثم مر بيده على بطنها. ونزل إلى سرتها. ونزل فوجد اللباس مربوطاً. فنزل بيده على سراويلها ودكتها وجذبها فانتبهت» وبعد ذلك نقرأ (ط مكنائتن، ج ١، ص ٥٩٦): «وقد رشقت أطراف قميصها من داخل دكة اللباس، وهي كانت تعمل شغلاً». ويتحتم علينا لفهم هذه العبارة أن نتذكر أن أهل الشرق يلبسون القميص فوق الثبان.

ونطالع في مكان آخر (مكنائتن، ج ١، ص ٥٩٦): «فحط قمر الزمان يده في دكة لباسها فجذبها وحلها لما اشتهاها خاطره». وهناك

عبارة لمؤلف اسمه راولف في كتابه (وصف حقيقي لرحلات) يتحدث فيها عن سكان طرابلس الشرق، وفي هذه العبارة يتحدث المؤلف أيضاً عن التكة. وبعد ذلك (ص ١٣٣) يتزيا هذا الرحال نفسه أثناء سفره من حلب إلى بغداد بزي سكان البلاد الأصليين، فيصف هذا الزي، فيقول فيما يقوله أنه أوصى لنفسه بعمل: «سروال فضفاض من (الموسلين - الموصلين) المربوط تحت القميص وعلى الجسد العاري برباط هو التكة». ويعرب كوتوفيك Cotovic في كتابه: الرحلة Itinerarium، (ص ٤٨٥) في معرض التحدث عن أزياء الشرقيين بصورة عامة بهذه الكلمات: «إنهم لا يربطون سراويلاتهم بصدرياتهم بالحمالات، كما نصنع نحن بربط سراويلاتنا بقماصنا Camisoles». (وكان المؤلف قد زار الشرق عام ١٥٩٨) ولكنهم يربطونها كيفما اتفق برباط من القطن».

وأفخر التكد، حسب رأي النويري، (في نهاية الأرب، مخ ٢٧٣، ص ٩٦) تلك التي ترد من أرمينيا (تكد أرمنية) وبعد المقريزي (لدى دي ساسي، طرائف عربية، ج ١، ص ١٩٩) من بين الثروات التي تركها بعد موته أحد كبراء مصر: «ألف تكة حرير أرمني». وفي أيامنا هذه يروج هذا المثل في مصر: «الغندرة المخفية التكة والطاقيّة»^(١). وإن بركهارت في

(١) تأخذ كلمة غندرة والصفة المشتقة منها غندور مفهومات عدة. ولما كان البحث عن هذه الكلمات في المعاجم ضرباً من ضروب العبث، فلا يبدو لي من فضول القول طرح الملاحظات التالية بين يدي القارئ. فكلمة غندور تعني في أسبانيا والمغرب الرجل الباسل. ويترجم بيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية) كلمة (baragan) valiente بكلمة غندور، ويتحدث ديكو دي توريس في (قصة الشرفاء، ص ٣٧٢) عن خمسين ألفاً من المغاربة تجمهروا في فاس، ويدعون Gandores، ومعنى ذلك البسلاء، الذين يعتبرون أنفسهم نواب الجمهورية والمدافعين عنها، ولذلك منحوا هذا اللقب، في حين ليسوا من ذلك في شيء. ولكن غندور كانت تعني في أسبانيا =

كتابه (أمثال عربية، رقم پ ١٠) يلاحظ هذه الملاحظات على هذا المثل فيقول: «لقد طبقه المصريون على المنافقين، أو على الجبناء، الذين ينادون بالويل والثبور على الطرز الأنيقة، ولكنهم في الوقت نفسه يستعملونها ولكن سراً». والتكة El Tikke هي حزام Sack من الحرير أو من الموصلي، وهي في أغلب الأحيان مطرزة موشية، ويستعملها الرجال والنساء على حد سواء لربط الثبان حول مدار السرة، ولكن تحجبها الثياب. والتكة هي الهدية الأولى التي تهديها عشيقة لعشيقتها. وبعد فإن التكة نبع غزير للملح والنوادر والأمازيج إذا استخف الطرب عقول سمار النوادي.

ويبدو أن كلمة تكة أو دكة كانت مستعملة دائماً لدى العرب، وهي تشير إلى مشد السراويل، ويخيل إلينا إن هذا الشعب لم يستعمل كلمة سواها للدلالة على هذا الجزء من اللباس^(١).

= متمرداً أو شقياً، ومصطلح غندرة يعني عصاية قطاع طرق (راجع الكالا). ويلاحظ بركهارت بمناسبة المثل الوارد في النص قائلاً: «تعني الغندرة في اللهجة المصرية الدارجة المرح والابتهاج والأريحية والبشاشة وحلاوة العشرة ودماثة الخلق. وكلمتنا غندور وغندرة شائعتا الاستعمال، لأنهما بانطباقيهما على أفراد سواد الشعب في علاقاتهم الودية يعطيان معنى لطيفاً. أما في مالطا فمعنى كلمة غندور الإنسان الأنيق». (راجع فاسيلي، قويميس مالطي، مج ٣١٩).

(١) إن جميع الذين يرتدون السراويل يتخذونها ذات تكك. وهذه السراويل تلي الجسم تماماً والقمصان فوقها. وعندما يحتاجون إلى التبرز يجلسون القرفصاء، ويزعجون ملابسهم حول أجسامهم كالنساء، ويتجهون إلى الشمال، مخالفين اتجاههم إلى الجنوب، لدى قيامهم بالصلوات، فيعملون ما يحلو لهم.

التكلاوات

إن هذه الكلمة، التي هي ولا ريب كلمة جمع، لا وجود لها في القاموس، ونحن لسنا على ثقة حتى من صحة رسمها.

وقد وجد كاترمير (راجع كتابه: تعليقات ومقتبسات، ج ٨، ص ٢١٣) في «مسالك الأبصار» ولدى «المقريزي» كلمة تكلاوات التي لا بد إنها تدل على ضرب من اللباس يرتدي في الهند وفي مصر من قبل الأمراء. ويرى كاترمير إن هذه الكلمة صحيحة، ولكن لعدم وجود نصوص أخرى، ولجهلنا أصل هذه الكلمة، يستحيل علينا الدخول في تفاصيل حول هذا الموضوع.

التاج

إن كلمة تاج بما تعنيه الكلمة الفرنسية Couronne غير داخلية في نطاق موضوعنا. ولكن لفظة تاج لدى الفرس تنطبق على نوع خاص من أغطية الرأس للزينة. كما إننا نصادف هذه الكلمة بهذا المعنى لدى الكتاب العرب المحدثين. فحسب رأي أبي الفداء (التاريخ - المترجم من قبل راسموسين) وطبقاً لقول ريجاردسون في كلمة تاج - وأخذاً برأي هامر پرگستال - في كتابه (تاريخ الامبراطورية العثمانية) نستخلص بأن حيدر هو الذي اتخذ التاج (طاقية من النسيج الأحمر) لنفسه أو لأنصاره. ولكن ميلا مع رأي أولياريوس في كتابه (رحلات إلى موسكويا وبلاد التاتار وفارس - ص ٨١٤) ومع كامفر في كتابه (التحف النادرة - ص ٧٠ - ٧١) ومع مالكولم في كتابه (تاريخ فارس - ج ١ - ص ٥٠٣) نرى أن ابن حيدر شاه إسماعيل هو الذي تبنى التاج. وقد ورد ذكر البيريه Berreton-

Béret في رحلة بيترو دلافاله في كتابه (الرحلة - ج - ص ١٦٠) وهي ألبيريه الحمراء التي اسمها تاج وهي تقابل الكلمة الفرنسية ويلبسها جنود الميليشيا La milice ولكنهم لا يضعونها على رؤوسهم إلا في الحالات النادرة - وفي الاحتفالات الرسمية فقط. ويقول أولياريوس (ص ٨١٣) واصفاً التيجان: «إنها طاقيات حمراء مشغولة من اثنتي عشرة طية - وتكاد تشبه كل الشبه القناني التي يستعملها سكان إقليمي لاندوگ وپروفس. ولها بطن مسطح وعنق غاية في الطول والضيق». ويتحدث بعد ذلك (ص ٨١٤) عن الطاقيات الحمراء ذوات الثنيات الاثنتي عشرة تخليداً لذكرى أئمتهم أو أوليائهم الاثني عشر. وإليكم ما نقرأ في كتاب كامفر (ص ٤٤). «إن التاج Taadsj طاقية عالية - لها هيئة خاصة - والتاج يستعمل في بلاط فارس - وبه يتوج الملك نفسه - كما سبق إن قلنا - أما أعيان المملكة فإنهم يتزينون به في أعظم الأعياد الرسمية - بحضور الملك - وهو منسوج من الصوف المكفت بالذهب - وتحف به صفوف من المجوهرات والأحجار الكريمة - ولهذه العلة سماه القوم Tadsji tomâr (تاج تومار) وهذا المعنى لتومار أو طومور يجب أن يضاف إلى المعاجم الفارسية - ومعنى ذلك (عقال ملفوف) Pileus circumligatus - لأجل تمييزه عن تاج آخر أشد بساطة منه - وهو مستعمل لدى النخبة الممتازة من ميليشيا القبيلة التركية - التي ستحدث عنها قريباً - ولدى الـ السويي Sopi أو اليسولي Jesauli وهذا يعني حجاب البلاط الملكي Atrienses أو كبار حراس القصر الداخلي للملك: وهذا التاج أحمر لا زينة له. ودونكم شكله: «ضيق من الجبهة ولكنه يأخذ في الارتفاع ويمعن في الاتساع. هو من الأعلى مسطح ولكنه مؤلف من اثنتي عشرة طية أو ثنية - طبقاً لعدد الأئمة - ويعلو في وسط قمته شبه ساق Ex cujus medio stylus erigitur ضيق صلب له طول شبر.

ويتحدث كامفر (ص ٢٤١) في عبارة أخرى من كتابه الجميل عن عرف خاص يستعمل فيه التاج. وإليك كلمات الرحالة: «بحكم الانتظار حظيت مرتين برؤية منح التاج الذي يشبه التاج الأسقي (البرطل) لمن يدعون لدينا *La mitre aulique des Sophis- Mitram Sophorum aulicam* (Le Tadsj) أما مواطنونا فتسمى لديهم هذه العملية: «منح وسام الفروسية الفارسي». وقد أدخل شابان في القاعة الثانية - وكان الأول يطمح في إحراز رتبة حجابة القصر الملكي في مدينة كشغر *Keskèr* أما الآخر فيطمح في وظيفة مماثلة. المنصبان يتطلبان إدارياً حائزاً على الانتساب إلى تلك الطبقة. ولما عرض اعتماد الدولة رغبتهما وقف كل منهما مسمراً في مكانه إلى أن فرغ الملك من تأملهما ملياً والرضاء عن سمت كل منهما فانهى إلى استجابة طلييها. وبعد ذلك خرج من القصر صحبة يساوي باشي - رئيس الحراس في القصر - فبادل عما مته بتاج من تيجان *Les Sophis* وكان هذا الرئيس يأتي في الدرجة الثانية بعد المارشال. ولدى رجوعه أمر المرشحين أن ينبطحا على بطنيهما وأن يمد كل منهما ذراعيه حتى فخذيه (وانتظر بعد ذلك طويلاً - بهيئة محتشمة - وهو رافع عصاه طوال الوقت - إشارة الملك - ولكن طال انتظاره كثيراً - لأن الملك كان مسترسلاً في حديث مع عظماء المملكة. ولما حصل أخيراً على هذه الإشارة ضرب كلا منهما ضرباً مبرحاً ثلاث عصي - كل ذلك وهو يتمم ببعض العبارات. وعلى هذه الشاكلة قبلهما في سلك *Sophis*. ومنذ تلك اللحظة سمح لهما بتزيين رأسيهما برمز ذلك السلك وأذن لهما بأن يشرب عنق كل منهما - باسم صاحب الجلالة - إلى كافة أنواع المانصب - حسب اقتدار كل منهما. وبعدئذ انتصب كل منهما على ركبتيه - وقد اعتمر رأسه بالزينة - وقبلأ عصا من ضربهما بالعصا - إظهاراً منهما للاحترام والاعتراف بالجميل. ثم قلد الشخص نفسه كلا منهما خنجراً

- وانصرفا بعد أن أشبعا رغبتيهما. ومضى على هذه العملية بعض الوقت فنودي على جنديين من الجنود - وقد تشفع لهما الماريشال - ليحلا محل اثنين من Sophis أو حرس قصر الملك الذين انتقلا إلى رحمة الله. وجرت المراسيم على نفس الشاكلة في البهو السفلي. وبعد انتهاء هذه العملية استعاد كل من الرجلين سلاحه الذي أودعه على أمل التبديل السريع لخوذته بالطاقيّة النبيلة: ويخيل إليّ أن في العبارة التالية من تاريخ مصر لمؤلفه ابن إياس إشارة إلى عادة مماثلة. فإننا نقرأ في هذا الكتاب (مخ ٣٦٧ - ص ١٤٩ - حوادث عام ٨٠٣): «نزل من القلعة هو وبقية النواب وأخذوا في رقابهم منديل وتوجهوا إلى تمرلنك يطلبون منه الأمان. فلما تمثلوا بين يديه أخلع عليهم أقبية مخمل أحمر والبسهم تيجاناً مذهبة».

راجع كذلك أبا الفداء في تاريخه (ج ٢ - ص ١٧٩) وإذا آمنا بما يقوله مؤرخ أرمني هو Tschamtschean في كتاب - نوادر أرمنية - لدى بيترمان (ص ٢) فإن هذه العادة ترقى إلى عهد سحيق - وكانت تمارس في عهد آرام ونيئوس. فنحن نقرأ في هذا الكتاب: «فمنحه تاجاً مرصعاً بالجواهر والأحجار يزين به رأسه - وكانت هذه المنحة في ذلك العصر دلالة على أعلى درجات المجد والفخار»^(١).

(١) إن كلمة تاج تعني كذلك نوعاً من زينة الرأس الذي تحمله النساء العربيات والذي نستطيع أن نراجع بشأنه مراجعة مثمرة لين في ترجمته (ألف ليلة وليلة - ج ١ - ص ٤٢٤). وبهذا المعنى نصادف هذه الكلمة في (مقطعات من قصة عنترة..).

التَّاسُومُ التَّاسُومَةُ التَّسُومَةُ

إن هذه الكلمة هي مرادف لكلمة نعل Sandale في عرف فخر الدين (لدى دي ساسي - طرائف عربية - ج ١ - ص ٤٢ من النص العربي). ومع ذلك فإن Germano di Silesia (pag. 740, 776) الذي سبق للمستشرق دي ساسي إن ذكره - قد ترجم الكلمة بـ: Pantofola, Pianella ولعل هذه الكلمة قد تحور معناها منذ فترة من الزمن. وإن التاسومات التي يتحدث عنها فخر الدين كانت معمولة من الليف - ليف النخيل. كما يقول العلامة دي ساسي.

ولم تكن هذه الكلمة مجهولة في أوروبا. ولكن يخيل إلينا أنهم في شبه الجزيرة هذه قد استعملوا كلمة تواسم - ذلك لأن بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) يترجم الكلمة الأسبانية Calçon بكلمة توازن (كذا) وجمعها توازنات.

الثَّبَاتُ وجمعه الثَّبَائِيَت

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وإذ إنها مشتقة من الفعل العربي ثبت - فقد كانت تعني في الأندلس - ما يعطى القوة والاعتدال للقدم. ومعنى ذلك الخف أو النعال (راجع بيدرو دي الكالا) في كتابه (مفردات أسبانية عربية) حول هذه الكلمات:

«Calçado con çapatos, comun, çapato».

ومن هذه الكلمة العربية اشتقت الكلمة الأسبانية (Zapato) (çapato) تباتو، كما لاحظ ذلك بنفاذ بصيرة تبعث على الإعجاب الأب Guadix

ودينغو دي أوريا، لدى (كوباروفياس، كنز اللغة القشتالية، مدريد، ١٦١١، ص ٢٦٤، مج ١). وإن الكلمة الفرنسية *savate* سافات مشتقة من الكلمة الأسبانية (*Zapato*). وقد كتب دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي، ص ٨٢) هذه الكلمة سباط أو سباط، مع حرف السين وحرف الطاء ولكنني لا أعتقد بصحة هذا المنحى.

الثَّربَة والجمع الثُّراب، الثُّردَة والجمع الثُّراد

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويترجم بيدرو دي الكالا، في كتابه، مفردات أسبانية عربية، *botin* de la muger بوتان دي لا موخير بثرية وثراب. كما يترجم كذلك *botin* assi بوتان آسي بثرية وثراد. إذن فهذه الكلمات تشير إلى خف امرأة.

الثَّوب وفي اللهجة المصرية الثَّوب

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بالمعنى المراد.

ونحن نعلم أن كلمة ثوب تعني ملبوساً بصورة عامة، ولكن له في هذا اليوم معنى خاصاً في مصر فكلمة ثوب، حسب تقرير لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٦١) تشير إلى نفس الملبوس الذي تشير إليه كلمة سبله، ومعنى ذلك رداء واسع فضفاض عرض رديه يساوي على وجه التقريب طول الجلباب نفسه، وهو مصنوع من الحرير ولونه لون القرنفل في معظم الأحوال أو لونه وردي أو بنفسجي. وترتدي النساء هذا الرداء حين يردن مغادرة منازلهن ليؤلفن التزييرة. ومعنى ذلك الحلة التي يضعنها فوق أرديتهن الأخرى. وبوسعنا رؤية هذه الكسوة في كتاب لين (الصفحة ٦٤، الصورة اليسرى). والنساء غالباً ما يلففن رؤوسهن

بأردان هذا الكساء، أما لتسوية هندامهن وأما لإحلال هذه الكسوة محل الطرحة. (راجع الصورة اليمنى في كتاب لين، ص ٦٤، ٦٥، ٦٦).

إن كلمة توب أو ثوب لم تكتسب هذه أو تلك هذا المعنى إلا حديثاً. فإن الكونت دي شابرول لا يسمي الكساء الواسع الفضفاض للنساء إلا بكلمة: سبله. ولم أقع أبداً على كلمة ثوب بهذا المعنى لدى المؤلفين العرب. حقيقة إنني زعمت مواجهة كلمة ثوب في بضع عبارات من كتاب ألف ليلة وليلة، ولكن تمحيصاً أعمق جعلني أعترف بأن رأيي لم يكن قائماً على أساس.

إن للطوارق قميصاً من نسيج القطن غاية في السعة والفضفضة، وهو في الأغلب الأعم أزرق أو أبيض، وله ردنان هائلان. وهم يسمون هذا القميص Tobe أو Tob. راجع هورنمان في كتابه (مذكرات حول رحلة من القاهرة إلى مرزوق ص ٦٩). وراجع كذلك النقيب ليون في كتابه (أسفار في الشمال الأفريقي، ص ١١٠). وانظر أخيراً دنهام وكلابرتون في كتابيهما (أسفار، ج ١، ص ٢٥١). إن كلمة Tob أو كلمة Tobe ليست على وجه الاحتمال إلا الكلمة العربية (الثوب) أو (التوب).

الجُبَّة وفي اللهجة المصرية الجِبَّة



إننا واجدون في صحيح البخاري (ج ٢ - مخ ٣٥٦ - ورقة ١٦٧) بابين عنوان الأول منهما: (باب من لبس جبة ضيقة الكمين في السفر. . .) «انطلق النبي ﷺ لحاجته ثم أقبل فتلقته بماء فتوضأ وعليه جبة شامية فمضمض واستنشق وغسل وجهه فذهب يخرج يديه من كمينه فكانا ضيقين: فُرج يديه من تحت الجبة فغلسهما. ومسح يديه برأسه وعلى خفيه». كما نجد في باب لبس جبة الصوف في الغزو. . . حدثنا

أبو نعيم حدثنا زكريا عن عامر عن عروة بن المغيرة عن أبيه رضي الله عنه: قال: «كنت مع النبي ﷺ ذات ليلة في سفر فقال: أمعك ماء؟ قلت (نعم) فنزل عن راحلته فمشى حتى توأرى عني في سواد الليل. ثم جاء فأفرغت عليه الأداة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من صوف فلم يستطع أن يخرج ذراعيه منها حتى أخرجهما من أسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح برأسه. ثم أهويت لأنزع خفيه فقال: «دعهما فأني أدخلتهما طاهرتين» فمسح عليهما.

وقد ورد في مجمع الأنهر (ط القسطنطينية - ج ٢، ص ٢٥٨): «روى أن النبي ﷺ لبس جبة مكفوفة بالحرير».

إن هذه العبارات ترقى إلى العهود الإسلامية الأولى. ولكن قبل أن نضرب في شعاب هذا البحث - لا يبدو من العقم ملاحظة أن الجبة من حيث هيئتها تشابه قليلاً أو كثيراً أرديتنا الليلية *Nos robes de chambre* ولكن طراز العصر السائد قد غير من طولها ومن نوع نسيجها... إلخ. ولنبداً بسورية. ولما كان كوتوفيك قد قال في كتابه (الرحلة - ص ٤٨٥) في معرض حديثه عن ثياب الشرقيين بصورة عامة: «إن الثوب القطني يلبسه بعضهم مسدلاً حتى الأقدام - ويرتديه بعضهم مسبلاً حتى منتصف الساقين - في حين أنه من الجهة الخلفية أقصر قليلاً من جهته الأمامية - فإننا لا يخالجنا أي ريب في أن العبارة التالية للمؤلف راولف تمس اللباس الذي نتحدث عنه الآن. فإن هذا الرحالة يقرر - في معرض حديثه عن سكان طرابلس الشرق في كتابه (وصف حقيقي للرحلات ص ٤٩): «وتحت هذا القباء يلبسون أيضاً ثوباً آخر - مصنوعاً من الجوخ - هو في العادة أزرق اللون - لا سيما لدى الجنود - وهو أقصر من الجهة الأمامية منه من الجهة الخلفية - وله ردنان واسعان - على أنه محروم من الياقة». ويقول كوتوفيك في (كتابته القيم المذكور) إنه (Collariis caret). وأرى أن

عبارة دانديني التالية في كتابه (رحلة من جبل لبنان - ص ٤٠) وهو يتكلم أيضاً عن سكان طرابلس الشرق تخص الجبة كذلك. قال: «إن لهم سترتين. السترة التحتانية وهي الجلباب مع حزام». (أما السترة الفوقانية فهي العباءة). ويذكر ريشتر في كتابه (رحلة إلى الشرق الأوسط - ص ١٢٣) من بين الألبسة التي اقتناها - للمضي من بيروت إلى قلب سورية «جبة حمراء Dehûbbeh rouge (ردنگوت Redingote بلا بطانة).

أما في مصر فقد كانت الجبة مستعملة كذلك - وما برح المصريون يرتدون هذا اللباس حتى في أيامنا هذه. فنحن نقرأ لدى النويري (تاريخ مصر - مخز - ص ٣٢): «وكانت الخلعة جبة عتابي^(١) حمراء وفوقها فرجية». كما نقرأ لدى ابن أياس (تاريخ مصر - مخز ٣٦٧ - ص ٢٨١): «وكان السلطان لباساً جبة صوف بيضاء». وهذه الكلمة نفسها موجودة بعد ذلك (ص ٢٨٨). وفي كتاب ألف ليلة وليلة (ط هاببيخت - ج ٣ - ص ١٣٩) نرى وصف جبة صياد فقير على هذه الصورة: «جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن وجيش من القمل المذنب». لا ريب أن الموضوع هو موضوع الجبة في العبارة التالية للرحالة هيلفريتش في كتابه المعنون (تقرير واقعي مختصر عن رحلات - ص ٣٩٣) فإن هذا الجواب يعبر عن الموضوع بهذه الكلمات «يرتدي هؤلاء القوم بدلاً من سترة القرون الوسطى (Eines Wammes) سترة طويلة (Leibrock) أقصر قليلاً من الجهة الأمامية منها من الجهة الخلفية - وهي مصنوعة من الجوخ الأحمر أو الأزرق أو السنجابي».

(١) راجع حول كلمة عتابي - كاترمير (تاريخ السلاطين المماليك - ج ١ - ق ١ - ص ٢٤١ - وج ٢ - ق ١ - ص ٧٠) لتري أن هذا القماش قد استعار اسمه من اسم شارع في بغداد - كما لاحظ ذلك دي غايانغوس في كتابه (تاريخ السلاطات المحمدية في الأندلس - ج ١ - ص ٣٥٨).

ويصف الكونت دي شابرول في كتابه (وصف مصر - ج ١٨ - ص ١٠٨) على هذا المنوال الجبة فيقول: «الجبة هي رداء آخر مفتوح كذلك - ويوضع فوق الرداء الأول وهو القفطان. ردا الجبة قصيران بالنسبة لردني القفطان. وتبطن الجبة في الشتاء ببطانة من الفرو». ونقرأ في كتاب لين (المصريون المحدثون - ج ١ - ص ٤١) كما نقرأ في ترجمته لألف ليلة وليلة (ج ١ - ص ٤٨٥): «إن الرداء الاعتيادي الفوقاني هو قباء طويل من الجوخ الملون كيفما اتفق. ويسمي الأتراك هذا القباء الجبة Jubbeh ويسميه المصريون Gibbeh. ولا يصل ردا هذا القباء حتى المعصم». ويسمي لين الجبة ثوباً فوقانياً بالنسبة للقفطان الذي يلبس تحت الجبة Djibbah. ومع ذلك فالقوم يرتدون فوق الجبة أما بنيشاً وأما فرجية وأما عباءة. وبوسعنا رؤية هيئة الجبة في كتاب (المصريون المحدثون - ج ١ - ص ٤٠ - الفرد الأوسط). وعليّ قبل أن أغادر مصر أن ألاحظ كذلك أن جبة رهبان القديس انطون - كانت تختلف اختلافاً جوهرياً عن الجبة المصرية من حيث إنها لم تكن مفتوحة من الجهة الأمامية. ويعد (فانسليب) بين ثياب هؤلاء الرهبان جبة أو قباء من الصوف الأدكن. وهذه الكسوة مخيطة خياطة غليظة عدا كونها غير مفتوحة من الجهة الأمامية». راجع (قصة جديدة لرحلة إلى مصر - ص ٣٠٧). وكانت الجبة في القديم مستعملة في مملكة مراكش - ذلك لأن مؤلف تاريخ المرابطين والموحدين في كتابه الموسوم بالحلل الموشية (مخ ٢٤ - ص ٩) يعد بين الهدايا الممنوحة من قبل الأمير يوسف بن تاشفين لعمه أبي بكر بن عمر خمسين جبة اشكرلاط ملف رفيع^(١)

(١) إن كلمة ملف التي ربما كان يلفظها اللافظون (ملف) والتي تلفظ هذا اليوم (ملف) تشير في بلاد البربر إلى نفس النوع من هذا القماش. راجع هوست (أخبار من مراكش - ص ٢٦٩) فإنه يقول أن (ملف انجليس) الجوخ الانكليزي - و(ملف فلمينك) الجوخ =

ولكنني أكاد أجزم أن هذا اللباس لم يكن يرتديه عرب هذا القطر - منذ القرن الخامس عشر حتى أيامنا هذه. وما زالت الجبة مستعملة لدى نساء مدينة الجزائر ومدينة تونس (راجع پانتته - في كتابه رحلة - ج ٢ - ص ١٠ من الترجمة الهولندية).

وكانت الجبة مستعملة في الأندلس - وإليكم ما نقرأ لدى المقري (نفع الطيب - مخ غوتا - ص ٣٧٣): «ورأى أن يلبسوا في الفصل الذي

= الفلمنكي (الهولندي) - ويترجم دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي - ص ٨٣) كلمة ملف إلى Pannus وحسب تقرير النقيب ليون في كتابه (أسفار في الشمال الأفريقي - ص ٣١٥) فإن كلمة Melf تعني في سحنة (الجوخ). ونقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخ دي غايانگوس - ص ١٣٨): «وتكسى باللبد أو الملف». وفي مكان آخر (ص ١٥١): «فأريت وفيها كرسي كبير مبطن بالملف يجلس فوقه قاضيهم. وبعد ذلك (ص ١٥٢): «فأريت شيخاً حسن الوجه واللثة عليه لباس الرهبان وهو الملف الأسود» (في القسطنطينية). وفي نفس المرجع: «شقة ملف من عمل البنات وهو أجود أنواعه». وفي موضع آخر (ص ١٥٥): «قد كسيت حيطانها بالملف الملون». وبعد ذلك (ص ٢٨٦): «عليهم جباب الملف الحمر». وأخيراً (ص ٢٨٥): «ستور ملف». ويترجم بيدرو دي الكالا في كتابه المعنون (مفردات أسبانية عربية) كلمات Orillo de pano ب(حاشية الملف) - ونقرأ في الإحاطة لابن الخطيب (مخ دي غايانگوس - ص ٣٢) الخبر التالي: «اشترى ملفاً قبلها فانتقصت كما يجري في ذلك فدرعها بعد البل. انتقصت فطلب بذلك بائع الملف فأخذ يبين له سبب ذلك فلم يفهم».

ويلاحظ أن ابن الخطيب يستعمل هذه الكلمة بصيغة التأنيث ويستعملها ابن بطوطة بصيغة التذكير. ومع ذلك فبوسعنا أن نفترض أن المؤلف حين كتب كلمة (ملف) فكر حينئذ باسم لباس لجنس النساء - وعلى سبيل المثال في كلمة جبة. والواقع أن المؤلف نفسه في موضع آخر (المخ - ص ١٤) قد عد من بين الأقمشة التي يرتديها الفرناطيون الملف المصبوغ. وهكذا نرى كلمة ملف في صيغة التذكير.

واليوم تشير كلمة ملف (mle) في مالطة إلى رداء قرمزي للأطفال. (راجع فاسيلي في كتابه (قويميس مالطي - مج ٥٩).

بين الحر والبرد المسمى عندهم الربيع من مصبغهم جباب الخز والملحم والمحزر».

هذا رأي الموسيقار الشهير زرياب - الذي قدم إلى الأندلس في أيام حكم عبد الرحمن الثاني .

ويقول بيير مارتير في قصة سفارته إلى مصر - خلال عام ١٥٠١ - الموجهة إلى فريديناند وايزابيلا (سفارة بابلية - ص ١٠٤): «إن ثياب القوم الفوقانية هنا تختلف قليلاً عن ثياب غرناطيينكم التي يسمونها الجيوبه ويسمونها الأسبان marlotas مرلوطة».

وتستعمل الجبة كذلك في الجزيرة. راجع بكنگهام (أسفار في بلاد ما بين النهرين - ج ٦ - ص ٣٤٣) الذي كتبها جبه Jubba.

وتلبس الجبة في مكة المكرمة حتى أيامنا هذه - إذ ترتدي فوق البدن - وهي مصنوعة من الجوخ الخفيف - أو ن نسيج الحرير الهندي. وفي أيام الحر اللاهبة لا يرتديها الناس مطلقاً - ولكنهم يطرحونها على الأكتاف. راجع برگهات في كتابه (أسفار في الجزيرة العربية - ص ٣٣٥ و ٣٣٦ - ج ١) وفي المدينة المنورة حيث يرتدي الفقراء أيضاً هذا الرداء نرى الجبة مصنوعة من الجوخ (المرجع السابق - ج ٢ - ص ٢٤٢).

لم نتحدث حتى هذه اللحظة إلا عن جبة Djobbah ou djibbah الرجال - فيرتب علينا الآن أن نمنح بعض التفاصيل عن جبة النساء. يقول لين عن اليك في كتابه (المصريون المحدثون - ج ١ - ص ٥٨): «إن النساء المترفات يرتدين جبة من الجوخ ومن المخمل من الحرير - وهي عادة مطرزة بالذهب أو بالحرير الملون - والفرق بين هذه الجبة وبين جبة الرجال ينحصر في إنها ليست غاية في الساع - وهذه الحالة

بادية على وجه الخصوص في الجهة الأمامية $\times$ وطولها طول اليك». (ومعنى ذلك إنها تلامس الأرض أو إنها أطول من ذلك بنحو عقدتين أو ثلاث عقد فهي تكنس أديم الغبراء). وفي الصورة التي يعرضها لين (ج ١ $\times$ ص ٥٧) عن جبة المرأة - نرى أن ردينها يكادان يبلغان حد المعصمين. ولم يمض زمن طويل على مصر يوم كان ردنا الجبة لا يصلان إلى الساعدين - كما نستطيع أن نرى ذلك في أطلس أوليفيه: (اللوحة المرقمة ٢٦ - رحلة إلى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس) وفي (مصور وصف مصر - ج ٢ - اللوحة ٢٩٣).

والواقع إننا نقرأ لدى الكونت دي شابرول (وصف مصر - ج ١٨ - ص ١٣): «الجبة رداء يسبل على ثياب أخرى وللجبة ردان غاية في القصر - وهي مبطنة بالفراء شتاء - فهي حينئذ تأخذ اسم (وجه فروة) ouech faroueh ولعل دانديني في كتابه (رحلة من جبل لبنان - ص ٤٨) يتحدث كذلك عن الجبة الخاصة بنساء طرابلس - حين يقول ترتدي النساء جبة أقصر من جباب الرجال - بدل ما يدعى السبان Spain أو العباءة Abb». ويبدو أن جبة المرأة في الأزمنة القديمة كانت كذلك أقصر مما هي عليه الآن. راجع (مصور وصف مصر - ج ٢ اللوحة ٢٦٦). ويتحدث ريشتر في كتابه (رحلة إلى الشرق الأوسط - ص ٢١٢) عن جبة نساء بدو سورية Dshūbbeh التي لها لون الشوكولاته عادة». ويضيف قائلاً: «إن هذا اللون عزيز على قلوب الرجال أيضاً». أما في مصر فيستبان أن السيدات كن يرتدين أيضاً جبة عصر مارمول - لأنني أرى أن العبارة التالية لهذا المؤلف تشير إلى هذا اللباس موضوع البحث (وصف أفريقيا - ج ٣ - ص ١١٢): «إن لهذه الصايات Las sayas هيئة الجباب التركية». (Aljubas turques) وأرى أن المؤلف يضيف ما يضيف لتمييزهن من الجباب الغرناطية المسبلة حتى الأقدام - والمشغولة من مختلف أنواع

الحرير - أو المنسوجة من الذهب أو المكففة به . وترتدي النساء كذلك الجوخ ذا الأكمام الضيقة المطرزة بإسراف بالذهب والحرير .

وفي مصوع يلفظ الناس كلمة جبة كلفظ أهالي مصر لها . وهذا اللباس يصنع فيها من الجوخ الملون (روپل - رحلة إلى الحبشة - ج ١ - ص ٢٠٠) . والجبة كانت شائعة الاستعمال بين التركمان . فنحن نقرأ لدى فريزر في كتابه (رحلة إلى خراسان - ص ٢٦٦) : «عندما يشتد البرد ترتدي النساء فوق ما يرتدين جباباً أو أردية شبيهة بأردية الرجال - وهي مصنوعة من نسيج الحرير أو من القطن المخطط» . ويضيف الرحالة إلى ذلك ملاحظة : «إن الجبة هي رداء واسع فضفاض يلتحف به - وهذه الجبة لها رذنان مضغوطان على الرسغين - ولكنهما واسعان من الجهة العليا - وهي مفتوحة من الجهة الأمامية وواسعة سعة مفرطة بحيث يمكن طيها طيات عديدة حول الجسم . كما يمكن طرح هذه الجهة على الجهة الأخرى . ولهذه الجبة شبه كبير بالبيرونة الفارسية Le baroonee ولكنها تصنع عادة من الأقمشة الغليظة . والجبة الخراسانية تعمل في معظم الأحيان من الصوف الأسمر أو الضارب إلى الحمرة - وقد تصنع كذلك من وبر البعير . وهي دثار فاخر جداً - ذلك لأن حياكتها المحكمة لا تسمح بنفاذ المطر فيها بسهولة - وهي تقي صاحبها كثيراً من المطر» . وبعد ذلك نقرأ : «أما الفقراء من الدركة السفلى في الأدقاع فيرتدون جبة قصيرة أو قميصاً من الصوف» . ونطالع كذلك : «بعضهم يرتدي الزي الوطني التركماني أو الأوزبكي الذي يقتصر على عدة أردية أو جباب تعلو الركب قليلاً وترتبط بحزام والقماش الذي تصنع الجباب منه أمشاج من الحرير والقطن مخططة بخطوط زرقاء وأرجوانية وحمراء وخضراء والأتراك يحافظون على زيهم الخاص محافظة تامة وذلك بارتدائهم الجباب المنسوجة من وبر البعير فوق ألبستهم التحتانية في معظم

الحالات». وما تزال الجبة مستعملة لدى من يدعون (Les Guèbres) من أتباع زرادشت - يسكنون في إيران والهند (راجع فريز - المرجع السابق - ص ٢٢) كما بقي استعمالها لدى الأوزبكيين في شيوا Chiwa (المرجع السابق - ص ٦٨). والمصريون يتمثلون بهذا المثل حتى يومنا هذا: «سقل جبته ونقش لحيته» حين يريدون أن يقولوا أن فلاناً قد استعد للقيام بإحدى المهمات. راجع (برگهارت - الأمثال العربية - ص ٣٦٧). ومن هذه الكلمة العربية جبة استنبط الأسبان. Aljuba, jupa, chupa, jubon واشتق البرتغاليون Aljuba. وأحدث الإيطاليون Giuppa وGiuppone واستحدث الفرنسيون: Jupe وJupon.

الجَدِيل والجَدِيلَة



حسب رأي الجوهري (ج ٢ - مخ ٨٥ - ١٨٨) يدعى الوشاح في معظم الأحيان جديلاً (Ceinture) - ويورد اللغوي بهذا الصدد بيتاً من الشعر نجده أيضاً في الحماسة (ص ٥٥٦) - حيث يقول التبريزي أن الجديل مصنوع من قطع الجلد - وهذه القطع مبرومة على بعضها. وتستعملها الجوارى والإماء فقط - ولا تستعملها النساء العربيات. أما رأى القاموس (ط كلكتا - ص ١٤١١) فهو أن (الجديلة شبه إتب من آدم يأتزر به الصبيان والحوض). وإنني أشك كل الشك إن كلمة جديلة في هذا المعنى تعني نوعاً من الحزام - بل أرى أن الكلمة تشير إلى نوع من السراويل.

الجَرَبِيَّة



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويقص علينا ابن الخطيب في (الإحاطة - دي غايانغوس - ورقة ٣٢) عدة أمثلة على غفلة العلماء في مناسبات بسيطة للغاية - والمؤلف يروي لنا حكاية تحكى لخياط من تونس: قال لي أبو الحسن من قرطاجنة (وهو مؤلف المقصورة المشهور) إن المستنصر خلع على جبة جربية (كذا) من لباسه وتفصيلها ليس من تفصيل أثوابنا بشرق الأندلس. وأريد أن تحل أكمامها ونصيرها مثل ملابسنا. فقلت: وكيف يكون العمل؟ فقال: نحل رأس الكم ويوضع الضيق بالأعلى والواسع بالطرف. فقلت: وبما يحير الأعلى^(١) فإنه إذا وضع في موضع واسع سطت علينا فرج ما عندنا ما يصنع فيها إلى أن وقعنا بغيرها. فلم يفهم. فلما يئست منه تركته وانصرفت. ونحن نرى من هذه العبارة أن الجربية تعني نوعاً من الجبة ذات الكمين. ومارمول في كتابه وصف أفريقيا (ج ٢ - ص ٤٠ - مج ٤) يكتب الكلمة جريشيا Gerivia - ولكن الوصف الذي يصف به هذا الملبوس لا ينطبق كل الانطباق مع كلمات ابن الخطيب. ويقول في وصف إقليم غزولا Gezoula - وفي مملكة مراکش: «إن الزي الاعتيادي لهؤلاء الناس ينحصر في الجربيات Gerivias الصوفية - وهي ضيقة لا أكمام لها ولا ياقة - وتنسدل حتى الركب - ويرتديها الناس فوق الجلد مباشرة».

(١) يخیل إليّ وجوب ترجمة الفعل يحير على هذا المنوال الذي ألفظ الكلمة به (يُحِيرُ). وانظر في القاموس الصيغة الخامسة لهذا الفعل. ونقرأ في الكتاب المعنون (أخبار الملوك، مخ ٦٣٩ - ص ١٣١)، وأمر المعتمد عبد الجليل بن وهبون أن يحير البيت الأول. وأرى من المحتمل على أن حل فعل يحير محل الفعل (يجير) بحيث يكون المعنى «أمر الأمير الشاعر إجازة البيت الأول بإضافة بيت ثان». لعل المؤلف أراد فعل (يجيز) فتوهم فكتبها (يجير) المترجم. وقع المؤلف في وهمين. الوهم الأول إنه أراد أن يقول بوجوب إحلال فعل (يجير) محل الفعل (يجير) فقال العكس. والوهم الثاني إنه أراد أن يقول (يجيز) فقال (يجير) المترجم.

وإنني أجهل ما إذا كانت كلمة الجربية هي نفس كلمة Gerba التي ذكرها النقيب ليون في كتابه (رحلات في شرقي أفريقيا - ص ٦) التي يقول عنها: «إنها قفطان ذو كمين قصيرين - وإن الناس يرتدونها غالباً بدلاً من البنيش أو البنش «Beneish» .

الجريد

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بالمعنى المراد.
ويقرر النقيب ليون في كتابه (رحلات إلى الشمال الأفريقي، ص ٣٩) إن العرب في طرابلس الغرب يصنفون البركانات Barracans إلى ثلاثة أصناف. فأغلظ هذه الأصناف يدعى Aba، والأرق هو الجريد Jereed أما أوسط الثلاثة فاسمه خولي Kholi. والجريد يرتدي أيضاً في مرزق، من قبل الرجال والنساء على حد سواء (المرجع السابق، ص ١٧٠، ١٧١).

إن كلمة جريد هي بدون شك من أصل عربي. وإن فعل جريد يعني Scalpsit, abrasit; mundavit gossipium إن صيغة جريد بوسعها أن تعبر عن اسم المفعول، كصيغة قتيل، المشتقة من فعل قتل. فافترض إذن وجوب إضمار اسم الموصوف (بركان) وعلى وجه الاحتمال نقول كان في الماضي (بركان جريد).

الجرز

إننا نقرأ لدى الجوهري (ج ١، مخ ٨٥، ص ٣٨٨): الجرز بالكسر لباس نسائي من الوبر ويقال هو الفرو الغليظ. كما نطالع في القاموس (ط) كلكتا، ص ٦٩٩: لباس النساء من الوبر وجلود الشتاء.

الْجَزْمُوق

راجع كلمة سرموجة .

الْجَزْوِيرَة وجمعها الْجَزَاوِر

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، ولم أقع عليها إلا في لهجة مالطة .

ولكن توجد هذه الكلمة وجمعها جزاور في كتاب فاسالي، (ويميس مالطي، مج ٣١)، وقد لاحظتها هذا اللغوي، وهو جمع كما نعلم، عربي أصولي صميم، مصوغ صياغة الاسم الموصوف الرباعي . وهذا ما يجعلنا نشك في أن كلمة جزويرة هي من أصل عربي، ومع ذلك فلست مؤمناً بذلك، ويخيل إليّ إن كلمة جزويرة ليست إلا تحريفاً، قوياً بعض القوة في الواقع، للكلمة الإيطالية Guistacuore وأياً كانت الحالة، فإن الجزويرة ما زالت ترتدي حتى يومنا هذا من قبل سكان مالطة العرب . وفي كتاب فيسكيه (رحلة إلى الشرق، ص ٦) يجري البحث حول الكزويرة، التنورة المفتوحة من إحدى الجهات، التي ترتديها المالطيات . وقد تفضل أماري Amari الصقلي المولد فأعلمني أن ما يدعى في مالطة بالجزويرة هو تنورة صغيرة من النسيج المخطط بخطوط زرق وبيض ولها طيات صغيرات . وهي مفتوحة من إحدى الجهات ومشدودة بشرائط صغيرة .

الْجَقْشِير

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وهي من أصل تركي جقشير، أو الوجه الأصح جاقشر وتشير إلى: بنطلون من الجوخ. ويعبر دارثيو عنها بهذه الكلمات في كتابه (رحلة من فلسطين صوب الأمير الأعظم) فيقول: «تحت هذا القفطان وفوق التبان المنسوج يرتدون Chakchier أو بنطلوناً من الجوخ الأحمر نهايته من السختيان الأصفر. ويجب أن تكون هذه البنطلونات دائماً من اللون الأحمر أو الأرجواني أو البنفسجي وألا تكون أبداً من اللون الأخضر، لأن محمداً ﷺ كان يحب هذا اللون، وإن ذراريه يحملون العمامة الخضراء، والناس يعتقدون بإيذائه إذا لبسوا الثياب الملونة باللون الأخضر ولم يكونوا من أحفاده. وهم يعتبرون الفرس هراطقة بارتدائهم السراويل والتباين الأخضر». ويشرح نيبور في كتابه (رحلة إلى الجزيرة العربية، ج ١، ص ١٥٢) كلمة Schakschîr بأنها «سروال أحمر واسع الفضفضة». ويخطئ من يقرأ شرشير في كتاب (وصف مصر، ج ١٨، ص ١٠٧): ويفسر الكونت شابرول هذه الكلمة بأنها: «سروال شتائي من الجوخ».

الجلباب، الجلباب

سبق إن رأينا في كلمة إزار - إن كلمة جلباب قد استعملت في عبارة للبخاري بوصفها مرادفاً لكلمة إزار ونستخلص من ذلك أن الجلباب يشير إلى هذه الملحفة الهائلة - التي تلتحف بها النساء في الشرق - من الرأس إلى القدمين - حين يردن الخروج من منازلهن. والواقع أن الجوهري (ج ١ - مخ ٨٥ - ص ٣٥) يفسر كلمة جلباب بملحفة وعلى ذلك فإن الملحفة تشير إلى ما يشير إليه الإزار. ويضيف اللغوي إلى ذلك قائلاً: قالت امرأة من هذيل ترثي قتيلاً:

تمشي النسور إليه وهي لاهية مشي العذارى عليهن الجلابيب

ولعل ابن خاقان كان ينظر إلى معنى الكلمة نفسه حين قال: (لدى هوگفليت - مقتطفات من كتاب مختلفين حول أسرة الأفطسيين المالكة والشاعر ابن عبدون - ص ٤٧):

وغدا مصرعهم من نجيعهم وارس الجلباب

وتشير هذه الكلمة - حسبما ورد في القاموس (ط كلكتا - ص ٥٨) إلى قميص - وإلى ثوب واسع للمرأة دون الملحفة - فهو في هذه الحالة نفس الثوب الذي يدعى هذا اليوم في مصر سبله أو (توب) - أو هو أخيراً الخمار نفسه. وعلى كل حال فقد كان يشير قديماً إلى ثوب ترتديه النساء. ويخيل إليّ أن هذه الكلمة قد اكتسبت في الأزمنة المتأخرة مفهوماً خاصاً مختلفاً في المغرب. إذ يقرر شو Shaw في كتابه: رحلة إلى بلاد البربر والشرق (ج ١ - ص ٣٢٢).

«Reizen door Barbarijen en het Goste».

إن كلمة Jillebba تشير إلى نوع قمصلة Camisole بكمّين أو بدون كمّين - ولكنها تختلف قليلاً عن قباء Tunique الرومان. وهذه القمصلة تشد بالحزام خصوصاً في أوقات العمل وهي ترتدي تحت الحيك. وإني أعتقد إن كلمة jillebba هي كلمة جلباب العربية التي بتر منها الحرف الأخير. وقد زاد تيفنو هذه الكلمة إفساداً في كتابه (رحلة إلى الشرق - ص ٥٥٣) حين كتبها Jillet. وهو يقول في معرض وصفه لمدينة تونس: «ليست ملابس البربر مشابهة تماماً لملابس الأتراك - لأنهم بدلاً من البدلة العسكرية المزركشة يرتدون قمصلة يسمونها (Camisole)». ويكتبها مؤلف (مهمة تاريخية في مراكش - ص ٧١ - مج ٢ - ص ٧٢ - مج ١ - ص ٣٦٠) هكذا Chilivia - وهو يعتبرها سترة صغيرة من قماش غاية في الغلاظة. لها كمان ضيقان ومزودة بقبع كقبع الرهبان الكبوشيين مزفتة لوقاية الرأس - وهذا الثوب قصير بحيث إنه لا يتعدى الحزام».

ونقرأ في رحلة وندس (رحلة إلى مكناس - ص ٢٩): «إن المغاربة الأشد ادقاعاً يرتدون لباساً يدعى Gelebia وهو مصنوع من قماش صوفي غليظ - وهذا الثوب لا أكمام له - ولكنه مزود بثقوب لإمرار الذراع فيه - وهو يتدلى حتى يبلغ الركبتين - ويلتف كيفما اتفق حول الجسم على هيئة كيس». ويكتب ريلي الكلمة في كتابه (بوار تجارة السفن الشراعية ص ١٩٧ - ١٩٨ - ٢٤٨) هكذا Gzlabbia وهو يراها عباءة من الصوف لها كمان قصيران ومزودة بقبع كبوشي. أما على بيگ في كتابه (الأسفار - ص ٢٧٨ - ج ٢) فيكتب الكلمة على هذا المنوال Djilabia وهو يعتبرها قميصاً أو عباءة (Shirt or cloak) من قماش مخطط بخطوط دقيقة بيضاء وسوداء. ونطالع في كتاب گرابر دي هيسو (مرآة جغرافية وإحصائية للإمبراطورية المراكشية - ص ٨٢) إن طبقة الدهماء في مراكش والفقراء يرتدون لباساً واحداً وهو على هيئة كيس من القماش الغليظ ويدعى Gellabïa: «وقد قورت في هذه الجلابية ثقب من الجهة العليا ومن الجوانب لأجل إدخال الرأس والذراعين». ومن المحتمل ألا تكون هذه الكلمة قد اشتقت كلياً من كلمة جلاباب - وإن هذا النوع من القمصنة Camisole أو الدراعة قد اشتق اسمه من الكلمة البربرية Thelebeh التي تعني حسب قول فنتور في كتابه (رحلة هورنمان - ج ٢ - ص ٤٤٠) ثوبا . Habit

الْجَمَّاز، الْجُمَّازَة

إننا نجد في طبعة كلكتا للقاموس، وفي أفضل مخطوطة من مخطوطات ليدن لهذا السفر، إن الحرف الأول عليه فتحة. ولكن الجوهري (ج ١، مخ ٨٥، ص ٣٨٩) ينص نصاً قاطعاً على أن: «الجمزة بالضم مدرعة صوف». ويضيف إلى ذلك قائلاً:

قال الراجز:

يكفيك من طاق كثير الأثمان جمازة شمر منها الكمان
ويرى القاموس إن كلمة جمازة تشير إلى سترة أو (دراعة من صوف)
قمصلة.

Une veste ou camisole en laine.

الجُنَّة

إننا نقرأ في القاموس (ط كلكتا، ص ١٧٣٤): «الجنة كل ما وقى
وخرقة تلبسها المرأة تغطي من رأسها ما قبل ودبر غير وسطه وتغطي الوجه
وجنبى الصدر وفيه عيان مجوبتان كالبرقع».

الجنيينة

يرى القاموس (ط كلكتا، ص ١٧٣٤) إن: «الجنيينة هي لباس من
الحريز على هيئة الطيلسان». (الجنيينة مطرف كالطيلسان).

الجَنْبِل

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويقرر ديوغو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر، مج ٤،
ص ٢٧) إن النساء في الجزائر يضعن فوق البناقة ثلاث زينات للرأس.
الزينة الثانية هي شبه عصابة (trançado morisco) موريسكية من نسيج
حريري دقيق مسترسل للغاية وهو يشبه ما يسمى Cendal ويكون عادة
ملوناً. وهن يلففن هذه الزينة حول رؤوسهن كما هي حالة الزينة الأولى

تاركات الأطراف مسبلة فوق الأكتاف حتى موضع الحزام، وهن يسمين هذا النوع من القلائس (Este tocado) Chimbel.

ولا ارتاب مطلقاً في أن نساء مدينة الجزائر العرييات قد صغن كلمتهن (جنبل) من الكلمة التركية (جنبر) التي هي الكلمة ذاتها بالتمام، مع استبدال الراء باللام، وهما حرفان من نفس الطبقة والصنف. والعرب والفرس والأتراك يلفظون النون أمام الباء مثل الميم وليس مثل النون. إذن فقد أحسن ديبگو دي هيدو بكتابة (Chimbel) وليس (Chinbel)^(١).

الجُوب

يفسر الجوهري (ج ١، مخ ٨٥، ص ٣٧) هذه الكلمة بكلمة (بقيرة). ويفسر القاموس (ط كلكتا، ص ٦٠) الكلمة بأنها (درع المرأة). Une chemise de femme.

(١) يقول كوياروفياس حول كلمة صندل Cendal (الكنز، مدريد، ١٦١١) ما يلي: قماش مصنوع من الحرير الناعم أو من نسيج الكتان الرقيق الخفيف. والذين يعتقدون بأنه مصنوع من الحرير يقولون بأن أصل الكلمة Sedal وبعد إضافة حرف النون الذي سقط تصبح الكلمة Sendal أما الذين يقولون بأنه نسيج من الكتان الرقيق فيرجحون أن أصل الكلمة هو Sindone (نص لاتيني بنفس المال) - المترجم.

ويقول الأب Guadix بأن أصل الكلمة هو عربي مشتق من الاسم العربي صندالي Cendali والذي يعني غالباً الورق الخفيف الرقيق، وهو الاسم الذي يطلقه العرب على الحرفي الذي يقوم بطرق صفائح الذهب الرقيقة، وهو في الأسبانية Batihoja أي طارق الأوراق (الصفائح الذهبية). (ترجمة لويس رومانوس).

الجُوخَة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكن دونكم بادئ الأمر مقالة شائقة للمقريزي (وصف مصر، ج ٢، مخ ٣٧٢، ص ٣٥٠): «سوق الجوخيين: هذا السوق يلي سوق اللجميين. وهو معد لبيع الجوخ المجلوب من بلاد الفرنج^(١) لعمل المقاعد^(٢) والستائر وثياب السروج وغواشيهم^(٣). وأدركت الناس وقل

(١) لعل البلد المصدر الرئيس هو البندقية. راجع سيلفستر دي ساسي في كتابه، طرائف عربية ج ١، ص ٨٧.

(٢) المقاعد تعني الصفف. لأنني أقرأ في كتاب نادر للغاية اقتنيت الجزئين الأول والثاني منه (الجزء الثالث نادر) وعنوانه:

(Les Voyages du sieur de la Moraye en Europe, Asie et Afrique, tom. I, pag. 85:

«إن الصفة هي مصطبة مصنوعة من الألواح الخشبية، وترتفع عدة أقدام عن الأرض وتستند إلى الحائط وتوضع فوقها المنادر، وهي حشايا مغطاة بقطع من الأقمشة واسمها مكات Maccates، ولها وسائد مغطاة كذلك ومستندة إلى جدار الغرفة لتتكئ عليها الظهور وقد التفت الساق بالساق، كما يصنع الخياطون.

إن كلمة مكات Maccates التي أوردها هذا الرحالة تعني بلا ريب كلمة مقاعد التي ذكرها المقريزي.

(٣) من العبث كل العبث أن نتحدث عن كلمة غاشية، بعد أن أفاض في شرحها العلامة الجليل كاترمير في كتابه (تاريخ السلاطين المماليك، ج ١، ص ٤ - ٧، ق ١) فقد اغترف بشأن هذه الكلمة من كنوزه الغزيرة ما لا قبل لنا بمباراته. ولكن هناك كلمة أخرى تدل كذلك على غطاء يوضع على ظهر الحصان أو البغل، وكان يصنع في الغالب من الجوخ، فيتحنم عليّ أن أقول بعض الكلمات عن هذا الغطاء. أريد أن أتحدث عن كلمة زناري. فنحن نقرأ لدى السيوطي (حسن المحاضرة) وهو يتحدث عن القضاة: ومراكبهم البغال. ويعمل بدلاً من الكنبوش الزناري. وتقابل كنبوش الكلمة الفرنسية لاهوس La housse. وأن المستشرق دي ساسي الذي نشر هذا النص في كتابه المنوه به =

ما تجد فيهم من يلبس الجوخ وإنما يكون من جملة ثياب الأكابر جوخة لا تلبس إلا في يوم المطر. وإنما يلبس الجوخ من يرد من بلاد المغرب. والأفرنج وأهل الاسكندرية وبعض عوام مصر. فأما الروؤساء والأكابر والأعيان فلا يكاد يوجد فيهم من يلبسه إلا في وقت المطر. فإذا ارتفع المطر نزع الجوخة. وأخبرني القاضي الرئيس تاج الدين أبو الفداء إسماعيل بن أحمد بن عبد الوهاب بن الخطباء المخزومي خال أُمِّي رَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ: كنت أنوب في حسبة القاهرة عن القاضي ضياء الدين المحتسب فدخلت عليه يوماً وأنا لابس جوخة لها وجه صوف مربع فقال لي: وكيف ترضى أن تلبس الجوخ؟ وهل الجوخ إلا لأجل البغلة؟ ثم أقسم عليّ أن أخلعها. وما زال بي حتى عرفته إني اشتريتها من بعض تجار قيسارية الفاضل. فاستدعاه في الحال ودفعها إليه وأمره بإحضار ثمنها. ثم قال لي: لا تعد إلى لبس الجوخ استهجاناً له. فلما كانت هذه الحوادث وغلت الملابس دعت الضرورة أهل مصر إلى ترك أشياء مما كانوا فيه من الرقة وصار معظم الناس يلبسون الجوخ فتجد الأمير والقاضي ومن دون من ذكرنا لباسهم الجوخ. ولقد كان الملك الناصر

= (ج ٢، ص ٢٩٧) - راجع كذلك تعليقه، ص ٢٧٠ - قد توهم في طبع الكلمة هكذا (زنادي) في حين إنها (زناري) وهي موجودة في مخطوطتي ليدن لكتاب السيوطي (مخ ١١٣، ص ٣٥٤ ومخ ٣٧٦، ص ٤٦٠)، ولا مرية أن الشك قد انقطع استناداً إلى النص التالي لمخطوطة بخط النويري نفسه (تاريخ مصر، مخ ١٩ب، ص ١٢١) حيث نقرأ: أنعم عليه ببغله بسرج وزناري جوخ. وقد قرأت في جزء آخر من نفس الكتاب (مخ ٢، ص ١١٦): وركب فرساً أشهب من مراكيب السلطان بزاري أطلس أحمر بدائر أصفر برقبة سلطانية مزركشة وسرج سلطاني محلى بالذهب.

راجع بركهات في كتابه (تعليقات على البدو والوهابيين، ص ١٢١).

راجع كذلك حول كلمة رقبة تعليق «كاترمير» في كتابه (تاريخ السلاطين المماليك، ح ١، ق ١، ص ١٣٥).

فرج ينزل أحياناً إلى الأسطبل وعليه ممجون من جوخ. وهو ثوب قصير الكمين والبدن يخاط من الجوخ بغي بطانة من تحته ولا غشاء من فوقه. فتداول الناس لبسه واجتلب الفرنج منه شيئاً كثيراً لا توصف كثرته. ومحل بيعه بهذا السوق».

قبل إيراد ترجمة هذا النص للمقريزي، أرى لزماً عليّ أن أحملكم على ملاحظة أن كلمة جوخ، التي اشتقت منها كلمة جوخة، هي الكلمة التركية جوقة التي تشير إلى الجوخ. ولعل الكلمة اليونانية الحديثة روخن مدينة بأصلها إلى هذه الكلمة التركية.

وتوجد كلمة جوخة في هذا النص للنويري (تاريخ مصر، مخ٢، ص١٩٢): ولبس السلطان جوخة مقطعة. هذا النص الذي يبدو منه أن المقريزي نسخه عنه في كتابه (تاريخ السلاطين المماليك، ج١، ق٢، ص٦٣). كما إننا نقرأ لدى ابن إياس (تاريخ مصر، مخ٣٦٧، ص٣٧): قلع تخفيفته ولبس عمامة وجوخة من فوق ثيابه. ويفسر كانيس في كتابه (ص١٧١، نحو عربي أسباني) الجوخة بأنها لباس من الجوخ شبيه بالرداء الفرنسي الردينكوت «Redingote».

الجُودِيَاء



يرى القاموس (ط كلكتا - ص٤٣٦) إن الجودياء هي (مدرعة من صوف للملاحين).

الجَوْرَب



تدل هذه الكلمة - حسب رأي القاموس (ط كلكتا - ص٥٦) على (لغافة الرجل).

وأعتقد أن النص التالي للرحالة نيبور في كتابه (رحلة إلى البلاد العربية ج ١ - ص ١٥٣) بوسعه أن يلقي ضوءاً أو بعض الضوء على هذا التفسير. يقول الرحالة: «إن الشرقيين يلفون أقدامهم وسيقانهم بخرق صوفية كبيرة - وفوق هذه اللفافات يلبسون خفافهم الواسعة. وعلى ذلك فإن خطواتهم ثقيلة - ولكن هذه الخرق تدفئ أكثر مما تدفئ جواربنا. فإذا تبللت هذه الخرق مرة - فإنها لن تدفئ بعد ذلك إلا قليلاً - وعلى نقيض ذلك - فإن هذه اللفافات يمكن أن توضع حول السيقان بشكل يختلف عن شكل الأمس».

ويرى ابن بطوطة (الرحلة - مخ دي غايانگوس - ص ٤٧) إن المسلمين يرتدون الجوارب حين طوافهم حول الكعبة لحماية أقدامهم من الحرارة اللاهبة.

ويفسر بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) هذه الكلمات Calças de muger بأنها جورب. ولعله يستعمل كلمة calças لا بمعنى تبان Caleçon أو سروال Culotte وإنما بمعنى جوارب Medias calzas, bas.

المَجْوَل

يظهر أن هذه الكلمة تشير إلى ثوب صغير للمرأة. فنحن نقرأ لدى الجوهري (ج ٢ - مخ ٨٥ - ص ١٩١): «المجول ثوب صغير تجول فيه الجارية». ويستشهد اللغوي في هذه المناسبة بالشرط التالي من معلقة امرئ القيس: (الطويل):

إذا ما اسبكرت بين درع ومجول^(١)

(١) الشرط الأول من هذا البيت هو: إلى مثلها يرنو الحليم صباية.

والدرع هو قميص المرأة الكبيرة والمجول هو قميص المرأة الصغيرة .
ويرى الفيروزآبادي (القاموس - ط كلكتا - ص ١٤١٨) إن هذه
الكلمة تشير إلى (ثوب للنساء وللصغيرة) . وكان العرب القدامى
يستعملون هذا الثوب في لعبة الميسر . ويقول النويري أنه (ثوب
أبيض) . راجع راسموسين Rasmussen ذيل تاريخ العرب قبل الإسلام -
ص ٦٨ من النص العربي .

الْحَبْرَة

تدل هذه الكلمة على نوع من البرد - مصنوع في اليمن - ومعنى
ذلك أن الحبرة هي رداء واسع مخطط . ولذلك استطاع أحد الشعراء
(اليتيمة - مخ لي Lee ص ١٤) أن يقول وهو يتلقى كتاباً من أحد
الأصدقاء (البسيط):

وروضة من رياض الفكر دبجها صوب القرائح لا صوب من المطر
كأنما نشرت أيدي الربيع بها برداً من الوشي أو ثوباً من الحبر^(١)

= راجع شرح معلقة امرئ القيس للزوزني والشنقيطي والتبريزي وغيرهم (المترجم) .
(١) إن كلمة وشى تشير إلى نوع من القماش الثمين . فالإدريسي (الجغرافية - ج ٢ -
ص ١٦٨) يعلمنا أن هذا القماش كان يصنع في أصفهان . وفي نص لابن سعيد ذكره
المقري (تاريخ الأندلس مخ غوتا - ص ٤٠) نقراً: فقد اختصت المرية ومالقة
ومرسية بالوشي المذهب الذي يتعجب من حسن صنعته أهل المشرق إذا رأوا منه
شيئاً . وفي تاريخ العباسيين للنويري (مخ ٢ - ص ١٥٠) ورد ذكر وشي اليمن ووشي
قرمز . وهذه الكلمة الأخيرة تنم على إن الوشي هو نوع من (الأسقلاط - القرمزي -
الأرجواني (écarlate) والكلمة تدل كذلك على لباس ملون . وبوسعكم - للتعق في
هذا الموضوع - مراجعة الجزء الأول من كتابي:
(تاريخ بني عباد ص ٨٦ - ٨٧ - ت ٧٥٣) .

وهكذا نرى أن الشاعر هنا ينظر أمامه إلى رياض تتفاح بالأزهار
وتتماوج بالألوان - فيشبهها بالملابس المخططة الملونة المسماة بالبرود
والحبر.

ونحن نقرأ في صحيح البخاري (ج ٢ - مخ ٣٥٦ - ص ١٦٨) في باب
البرد والحبرة والشملة - الحديث التالي - حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا
همام عن أنس عن قتادة. قال: قلت له أي الثياب كان أحب إلى النبي ﷺ؟
قال: الحبرة. ونقرأ كذلك في الباب نفسه أن المرأة التي كانت عزيزة على
قلب الرسول - وهي عائشة - قالت: إن رسول الله ﷺ حين توفي سجي
ببرد حبرة.

واستناداً إلى الكتاب المعنون: عيون الأثر (مخ ٣٤٠ - ص ١٨٨)
نعلم أن الرسول ترك فيما ترك حين توفي ثوبي حبرة. ويظهر أن هذه
الثياب ما كانت تصنع إلا في اليمن (الجوهري - ج: - مخ ٨٥ -
ص ٢٧٦ - والقاموس ط كلكتا - ص ٤٩١). ويتحتم عليّ أن أعترف
بجهلي بما يميز الحبرة من البرد.

وفي العصور الحديثة أصبحت هذه الكلمة تدل على شيء آخر
مختلف كل الاختلاف. إذ لما شعرت نساء مصر أن الإزار أصبح مزرياً
بشموخهن شرعن بارتداء هذا الرداء الحريري - أو المصنوع من التفتا أو
من الشال وخلعن عليه اسم الحبرة - هذه التسمية الموجودة في كتاب
(وصف مصر - ج ١٨ - ص ١٤٤) وبوسعنا رؤية هيئة هذا اللباس في
الأطلس (ج ١ - اللوحة ٤١).

ونحن نرى في اللوحة العشرين من (رحلة ويتمان في تركيا الآسيوية
وسورية ومصر - ص ٣٧٤):

(Travels in Asiatic Turkey, Syria and Egypt).

«إن النساء يرتدين رداء أسود واسعاً يغطي على وجه التقريب كل

الجسم ويتدلى حتى العقبين». ونقرأ في كتاب تيرنر - ص ٣٩٦ - ج ٢ (Turner, Journal of a Tour in the Levant) إن الميسورات الحال - سواء كن مسلمات أو مسيحيات - يسترن - لدى خروجهن من مساكنهن - برداء واسع من الحرير الأسود». وأخيراً إليكم الوصف الدقيق للحبرة - الذي يعرضه لنا لين في كتابه (المصريون المحدثون - ج ١ - ص ٦١): «إن حبرة المرأة المتزوجة تتألف من عرضي قماش من الحرير الأسود الملمع وكل عرض من هذين العرضين عرض ذراع وطوله ثلاث أذرع - وهما مخيطان معاً فوق طرفي القماش أو قربهما (حسب ارتفاع القامة) - في حين أن الخياطة موضوعة بصورة أفقية بالنسبة للهيئة التي يرتدي بموجبها هذا اللباس. وهناك قطعة دقيقة من شريط أسود مخيطة داخل الجزء العلوي - على بعد نحو ست بوصات من الجانب - لتكون ملفوفة حول الرأس. - أما الأوانس فيرتدين حبرة من الحرير الأبيض - أو حبرة من الشال». أما في أيامنا هذه فإن الحبرة ما زالت مستعملة في الجزيرة العربية - في سورية وفي الجزيرة. ويعلمنا بركهارت في كتابه - رحلات في الجزيرة العربية - ج ١ - ص ٣٣٩ (Burckhardt: Travels in Arabia) إن نساء مكة يرتدين الحبرة الحريرية السوداء الفضفاضة - كما ترتديها نساء سورية ومصر». ويؤكد بكنكهام - في كتابه - رحلات في بلاد ما بين النهرين ج ١ - ص ٩٢ (Buckingham: Travels in Mesopotamia) إن نساء ديار بكر يرتدين أحياناً خماراً واسعاً من الحرير الأسود - كما هي العادة في القاهرة بين نساء الطبقة المرفهة».

الْحَرِيم، الْإِحْرَام

نحن نعلم أن كلمتي حريم وإحرام تشيران إلى نوع من القماش يستعمله المسلمون أثناء تأدية فريضة الحج إلى مكة المكرمة. ومع ذلك

فإن كلمة إحرام لا وجود لها في القاموس بهذا المعنى. ويرى وايلد في كتابه (وصف رحلة أسير مسيحي، ص ٦٤) إن «الإحرام Ehram هو قطعة من الشعر». وبمقدورنا رؤية هيئة الإحرام Ihrâm في الجزء الثاني من كتاب (صورة عامة للامبراطورية العثمانية لمرجى دوسون Mouradjea d'Ohsson).

وأخذاً بوجهة نظر أحد شراح الحريري (المقامات، ص ٢٥٥) تشير كلمة إحرام كذلك إلى: نوع من غطاء الرأس شبيه بالمتزر (راجع هذه الكلمة) الذي يستعمله عرب أسبانيا وأفريقيا. والواقع أن بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) يؤكد كذلك أن كلمة إحرام تدل على نوع من أغطية الرأس يشبه المتزر «Toco como almyzar» وبهذا المعنى صادفته لدى ابن بطوطة (مخ دي غايانگوس، ص ٤): «وسرنا إلى أن وصلنا إلى مدينة قسطنطينة. ونزلنا خارجها وأصابنا مطر جود اضطرنا إلى الخروج عن الأخبية ليلاً إلى دور^(١) هنالك. فلما كان من الغد تلقانا حاكم^(٢) المدينة وهو من الشرفاء الفضلاء يشهر بأبي الحسن. فنظر إلى ثيابي وقد لوثها المطر فأمر بغسلها في داره. وكان الإحرام منها خلقاً. فبعث مكانه إحراماً بعلبكياً^(٣) وصر في أحد طرفيه دينارين من

(١) إن كلمة دور تشير تماماً إلى مجموعة من خيام العرب البداءة. وهذه الكلمة موجودة بهذا المعنى لدى معظم الرحالين الذين طوفوا في شمال أفريقيا في مختلف الحقب.

(٢) راجع حول استعمال كلمة حاكم في المدن المغربية، لمبرير في كتابه (رحلة إلى مراكش، ص ٢٥٦). وراجع أيضاً كرابردي همسو في كتابه (مرآة جغرافية وإحصائية للامبراطورية المراكشية، ص ٢١١) إذ يكتب الكلمة هكذا Hhakem راجع كذلك:

Charant (Letter in answer to divers curious questions, pag. 15, 52, 53),

وارجع أيضاً إلى تورييس في كتابه (قصة الشرفاء، ص ١٩٣، ٢٥٩).

(٣) معنى ذلك: من القطن البعلبكي الأبيض. راجع التعليقات في مادة بغلطاق.

الذهب، فكان ذلك أول ما فتح^(١) به عليّ في وجهتي^(٢). وبوسعنا أيضاً مراجعة النص التالي لرحالتنا الوارد في (ص ٤٠).

الجزء

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

(١) الترجمة الحرفية: «الفتوح الأولى التي تلقيتها». وحسب رأي مؤلف كتاب (التعريفات) إن كلمة فتوح تعني: «إحراز شيء من جانب لا يتوقع إحراز شيء منه. راجع تعليق سيلفستر دي ساسي في كتابه (تعليقات ومقتبسات، ح ٧، ص ٣٣٦). والكلمة تشبه كلمة الصدقة لدينا (Aumône)، لأن ابن بطوطة يقول في مكان آخر (مخ، ص ١٤٠) وهو يتحدث عن الفقراء: «وعيشهم من الفتوح». كما يقول كذلك (ص ٧٧): يعيشون من فتوحات الناس. وإن جملة فتح به عليه الموجودة في نصنا تصادف كذلك في عبارة أخرى لابن بطوطة (مخ، ص ٢٢٧). فنحن نقرأ فيه: كان يأخذ منهم مقدار ما يعطي الفقراء. ويقول لمن أخذ ذلك منه: اقعد حتى تأخذ أول ما يفتح به عليّ في ذلك اليوم. (كان يتلقى الهدايا الصغيرة من صغار الخبازين والفاكهانيين).

(٢) إن كلمة وجهة تعني رحلة، سفرة. فنحن نقرأ في موضع آخر لدى ابن بطوطة (مخ، ص ١٠٠): «وفي هذه الوجهة توفيت». وبعد ذلك (ص ١٣٨) نقرأ: «وسافر أيضاً معه في هذه الوجهة أمامه». ودونكم هذا البيت، الوارد في إحدى مخطوطات كتاب ابن خاقان (قلائد العقيان، مخ ٣٥، ص ١٥) شاهداً على ذلك وهو لابن اللبانة (البسيط): وإن تكن وجهتي من فوق مذهبه فليس تضرب في وجهي الملمات ونجد في كتاب (مطمح الأنفس لابن خاقان) (مخ سان بطرسبورك، ص ٨٤): «نشأت له ربح صرفته عن وجهته». وفي الإحاطة لابن الخطيب (مخ دي غايانغوس، ص ٥٤): «ولما انصرف من وجهته أعادهما معه قافلاً إلى مراکش». وفي رسائل نفس الكاتب (مخ ١١، ص ٦): «استفهم عن سبب وجهته». وفي رحلة خالد بن عيسى البلوي (مخ غوتا، ١١٥٤، ورقة ٢) (الوجه) نقرأ: الرحلة الحجازية، وذكر معاهد الوجهة المشرقية.

ونحن نعلم أن حزة تدل في اللغة العربية على الباكية^(١) حيث مجرى التكة. ومعنى ذلك الحزام الذي يستعمل لربط الثبان. وقد اكتسبت كلمة حزة في مالطة وجمعها حزز مفهوماً أشد اتساعاً، إذ إنها في أيامنا هذه تشير إلى الثبان مع التكة أو الحزام. راجع فاسيلي في كتابه (مج ٢٦٢ قويميس مالطي).

الحزام



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بالمعنى المراد.

وتشير كلمة حزام في مصر إلى الزنار الذي يشده الرجال فوق القفطان، والذي تشده النساء فوق اليك أو فوق الأنطاري. يقول الكونت دي شابرول في كتابه (وصف مصر، ج ١٨، ص ١٠٨) واصفاً زي الرجال: «الحزام مصنوع من الموصلي ومن الصوف أو من الحرير، وهو يشد فوق القفطان». ويقول بعد ذلك (ص ١١٣) وهو يصف زي النساء: (الحزام يكون في الصيف من الحرير أو من الموصلي، ويكون في الشتاء من شال الصوف الكشميري. وهو حين يربع يتدلى إلى الورا على هيئة مثلث». ولم تدخل هذه الكلمة حديثاً إلى اللغة العربية. فإنني أقرأ لدى ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي غايانغوس، ص ١١٣): «أخذت بالحزام وشدت وسطي». وفي موضع آخر (١٤٦) يقول المؤلف نفسه في مقالته المهمة، وهو يفيض في اتحافنا بأعجب التفصيلات عن بلغار الفولغا: «ويأتي الباروجي وهو

(١) راجع سعد الخادم، الأزياء الشعبية، المكتبة الثقافية، ص ٢٠ و ٣٢. ويسمى مدار التكة كذلك حزمة السراويل. المخصص لابن سيدة، ح ٤ ص ٨٢، المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣١٧ هـ (المترجم).

مقطع اللحم وعليه ثياب حرير قد ربط عليها فوطة حرير وفي حزامه جملة سكاكين في أغمادها». ونجد في كتابه ألف ليلة وليلة (ط مكنائتن، ج ١، ص ٩٠٤): «البسه قميصاً وثوباً من ثيابه وعمامة لطيفة وحزاماً رفيعاً». ولما لم يكن لعرب مصر - حسب علمي - كلمة أخرى للإشارة إلى الحزام المعمول من القماش، الذي يشد على القفطان، فلا يريني أي شيء مطلقاً في أن العبارات التالية تشير إلى الحزام. فنحن نقرأ في قصة بوكوك (وصف الشرق، ج ١، ص ٣٢٧) وفوق كل الثياب (يعني الصديري واليلك والخفطان (القفطان) عدا الثوبين الفوقانيين (البنيش والفرجية والكرك) يلبسون حزاماً من الحرير أو من العنقاش (الزملوط Camelot) أو من الصوف الذي يوضع فيه سكين بغمده». أما لدى نيبور (رحلة إلى الجزيرة العربية (ج ١، ص ١٥٢) فنقرأ: «فوق الأنطاري يرتدون قفطاناً. وفوق هذا القفطان يشدون أوساطهم بحزام كبير، يطوي فيه دلدل من القفطان لاستطاعة المشي بحرية تامة، ولأجل أن يظهر الأنطاري ويبين الشكشير». الجقشير؟ Schakschir ويقول لين أيضاً في كتابه (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٤١) إن الزنار الذي يشده القوم فوق القفطان، الذي هو (شال ملون، أو قطعة طويلة من الشاش الموصل بالأيض وفيه تصاوير وتهاويل) يحمل اسم حزام. وفي موضع آخر (ج ١، ص ٥٨) يصف هذا المؤلف حزام السيدات بهذه الكلمات: «إنه شال مربع، أو طرحة مطرزة مبطنة بقطع منحرفة، وهو يوضع كيفما اتفق وسط الإنسان، أما نهايته فمطويتان إحداهما على الأخرى وتهدلان إلى الوراء».

وكلمة حزام مستعملة أيضاً في المغرب. ويترجم دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي، ص ٨٣) كلمة حزام (كذا) Cingulum ex serico «vel linteo» ويكتبها غرابر هوست (المرأة، ص ١٤١) هكذا: Hhazam. ويكتبها هوست (أخبار من مراکش، ص ١١٥): Hazam. وهي في

نظرة: «زنار واسع من الحرير يشده الناس فوق القفطان، ويصنع في فاس، ويباع فيها بعشرين ماركاً أو بمائة مارك». وبعد ذلك (ص ١١٨) يؤكد الرحالة نفسه أن النساء يشدّدن حزاماً على الحيك Hazem. ولا يساورني أقل ريب في أن العبارات التالية لمارمول تخص الحزام. فنحن نقرأ لدى هذا المؤلف في كتابه (وصف أفريقيا، ج ٢، ص ٨٧، مج ٣): «وبالقرب من هذه الحوانيت توجد حوانيت أخرى حيث تصنع الحزم الحريرية والصوفية التي تستعملها النساء. وهذه الحزم منسوجة على حبال غليظة من القنب ومزودة في نهاياتها بارمال Houpes طويلة للغاية. وهي تبرم مرتين على الجسم فتتدلى الأرمال من الجهة الأمامية أي الإقبال. وهي زينة عظيمة للنساء ويستعملها على الأخص (الأعرايات؟) Alaravias. وفي موضع آخر (ج ٢، ص ١٠٣، مج ٢): «إن نساء الأعراب، أولئك اللواتي يعيشن في فاس، وكل نساء البربر، لهن عادة لبس أمثال هذه الأحزمة التي تصنع، كما سبق إن قلنا في Alcayceria، ومع ذلك فهن لا يستعملن هذه الأحزمة قط إذا لبسن الثياب المسماة المرلوطات (Marlotas) ولكنهن يستعملنها لحزم الحيكات أو الأكسية (Les haiks ou kissâs) وفي مالطة تشير كلمة حزام (Hzym) كذلك إلى زنار. راجع فاسيلي (قويميس مالطي، مج ٢٦٧). ومن كلمة حزام تولد الصيغة السابقة انحزم، التي لا وجود لها في القاموس. فإنني أقرأ لدى ابن بطوطة (مخ دي غايانغوس، ص ١٢٠): «وكل واحد منهم منحزم».

المَحْشَأُ، المَحْشَاءُ



لا وجود لجمع هذه الكلمة (المحاشي) في القاموس، طبقاً لرأي الجوهري (ج ١، مخ ٨٥، ص ٦). ويقول اللغوي نفسه: «تشير هذه الكلمة استناداً إلى رأي أبي زيد إلى كساء غليظ». ونقرأ في القاموس

(ط كلكتا، ص ١٣): «والمحشا كمنبر ومحراب كساء غليظ أو أبيض صغير يتزر به أو إزار يشتمل به». راجع بهذا المعنى للإزار المادة التالية.

الحَشِيَّة، المِحْشَى، المِحْشَاة

تشير الكلمتان الأولى والثانية إلى ما يدعى بالفرنسية *une tournure* عظامة وكذلك إلى ما تضعه المرأة على ثديها لتظهره أضخم. فنحن نقرأ في القاموس (ط كلكتا، ص ١٨٦٣): «مصدغة تعظم بها المرأة ثديها أو عجيزتها». ونطالع في الجوهري (ج ٢، مخ ٨٥، ص ٤٢٣): «الحشية واحدة الحشايا. والمحشى العظامة تعظم بها المرأة عجيزتها» قال الشاعر:

جُمّاً غنيات عن المحاشي

ولكننا نقرأ كذلك لدى اللغوي نفسه: قال الأصمعي: «المحاشي أكسية خشنة واحدها محشاة». وعلى ذلك فيبدو أن كلمة محشاة كانت تدل على لباس غليظ. والواقع أنه يمكننا أن نستخلص من عبارة للمقري (نفح الطيب، مخ غوتا، ص ٣٧٣) إن الثوب المسمى محشاة، والجمع محاشي، كان يلبس في الأندلس من قبل عامة الشعب (المحاشي ثياب العامة).

الحَقَب، الحِقَاب

هاتان الكلمتان مفسرتان في القاموس (ط كلكتا، ص ٦٩) على هذه الشاكلة: «شيء تعلق به المرأة الحلى وتشده في وسطه». وقد رأينا آنفاً (ص ٧١، مادة البريم) إن شارح جرير يفسر كلمة البريم بكلمة الحقاب.

الحَقْو، الحِقْو، الحَقَاء

يرى برغهارت Burckhardt في كتابه (ملاحظات حول البدو، ص ٢٨ Notes on the Bedouins) إن كلمة حقو تشير لدى العنزيين Anazis إلى نفس ما تشير إليه كلمة بريم لدى أهل الشمال، راجع كلمة بريم. ويرى القاموس (ط كلكتا، ص ١٨٦٥) والتبريزي (شرح الحماسة، ص ٧٩٣) إن كلمة حِقْو أو حَقْو تشيران كذلك إلى الإزار، ومعنى ذلك الإشارة إلى نوع من الثياب تستر به العورة.

الحُلِّيَّة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويرى لين (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٦٩) إن القوم يسمون نوعاً من القماش الصوفي الأسمر الداكن حللية، وهو الذي تستعمله النساء في الأصقاع الجنوبية من مصر العليا، لا سيما ما وراء اخميم. فهن يسترن به أجسادهن ويشددن أطرافه العليا بعضها فوق بعض، على كل كتف، انظر هيئة هذا اللباس في كتاب لين، ج ١، ص ٦٨.

الحَوْر

يقول القاموس (ط كلكتا، ص ٥٠٣): الحور ما تحت الكور من العمامة. (فهل الحور طاقية أم طربوش)؟

الْخَوْف

ليس بوسعي إضافة أي شيء إلى التفاصيل التي أوردها فريتاغ Freytag حول هذه الكلمة. والجوهري (ج ٢، مخ ٨٥، ص ٦٩) يقول: الرهط وهو جلد يشق كهيئة الإزار تلبسه الحائض والصبيان.

أما بقية التفصيلات التي نقرؤها في المعجم فهي مستعارة من القاموس.

الْحِيَاصَة وَجَمْعُهَا الْخَوَائِصُ

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بوصفها تشير إلى حزام. وكاترمير في (تاريخ السلاطين الممالك ج ١، ق ١، ص ٣١) هو الذي استنبط هذا المعنى من الكلمة، وذلك بإيراده طائفة من العبارات لمؤلفين عرب ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. ومن العبث ذكر أمثلة أخرى من هذا النوع للبرهنة على الأمر نفسه، ولكن كاترمير لم يتحتم عليه أن يؤلف كتاباً خاصاً موضوعه أسماء الملابس لدى العرب. إذن لن يضيره ولن يسوءه، وأنا واثق من ذلك كل الوثوق، إذا أضفت هنا بعض التفصيلات إلى تعليقاته القيمة. وما دام المقرئ يقول أن الحياصة هي ما كان يسمى قديماً بالمنطقة، فإنني سأجعلكم تلاحظون إن هذا النوع من الحزام كان دائماً من الفضة أو من الذهب. ولن تقرأوا أبداً عن حياصة أو عن منطقة كانت من الجلد أو من قماش من الأقمشة. وإليك الآن التفصيلات التي هيأها لنا المقرئ في كتابه (وصف مصر، ج ٢، مخ ٣٧٢، ص ٣٥٢).

سوق الحَوَائِصِيين



«هذا السوق يتصل بسوق الشراشيين. وتباع فيه الحوائص. وهي التي كانت تعرف بالمنطقة في القديم. فكانت حوائص الأجناد أولاً أربعمائة درهم فضة ونحوها. ثم عمل المنصور قلاوون حوائص الأمراء الكبار ثلثمائة دينار والأمراء الطبليخانة^(١) مائتي دينار ومقدمي الحلقة من مائة وسبعين إلى مائة وخمسين ديناراً. ثم صار الأمراء والخاصكية^(٢) في الأيام الناصرية وما بعدها يتخذون الحياصة من الذهب ومنها ما هو مرصع بالجواهر. ويفرق السلطان في كل سنة على المماليك من حوائص الذهب والفضة شيئاً كثيراً. وما زال الأمر على ذلك إلى أن ولي الناصر فرج. فلما كان في أيام الملك المؤيد شيخ قل ذلك. ووجد في تركة الوزير صاحب علم الدين عبد الله بن زبنور لما قبض عليه ستة آلاف حياصة وستة آلاف كلوتة جهاركس^(٣). وما برح تجار هذا السوق من بياض^(٤) العامة. وقد قل تجار هذا السوق في زمننا وصارت أكثر حوانيته يباع فيها الطواقي التي تلبسها الصبيان وصارت الآن من ملابس الأجناد».

ويتحتم عليّ كذلك أن ألاحظ أن الحياصة كانت تستعمل أيضاً لدى النساء. فنحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنّاگتن، ج ١، ص ٧٣٦):

(١) راجع كاترمير، تاريخ السلاطين المماليك، ج ١، ق ١، ص ١٧٣.

(٢) رجع كاترمير، تاريخ السلاطين المماليك، ج ١، ق ٢، ص ١٥٨، ١٥٩.

(٣) الكلوتات الجركسية ذكرها المقرئزي، وأوردها كاترمير في كتابه (تاريخ السلاطين المماليك، ص ١٣٨، ق ١، ج ١).

(٤) هذا المعنى لكلمة بياض لا وجود له في القاموس. وستجدون مثلاً آخر في تعليقه على مادة قباء.

وفي وسطها حياصة مرصعة بأنواع الجواهر. ونقرأ في موضع آخر (ط مكنّاگتن، ج ٢، ص ١٠٦): فسحبت من حياصتها.

الحَيَكُ أو الحائِك



لا وجود لهاتين الكلمتين في القاموس. ومع ذلك فإنني أعتقد أنهما من أصل عربي وأنهما مشتقتان من الفعل حاك Tisser تيسيه.

يقول مارمول في كتابه (وصف أفريقيا، ج ٢، ص ٤، مج ٢) في معرض حديثه عن بربر ولاية حيحه Héha أشد ولايات مملكة مراکش غربية: «إن النساء يرتدين نوعاً من الإزار (Unos alquiceles)، وهذا الرداء اسمه حيك (Hayque quellaman hayques)، وهو مصنوع على هيئة ملاحف (Almalafas) غرناطة، ولكنه محروم من نعومتها». ويقول المرجع السابق نفسه بعد ذلك، وهو يصف السرر والمنامات (Camas): «بدلاً من شراشف السرر (Savanas) يفرشون أحد هذه الأزر التي يسمونها كما قلت (حيك) Hayques وفي موضع آخر (ج ٢، ص ٨٣، مج ٢) يقول واصفاً مكناس: «والنساء يتجولن ملفوفات لفاً تماماً ببعض الأزر البيض. (Con unos alquiceles) الفضفاضة بإفراط، المصنوعة من الصوف والمسماة Hayques بحيث لا يستطيع أحد رؤية وجه إحدى النساء». وأخيراً (ج ٢، ص ١٠٢، مج ٣) نجده يتحدث عن سواد الناس في فاس فيقول: «أما أولئك اللواتي لسن غنيات كفاية بحيث يستطعن شراء الثياب (Sayos) فإنهن يرتدين الأزر التي يلتفنن بها: (De aquellos alquiceles rebuelto al cuerpo).

ويقول ديكو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر، مج ٢، ص ٢٨) عن نساء مدينة الجزائر إنهن يرتدين إزاراً بيضاً لدى خروجهن من منازلهن

(Unos mantos blancos) وهذه الأزر مفرطة الفضفضة، وهي مصنوعة من الصوف الناعم أو منسوجة من الصوف والحريز، وهن يبذلن ما في أطواقهن لجعلها غاية في البياض بفضل بذل الصابون بسخاء، كما يعطرنها بالكبريت وبأشياء أخرى. وهن يسميها *Alhuyque* الحيك. وهذه الأزر هي كالملاحف التي سبق لنا أن تحدثنا عنها، أو هي شبه قطعة من الجوخ طولها نحو ثلاثين شبراً وعرضها أربعة عشر أو خمسة عشر شبراً. والنساء يلتفنن بهذه الأزر ويلقن أحد أطرافها على الصدر بمعونة بعض الأبازييم أو الدبابيس الكبيرة المعمولة من الفضة المذهبة، وهن يطرحن جماع الإزار على الأكتاف والرأس، أما الجانب الآخر، وهو الطرف التحتاني فإنهن يسترن به الذراع اليمنى. وعلى هذه الطريقة يختفين اختفاء تاماً بحيث لا يبقى لهن إلا المجال الضروري لاستطاعة مواصلة السير. وهكذا فإن هذه الأزر تشبه بعض الشبه *Une bourguinotte* وهو القناع الكامل الذي كان مستعملاً في نهاية القرن الخامس عشر وفي نهاية القرن السابع عشر، حين كان يرتديه رجال السلاح. وعلى هذه الصورة يدرجن في الدروب مختبئات في أزرن اختباء تاماً بحيث أن أزواجهن أنفسهن لا يستطيعون تشخيصهن، اللهم إلا من أسلوب مشيتهن أو عن طريق صواحبهن أو مرافقتهن».

ونجد بعد ذلك ديبگو دي هيدو (ص ٢٨، مج ٣) يقول عن الإماء: «إنهن يرتدين نفس الأزر (*Los mismos mantos*) التي ترتديها سيداتهن، ولكن أزرن ليست على درجة جمال أزر مالكات رقهن» ويتحفنا دابر كذلك في كتابه (وصف حقيقي دقيق لأقاليم أفريقيا، مج ٢، ص ٢٣٩) بتفاصيل قيمة عن الحيك *Le hayk*، خلال وصفه لأزياء سفراء ملك مراكش وفاس، الذين جاؤوا إلى امستردام عام ١٦٥٩. وإليك ما يقوله: «كان إبراهيم مانينو يلف حول جسمه ثوباً أبيض محوكاً من

الصوف المرسل، المملوء بندق القطن من الجانبين، ويبلغ طول هذا الثوب ما بين خمس أو ست أذرع، أما عرضه فذراع ونصف ذراع، وهذا هو اللباس الاعتيادي للرجل والمرأة في هذا البلد، ولكنه يرتدي أكثر ما يرتدي لدى خروج صاحبه من منزله. وأهل مراکش يحسنون تفصيله وتكفين الجسم به بهيئات مختلفة، وهم يسمونه باللغة العربية الحيك، كما يسمونه كساء Kissa. وتتدلى من الأسفل خيوط مبرومة على الأكثر أو قياطين مغزولة بالمغزل، يدعونها مرسله فيه أثناء الحياكة، وتدعى لديهم (هدو (Hudou)) ويقول دابر بعد ذلك (ص ٢٤١ - مجط ١) إن أحد خدم السفراء كان يرتدي حيكاً فضفاضاً مصنوعاً من قماش أسود غليظ». ويكتب جارت في كتابه (رسالة جواباً على مختلف الأسئلة الغريبة، ص ٤٠ و ٤٠) عن الحيك Alhaique فيفسر هذه الكلمة بأنها: «إزار من الصوف الأبيض، يبلغ طوله أربع أو خمس أذرع وعرضه يصل إلى ذراع ونصف الذراع. ويكتب رولان فريجوس عن الحيك Haicque في كتابه (رحلة إلى موريتانيا، ص ٤٤) ويفسر هذه الكلمة بأنها إزار. ويتحدث كذلك سان أولور في كتابه (الحالة الراهنة للامبراطورية المراكشية، ص ٩٠، ٩٢، ٩٤) عن هذا الإزار الذي يسميه haick. ويكتب موت كلمة حيك هكذا: Haique في كتابه (قصة غزوات مولاي رشيد، ص ٣٨١، ٣٨٤) وفي الكتاب المعنون (مهمة تاريخية في مراکش، ص ٥١٩، مج ٢) يتحدث مؤلفه عن كلمة Xayque. ويكتب وندس الكلمة هكذا: Alhague في كتابه (رحلة إلى مكناس، ص ٢٨، ٣٠، ٥٧). ويتحدث شوايضا في كتابه (رحلات إلى بلاد البربر والشرق، ج ١، ص ٣١٩) عن هذا اللباس. ويكتبه Hyke ويقول أن طول هذا الثوب في العادة ثماني عشرة قدماً وعرضه خمس أقدام. ويضيف إلى ذلك أن العربي يرتديه أثناء النهار ويستعمله كغطاء سواد ليلته. ولكن

دونكم الوصف الدقيق لهذا اللباس الذي هيأه لنا هوست في كتابه (أخبار من مراکش، ص ١١٥، ١١٦). «يلبس الرجال في مراکش وفارس حيكاً Haik فوق القفطان، وهو يحتوي على قطعة من القماش الصوفي الأبيض، يبلغ طوله عادة سبع أذرع ويصل عرضه إلى ثلاث أذرع. والجميع يلتفون بهذا الإزار ابتداء بالملك وانتهاء باهون مراكشي، وهذا الارتداء يكون على أنماط مختلفة: ومع ذلك فإن أشيع هذه الأنماط هو وضع الحيك على الرأس وطرح نهايته على الكتف اليسرى، كما بوسعنا أن نراه في اللوحة الثانية عشرة، الصورة الأولى.

أما لدى المثل بين يدي الملك فيجب نزعُه عن الرأس، ويجب وضع عقدة فيه تدعى Achâ Errua اخط الروة^(١).

وهذا اللباس عميم الفائدة على الفقراء بوجه الخصوص. فبصرف النظر عن إمكانهم الاستغناء عن الملابس الأخرى فإنهم يستعملونه بدلاً من دثار السرير أو شرشفه ليناموا فوقه، علاوة على أنهم يستعملونه استعمال الكيس، حين يكون لديهم ما يحملونه. كذلك يمكن استعماله كمنديل يتمخضون فيه وينشفون به الأنوف، وأخيراً يمكن استعماله ثوباً للصيد يستطيعون الصيد فيه لتزجية الوقت، خلال ساعات دون أن يضايقهم شيء. ولكنه يضايقهم أثناء العمل، لأنه يربك اليدين في كل لحظة ويسقط بصورة مشوشة. فترتب على ذلك أنهم يخلعونه عادة أثناء هذه الحالات ليسلم من الاتساخ». ويقول نفس الرحالة في موضع آخر (ص ١١٩): «والنساء أيضاً يرتدين لحيك، ولكن بشكل آخر مختلف عن شكل الرجال. فهن يشددنها إلى الصدر بأبازيم من الفضة يسمينها (بسيم)

(١) أعتقد وجوب كتابة عقد الرواء، لأن كلمة رواء تبدو لي إنها تشير إلى عقدة. راجع

(الكالا) حول : Lazo de çapatos.

وبختفية Chetfia وبينهما سلسلة. ومعظم النساء يرتدين هذا الحيك فوق الجسم العاري. أما الفتحات فمن الجوانب، وإذا أرادت امرأة إرضاع طفلها فإنها تخرج حلمة الثدي من هذه الفتحة، وهذا الوضع ملائم كل الملائمة للطفل الذي تحمله أمه على ظهرها، وعلاوة على ذلك فإن النساء هنا ذوات حلقات كبيرة للغاية، ما دمن يافعات».

ويخبرنا المؤلف نفسه بأن بعض النساء يرتدين: ١ - القميص ٢ - الففطان ٣ - المنسرية ٤ - الحيك مع الحزام^(١).

(١) هذه الكلمة لا تكتب هكذا (بسيم) ولكن (أبزييم) والجمع بزائم، وهي تشير بكل تأكيد إلى كلمة أكراف الفرنسية. وقد رأينا آنفاً أن ديوغودي هيدو يتحدث عن *agrafes* (Hevillas) التي بواسطتها تعلق النساء الحيك، وعلى ذلك فإن بيدرو دي الكالا يترجم في كتابه (مفردات عربية) كلمة *Hevilla* إلى كلمة أبزييم. ويترجم دونباي في كتابه (النحو المغربي ص ٨٢) كلمة *Fibulae* إلى كلمة بزائم، وتشير قواميسنا إلى أن كلمة أبزييم تدل على كلمة *Agrafe* مع حاملها.

وإنني أعتقد بوجود كتابة هذه الكلمة (ختفية) خطفية، بالطاء، وليس بالتاء. وسأجعلكم تلاحظون أن ختف لا وجود له قط في اللغة العربية، وإن خطف على العكس من ذلك معروف وشائع، وأن الاشتقاق بجانب افتراضي أو زعمي. والحقيقة أن فعل خطف يعني *Abriout*، وإن كلمة خطاف هي سنان حديدي معقوف وفي نهايته صنارة، أبزييم. وهناك كلمة عربية أخرى مشتقة من نفس هذا الأصل، وهي، مثل خطفية، لا وجود لها في القاموس. وأود أن أتحدث عن كلمة مخطاف. يرى بيدرو (مفردات أسبانية عربية) إن كلمة مخطاف تقابل: *(Anzuelo (garaveto) garavato)*.

قطعة حديدية معقوفة لها صنارة صغيرة، أو هي الصنارة ذاتها. والواقع أن ابن بطوطة (الرحلة مخدي غايانغوس، ص ٢٣٤) يخبرنا أن عبدة تجار الهند يحملون ما هو (عود غليظ له زج حديد وفي أعلاه مخطاف حديد فإذا أعياء ولم يجد دكانة يستريح عليها ركز عوده بالأرض وعلق حملة منه).

وكلمة مخطاف تعني كذلك عصا مسلحة من إحدى نهايتيها. نطعة من الحديد المدب المعقوف وتعني مرسة. راجع الكالا في كلمة: *pastor* - *Cayauo* عصا الراعي. =

وكلمة حيك أو حائك ذكرها الرحالة لمبرير في كتابه (رحلة إلى مراكش، ص ٣٩، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣٨٦) الذي كتب حيك هكذا Haik كما ذكرها علي بيك في كتابه (الرحلات، ج ١، ص ١٦، ٢٩، ٧٣، ٨٠) الذي كتب الكلمة هكذا (hhaik) وهناك عدة رحالين زاروا المغرب في أيامنا هذه أمثال ريلي (بوار تجارة السفن الشراعية الأمريكية، ص ٤٠٧، ٤٩٢) وجاكسون (تقرير عن مراكش، ص ١٣٨) وكرابر دي همسو (مرآة جغرافية وإحصائية للإمبراطورية المراكشية، ص ٨١) والعقيد سكوت (يوميات إقامة في مخيم عبد القادر الجزائري، ص ٥) والليدي كروفر (رحلة بحرية في البحر الأبيض المتوسط خلال عام ١٨٤٠) فتحدثوا عن هذا اللباس وكتبوه على هذه الصورة: (Haick, hayk, hhaik haik).

الخِرْقَة

تشير هذه الكلمة إلى الثوب - أو إلى الرداء الغليظ - الذي يلبسه الفقراء - ولا سيما المتصوفة منهم في الشرق. ويقول المقري (تاريخ الأندلس - مخ غوتا - ص ٢٠١) عن أحد المتصوفة إنه كان: «بركة لابسي الخرقه». وفي مخطوطة تملكها مكتبة ليدن وتحتوي على عدة كنائش خاصة بالمتصوفة (مخ فارسية - ١٠٣٨ - ص ٢٢) نجد: در غريبان خرقه نوشته بود يا عزيز يا ستار يا لطيف يا حليم درمهان خرقه نوشته بود يا صبور يا شكور يا كريم يا عليم در دامن خرقه يا واحد يا أحد يا صمد يا فرد^(١).

= راجع كذلك دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي ص ١٠٠).

(١) إن كلمة خرقه وجمعها خرق تعني كذلك: قطعة قماش. فإني أقرأ لدى النويري (تاريخ مصر - مخ - ص ٢٠٤): «أعطاه - خرق كتان فرنجي مائي ذراع». وفي =

لن أترجم النص لأنه في غاية الصعوبة إيجاد كلمات فرنسية مقابلة تماماً لمختلف الصفات الإلهية التي وردت في هذا الكلام. ولكنني سأقتصر على ملاحظة إنني يخيل إلى وجوب ترجمة كلمة مهان بكلمتي (الثياب الداخلية). وستجدون لدى كلمة دلق معلومات وتعليمات أوسع عن ثوب المتأملين الشرقيين.

ويبدو أن كلمة خرقة تدل أيضاً على: «نوع من رداء يستعمله البدو. لأنني أقرأ لدى ابن جبير (الرحلة - مخز ٣٢٠ - ص ٧٢ - ٧٣): فمن العجب في أمر هؤلاء المائرين إنهم لا يبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولا بدرهم. إنما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل. فأهل مكة يعدون لهم من ذلك مع الأقنعة والملاحف المتان وما أشبه ذلك مما يلبسه الأعراب ويباعونهم به ويشارونهم».

= كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنائتن - ج ١ - ص ٢٠٩): «عمد إلى الخرقة وعمل منها كيساً». وفي الإحاطة بأخبار غرناطة لابن الخطيب (مخ دي غايانغوس - ص ٥١): «إنه لم يجتمع عند أحد من نظرائه ما اجتمع عنده من عين وورق ودفاتر وخرق وآنية ومتاع وأثاث وكراع». وتعني كلمة خرقة نفس المعنى في مالطة كما تعني علاوة على ذلك سروالاً للصغار. راجع فاسيلي في كتابه (قويميس مالطي - مج ٢٧٩). ويسمى بائع الخرق بالخرقي. راجع المقرئزي (وصف مصر - ج ٢ - ص ٣٧٢ - ٣٥٤).

ويبدو أن ريسكه قد علق على هامش كتابه غوليوس بأن هذه الكلمة تدل على: محفظة نقود. والحقيقة إنني وجدت الكلمة مستعملة بهذا المعنى من قبل ابن بطوطة (مخ دي غايانغوس - ص ١٩١): «ومن عوائدهم في يوم العيد إن كل من بيده قرية منعم بها عليه يأتي بدنانير ذهب مصرورة في خرقة مكتوب عليها اسمه فيلقها في طشت ذهب هناك».

وقد ذكر بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) صيغة أخرى من نفس الأصل تشير كذلك إلى محفظة نقود ألا وهي كلمة مخرقة.

الخُفّ

كانت الخفاف مستعملة في عهد النبي محمد ﷺ إذ يخبرنا النووي (تهذيب الأسماء، ص ٣٣) إن الرسول كان هو نفسه يلبس الخفاف. ونقرأ في صحيح البخاري (ج ٢، مخ ٣٥٦، ص ١٦٧) إن محمداً حرم على المسلمين لبس الخفاف أثناء الحج، إلا لمن لم يجد نعلين، فقد سمح له يلبس خفين مع وجوب قطعهما أسفل من الكعبين (ولا الخفاف إلا أحد لا يجد النعلين فليلبس خفين وليقطعهما أسفل من الكعبين).

وكانت الخفاف تلبس قديماً في مصر، من قبل الرجال والنساء على حد سواء. فنحن نقرأ لدى السيوطي (حسن المحاضرة، مخ ١١٣، ص ٣٣٧) إن الخليفة الحاكم بأمر الله منع الخفافين من عمل الأخفاف لهن (النساء). والواقعة نفسها يحدثنا عنها النويري (تاريخ مصر، مخ ٢، ص ١٠٤): منع الأساكفة من عمل الخفاف لهن وشدد في ذلك. ونرى في نص آخر لهذا المؤلف الأخير (تاريخ مصر، مخ ٢، ص ١٦) إن الخفاف كانت تلبس من قبل الرجال في النصف الأول من القرن السابع الهجري، ويخبرنا نص لابن إياس (تاريخ مصر، مخ ٣٦٧، ص ١٧) إن الرجال أيضاً كانوا يستعملون الخفاف في القرن الثامن الهجري. واستناداً إلى قول المقرئ (وصف مصر، ج ٢، مخ ٣٧٢، ص ٣٥٠) فإن الأمراء والجنود والسلطان نفسه كانوا يلبسون أثناء حكم السلالة التركية (الجركية) خفافاً من الجلد البلغاري الأسود^(١). وكانت الخفاف تلبس أيضاً من قبل الرجال

(١) إن الجلد البلغاري كان ذائع الصيت. وبوسعكم مراجعة العلامة فريهن في كتابه (أقدم تاريخ عربي عن بلغار الفولغا، ص ٨) حول هذا الموضوع. وما تزال الخفاف حتى أيامنا هذه مستعملة في عدة أقطار من آسيا خصوصاً في بلاد الفرس، حيث حرفوا الكلمة فأصبحت Bhuikhal كما يخبرنا فريزر في كتابه (رحلة إلى خراسان، =

بعد فتح الأتراك لمصر، ويؤيد ما ذهبنا إليه النص التالي من كتاب ألف ليلة وليلة. فنحن نقرأ في هذا السفر (ط هابخت، ج ٣، ص ٢٤٨) إن الأميرة بدورا، أخذت ملابس زوجها «فلبست الخف والمهماز». وحتى في أيام الحملة الفرنسية على مصر كانت الخفاف تلبس من قبل الرجال والنساء على قدم المساواة، لأننا نقرأ في كتاب وصف مصر (ج ١٨، ص ١٠٩): «كان الناس يلبسون الخفاف إذا أرادوا ركوب الخيل أو إذا شاؤوا الطواف بالمدينة لشراء ما يحتاجونه أو لشؤون أخرى، وهذه الخفاف هي نوع من النعال، وتصنع من الجلد المراكشي الأحمر أو الأصفر، ويستعملها الرجال كما تستعملها النساء». ولم تعد الخفاف تلبس في مصر في أيامنا هذه من قبل الرجال، أما النساء فما زلن يلبسها كما نرى شاهد ذلك في كتاب (المصريون المحدثون) تأليف لين. وسنذكر بعض التفاصيل عن هذه الخفاف النسائية. يروى المقرئ (وصف مصر، ج ٢، مخ ٣٧٢، ص ٣٥٩) عن وجود سوق في مصر للإخفاف (سوق الإخفافين يباع فيه الإخفاف للنسوان ونعالهن). وفي عهد كتاب ألف ليلة وليلة، أي بعد غزو الأتراك لمصر، يبدو أن خفاف سيدات القصور وخفاف الجواري والإماء العائدات لسادة أغنياء مترفين كانت في غاية الروعة والبهاء. ونحن نقرأ في الكتاب الذي فرغت الآن من ذكر اسمه (ط منتكازا، ج ٢، ص ٥٦): وقفت عليه امرأة - بخف مزركش بحاشية قصب وشريط لاعب^(١). ونجد في موضع آخر

= (ص ٦٩). فهذا الرحالة الألمعي قد أصاب كل الإصابة في أن أصل الكلمة الأصلية هي بلغار Bulghar.

(١) راجع بشأن هذا النص الملاحظات الصائبة للعلامة فليشر في كتابه المعنون: (ص ٢٦ - De glossis Habichtianis) أما عن فعل زركش المستعمل بمعنى زين، فراجع إحدى التعليقات الواردة في كتابه هذا.

(ط مكنأگتن، ج ١، ص ٤٢٥) إن رجلاً اشترى لجاريته الراحلة في سفرة (خفاً مزركشاً بالذهب الأحمر مرصعاً بالدُر والجوهر). (وينبغي أن نلاحظ إن كلمة خف تعني فردتين في هذه النصوص ويبدو أن الصرف على هذا الجزء من الهندام قد أخذ بالتناقص فيما بعد. فنحن نقرأ في قصة غليوم ليتغوف (رحلات برية في القرن التاسع عشر، مج ١، ص ١٧١): «إن النساء في القاهرة يلبسن الأنعلة الجلدية كما يلبسها الرجال». ونطالع في قصة منتكازا (رحلة إلى أورشليم والشرق، ص ٩٠): «إن النساء يلبسن أنعلة من مختلف الألوان تصل إلى منتصف سيقانهن أو إلى أعلى من ذلك». ويقرر لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٦٣) إن: «الخفاف هي أنعلة أو أحذية مصنوعة من الجلد المراكشي الأصفر». ولم تعد سيدات مصر في أيامنا هذه تلبس الخفاف إلا إذا أردن الخروج من بيوتهن. ولكن هل كن يلبسنها في العهود الغابرة في منازلهن؟ هذا ما يحملني على الاعتقاد به نص من نصوص ألف ليلة وليلة (ط مكنأگتن، ج ٣، ص ١٤١).

ويخيل إلى أن دانديني (رحلة من جبل لبنان - ص ٤٨) في معرض حديثه عن طرابلس الشرق ينظر إلى الخفاف، حين يقول: «إن النساء هنا إذا أردن أن يمشين مشية مريحة في الدروب أثناء المطر والوحل فإنهن يلبسن بواتين من الجلد المراكشي تصل إلى ركبهن، وهن يشمرن عن ثيابهن من كل جانب، فيدرجن في كل مكان على رسلهن، دون أن تبتل ملابسهن أو تتلطخ بالأوحال والأوضار». ويذكر دارفيو كذلك في كتابه (مذكرات، ج ٥) «البواتين المراكشية الجلد الصفراء التي تلبسها نساء حلب. ولدى بدو سورية تلبس الخفاف من قبل الرجال كما تلبسها النساء». ويخبر دارفيو في كتابه (من فلسطين صوب الأمير الأعظم، ص ٢٠٨) إن: «الأمراء والشيخو يركبون الخيول وهم متعلون بواتين

صغيرة من الجلد المراكشي الأصفر بدون جواريب، وهذه الأنعلة خفيف ومخصوفة من الباطن، وهم كذلك يستطيعون المشي بها على الأقدام بل حتى العدو دون أن يستطيع الماء اختراقها. وبعد ذلك (ص ٢١١): «إن النساء يدرجن حافيات الأقدام على الأبسطة والسجاجيد - حين يكن في منازلهن - وهن يلبسن خفافاً متغضنة لدى بروزهن من مساكنهن». انظر المرجع السابق - (ص ٣). ونقرأ في كتاب (رحلة من اليمن السعيدة - ص (٨٣) ١٧١٦ امستردام): «إن نساء مخا يلبسن خفافاً صغيرة معمولة من الجلد المراكشي». ويذكر علي بيگ (الأسفار - ص ١٠٦ - ج ٢) الخفاف النصفية Demi-bottes (Half boots) الجلدية الصفراء التي تلبسها نساء مكة.

ويقص علينا أوليفيه في كتابه (رحلة إلى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس - ج ٤ - ٣٨٢): «إن نساء بغداد يمشين حافيات الأقدام في بيوتهن، وهن يلبسن الأنعلة لدى خروجهن من منازلهن». ويقول فريزر في كتابه (رحلات إلى كردستان وبلاد ما بين النهرين، ج ١ - ص ٢٧٨) إن: «نساء بغداد يلبسن جزمات صفراء» Des bottines Jaunes. ويقول ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي گايانگوس - ص ٨٣) في معرض حديثه عن نساء شیراز. «وهن يلبسن الخفاف»^(١).

(١) إذا وجدنا لدي أولياريوس (جولة في موسكو وبلاد التاتار وفارس، ص ٨١٧) النص التالي عن الأحذية الفارسية: «إن الأحذية التي تسمى Kefs مديبة الأنف للغاية ومنخفضة القاعدة والأعقاب كثيراً، بحيث يمكن لبسها ونزعها بسهولة، كما نفعل بمداساتنا Nos pantoufles إذا وجدنا هذا النص فينبغي الحذر من حسابان كلمة Kefs هي كلمة خف العربية مع S، علامة الجمع لدى الفرنسيين. على أن نذكر أن هيئة الخفاف بفارس تختلف عن هيئة الخفاف المستعملة عند العرب. وإن كلمة Kefs التي ذكرها أولياريوس هي الكلمة الفارسية كشف، التي كتبها كامفر في كتابه (تحف نادرة، ص ١٢٨) كذلك هكذا كفس، مع س بدلاً من ش.

وسأفرغ من هذه المقالة مختتماً بحثي هنا كذلك بإيراد كلمات نفس الرحالة، الذي عبر عن مكنوناته، وهو يجتاز حدود الامبراطورية البيزنطية، للوصول إلى استراخان، بهذه العبارة: «وذلك في اشتداد البرد. وكنت ألبس ثلاث فروات - وفي رجلي خف من صوف وفوقه خف مبطن بثوب كتان وفوقه خف من البرخالي وهو جلد الفرس مبطن بجلد ذئب». ص ١٥٣. ولا شك إن البرخالي هو الجلد البلغاري.

التَّخْفِيفَة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

إن فعل خف، في الصيغة الثانية، يعني بصورة عامة خلع الملايس الثقيلة ولبس الملايس الخفيفة، وبصورة خاصة ملايس الليل. فنحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط هاببيخت، ج ٢، ص ٦٣): «وهو شاب مليح مخفف اللباس بقبع كشف وقميص بلا سراويل». ونطالع في موضع آخر (ج ٢، ص ١١٦): «خففي من لباسك كما كنت في ليلة دخل عليك». وفي طبعه مكنانگتن (ج ١، ص ١٩٢) ورد في هذا المكان: «وأمر ابنته أن تخفف نفسها كما كانت ليلة الجلاء في الخلوة»^(١). وبعد ذلك نقرأ في ألف ليلة

(١) تعني كلمة خلوة غرفة صغيرة، مقصورة، صومعة، جوسقاً في بستان. وفي القصة الانكليزية التي عنوانها (الفصل الثامن عشر) مغامرات حاجي بابا، هذه الكلمة ترجمتها Private room ونقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخدي گايانگوس، ص ٧٤): «وبها مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ثلاثمائة خلوة ينزلها الغرباء القادمون لتعلم القرآن». والحديث عن واسط. وبعد ذلك (مخ، ص ١٠٢) وهو يتحدث عن ناسك. يقول: «وله خلوة متصلة بالمسجد فرشها الرمل لا حصير بها ولا بساط». وفي موضع آخر (ص ٩٢) وهو يتكلم عن حمامات بغداد: «وفي كل حمام منها خلوات كثيرة». وفي المطمح لابن خاقان (مخسان بطرسبورك، ص ٦٧): «وحضر عند حكم =

وليلة (ط مكنانگتن، ج ١، ص ٢٢٥): «خففوا ما عليها من الملبوس». ونفس الفعل يعني في الصيغة الخامسة نزع ثيابه الثقيلة. فنحن نقرأ في المطمح لابن خاقان (مخ سان بطرسبورك، ص ٦٧): «فأمره بخلع ثيابه والتخفف من جسمه». واشتقت كلمة تخفيفه من فعل خف الذي، كما نرى بسهولة، يذكرنا بالصيغة الثانية للفعل. وقد سبق للعلامة كاترمير (ملاحظات ومقتبسات، ج ٨، ص ٢٩٥) أن لفت أنظار المستشرقين إلى هذه الكلمة، بإيراده عدة أمثلة مقتبسة من مؤلفات مؤرخين عرب من مصر. وقد ظن هذا العالم الجليل وجوب إثبات إن كلمة تخفيفه تشير إلى ضرب طاقية Bonnet. وهذا الأمر لا يبدو لي وكأنه في غاية الصحة، بل إنني أفترض أن كلمة تخفيفه تشير إلى عمامة خفيفة، على نقيض العمامة الضخمة الكبيرة الحجم، التي كان يتعمم بها الفقهاء والتي كانت تسمى عادة عمامة. والواقع إنني أكاد أعثر دائماً على كلمة تخفيفه مستعملة ضد كلمة عمامة. وقد سلف لنا إن رأينا (ص ٨٥) إن قاضياً أرغم على حضور قصف لدى الأمير، قد تجرد من ملابسه التي كانت تليق بمنزلته، فتعمم بتخفيفه، بدلاً من عمامته الضخمة، بوصفه فقيهاً (وتعمم بتخفيفه). ونقرأ في تاريخ مصر لابن إياس (مخ ٣٦٧، ص ٣٧): «قلع تخفيفته ولبس عمامة وجوخة من فوق ثيابه». وفي تاريخ مصر للنويري (مخ ٢، ص ٥٨): «وقلع شاش التشریف والكلوته وضرب

= المستنصر بالله يوماً في خلوة له في بستان الزهراء على بركة ماء».

ولكن كلمة خلوة تشير بصورة خاصة إلى مقصورة العرس. راجع مثلاً آخر لهذه الكلمة للمقريزي (لدى دي ساسي، طرائف عربية، ح ١، ص ٣٦٥). والكلمة نفسها تشير كذلك إلى عملية الوصال. فنحن نقرأ لدى ابن بطوطة (مخ. ص ٢٢٧) بأن نساء القبائل الهندية «مشهورات بطيب الخلوة ووفور الحظ من اللذة». وبعد ذلك (ص ٢٣٠): «ولهن من طيب الخلوة والمعرفة بحركات الجماع ما ليس لغيرهن».

بها الأرض ولبس تخفيفة». ونجد في ألف ليلة وليلة (ط مكنانغن، ج ٣، ص ١٦٢) العبارة التالية: «قالت له اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه الخفيفة». وإنني لا أتردد في إحلال التخفيفة محل الخفيفة، فأترجم النص على أنه: «قالت له اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه التخفيفة».

الخَفَّتَانِ أَوِ الْقَفَّطَانِ (القَفْطَانِ)

إنني أجهل زمان تبني العرب لهذه الكلمة التي هي من أرومة أجنبية، وأجهل كذلك عصر انتشار هذا اللباس الذي تشير إليه هذه الكلمة لدى أبناء هذا الشعب وبناته. فإن محمداً (ﷺ) لم يستعمل القفطان. ويبدو أن الكلمة نفسها كانت مجهولة في عهد الرسول. ومع ذلك فنحن واجدون هذه الكلمة لدى المؤلفين القدامى نسبياً، أمثال المسعودي، (لدى كوزكارتن، طرائف عربية، ص ١٠٨). وكان خفتان الخليفة المقتدر مصنوعاً من الحرير، ومكفتاً بالفضة، ومن معمولات تستر، وكان خفتان ابنه محوكاً من الحرير (أو من الديباج) الرومي، ومزركشاً برسوم ونقوش وصور (المرجع السابق).

وكان للطراز المستحدث تأثير على هذا اللباس، كما سنرى. ولنستهل بحثنا بأفريقيا الشمالية. لقد أعرب ديوغو دي هيدو عن الموضوع في كتابه (خطط مدينة الجزائر، مج ١، ٢، ص ٢٠) في معرض حديثه عن أتراك مدينة الجزائر على هذه الصورة: «ويرتدون عادة فوق هذا اليلك Jalaco، رداء una ropa يسمونه القفطان، وهو مشابه لقمباز الكاهن soutane لأنه مفتوح من الجهة الأمامية، ومززر من ناحية الصدر^(١)».

(١) نقرأ دائماً، نتيجة خطأ مطبعي متصل، في كتاب ديوغو دي هيدو كلمة Tafetan وقد =

وهذا الرداء له كمان قصيران، يصلان إلى المرفقين، وقد يتدلى حتى يبلغ منتصف الساقين، بل قد يهبط أكثر من ذلك. وعلى كل حال فهو يتجاوز الركبة. وهو على ألوان شتى: فالأغنياء يتخذونه من الأطلس، والسيدات يفصلنه من القطيفة والمخمل، ومن أنواع أخرى من الحرير. وهذا الرداء، شأنه شأن اليلك Jalaco (الصديري) لا ياقة له، بحيث أن التركي مكشوف الرقبة على الدوام. ويتحدث دارفيو D.Arviex كذلك في كتابه (مذكرات، ج ٥، ص ٢٨٣) عن قفطان الأتراك في مدينة الجزائر الذي يلبسونه فوق الصديري، فيقول: «يلبسون فوقه ستر من الجوخ تدعى قفطاناً. وهذا القفطان يشبه لدينا Un juste- au- corps^(١) فله طوله كما له تفصيله. وهو مفتوح من القبل Par le devant ليدع الصديرية تظهر، وهي دائماً من لون مختلف. وهم لا يوصلونها إلا نحو وسط الجسم، حيث يشدونها بمنديل بالغ السعة بحيث أنه يبلغ حلق الإنسان. ونحن نقرأ في كتاب هوست (أخبار من مراكش وفاس، ص ١١٥): «ويرتدون فوق القميص قفطاناً أو سترة مزودة أحياناً بكمين قصيرين أو طويلين، على هوى مزاج اللابس، وهي (تشبه الفرجيات Ferefges التركية)، ولكن هذا

= تناول التشويه هذه الكلمة أكثر فأكثر من قبل الطباعين في هذا الكتاب الممتع: (يوميات رحلات دي مونكوني، ١٦٤٧ - ١٦٤٨) حيث نجد في (ج ١، ص ٢٧٩، ٢٨٢) كلمة Caeran دائماً. ففي هذا الموضوع يتحدث دي مونكوني عن موكب Casenall. ولا بد أن هذه الكلمة ليست سوى الخزانة Le Hazna التي ذكرها تيفنو في كتابه (قصة رحلة إلى المشرق، ص ٢٧٧). أو هي خزانة المولى الأعظم المرسله إلى القسطنطينية من قبل باشا مصر. وعلى هذا طال الحديث في نص تيفنو الأخير عن القفاطين. ولا مشاحة في أن دي مونكوني قد أخطأ في إيراد كلمة Caeran بدل كلمة Caetan في يومياته.

(١) وردت الكلمة في قاموس لاروس هكذا موصولة: Justaucorps بمعنى لباس يتدلى حتى الركبتين ويشد الجسم شداً. (المترجم).

الثوب لا كمين له في معظم الحالات. وعادة تكون هذه الأثواب مصنوعة من الجوخ الأحمر أو الأزرق أو الأخضر. وبعض هذه القفاطين مؤلفة من مختلف الألوان التي تكون أما مربعة وأما مخططة. وبعض الأشخاص لهم قفاطين مطرزة بالذهب، ولو أن هذا التصرف يعد انتهاكاً لأمر الدين. والقفطان لا يتعدى الركبة إلا قليلاً، وهو ليس طويلاً مثل الدوليمان التركي Doliman. وأضرار هذا الثوب الصغيرة متقاربة من بعضها. وبوسعنا رؤية هيئة هذا الثوب في اللوحة الخامسة عشرة، الصورة الأولى والثالثة». ولا بد أن ديوغودي توريس قد تحدث عنه في كتابه (قصة الشرفاء، ص ٨٥) حين قال أن رجال مراکش يرتدون: «سترات من الجوخ الملون تصل إلى الركب». وأعتقد أن العبارات التالية لمارمول تعني أيضاً القفاطين. فهو إذ يتحدث عن ثياب مراکش يقول، في كتابه (وصف أفريقيا، مج ٣، ح ٢، ص ٣٣): «يرتدي عوام الناس الآخرون ثياباً أقل كلفة، ولكن على نفس النمط. فالكثيرون منهم يلبسون سترات من الجوخ الملون (Unas jaquetas) وهي مزررة، ومطوية أربع طيات (De quatro faldas) ولها أكمام قصيرة». ويقول في موضع آخر (ح ٢، ص ١٠٢، مج ٢) متحدثاً عن سكان فاس: «يرتدي العمال والرجال الآخرون من سواد الناس، ولا سيما الجنود المشاة ورماة البنادق ورماة السهام الخيالة، سترات مثنية أربع ثنيات (De quatro haldas) قد تصل إلى ركبهم».

وفي المرجع نفسه كذلك: «يرتدي التجار والصناع البسة من الجوخ، سوداء خالصة السواد أحياناً أو زرقاء، أو من لون آخر، وهم يلبسون صايات (Los sayos) بالغة الطول، تنزل إلى منتصف سيقانهم، مطرزة من الباطن (Cosidos a girones) وأكمامها نصف أكمام قصيرة لا تصل أبداً إلى أعلى المرافق إلا قليلاً. ويتحدث دابر أيضاً في كتابه (رحلة

إلى أقاليم أفريقيا الشمالية، مج ١، ص ٢٤٠) عن قفطان من الجوخ كان يرتديه أحد السفراء الذين جاؤوا إلى امستردام عام ١٦٥٩. راجع كذلك، حول ارتداء القفطان في مراكش (سانت أولون، الحالة الراهنة للامبراطورية المراكشية، ص ٩٠). وانظر كرابر دي همسو في كتابه (المرأة، ص ٨٠، ٨١ إلخ). والقفطان في طرابلس الغرب رداء طويل مطرز من القبل ومن الكمين. راجع النقيب ليون، في كتابه (أسفار في الشمال الأفريقي، ص ٦). وترتدي النساء القفاطين في مراكش وفي فاس. فنحن نقرأ في كتاب هوست (أخبار من مراكش، ص ١١٩، إلخ): «ترتدي بعض النساء نوعاً من قفطان فوق القميص، شبيه كل الشبه بقفطان الرجال». ويخبرنا لمبيرير في كتابه جولة في مراكش (ص ٣٨٦)، وقد أتاحت له بوصفه جراحاً فرصة مخالطة حريم مراكش، أن قفطان النساء ثوب واسع لا كمين له، وهو يتدلى حتى يبلغ القدمين أو يكاد، ويصنع طوراً من الحرير والقطن، وتارة من الديباج.

أما القفطان المصري فيختلف كثيراً عن قفطان أفريقيا الشمالية. فانظروا كيف يصفه لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٣٩ - ٤١): «سترة طويلة من القماش الحريري والقطني العامر بالخطوط، وهذه قلما تكون خالصة بنفسها بل إنها على العموم مزينة بالرسوم أو بالأزهار. وهذه السترة تتدلى حتى تبلغ كعب القدم، ولها كمان طويلان، يتعديان نهاية الأصابع ببعض العقود، ولكنهما مشقوقان فوق المعصم قليلاً، أو نحو منتصف الذراع بحيث أن اليد تبقى مكشوفة على العموم، ومع ذلك، ففي حالات الضرورة، يمكن تغطية اليد بالكم: ذلك لأن التأدب يقتضي ستر اليدين أمام شخص من الطبقة العليا».

وها أنني أقرأ في قصة هيليفريتش (تقرير حقيقي موجز عن رحلات، ص ٣٩٣) إن رجال القاهرة يرتدون تحت اللباس الذي افترضه الجبة «سترة

(Ein wammes) من القماش الحريري، المتعدد الألوان المختلط بعضها ببعض. أما كما هذا الرداء فطويلان للغاية، بغية استطاعة شبكهما على قدر الجسم» ويبدو أن القفطان كان في أيام نيبور (رحلة إلى البلاد العربية، ج ١، ص ١٥٢) يتجاوز الأقدام. وقد وصف الكونت دي شابرول القفطان في كتابه (وصف مصر، ج ١٨، ص ١٣٨) على هذا المنوال: «إنه ثوب مفتوح من الجهة الأمامية، وله كمان واسعان بإفراط، وهو يلبس فوق المشد Le corset».

أما ثوب نساء مصر الذي يشبه كثيراً قفاطين الرجال فليس اسمه قفطاناً بل يدعى يلك Yelek. وأما قفطان مصوع فيشبه كل الشبه قفطان أفريقيا الشمالية، ولا يشبه القفطان المرتدى في مصر إلا قليلاً. فحن نقراً في كتاب رويل (رحلة إلى الحبشة، ج ١، ص ١١٩): «والفرد هنا يرتدي فوق هذا القميص قفطاناً (Leibroek) من القطن المديج بالحرير، وهو يتدلى حتى يبلغ ربلة (بطة) الساق، ولا كم له، ويشد حول الجسم بشريط رفيع من الكتان» وتقع على القفطان في الساحل السوري، وهو في نظر دارثيو (مذكرات، ج ١، ص ٣٥٣) كساء من الحرير الأبيض الموشى». ويرتدي بدو سورية كذلك القفاطين، أو هم على الأقل كانوا يلبسونها أيام زار المستشرق الذي فرغت من ذكره ديار الشرق. ويقول في كتابه: (رحلة من فلسطين صوب الأمير الأعظم ص ٢٠٦) إن أمراء وشيوخ البدو يتخذون لباسهم الشتائي القفطان المصنوع من الأطلس أو من الحرير المتموج الموar Le moire، على هيئة قمباز الكاهن الذي يبلغ منتصف الساق، وله كمان واسعان». وبعد ذلك (ص ٢١٠) يخبرنا أن النساء البدويات لهن أيضاً قفاطين مصنوعة كالقمصلات يتزملن بها في الشتاء ويصل طولها إلى الأرض. وهن يمرن عن أقسامها الأمامية ويدسسنها في أطراف الحزام، لتحقيق غرضين هما المشي بحرية داخل المنزل

وإبراز التطريزات، وهي على هيئة الأزاهير الظاهرة على القمص والسرراويل». ويقول أخيراً في موضع آخر (ص ٢١١): «يلبس العرب بصورة عامة قفطاناً من النسيج القطني الغليظ». وإذا آمنا بما يقوله علي بيك في كتابه (أسفار، ج ٢، ص ١٠٦) فإن نساء مكة يرتدين «قفطاناً من القطن الهندي».

ويعلمنا كيرپورتر في كتابه (رحلات إلى جورجيا وبلاد فارس وأرمينيا وبابل القديمة، ج ٢ ص ٢٢٦) إن شعب Kanaki (خانقين؟) على ديالى، في الشمال الشرقي، من بغداد يرتدي: «قفاطين واسعة ذات أكمام عريضة».

وبالرغم من أن المؤلفين القدامى قد رسموا هذه الكلمة هكذا (خفتان)، فإن لفظة (قفطان) يبدو إنها هي الشائعة الاستعمال منذ عدة قرون: ولعل رسم هذه الكلمة قد تحور بعد فتح الأتراك لمصر. وإن كلمة قفطان وجمعها قفاطين ترد دائماً في كتاب (تاريخ اليمن، مخ ٤٧٧، ص ١٧٧، ٢٩٨، ٣١٩)، كما نصادفها كذلك في كتاب ألف ليلة وليلة. وقد رأينا آنفاً أن هوست والكونت دي شابرول يكتبان هذه الكلمة على نفس الرسم، ويكتبها دونباي في كتابه (النحو المغربي، ص ٨٢) هكذا (قفطان) وأخيراً فإن لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٤٠) يؤكد أن الكلمة تلفظ (قَفْطان) ولكن الأشيع من ذلك لفظها (قَفْطان).

الخَفِيَّة



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بوصفها اسم لباس. والرحالة كيرپورتر في كتابه (أسفار، إلخ، ج ٢، ص ٢٩٢) في

معرض حديثه عن الزبيديين في العراق العربي، قرب بغداد، يعرب عن أفكاره بهذه الكلمات: «يراهم الراؤون بصورة دائمية ولا غطاء لهم إلا الخفية Kaffia أو الرداء المصنوع من قماش مخطط بخطوط عريضة للغاية. وهذا الرداء هو اللباس الاعتيادي (Domestic attire) الذي يبدو فيه هؤلاء الأعراب قرب منازلهم».

ولما كان فعل خفي، في الصيغة الثانية وفي الصيغة الرابعة، يعني Abscondit, occultavit, celavit ويعني في الصيغة الأولى Abscondit se وإن كلمة خفاء تعني Operimentum, tegimentum فإنني أعتقد أن خفية ربما تعني كساء واسعاً يغطي الجسم كله^(١).

الْخُلِّي

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وإذا آمنا بما يقوله النقيب ليون في كتابه (أسفار في الشمال الأفريقي) فإن كلمة Kholi تشير لدى أعراب طرابلس الغرب إلى نوع من البركان، الذي يقف موقفاً وسطاً بين العباءة التي هي غاية في الغلاظة، وبين الجريد، وهو غاية في النعومة.

(١) سأحملكم على ملاحظة أن الصيغة الخامسة لفعل خفي لا وجود لها في القاموس، وإنها تعني التكرار. فنحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنائتن، ج ٢، ص ٢٩٣): «تخفيت أنا وغلامي». ويستعمل ابن الخطيب في كتابه (الإحاطة، مخ دي غايانغوس - ص ٣٧) صيغة مماثلة للتعبير عن نفس الفكرة لأنه يستعمل فعل خاف (يخيف). وإليك كلماته: «فصار متخيفاً إلى مألقة ليركب منها البحر إلى جهة ابن مردنيش». ولكن ربما ينبغي إحلال متخيفاً مكان متخيفاً.

الخُمَر

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويعلمنا الرحالة بكنكهام في كتابه (أسفار في بلاد ما بين النهرين، ج ١، ص ٧) إنه حمل سفتجته ونقوده وأوراقه «مخفية في حزام سري» Inner girdle يسميه سكا البلاد خمراً، ويستعمل هذا الحزم بصورة عامة لهذا الغرض، ما دام لا يمكن إضاعته، ولا يمكن انتزاعه من المسافر اللهم إلا إذا جرد تجريداً تاماً من ملابسه» .

وستذكرون إن فعل خمر يعني : (Operuit, textit etc) .

الخِمار

يبدو أن هذه الكلمة كانت معروفة وافية لدى الجوهري والفيروزآبادي، وإنها لم تكن بحاجة إلى الشرح والتفسير . ولكن يجب أن أعترف لنحس طالعي إنني لم أقع على هذه الكلمة لدى مؤلف بمقدوره أن يشرحها لي شرحاً صحيحاً، لذلك ليس في طاقتي أن أخوض في أي حديث عن نوع البرقع أو الستر أو الحجاب أو القناع الذي تدل عليه هذه الكلمة . وإذا لم أكن متوهماً، فإن كلمة خمار لم يتطرق إليها المؤرخون العرب في عصر النويري والمقريزي ومن لَف لفهما . وأستطيع أن اتجرأ فأقول مؤكداً عبث عملية التقيب عنها في كتاب ألف ليلة وليلة .

وإنني غير واجدها كذلك في كتب الرحالين الأوروبيين الذين جاسوا خلال الشرق في مختلف الحقب ويخيل إلي أن هذا النقاب كان مستعملاً في عهد غوليوس، لأن هذا العالم يؤكد أنه «برقع امرأة»، وإنه يغطي مقدمة

العنق، ويستر الذقن والفم ويتعلق بقمة الرأس». ولما كان غوليوس لم يذكر لا طول ولا نوع قماش ولا لون هذا الستر، فمن التطويح بالأمانة العلمية أن نطبق على وصفه - الذي تعوزه الدقة - أقوال الرحالين الذين زاروا الشرق وقت زيارة غوليوس له^(١).

الخَمِيصَة



تشير هذه الكلمة، حسب مذهب الجوهري، إلى ثوب مربع أسود، مزين بحاشيتين مختلفتي اللون ويروي مؤلف عيون الأثر (مخ ٣٤٠، ص ١٨٩) إن الرسول ﷺ ترك فيما ترك حين وفاته خميصة. وفي صحيح البخاري (ج ٢، ٣٥٦، ص ١٦٨) نقرأ الحديث التالي مروياً عن عائشة وعبد الله بن عباس: «لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا أغتم^(٢) كشفها عن وجهه. فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا»^(٣).

وفي الكتاب نفسه نرى الحديث التالي مرفوعاً إلى زوجة الرسول الحبيبة إلى نفسه: قالت: «صلى رسول الله ﷺ في خميصة له لها أعلام، فنظر إلى أعلامها نظرة، فلما سلم، قال: (اذهبوا بخميصتي هذه

(١) إن كلمة خمار تدل كذلك على: منديل يغطي به الإنسان عينه. فنحن نقرأ في الكتاب المعنون مجمع الأنهر (ط. القسطنطينية، ح ٢، ص ٢٥٩): ولا بأس أن يشد خمار أسود من الحرير على العين الرامدة أو الناظرة إلى الثلج.

(٢) هكذا، إذا لم أكن متوهماً، معنى الحالة الثامنة لفعل غم في عبارتنا. راجع الصيغة السابعة في القاموس.

(٣) من المعلوم أن المشرع الأعظم للجزيرة العربية قد نهى عن أداء أي عبادة لأي بشر هالك، هذه العبادة التي يجب أن تكون لله وحده.

إلى أبي جهم فإنها ألهمتني آنفاً عن صلاتي وإيتوني بانبجانية أبي جهم بن حذيفة بن غانم من بني عدي بن كعب»^(١).

ونقرأ كذلك الحديث التالي ترويه أم خالد بنت خالد (ص ١٦٩، والحديث نفسه ص ١٧٠). قالت: «أتى النبي ﷺ بشياب فيها خميصة سوداء. فقال - من ترون نكسو هذه؟ فسكت القوم. فقال: إيتوني بأمر خالد. فأتي بها تحتمل. فأخذ الخميصة بيده فألبسها وقال: «إبلي واخلفي. وكان فيها علم أخضر أو أصفر. فقال: يا أم خالد هذا سناء»^(٢) (وسنائه بالحشية حسن).

وأخيراً فإن أنس (المرجع نفسه) يقص ما يلي. قال: «لما ولدت أم

(١) إن النووي في كتاب (تهذيب الأسماء، مخ ٣٥٧، ص ٢٤١) يزودنا حول هذا الشخص بالتفصيلات التالية: «أبو الجهم، ويقال له أبو جهم، بحذف الألف واللام، الصحابي رضي الله عنه بفتح الجيم وإسكان الهاء مذكور في المختصر والمهذب في الخطبة في النكاح إن فاطمة بنت قيس قالت: «خطبني معاوية وأبو الجهم». ومذكور في المهذب أيضاً، في باب ما يفسد الصلاة في حديث الخميصة ذات الأعلام وانبجانية واسمه عامر وقيل عبيد بضم العين بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بفتح العين وكسر الباء بن عويج بفتحها أيضاً بن عدي بن كعب القرشي العدوي - أسلم يوم الفتح وصحب النبي ﷺ وكان معظماً في فريش ومقعداً فيهم. قال الزبير بن بكار: كان أبو الجهم عالماً بالنسب. وكان من المعمرين. شهد بنيان الكعبة في الجاهلية. وشهد بنيانها في أيام الزبير وفي (لا يوجد عنوان) إنه توفي في أيام معاوية. وهو أحد دافني عثمان بن عفان وهم أربعة: حكيم بن حزام إلخ...» وإنني أعترف بجهلي لماذا أضاف الرسول هذه الكلمات. فقد بحثت عبثاً عن كلمة انبجانية في كتاب تهذيب الأسماء للنووي، حيث كنت أؤمل أن أجد بعض الملاحظات الخاصة لإثارة هذا النص.

(٢) في الحكاية الأخرى لنفس الواقعة نجد سنا. وهي كلمة حشية. وقد ولدت أم خالد في الحبشة، حسب تقرير عيون الأثر (لدى هاكر. حصار منفيس والاسكندرية، ص ٧١).

سليم قالت لي: يا أنس انظر هذا الغلام فلا يصيبين شيئاً^(١) حتى تغدو به إلى النبي ﷺ يحنكه^(٢). فغدوت به فإذا هو في حائط وعليه خميصة حريشية. وهو يسم الظهر الذي قدم عليه في الفتح». فإذا عارضنا هذه النصوص ببعضها، وهي نصوص قيمة لا ارتاب في إنها تهم المستشرقين من عدة وجوه، فإننا سنحصل من كلمة خميصة على النتيجة التالية: إنها نوع كساء أسود، يلبسه الرجال كما تلبسه النساء، وهو مطرز الأعلام أو الحواشي بالألوان المختلفة، وقد يكون ذا علم واحد أو حاشية واحدة.

(١) معنى ذلك كما أرى إنه لن يمص ثدي حاضنته.

(٢) نقرأ لدى النووي (تهذيب الأسماء، مخ ٣٥٧، ص ٣٣٤): فصل حنك. قوله في المذهب في باب العقيدة: يستحب أن يحنك المولود بالتمر. واستدل بحديث أنس رضي الله عنه في ذلك. وهو حديث صحيح. قال صاحب المطالع: التحنك هو أن تمضغ التمرة وتجعلها في فم الصبي وتحنك بها حنكه بسبابتك حتى تتخال في حلقة. والحنك أعلا داخل الفم. والله أعلم. قال الهروي: يقال: حنكه وحنكه يعني بتخفيف النون وتشديدها. والله أعلم. ويجب عليّ أن ألفت الأنظار هنا، بمناسبة هذه العبارة، إلى أن كلمة مستحب نقيض كلمة مستحق، وإن الكلمة الأولى تعني: ما أصبح عادة عامة، ما تبناه الناس بصورة شاملة، دون أن تأمر به شريعة. في حين أن كلمة مستحق تعني ما أمرت به الشريعة في الحقيقة والواقع. وهناك عبارة للنويري (نهاية الأرب، مخ ٢٧٣، ص ٥٩٢) تبرهن بوضوح على هذا المعنى لكلمة مستحب ولكلمة مستحق، المعنى الذي سنبحث عنه في معاجمنا ولكن دون جدوى. (وألحظ بصورة عابرة أن هناك كلمات قد حركت عن مواضعها في مخطوطاتنا النويرية من قبل الناسخ). وإن جملة: استدل بحديث (تعني استخدام الحديث لإثبات ادعائه. وفي مخطوطة لكتاب ابن خلكان عائدة إلى ويلمت، هي الآن جزء من مكتبة معهد البلاد المنخفضة، نجد في الصفحة ٢٢: استدل بحديث أبي لبابة. وقد بحثت عبثاً عن كلمة حريشية التي هي اسم مكان، في عدة كتب مطبوعة ومخطوطة. أما عن كلمة ظهر فراجع: (كاترمير، مذكرة حول الميداني، ص ٤٢).

وهناك موضع اسمه حريثة يبدو أنه كان مشهوراً بحياكة هذا النمط من اللباس. وها إنكم ترون في النصوص التي أوردناها عدم ذكر أي شيء عن النسيج الذي تصنع منه الخميصة، والجوهري نفسه لم يعلمنا أكثر مما أعلمنا سواه. وإنني على جهل مطبق بالمصدر الذي استقى منه فريتاگ علمه بصنع هذا الملبوس من الصوف والحريز. ترى أين وجد هذه المعلومات؟ وعلى كل حال فلم يكن بالتأكيد هذا الكساء حريزاً في عهد محمد ﷺ.

ويذكر الجوهري في معجمه بيتاً بوسعكم قراءته في قاموس فريتاگ يتضمن إن الشعر الأسود لفتاة يافعة يشبه خميصة.

الْخَنيف وَالْخَنِيفَة



كلمة خنيفة لا وجود لها في القاموس.

وتشير هاتان الكلمتان إلى رداء من الصوف الغليظ، يرتدي في بلاد البربر.

يقول مارمول (وصف أفريقيا، ج ٢، ص ٤، مج ١) في معرض حديثه عن البربر في ولاية حيحة أشد ولايات المملكة المراكشية غربية إنهم يرتدون كذلك المعاطف الغليظة، المعمولة من القماش الصوفي الخشن الأسمر، وهم يسمون هذه المعاطف Hanyfas. وفي موضع آخر (ج ٢، ص ٣٣، مج ٣): «فوق هذا الثوب (لعله الخفتان)، ترى (سواد الرجال في مراکش) يرتدون المعاطف الخشنة الغليظة السمراء، ويسمونها Hafiafas وأخيراً. (ج ٢، ص ١٠٢، مج ٤)، يقول المؤلف نفسه، وهو يتحدث عن عامة رجال مدينة فاس: «يرتدون المعاطف

الصوفية الخشنة الغليظة السمراء، المسماة Hanifas. (ويقول دابر في كتابه (وصف حقيقي دقيق لأقاليم أفريقيا، ص ٢٤٠، مج ١) ضمن التفصيلات التي يوردها حول زي سفراء ملك مراكش وفاس، الذين قدموا إلى امستردام عام ١٦٥٩): «إن السفير إبراهيم الدك Duque كان يرتدي هو أيضاً الحيك، ولكنه كان لابساً فوق هذا الثوب رداء واسعاً، وقد وصل حزامه، وهو مصنوع من شعر المعزى الأسود، أو من الصوف، ومزود من جهته الخلفية بقبع كبوشي ومزورر على صدره بأزرار. وهذا الرداء الفضفاض المسمى في اللغة العربية شنيفا Chanyf أو شنيفة Chanyfa يرتدي عادة فوق الحيك».

شنيفة أم خنيقة؟ شنيف أم خنيف؟

ولكن تتخذ الحيفة في الشتاء لتغطية الرأس الذي يعمم بالقبع الكبوشي. وحين يرتدي هذا المعطف على هذه الشاكلة يدعى (مغنس) «Mugannes» راجع شكل هذا اللباس في كتاب دابر (ص ٢٤٠ - الشخص الثاني الأيسر). أما عن كلمة مغنس Mugannes فيجب عليّ أن أعترف - شئت أم أبيت - بأنني أجهل كيف تكتب الكلمة في المغرب. فحسب النطق الهولندي ينبغي أن نكتبها (مغنْس) - وهي كلمة لا وجود لها في القواميس واقعياً، ولكنها مع ذلك يمكن أن تكون قد استعملت من قبل سكان الشمال الأفريقي.

الدِرْع



يفسر العرب كلمة درع بكلمة قميص Chemise، وإنني أجهل ما يميز الدرع عن القميص، ولكن كلمة درع لا تنطبق إلا على قميص المرأة، وكثيراً ما استعمل الشعراء هذه الكلمة للإشارة إلى المرأة نفسها. وهكذا

نجد في قصيدة للمعتمد في كتاب (قلائد العقيان للفتح ابن خاقان، ح ١، مخ ٣٠٦، ص ٨) (الكامل):

إن نشّرت تلك الدروع حنادساً ملأت لنا هذي الكؤوس ضياء
لإدراك معنى هذا البيت، ينبغي أن نتذكر أن الشعراء يشبهون الغيد
بالليل بسبب شعرهن الأسود، ويشبهون الخمر بالنهار أو بالشمس لبريقها
ولألائها.

وعلى هذا الأساس أترجم هذا البيت:

«إذا كانت هذه الفتيات (حرفياً: هذه القمص) قد نشرت الظلمة،
فمقابل ذلك هذه الكؤوس قد ملئت لنا بالضياء».

والشاعر نفسه يقول أيضاً (المرجع السابق):

(الكامل):

قد رمت يوم نزالهم ألا تحصنني الدروع
«لقد رغبت بحماسة متقدة منازل الأعداء، ولكن النساء (حرفياً:
القمص) منعتني من ذلك». وهكذا نرى من هذه العبارات إن كلمة
الجمع (دروع) وليس فقط كلمة أدرع، كما تحاول أن تحملنا على
الاعتقاد معاجمنا، مستعملة للإشارة إلى قمصان المرأة، والواقع هو أن
الشاعر ابن اللبانة (المرجع السابق، ص ٣٨) يستعمل هو أيضاً كلمة الجمع
(دروع) للدلالة على قمصان المرأة^(١).

(١) لقد تعسف المستشرق الكبير حتى ضل سواء السبيل (المترجم).

الدِرَاعَة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وإتباعاً لرأي دابر في كتابه (وصف حقيقي دقيق لأقاليم أفريقيا الشمالية مج ٢، ص ٢٤١) نرى أن كلمة Dhiraa دراعة تشير في المغرب، إلى هذا الرداء الواسع العظيم المسمى كذلك بالإزار، راجع هذه الكلمة .

الدُرَاعَة

لقد أورد سيلفستر دي ساسي بعض التفصيلات عن هذه الكلمة في كتابه (طرائف عربية، ج ١، ص ١٢٥) ونستخلص من عبارة القاموس، التي استشهد بها هذا العالم، إن الدراعة قديماً لم تكن تعمل إلا من الصوف . ويعلمنا المقرئزي (المرجع السابق) إن اللباس هو الذي كان يميز الوزراء من بقية ضباط القلم أو العدالة . وهذا المؤلف يصف الدراعة بأنها مفتوحة من الجهة الأمامية أعلى القلب ومزررة بأزرار وعرى . ونحن نقرأ لدى نفس المؤرخ في كتاب سيلفستر دي ساسي (ج ١، ص ٢٥٠ النص العربي) إن الخليفة الحاكم بأمر الله كان يلبس الدراعة المصنوعة من قماش أحادي اللون .

ونجد لدى ابن خلكان (وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٣١) عبارة رائعة للغاية، عن حياة الوزير المغربي . فهذا الرجل، المصري المولد، كان قد هجر وطنه، لأنه كان يخشى الحاكم، الذي كان قد أعدم أباه وعمه وأخوته . فهام على وجهه متنقلاً من بلاط إلى بلاط، حتى نصب وزيراً من قبل الأمير البويهى مشرف الدولة، ولكن ابن خلكان يضيف أنه لم

يتلق لقب شرف ولا خلع، ولم ينقطع عن ارتداء الدراعة (وقلد الوزارة من غير خلع ولا لقب ولا مفارقة الدراعة). ويقول البارون دي سلان في كتابه عن ابن خلكان (ج ١ - ص ٤٥٥) بأنه لا يفهم لماذا كان المغربي مرغماً على ارتداء الدراعة بصورة دائمية. . ينبغي أن نعترف بأن المسألة بالغة الغموض بحيث يتعذر تأويلها، ما دمنا غير واجدين في أي مكان كان وصفاً لزي وزراء السلالة البويهية. ولما كانت الوقائع تعوزنا فسأسمح لنفسي بإخضاع تخميني لحكم أصلان المستنير. إذن فإنني مفترض أن الدراعة لم يكن يرتديها وزراء السلالة البويهية، وأن مشرف الدولة، حين أرغم المغربي على ارتداء هذا اللباس على الدوام، أراد أن يؤكد على اعتباره أجنبياً بصورة مستمرة (بوصفه وزيراً مصرية)، فلم يمنحه ثقته التامة، ولم يعتبره أحد رعاياه المولودين في ولاياته.

وحسبما يقول مؤلف كتاب مسالك الأبصار (تعليقات ومقتبسات، ج ١٣، ص ٢١٦) إن الدراعة كانت ترتدي في الهند من قبل القضاة والأدباء، كما كانت ترتديها جماهير الشعب.

ويرد لدى النويري (تاريخ مصر، مخ ٢، ص ١٤٤) ذكر (دراعة بنفسجي)، وكذلك يفعل المقرئزي (تاريخ السلاطين المماليك ج ١، ق ١، ص ١٤٩). وكانت الدراعة مستعملة في الأندلس. فنحن نجد لدى المقرئ (تاريخ الأندلس، مخ دي غوتا، ص ٣٧٣) إن عرب الأندلس قد اتخذوا (الدرايع التي لا بطائن لها) إزاراً بإشارة من زرياب، كما نجد في موضع آخر لدى المؤلف نفسه (مخ ٨٦) (أن لباس الشرف، الذي منحه الحكم الثاني إلى اوردينو الرابع، كان يتألف من دراعة منسوجة بالذهب) ومن برنس.

ونحن ما زلنا واجدين هذا الثوب في مدينة الجزائر. فإن ديگو دي هيدو يتحدث في كتابه المعنون (خطط مدينة الجزائر، ج ٨، مخ ٢):

يرتدي كثير من الناس قميصاً آخر من الكتان المرسل، بدلاً من هذه الغلالة، وهو طويل، مفرط في السعة، مغرق في البياض ويحمل اسم الدراعة Adorra. وفي موضع آخر (ص ٢٧، مج ٢) يقول المؤلف نفسه أن النساء العربيات في هذه المدينة يرتدين فوق أقمصتهن نوعاً من القمصان على ثلاثة أشكال:

١ - القميص المفرط في السعة والفضفضة، الدقيق للغاية، الأبيض إلى ما لا نهاية، الشبيه بذلك القميص الذي يرتديه أزواج هؤلاء النسوة المسمون بلدي Baladis أو من يدعون بالحضر، والذين تحدثنا عنهم آنفاً، وهن يسمين هذا القميص دراعة Dorat أو الدراعة Adorat^(١).

ويؤكد ابن بطوطة (الرحلة، مخدي غايانغوس، ص ١٠٦) إن سكان مقديشو (راجع خرائطنا عن الساحل الشرقي الأفريقي) يرتدون «دراعة من المقطع المصري معلمة»^(٢).

(١) اغتنم هذه الفرصة لأناشد المستشرقين، ما إذا كانوا يعرفون كلمة عربية، لها جرس لفظة Dorre وتدل في الوقت نفسه على الجوخ الأصفر. فإنني أقرأ في قصة رحلة (فان خيستلا، ص ٣١) إن المغاربة: «يرتدون عادة ثياباً طويلة من النسيج الأبيض، ذات أكمام واسعة، وبصورة عامة لا أحزمة لها، والكثيرون منهم يلبسونها أيضاً على مختلف الطرز، ومتنوع الألوان، كالأحمر، والأخضر الفاقع، والأزرق والdorre أي الجوخ الأصفر» (لم يذكر المؤلف الشكلين الآخرين - المترجم).

(٢) تدل كلمة مقطع على الكتان، ذلك لأن بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) يفسر هاتين الكلمتين Olinda lienço بأنهما تونسي ومقطع وجمعه مقاطع، ويفسر Avala (aube) بقميص من مقطع. ويعتبر ابن الخطيب في كتابه (الإحاطة، مخدي غايانغوس، ص ١٤) إن المقاطع التونسية من بين الألبسة التي يرتديها الغرناطيون. وينبغي إحياء كلمة التونسية محل كلمة التونسية، وترجمتها: «أقمشة الكتان التونسية». وقد كانت مدينة تونس مشهورة بالكتان الذي يصنع فيها، وإليكم ما نقرأ حول هذا الموضوع في كتاب مارمول (وصف أفريقيا - ج ٢ =

وأخيراً فإنني أود إلفات نظركم مرة أخرى إلى وجود من كانوا يلبسون عدة دراعات بعضها فوق بعض. فنحن واجدون في تاريخ العباسيين للنويري (مخ٢، ص ١٩٠). «وفي هذه السنة أمر المتوكل (بأخذ أهل الذمة بلبس دراعين (دراعتين) عسليين (عسليتين) على الدرايع والأقية» وذلك عام ٢٣٩.

= - (ص ٢٤١ - مج ١): «إن معظم سكان مدينة تونس هم من الحاكة - وينسج في هذه المدينة أفخر الكتان الموجود في أفريقيا، لأن نساء تونس يغزلان الكتان غزلاً في غاية الدقة والنعومة ويبرمنه برماً لا مثيل له. ومن هذا الكتان تحاك هذه العمائم المترفة (Tocas) التي تدعى Tunecis (de Tunis) (من تونس)، وهي مرغوبة بجنون لدى المغاربة «وهذه العمائم المنسوجة من كتان تونس، لم تبق مجهولة لدى شعراء أسبانيا المسيحيين. لأننا نقرأ في (مجموعة من أشعار الموريسكيين ص ٣٥): «طاقية غامقة الخضرة، مع عمامة من النسيج».

ونقرأ في موضع آخر (ص ١٦٤) «Tocas tunecies - الدرايع التونسية». وأعتقد إنني وقعت على كلمة مقطع وجمعها مقاطع - بمعنى قماش من الكتان - في كتاب مسالك الأبصار. إذ إننا نقرأ في ترجمة كاترمير (ملاحظات ومقتبسات - ج ١٣ - ص ٢٠٠) ما يلي: «تبعاً لما رواه لي سراج الدين عمر الشبيلي فإن الثياب التي تجلب من الاسكندرية ومن بلاد الروس ترتدي بصورة خاصة من قبل أولئك الذين ينعم بها عليهم السلطان. أما الآخرون فإن أقيمتهم وأرديتهم مصنوعة من القطن الناعم. وتصنع من هذه المادة الثياب التي تشبه مقاطع بغداد». وأود أن ألفت الأنظار إلى أن كلمة مقاطع لم تستعمل مطلقاً بمعنى الأردية. ولعل النص هذا يعنيها: «وتصنع به ثياب تشبه المقاطع البغدادية». ويجب أن أترجم كلمة ثياب هنا بقطع قماش أنفاً (ص ٢١، ٢٢) وأرى أن معنى هذه العبارة هو: «تصنع من هذه المادة قطع من القماش تشبه الأقمشة الكتانية البغدادية». وأود مرة أخرى أن ألفت الأنظار إلى ورود كلمة (رفعة) هذه (المقاطع) La finesse مباشرة بعد ذلك، إذا قورنت برفعة الأقمشة الهندية، وإن هذه الأقمشة توازن بالموصلي (الموسلين). وكل هذا ينطبق كل الانطباق على الأقمشة المصنوعة من الكتان.

الْمَدْرَعُ وَالْمَدْرَعَةُ

يخيل إلي أن هاتين الكلمتين تشيران إلى ما تشير إليه كلمة دراعة بالذات، ويرى القاموس أن المدرع والمدرعة يكونان دائماً من الصوف. والحقيقة أن هاتين الكلمتين تدلان على لباس من الصوف الغليظ الذي لم يكن يرتديه إلا العبيد أو فقراء عامة الناس. فنحن نقرأ في كتاب القرطاس Le Kartas (ط تورنبر، ص ٦) إن عبداً كان يرتدي (مدرعة صوف). ونجد في سراج الملوك للطرطوشي (مخ، ٧٠، ص ٤١) إن شخصاً كان يرتدي شملة ومدرعة من الصوف، دخل على الخليفة معاوية، وإنه زجر على انتهاكه للأداب المرعية. ويتحدث البكائي Al-Bikāi (لدى كوزكارتن، طرائف عربية، ص ٥٨) عن نساء كن يرتدين المدرع الشعرية، فيقول (وعليهن مدرع الشعر).

الدَّرَوُزَةُ، الدَّرَوُازَةُ

لا وجود لهذه الكلمة الفارسية الأصل في القاموس. ولكننا نقرأ للمقريزي أو بالأحرى لابن سعيد (لدى فريتاغ، طرائف عربية، نحو، تاريخ، ص ١٤٥): «وطريقة الفقر على مذهب أهل الشرق في الدروزة التي تكسل عن الكدر». يعني فقراء الأندلس الذين لا يجروأ أحد على لمس دروزاتهم لقذارتها^(١).

راجع دي غايانغوس في كتابه (تاريخ السلالات المحمدية في الأندلس، ص ١١٤ وتعليق ص ٤٠٤).

(١) إذا لم يكن ثمة خطأ في هذه الكلمة، فينبغي أن تنطق هذا النطق (تُكْسَلُ).

الدِفَاء، الدِفَاء، الدِفِيَّة

لا وجود للصيغة الأخيرة في القاموس.

إن كلمتي دفء ودفاء تشيران إلى لباس من الصوف أو من الشعر، أو من الفرو، يستعمل للوقاية من البرد. (راجع القاموس - ط كلكتا، ص ٢٧). أما في أيامنا هذه فإن كلمة دفية مستعملة في مصر. فنحن نقرأ في وصف مصر (ج ١٨، ص ١١٠): «الدفية هي قميص كبير من البركان الأسود، الذي يستعمله أعيان السكان في قرية من القرى». ويقول لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٤٥): «هناك أفراد عديدون من الشعب يرتدون نوعاً من الأردية، واحدها أوسع من العباية، وهو مصنوع من نسيج صوفي ملون بالسواد أو بالزرقة الغامقة - يسمونه دفية».

الدِقْرَار، الدِقْرَارَة

يرى الجوهري والقاموس أن هذه الكلمة تشير إلى ما يدعى بالتبان. راجع هذه الكلمة.

الدِّلَق

يرسم سيلفستر دي ساسي في كتابه (طرائف عربية، ج ٢، ص ٢٦٩ وفريتاگ) هذه الكلمة هكذا: دَلِق. ويقول لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٣٤٦) إن الكلمة تكتب كذلك على هذه الصورة (دَلِق) ولكن الناس يلفظونها بصورة عامة كما يلي (دَلِق). ويعتقد أن كلمة دَلِق تستحق الاصطفاء. ولم أتبين العلة في الموضوع. إنها دَلِقُ الكلمة الفارسية، وهناك وزن القصيدة وردت في كتاب سيلفستر دي

ساسي المذكور آنفاً، ج ٢ ص ٤٥، سطر ٤ من النص العربي، تبرهن بوضوح وقوة على أن كلمة دلق كانت تلفظ في قديم الزمان هكذا (دلق) بمقطعين، وليس بثلاثة مقاطع.

والدلق هو لباس الفقراء وال دراويش والدجالين من الأولياء، ويرى السيوطي في (الطرائف، ج ٢، ص ٦٧) إن «القضاة والعلماء كانوا يرتدون دلقاً واسعاً لم يكن مشقوقاً، بل كانت فتحته من فوق الكتف، ويلبس الخطباء دلقاً مستدير الشكل أسود اللون، وهو اللون الخالص بسلالة العباسيين». ويرى لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٣٤٦، ٣٧٣) وفي (ألف ليلة وليلة، ج ١، ص ٢٣٩) إن: «الدلق هو ضرب من الرداء الطويل، المؤلف من خرق الجوخ المختلفة الألوان». وقد سبق أن قطعت على نفسي وعداً، حول كلمة خرقة، بالدخول هنا في التفاصيل عن ثوب المتأملين، أو عن أشباههم، وهم مجاذيب الشرق وبهاليه. وإليك ما وعدت به. فإننا نقرأ في قصة روجيه (الأرض المقدسة - ص ٢٤٧): «هناك نوع آخر من العباد يدعون قولبي؟ Quoueli بعضهم حليق الرأس - وهم يرتدون أردية مؤلفة من ألف نوع من الرخق والأسمال ومن مختلف الألوان، ولكنها نظيفة للغاية: (راجع الصورة ٢٤٠). وفي قصة ستوكوف المعنونة: (رحلة إلى المشرق، ص ٤٣٣ و ٤٣٤)» لدى وصفه القاهرة، «والخلاصة لا يوجد في أي ولاية من ولايات تركية شعب مؤمن بالخرافات مثل شعب القاهرة، القاهرة التي لا مثل لها في حشد هذا العدد الهائل من مشعوذي الأولياء وال دراويش. فهناك تجد منهم من يتسكعون في الدروب عراة كما ولدتهم أمهاتهم، وهناك آخرون يرتدون جلود الأسود أو النمر وإنك واجد أولياء آخرين يلبسون ألف نوع من الألبسة المختلفة المضحكة. وها إنني أصادف شخصاً لابساً أعجب ملبوس لا تستطيع أن تضحك من شيء أكثر مما تضحك منه، وهو يمشي

على عكازتين يعلو بهما نحو قدمين، وقد ألصق بجسمه رداء يصل إلى ركبته نصفه مصنوع من كل أنواع الجلود، والنصف الآخر من كل أنواع الأقمشة المختلفة الألوان، وقد شد على وسطه حزاماً من جلود الأفاعي، وهذا الحزام لم يمنع ثوبه من الانفتاح لدى كل خطوة يخطوها وإبانة عورته للسائل والمحروم، وقد شك عضوه التناسلي بحلقة ضخمة من الحديد.

ونقرأ لدى دارثيو في كتابه (المذكرات، ج ١، ص ٢٠٩): «يرتدي دراويش مصر ملابس غاية في الغرابة: فملابس بعضهم حافلة بالخرق والأسمال البالية الملونة بكل أنواع الألوان، وملابس الآخرين أردية مجللة بالريش الكثير، وهناك عراة كل العري، ولهم لحى وشعور شبيهة بأشواك القنافذ». ويقول المؤلف في موضع آخر (ج ١، ص ٣٢٤) عن درويش في الصعيد إنه كان يرتدي: «سترة مؤلفة من الخرق الكثيرة المختلفة الألوان، وإن هذا الدرويش بذاته مسخرة قائمة بذاتها. فسعة حزامه قدم وهو يعج بعدد كبير من الحلقات النحاسية».

الدماجة



يفسر القاموس (ط كلكتا، ص ٢٣٣) هذه الكلمة بأنها العمامة.

الدنية



الدنية، كما ترى المعاجم هي طاقة القاضي، وسميت كذلك لأن لها شكل الدن، أي شكل برميل كبير للخمر. ونقرأ في رسالة موجهة من قبل حمزة إلى القاضي (لدى دي ساسي، طرائف عربية - ج ٢، ص ٩٢ من النص) إن حمزة أمر، في كثرة ما أمر، بأن يلبس هذا الأخير دنية طويلة سوداء، لها عذبات صفر تتدلى على الصدر.

الدُّوَّاج

إنني أجهل حتى الآن ما إذا كانت هذه الكلمة تعني على العموم رداء أو إنها تعني ضرباً خاصاً من الأردية. ويفسرها القاموس (ط كلكتا، ص ٢٣٤) بأنها (اللحاف الذي يلبس). راجع المقرئزي (لدى گوزگارتن، طرائف عربية، ص ١١٦).

الدَّائِرَة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس. وهي على رأي هوست (أخبار من مراکش، ص ١٠٢) الذي يكتبها ديرة Déira تشير إلى رداء أزرق يرتديه الخاطب فوق الحيك، وإنني أفترض أن هذه الكلمة هي الاسم المؤنث المشتق من فعل دار (ملابس تحيط الجسم) (Vestis) ambiens (corpus).

المداس

استعمل النويري (تاريخ مصر، مخ ٢، ص ٢٠١) في عبارة له كلمة نعل وكلمة مداس بدون تمييز أو تفريق. فنستخلص من ذلك أن كلمة مداس تشير إلى الكلمة الفرنسية صندل sandale، كما تشير إليه كلمة نعل. والواقع أن النقيب ليون (أسفار في الشمال الأفريقي، ص ١٥٦) يؤكد أن المعنى بكلمة مداس هي الصنادل المزركشة الجميلة المنظر البارة الصنعة، التي يلبسها الرجال والنساء على حد سواء. وبوسعنا قراءة حكاية ملذة للغاية بخصوص المداس لدى م.ج. همبر في كتابه (حوليات عربية لم يسبق نشرها، ص ٤١ - ٥٤).

الذَّيْل

تشير هذه الكلمة، كما نعلم، إلى ذيل رداء أو ذيل ثوب إلخ. ولكنها تدل كذلك في مالطة على: تنورة من النسيج الأبيض (راجع فاسيلي في كتابه قويميس مالطي، مجموعة ١٥٧). ويكتبها فيسكيه في كتابه (رحلة إلى الشرق، ص ٦) هكذا «ايديل I-deil»، ويقول عن الذيل: «تنورة من التيل أو القطن الأبيض، ترتديه القرويات في جزيرة مالطة».

التَرْجِيل

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بمعنى مركوب. وإن النصوص التي نحن واجدوها في كتاب ألف ليلة وليلة (تجدون هذه الكلمة، بهذا المعنى ثلاث مرات في الصفحة ٨٧ من الجزء الأول من طبعة مكنّاگتن) لا تدع مجالاً للشك حول هذا المعنى لكلمة ترجيل. والحقيقة أن كلمة ترجيل في الصفحة المذكورة مستعملة للدلالة على نفس ما تعنيه كلمة مركوب سوليه Soulier، فتورنس إذن مصيب كل الإصابة حين يترجم في كتابه (أنس الليالي العربية، ج ١، ص ١١٤) الكلمة إلى شوز Shoes. وأرجو أن يعذرني لين، كما أوّمل، إذا كنت لست مستحسناً ترجمته، حينما يترجم كلمة ترجيل بكلمة صندل Sandales (ألف ليلة وليلة، ج ١، ص ١٦٣).

الرِّخَايَة وجمعها الرِّخَايَات

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس. ويترجم بيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية) الكلمتين

الأسبانييتين على هذه الشاكلة: Escarpins et peal. ويتحدث توريس في (قصة الشرفاء، ص ٨٦) عن ال(الاسكاربينات) الخفاف التي يسميها رياس Reyas كما يدعوها جاكسون في كتابه (تقرير عن مراکش، ص ١٣٨) الرياهات Rayahat أو البانتوفلات الحمراء Pantouffles rouges لنساء مراکش.

الرُّسَّة، الأُرْسُوسَة

يفسر القاموس (ط كلكتا، ص ٧٦٤) هاتين الكلمتين بكلمة قلنسوة. راجع هذه الكلمة.

الرَّسِيَّة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وأعتقد إنها تشير إلى نفس النوع من عمرة الرأس المسمى رسة، ومعنى ذلك القلنسوة، وإني أزعم عدا ذلك أن الكلمات رسة وارسوسة ورسية مشتقات من كلمة رأس، وفي العبرية روش: وقرر أخيراً لفظها رسية. وقد وصف الشاعر الصقلي ابن حمديس أحد القصور، لدى (النويري، نهاية الأرب، مخ ٢٧٣، ص ١٠٦) فقال: (الكامل) خلعت عليه غلائلاً ورُسيَّةً (شمس البيت).

وترجمتها: «خلعت عليه الشمس تكريماً له البسة، وهي الغلائل (الملابس الصفراء) وحبته كذلك رسية».

أمام الشاعر هنا بريق الذهب ولألوه اللذان يسطع بهما هذا القصر، وقد زادته أشعة الشمس توهجاً على توهج. فيخيل إليّ إذن إن بوسعنا أن

نستخلص من هذا البيت أن عمرة الرأس المسماة رسية كانت ذات لون أصفر^(١).

الرُصَافِيَّة

يدور البحث في عبارة لابن خلكان (ط دي سلان، ج ١، ص ١٥٥) عن هذا النوع من العمرة، وبعد هذا الكلام بقليل سميت سترة الرأس هذه قلنسوة. وقد سبق للبارون دي سلان (راجع الترجمة الانكليزية لكتاب ابن خلكان، ج ١، ص ٣١٥) أن لفت الأنظار إلى أن الرصافية كانت على هيئة طاقية ومن نوعها، وهذه الهيئة لم نعد نعرفها اليوم على وجه الدقة والتحديد. وإنني أجهل ما إذا كانت الرصافية التي كانت تلبس في بلاط بغداد هي من نوع العرقية Calotte والمسماة في مصر (كلوتة) أم من نوع الطاقية Bonnet، أم هي قلنسوة^(٢).

الرُطْفَل

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس. أما في الأندلس فيطلق اسم رطفل على نوع عصاية رأس لها شكل الشبكة، وهي شبيهة بالشبكة التي تدعى بناقة. راجع بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) حول هذه الكلمات: «Alvanega de red et capillejo de muger».

ويرى هذا المؤلف إن جمع كلمة رطفل رطفلات وكذلك رطافل.

(١) توهم المستشرق الكبير فحسب أن الواو في كلمة ..ة هو حرف عطف فأخطأ.

وبني افتراضه على خطأ، فوصل إلى نتيجة خاطئة خطأ كبا (المترجم).

(٢) أم هي الجراوية البغدادية بمختصر العبارة؟ (المترجم)

المُرْقَعَة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بالمعنى المراد.

وهذه الكلمة تشير إلى نوع دلق أو خرقة وهي الثوب المرقع، الذي يستعمله الأولياء والفقراء الأدعياء. ويقول ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي غايانغوس، ص ١٠٢) في معرض حديثه عن أحد النساك: «لباسه مرقعة وقلنسوة لبد». ويقول في موضع آخر متحدثاً عن قديس أو ولي من جبل لمعان: «وعليه مرقعة وقلنسوة لبد، وليس معه ركوة ولا إبريق ولا عكاز ولا نعل». ونقرأ لدى ابن إياس (تاريخ مصر، مخ ٣٦٧، ص ١٣٣): «فلما قرأ مراسيم السلطان أخذ على رأسه المصحف وتشفع بأنه ما بقي يلبس الولاية ولا وضع على رأسه كلوته. وقد لبس مرقعة وصار من جملة الناس». ونقرأ في (رحلة ابن بطوطة، مخ، ص ٨٩): «وأمره في الكرم غريب. وربما جاد بكل ما عنده. وبالثياب التي عليه ويلبس مرقعة. فيدخل عليه كبراء المدينة. فيجدونه على تلك الحالة فيكسونه». هذا النوع من اللباس المرقع ترتديه النساء أيضاً. فنحن قارئون في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنانگتن، ج ٢، ص ٢٢٨): «ولبست مرقعة ووضعت على رأسها إزاراً عسلياً». والحديث جار حول إحدى العجائز.

المَرْكُوب وجمعه المراكيب

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي تشير إلى مداس، وتوجد أحياناً في كتاب ألف ليلة وليلة. راجع مثلاً (ط مكنانگتن، ج ١، ص ٨٦ - ٨٧) وانظر كذلك (ط هاببيخت ج ١، ص ٢١٩، ٢٢٠ - ٢٢٢). فنحن نقرأ في وصف مصر (ج ١٨،

ص ١١٠): «هناك زوجان من المركوب أو فردتان من المداس حمراوان». ويؤكد لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٤٢): «إن المراكيب تصنع من الجلد المراكشي الأحمر السميك، وهي مديبة وأنوفها شامخة إلى العلاء». ويرد في رحلة ستيفنس (حوادث رحلة إلى مصر وبطرا العربية والأرض المقدسة، ج ١) ذكر المراكيب الواسعة الحمراء، لأحد تجار القاهرة، التي يلبسها فوق المز الأصفر (Yellow slippers). وهذه الكلمة، حسبما أعلم، لا تستعمل إلا في مصر.

الرُّؤْيِي

يرى القاموس أن الرويزي هو الطيلسان. راجع هذه الكلمة.

الرَّيْطَةُ - الرَّاِطَةُ

نقرأ لدى الجوهري (ج ١، مخ ٨٥، ص ٥٠٧) إن الريطة هي «الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين». وجاء في القاموس (ط كلكتا، ص ٩٤١): «الريطة كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسيج واحد وقطعة واحدة أو كل ثوب لين رقيق كالرائطة». وكلمة ريطة لها المعنى نفسه في شروح مقامات الحريري (المقامات، ص ٢٥٥): «الريطة الملاءة إذا كانت قطعة واحدة. قال الشريشي: «الريطة عند العرب ثوب رقيق شبه الملحفة». ويقول التبريزي في (شرح الحماسة، ص ٤٩٢): «الريطة هي الملاءة». ويقول بعد ذلك (ص ٥٠٤): «هي الملاءة إذا لم تكن ذات لفقين».

والحقيقة إننا سنرى لدى كلمة ملاءة إن هذا الثوب يتألف من لفقين مخيطين معاً، أما الحبرة المحدثه فتألف هي كذلك من لفقين مخيطين

معاً. وأما الرداء الواسع المسمى ربطة فتلبسه النساء (كتاب الأغاني لدى كوزغارتن، طرائف عربية، ص ١٣٧). رجع البقية في كلمة ملاءة. وكانت ربط الشام على الأخص مشهورة للغاية. (راجع النويري، نهاية الأرب، مخ ٢٧٣، ص ٩٦).

ولكن كلمة ربطة، كما وردت في عبارة من مقامات الحريري، ص ٢٥٤ - لا يمكنها أن تشير إلى رداء واسع. فنحن نقرأ: «إذا شيخ عاري الجلدة - وقد اعتم بريطة». ويلاحظ الشارح (ص ٢٥٥)، والحق معه، إن كلمة ربطة ليس لها هنا المعنى الذي تشير إليه عادة. فلو كانت كلمة ربطة تدل هنا على رداء لما استطاع المؤلف أن يقول: «إذا شيخ عاري الجلدة». وعلاوة على ذلك فإنني سأجيز لنفسني ملاحظة إن هذه الجملة قد تلتها جملة أخرى مباشرة هي: «واستنفر بفويطة». وعلى ذلك فلو كانت الكلمة هنا قد أشارت إلى رداء كبير لما استطعنا أن نرى الخرقه التي كانت تستر عورة الشيخ. ولذلك قال الشارح أن الربطة تدل على كُرْزِيَّة (حقيقة قوله: شبه الكرازي) ومعنى ذلك خرقه من الصوف تلف الرأس. وإن الكلمة قد زحزحت عن معناها الأصلي (مغير عن أصله)، وكذلك كلمة فوطة، التي لم تكن في الأصل تشير إلا إلى قطعة قماش غليظة مستوردة من الهند، ولكنها بعد ذلك أصبحت تشير إلى (ضرب مما يعتم به). وهكذا نرى أن الشارح لا هو ولا مؤلف هذا الكتاب قد اتفق أحدهما مع فريتاگ حول المعنى الذي يشار به إلى كلمة ربطة في هذا النص^(١).

(١) جاء في تكملة المعاجم العربية للمؤلف - تحت كلمة «ربطة» البيت التالي - الوارد لدى النويري في تاريخ أفريقيا (ص ٥٠) المشير إلى المرابطين ولثامهم: إذا التثموا بالربط خلت وجوههم أزاهر تبدو من فتوق الكمائم (المترجم).

الزَبُون

لا وجود لهذه الكلمة التركية الأصل في القاموس .
والزبون اسم نوع من الصديري أو السترة القصيرة، وكل منها له
كَمَان واسعان - مطرزان . والزبون معروف غاية المعرفة في طرابلس
الغرب . راجع «رحلة النقيب ليون (أسفار في الشمال الأفريقي، ص ٦)
حيث تجد كلمة زبون .

الزَّرْبُول - الزَّرْبُون

أحيل القارئ إلى الكلمة الأخيرة، اعتقاداً مني بأن هاتين الكلمتين
ليستا سوف تحريف لكلمة شربيل .

الزُّمَانَقَة

لعدم وقوعي البتة على هذه الكلمة، فليس بطوقي أن أضيف شيئاً إلى
التفصيلات المعطاة من قبل فريتاك . إذن تشير هذه الكلمة إلى نوع جبة
صوفية ويرى بعضهم إن هذه الكلمة ما هي إلا تحريف للكلمة الفارسية
اشتربانه، ويقولون إن هذا اللباس قد اكتسب هذا الاسم لأنه كان يطلق
بصورة خاصة على حداة الإبل . (من اشتر وهو الجمل، ومن بان وهو
الحارس ومن الحرف الملحق الهاء المربوطة). ويقدر آخرون إن هذه
الكلمة هي عبرية (؟) .

الزُّلْحَمَ

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكننا نقرأ في كتاب هوست (أخبار من مراکش، ص ١١٦ و ١١٧):
«ويرتدي بعضهم فوق الحيك زلحماً، وهو من نفس قماش الحيك.
ومزود بقبع كبوشي لتغطية الرأس في أوقات سوء المناخ، ويعلق بهذا
القبع لوزة من الحرير الملفوف تتدلى على الظهر. ويحلى قبل هذا
اللباس من الجهة الأمامية أحياناً بلوزات على الطريقة التركية. وهذه
تكون مطرزة الحواشي من الأسفل وذات هذبات صغيرة وحواش بديعة.
راجع اللوحة الخامسة عشرة - الصورة الثالثة والصورة الرابعة». ويكتبها
لمُبرير في كتابه (سياحة في مراکش - ص ٢٢٩ - ٢٩٥) هكذا Sulam،
ويقول إن الزلحم رداء فضفاض هفهاف معمول من الصوف الأوروبي
الأزرق أو الأبيض، وهو يتدلى حتى القدمين وقد زود بقبع كبوشي
لوقاية الرأس. ويكتب ريلي Riley في كتابه (بوار تجارة السفن الشراعية
الأمريكية، ص ١٩٦ و ١٩٨ و ٤٣١) هذه الكلمة على نفس الشاكلة،
ويعرض علينا الرحالة التفصيلات التالية: «إن المعطف أو الـ Sulam
مؤلف من جوخ أسود غليظ أزب أشعر، والطريقة المعمول بها تماثل
طريقة عمل المعطف الأوروبي، وهو مزود بقبع كبوشي. ومع ذلك فهو
مقفل من منتصف الصدر، وهكذا فلاجل أن يرتديه صاحبه يتحتم عليه أن
يدخل رأسه من الفتحة العليا، وهو يغطي من لابس الذراع، وهكذا يرتديه
المرتدون».

ويكتبه همسو دي غرابر في كتابه (مرآة جغرافية وإحصائية
للإمبراطورية المراكشية، ص ٨١) هكذا (سلهم) Sulham ويقول إنه
معطف يصنع عادة من الكشمير الأبيض. وهو أوسع من البرنس،

ويلبس بدله. ويقول جاكسون في كتابه (تقرير عن مراكش، ص ١٣٨): «إن هذه الكلمة تلفظ وتكتب هكذا (Silham)، وهو كما يرى هذا الرحالة معطف من الجوخ الأزرق العاتك، ومرتدوه هم البربر» وبعد ذلك (المرجع نفسه) يعلمنا المؤلف نفسه إن رجال البلاط لا يرتدون الحيك مطلقاً أثناء مثلهم بين يدي الامبراطور، ولكنهم يلبسون الزلحم دائماً، أو يرتدون معطفاً مشغولاً من الصوف الأبيض.

الزَعْبُوط



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويرى لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٤٤). إن الزعبوط يرتدي في مصر من قبل الذكور من سواد الشعب، وهو معمول من قماش أسمر وتفتح فيه فتحة من العنق إلى حدود الحزام وله كَمَان واسعان. ويلبس عادة في الشتاء. ويقول پارثي في كتابه (جولة خلال صقلية والمشرق، ج ٢، ص ٢٧٥): «لا يرتدي الفلاحون في مصر إلا دراعة (جلباًباً؟) سمراء غليظة».

ولا مرية أن هذه الكلمة ليست عربية. وسنرى في قابل الصفحات أن الكلمة الأسبانية çapote قد تسلفت إلى اللغة العربية التي يتكلمها الأفارقة فهي لديهم (كبوط). ومن المحتمل أن كلمة زعبوط كانت (كابوت) Capote فلفظ الحرف (ç) كالسين لإلحاق علامة السيدي cedille بقاعدته فأصبح çapote (سابوت) (زعبوط). ومع ذلك فلا تأخذوا قولي على أنه أكثر من تخمين.

الزُنْجَب، الزُنْجَبَان

يفسر القاموس (ط كلكتا، ص ٩٨) هاتين الكلمتين بأنهما المنطقة، أي الحزام الذهبي أو الفضي.

الزَنْجَبَة

تشير هذه الكلمة إلى ما تشير إليه الكلمة الفرنسية (تورنير) Toumure لفافة، ويفسرها القاموس (ط كلكتا، ص ٩٨) بكلمة العظامه.

الزُّنَار

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بالمعنى المراد. ونحن نعلم أن كلمة زنار تدل على حزام، ولكن هذا النوع من الحزام لم يكن يلبسه إلا المسيحيون كما يؤكد ذلك الزمخشري: مقدمة الأدب وبهذا المعنى نقع على هذه الكلمة لدى الكتاب: (Lexicon Arab. Pres., part. 1, pag. 51) الشرقيين، وليس من واجب مجهودي هذا التحدث عن الملابس التي يرتديها النصارى في الشرق، ولو لم يكن لكلمة زنار حتى الآن معنى آخر لما سمحت بقبولها في قاموسي. ولكن هذه الكلمة كانت تشير في أسبانيا كذلك إلى: مئزر غليظ يلبسه الفلاحون. ويفسر بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) هذه الكلمات:

وكذلك vesidura para el campo و Capote vestidura sustica بكلمة زنار وجمعه زنابير. ونجد في الإحاطة لابن الخطيب (مخدي غايانگوس، ص ١٨٧) النص التالي: «فرجعت إلى داري وقلت أخرج إلى الوادي إلى

باب القنطرة اغسل ثيابي من درن السجن وأفر إلى العدو. فقلت لامرأة تغسل الثياب: «اغسلي ما عليّ. وجردتها. ودفعت لي زناراً ألبسه. فبينما أنا كذلك وإذا بالخصي قائد ابن مرذنيش (كذا) يسوق سنين (ستين) رجلاً من أهل الجبل لابسين الزنانير. فرآني على شكلهم فأمر بحملي إلى السخرة والخدمة بحصن مشقوط عشرة أيام. فقممت أخدم وأحفر مدة عشرة أيام»^(١).

- (١) لقد لاحظت في موضع آخر في (الصحيفة الآسيوية، س ٤ ج ٣، ص ٤٠٠) من المحتمل كثيراً أن كلمة خديم تشير إلى جندي. والواقع أن مويت Mouette يؤكد في كتابه (نهاية غزوات مولاي رشيد إن رماة السهام في مراكش يسمون Le Codem الخديم. فمن السهولة إذن أن نرى إن كلمة Le Codem ليست سوى الكلمة العربية الخدام، وهي جمع خادم، والكلمة لها معنى كلمة خديم. وكلمة خدمة الموجودة في نصنا، تؤخذ بمعنى خدمة عسكرية. وابن الخطيب (مخ دي غايانگوس - ص ١١٠) حين يتحدث عن أحد القواد البارزين، يعرب عن فكره بهذه الكلمات: «كان له في الخدمة مكان كبير وجاء عريض». ولعل هذا يجعلنا نفكر بوجود ترجمة الجملة هكذا: في الخدمة بوصفه جندياً. وبعد ذلك يجب ترجمة الكلمتين العربيتين (فقممت أخدم، هكذا: فقممت أخدم في هذه القلعة بوصفي جندياً. ومع ذلك فلا أعتقد بلزوم ترجمة هذه الجملة على هذا المنوال. والصيغة الثانية لفعل خدم تؤخذ على أن لها عدة مفاهيم عبثاً يبحث عنها الباحثون في قواميسنا. وتستعمل بمعنى اشتغل وعمل. فنحن نقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخ دي غايانگوس - ص ١٩٦)، وكان يخدم أصحابه ومماليكه في خدمة البستان وبناءه ويقول: لا أرضى أن يأكلوا طعامي وهم لا يخدمون. وكلمة خدمة تؤخذ كذلك بمعنى اشتغل وعمل، فنحن نقرأ لابن سعيد لدى فريتاگ: (قادراً على الخدمة). ونطالع لدى ابن بطوطة (مخ، ص ٢٠١): كان عبده يخدمون تلك الأرض نهائراً. وقد رأينا في نص ابن بطوطة المتقدم إن كلمة خدمة قد استعملت بمعنى الفلاحة في بستان. وأخيراً فإن هذه الكلمة تستعمل بصورة خاصة في معرض الحديث عن أعمال البنائين والفعلة الآخرين. ويقدم لنا ابن بطوطة =

الزئط وجمعه الزئوط

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكننا نقرأ لدى ابن إياس (تاريخ مصر، مخ ٣٦٧، ص ٣٩٠، حوادث سنة ٨٤٠) - أشهر السلطان المنادي في القاهرة بأن لا فلاح ولا غلام يلبس (رنط) (كذا) أحمر فامثلوا ذلك . ونقرأ بعد ذلك (ص ٤٠١): ثم إنه نادى (بان؟) لا فلاحاً ولا عبداً يلبس رنطاً (كذا) أحمر . وكانت الغاسلة إذا طلبت إلى ميتة تفعل كما تقدم^(١) . وقيل إنه رأى في المنام عرباً بزئوط (كذا) حمر شاء حثينه (ختينه؟) .

إن السبب الوحيد الذي حملني على وضع هذه الكلمة في باب الزاي وليس في باب حرف الراء هو اعتقادي بأن احتمال إغفال وضع النقطة فوق الراء أكثر سهولة من إضافتها إلى حرف الراء من قبل الناسخ . وعلى كل حال، فإنني اعترف بجهلي التام حول نوع اللباس الذي تشير إليه هذه الكلمة .

السَّبْجَة، السَّبِيج، السَّبِيجَة

يقول الجوهري (ج ١، ص ١٤٢) عن سبجة إنها (كساء أسود)، ويقول القاموس (ط كلكتا، ص ٢٣٦) المقالة نفسها، ولكنه يضيف إن هذه الكلمة تشير كذلك إلى البقيرة . أما سبيج وسبيجة، فالجوهري يقول: البقير

= (مخ، ص ٨٦) النص التالي: «ولما بنى أساسه رفع عن أهل المدينة التخديم فيه . وصارت الفعلة تخدم فيه (فيها) بالأجرة . وكلمة تخديم الموجودة في هذا النص الأخير ستبرر لفظي خدم بالصيغة الثانية في الأمثلة المتقدمة وفي نصنا المقتبس من ابن الخطيب، الذي له في الحقيقة شبه كبير بنص ابن بطوطة الأخير .
(١) راجع كلمة عصابة .

وأصله بالفارسية شبّي وهو القميص . والمعروف إن الكلمة الفارسية سبي تدل على قميص النوم (إن شميز دي نوي Une chemise de nuit) كما يقول العرب .

السَبْلَة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وهي الثوب الأول من الثياب التي تتألف منها التزيرة، أي الزي الذي تلبسه النساء في مصر فوق أثوابهن الأخرى، حين يبرزن من منازلهن . ونحن نقرأ في وصف مصر (ج ١٨، ص ١١٣): «السبله قميص كبير من التفتا يغطي كافة الملابس». (إلا الحبرة والبرقع، فهو يغطي جميع الملابس التي ترتديها النساء في البيوت) وتندلى حتى الأرض . والنساء يلبسن السبله عند خروجهن من دورهن، سواء رحن إلى الحمام أو قمن بزيارة . وهن لا يخلعنّها إلا إذا رجتهن خلعهن من أدين الزيارة لها، لا سيما إذا كانت من عليه القوم . ويؤكد لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٦١) إن هذا اللباس كساء واسع هفهاف، وإنه يسمى بالثوب فيساوي على وجه التقريب طوله بتمامه، وهو مصنوع من الحرير، ويكون عادة قرنقلي اللون وقد يكون ذا لون وردي أو بلون البنفسج . وليس هناك أدنى ريب بأن هذه الكلمة مشتقة من فعل أسبل .

السَبْنِيَّة

إن هذه الكلمة هي بالتخصيص اسم جنس جمعي مؤنث من كلمة سبنيّ، وهي تشير إلى أقمشة مصنوعة في سبن Saban (مدينة قرب بغداد). ولكن كلمة سبنية في المغرب تدل على حزام أو منطقة

(Strophium) هكذا سيرى دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي، ص ٨٢)^(١).

التساخين

يرى اللغويون العرب إن هذه الكلمة تدل على نوع من الخفاف وعلى ضرب من الطيلسان.

السُدُوس أو السَدُوس

حول النطق بهذه الكلمة بوسعكم مراجعة تعليقة للعلامة الجليل هامكر المثبتة في كتاب فيرس المعنون (ابن زيدون، لدى الفتح بن خاقان، ص ١٢٨). وهذه الكلمة تدل، في مذهب اللغويين العرب، على طيلسان أخضر.

وهناك بيت لأبي عبيدة، يرويه ابن الخطيب.

راجع (هامكر في كتابه القيم). وارجع إلى الجوهري (حول كلمة سندس، ج ١، مخ ٨٥، ص ٤٢)، وانظر شارح ابن خاقان لدى فيرس كتابه القيم، ص ٣٧ و ١٢٦)، وهذه كلمات البيت (الطويل):

وداويتها حتى شئت حبشية كأن عليها سندساً وسدوساً^(٢)

- (١) إن كلمة سبئية تدل كذلك على قطعة قماش أو على منشفة. ويفسرها المطرزي في كتابه (الإقناع، مخ معهد البلاد المنخفضة، رقم ٧٣ ص ٦٤) بكلمة شقة. ويقول ابن بطوطة (مخ دي غايانغوس) ثم جاء أحد الفتيان ببقشة. والبقشة بضم الباء الموحدة وسكون القاف وفتح الشين هي السبئية (المعجم). وبوسعكم مراجعة تعليقات كاترمير حول كلمة ببقشة. وقد سبق لي إن ألمعت إلى هذه الكلمات.
- (٢) في مخطوطة ابن قتيبة نجد (وداريتها)، و Hamaker يفضل هذه الكلمة، ومع ذلك =

«لقد عالجتها بحيث إنها الآن تستطيع قضاء الشتاء كامراً حبشية (أي: تكاد تكون عارية)، وبوسعها القيام بهذه العملية بكل أمان واطمئنان، كما لو كانت مكتسية بالحرير أو بالسدوس». ويخيل إلينا أن بوسعنا أن نستخلص من هذا البيت أن السدوس كانت ترتديه النساء في الشتاء بصورة خاصة، ليقيهن من البرد.

السَّيْدَارَة

إننا نقرأ القاموس (ط كلكتا، ص ٥٤٩) إن السَّيْدَارَة بالكسر هي الوقاية تحت المقنعة والعصابة. إذن فهي نوع من طاقة.

السَّرْبَال

إنني لا أجروء على التأكيد، كما صنع فريتاك، بأن هذه الكلمة هي تحريف للكلمة الفارسية شلوار، فهي على أقل تقدير لها معنى آخر مغاير كل المغايرة. ويرى القاموس (ط كلكتا، ص ١٤٧٠) إن السربال هو: القميص أو الدرع أو كل ما لبس. ونجد كلمة سربال مفسرة في شرح أشعار جرير (مخ ٦٣٣، ص ٢١١) بكلمة قميص. ويرى كانيس في كتابه (النحو العربي الأسباني، ص ١٧١) إن كلمة سربال تشير إلى قميص أو إلى قباء أبيض يرتديه الجنود والحوذيون لوقاية ملابسهم من الأدران.

السَّرْمُوز، السَّرْمُوزَة، السَّرْمُوج، الزَّرْمُوزَة، الجَّرْمُوق

إن هذه الكلمات جميعاً ما هي إلا تحريفات للكلمة الفارسية

سرموزة، وهي نوع من طماق أي من غطاء من لباد للساق يلبس فوق الخف. وكانت كلمة جُرموق تلفظ قديماً كما هي (جُرموق)، وهي الكلمة التي يشرحها الجوهري (ج ٢، مخ ٨٥، ص ١١١) بأنها الخف الواسع الذي يلبس فوق الخف). ولكن يبدو إن كلمة سرموز قد استعملت في العصور المحدثه للإشارة إلى ضرب صندل، نعل - أو ربما لتدل على شبشب تلبسه النساء فوق أخفافهن. وفي أيامنا هذه يستعمل البابوش أو البابوج نفس الاستعمال. فنحن نقرأ لدى المقرئزي (وصف مصر، ج ٢، مخ ٣٧٢، ص ٣٦٠): وبه إلى الآن سكن يباعي إخفاف النساء ونعالهن التي يقال للنعل منها سرموزة. هو لفظ فارسي معناه رأس الخف. فإن سر رأس وموزة خف. وأرى إننا مياالون إلى الاعتقاد، تحت طائلة نص المقرئزي هذا، إلى أن السرموزة لم تكن تلبسها إلا النساء، ولكنها كانت تلبس أيضاً من قبل الرجال، خلال القرن السادس عشر على الأقل، عندما كتب كتاب ألف ليلة وليلة. (راجع ط مكنائتن، ج ٢، ص ٦٥، وط هاييخت، ج ٢، ص ٣٤). ويبدو أن هذه الكلمة لم تعد تستعمل في مصر. ومع ذلك ينبغي ملاحظة أن اتلكونت دي شابرول في كتابه (وصف مصر، ج ١٨، ص ١٠٩) قد ذكر البابوج والسرمة، وهما من الأحذية المصنوعة من الجلد المراكشي التي توضع فيها القدم مغطاة بالمز Mest (راجع كلمة مز). فحين يدخل الداخلون إلى إحدى القاعات المفروشة بالسجاجيد فإنهم يخلعون بوابيجهم والسرمة: هذا ما تقتضيه الآداب. فهل يحق لنا أن نستنتج بأن كلمة سرمة اختصار لكلمة سرموزة؟.

السراقيل



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولا أدري معنى هذه الكلمة بأي وجه من الوجوه. ولكننا نقرأ لدى المقرئ (وصف مصر، ج ٢، مخ ٣٧٢، ص ٣٤٧) إن العواهر كن يلبسن السراويل الحمراء في أرجلهن (وفي أرجلهن سراويل حمراء). وإن المخطوطة التي تحمل إشارة الباء (B) تذهب المذهب نفسه.

السراويل، السراويل، السراويل، السراويل

إننا نقرأ في صحيح البخاري (ج ٢، مخ ٣٥٦، ص ١٦٧) إن النبي ﷺ قد حرم على من يحج إلى مكة ارتداء السراويل. ويجب أن تحمل محل كلمة السراويل الإزار، فإذا لم يستطع الحاج إيجاد الإزار فيجوز له ارتداء السراويل. وهكذا نرى أن كلمة سراويل مشتقة من الكلمة الفارسية شلوار، وكانت مستعملة منذ العهود الإسلامية الأولى.

والسراويل كانت شائعة الاستعمال في الأندلس. فهناك عدة مؤلفين عرب من شبه الجزيرة هذه قد تحدثوا عنها، والأسبانيون قد ضاعوا كلمتهم O caraguelles (zaraquelles) من الكلمة العربية.

وفي المغرب كذلك يستعمل هذا اللباس. فنحن نقرأ في كتاب ديكو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر، مج ٢، ص ٢٨): «إن النساء يرتدين جميعاً لدى خروجهن من منازلهن تلك السراويل الكتانية، التي يجعلنها ناصعة البياض للغاية بمفعول الصابون، وهي تتدلى حتى تصل إلى مواضع أقدامهن». ويتحدث دارثيو في كتابه (المذكرات، ج ٥، ص ٢٨٩) عن رجال مدينة الجزائر فيقول: «إن لبعضهم قمصاناً وتبايين (سراويل) ومعظمهم لا يملكونها قط، وخصوصاً في فصل الصيف، فإن حرارة الطقس تعفيهم من هذه النفقات. أما مغاربة الريف، الذين هم علماء القوم وفقهاؤهم فإن لهم على الدوام أقمصه وسراويل تكريماً لهم

واعترافاً بفضلهم، وهم يلبسونها احتشاماً». وبعد ذلك (ص ٢٨٥): «سراويل القنب لسكان مدينة الجزائر». ويقول مارمول في كتابه (وصف أفريقيا، ج ٢، ص ١٠٢، مج ٢) في معرض حديثه عن الرجال في فاس: «يرتدي كل منهم سروالاً من القنب يتدلى حتى كعبي قدميه، وهو ضيق للغاية من أسفله».

والسروال القديم (أودي شوس) (Le haut-de-chausse) الذي يلبسه الرجال في مدينة فاس وارد ذكره لدى دييغو دي توريس في كتابه (قصة الشرفاء، ص ٨٥). كما نجد لدى غليوم ليتغوف (ص ١٧ - ج ٢، رحلات برية في القرن التاسع عشر Guillaume Lithgouve) أن «الرجال والنساء في مدينة فاس يرتدون السراويل (Lange broecken) في حين أن كعب القدم مكشوف». ويؤكد مارمول (ج ٢، ص ١٠٣، مج ١) إن النساء في فاس، لا سيما الأسبانيات الأصل، يلبسن لدى خروجهن من بيوتهن، سراويل مفرطة في الطول، يطويها طيات متعددة ليظهرن جمال السيقان حسب أهوائهن (Para proporcionar la pierna) ما دامت هذه الثياب المرلوطات (Las marlotas) لا تصل إلا إلى منتصف الساق». وإذا آمنا بما يقوله دييغو دي توريس (ص ٨٦) فإن النساء في مراكش يرتدين السراويل التي هي واسعة من الجهة العليا وتضيق من الجهة السفلى، وتتدلى حتى ربله الساق». ومع ذلك فإن مارمول (ج ٢، ص ٣٣، مج ٣) يلاحظ بنفاذ بصيرة إن نساء مراكش لا يرتدين مطلقاً هذا الثوب:

«No acostumbran traer caragueles como las de Fez».

وحتى الرجال في فاس لم يكونوا يرتدون هذا اللباس، إذا كان ليون الأفريقي يقرر الحقيقة في كتابه (وصف أفريقيا، ص ٣١٩). وأخيراً فإننا نطالع في كتاب (أخبار من مراكش ص ١٧٧): «أما الأغنياء فيرتدون سروالاً من القنب الأبيض، الذي يدعى سروالاً Serûal، والذي هو في

معظم الأحوال واسع فضفاض بإسراف. وأما البحارة فيرتدونه عادة من الجوخ. راجع اللوحة الخامسة عشرة، الشكل الثاني».

وكل ما أعلمه أن المغاربة ليست لهم كلمة أخرى للدلالة على هذا اللباس، وليست الحالة على هذه الشاكلة مطلقاً في مصر حيث، كما سنبهن على ذلك بعد قليل، تستعمل كلمة لباس للإشارة إلى ما تشير إليه السراويل بالذات، وحتى في أيامنا هذه، فإن كلمة لباس شائعة الاستعمال للدلالة على السروال أو الثبان فقط. (راجع كلمة لباس).
ويقرر الكونت دي شابرول إن كلمة سروال (كذا) تشير إلى سروال مملوك، وهذا السروال أحمر ومصنوع من الحرير البندقي». (وصف مصر، ج ٨١، ص ١٠٧). وفي هذه العبارة يجب إحلال كلمة بنطلون Pantalon محل كلمة كيلوت Culotte. راجع الصورة في كتاب ويتمان (رحلات إلى ترقية الآسيوية وسورية ومصر، ص ٢٤٢).

ويبدو أن بدو مصر لا يرتدون الثبان ولا السروال ولا البنطلون، لا رجالهم ولا نساؤهم. ولنمض الآن من مصر إلى سورية.

يقول بلون في كتابه (ملاحظات، ص ٣٢٧) في الفصل الذي عقده حول مدينة الناصرة: «لا يلبس أهلها الذكور الثباين مطلقاً ولا يستعملون الجوارب ولا يرتدون السراويل، ولكن نساءها يرتدين هذه الملابس جميعها، تماماً كما يصنع الأتراك».

ويؤكد روالف في كتابه (وصف حقيقي للرحلات، ص ٤٩) إن سكان طرابلس الشرق «يلبسون وبصورة خاصة في موسم الصيف، سراويل من القطن واسعة فضفاضة بيضاء بياض الثلج، وهي تتدلى حتى كعب القدم، وإنها محكمة الضيق من الأسفل وليست كذلك من الأعلى. وهي كذلك محرومة من الرافعات الخافضات، لاستطاعة غسل الأعضاء الطبيعية (العورة) والأقدام بدون عائق، أثناء التطهرات الشرعية اليومية، التي

يغسل القوم خلالها سواعدهم وأيديهم فيما يغسلون». وبعد ذلك (ص ٥٠، ٥١) يقول هذا الرحالة عن نساء هذه المدينة، إنهن يرتدين سراويل واسعة شبيهة بسراويل الرجال». وهن يجعلنها طويلة بحيث إنهن يدرجن ثيابهن في هذه السراويل من الأسفل أحياناً». وتصنع عادة من النسيج الرقيق اللين، وتتألف بحلاوة وأناقة من عدة ألوان، وقد طرزت أذيالها الجانبية بتطريزات بديعة». ويذكر المؤلف نفسه أخيراً بعد ذلك (ص ١٣٣) وهو يصف زيه الذي تزيأ به للسفر من حلب إلى بغداد، فيقول أن «بنطلونه من القطن الأبيض الهابط إلى كعب قدمه».

ويقول دانديني (رحلة من جبل لبنان، ص ٤٦) عن رجال طرابلس: «إنهم يسترون سيقانهم بالسراويل العريضة المصنوعة من القنب أو من نسيج آخر، وهي تتدلى حتى الأقدام». وبعد ذلك (ص ٤٨): «وتستعمل النساء كذلك السراويل». ويذكر دي برين أيضاً (الرحلات، ص ٣٦٢، إلخ) «سراويل نساء حلب التيلية» ولكنه يضيف قائلاً: «على أنهن يرتدين السراويل المصنوعة من أقمشة أخرى، حسب متطلبات الموسم». انظر هيئة هذا اللباس في الشكل الرقم ١٨٩. ويقول دارثيو في مذكراته (ج ٦، ص ٤٢٥) بأن «نساء حلب» يرتدين السراويل الطويلة كما يرتديها الرجال». ويصف لايت في كتابه (رحلات إلى مصر والنوبيا والأرض المقدسة وجبل لبنان وقبرص، ص ١٤٦) متحدثاً عن رحلته من يافا إلى الرملة وإلى القدس أزياء البغالة المسمى واحدهم (مكاريا) فيقول: «إن الشرويل Le sharweel أو السروال، لاكيلوت La culotte واسع فضفاض، وهو يتدلى حتى الركبتين، وقد صنع من الجوخ»^(١).

(١) تتواجد هذه الكلمة كثيراً لدى الرحالين. ونجدها معروفة إلى Mucrelli في قصة بومكاراتن في كتابه (الزيارة، ص ٥٧). وللمؤلف جان زوالار في كتابه (الرحلة المثلى إلى أورشليم، ص ٧٢ - ٧٤) فصل تام عنوانه المكارون: Des Mouqueres، =

ويقرر دارفيو في كتابه (رحلة من فلسطين صوب الأمير الأعظم، ص٢٠٦): «إن أمراء وشيوخ البدو في سورية يرتدون في موسم الشتاء السراويل من التيل، كما يرتدونها في الصيف». (المرجع السابق ص٢٠٨، انظر المرجع السالف، ص٣٧٤): «وللسيدات سراويل من الموصلي وهي مطرزة بالحريز من أطرافها وفي مواضع الخياطة» (المرجع السابق أيضاً) «ويرتدي سواد العرب سراويل من التيل» (ص٢١١).

أما عرب الطبقي الوسطى في اليمن فيرتدون، حسب رواية الرحالة نيبور في كتابه (وصف الجزيرة العربية، ص٥٨)، سراويل واسعة. وأما عرب الطبقة العليا فيرتدون السراويل أيضاً (المرجع السابق، ص٦٠). ويرتدي بعض سواد العرب السراويل كذلك. وتستعمل النساء في المناطق الجبلية هذه السراويل كذلك (المرجع السابق، ص٦١) وسراويلهن مصنوعة من التيل الأزرق ببعض التطريزات الملونة.

ويخبرنا علي بيك في كتابه (أسفار، ج٢، ص١٠٦) إن نساء مكة

= حيث يقص علينا كيف يتحتم على زوار بيت المقدس التصرف مع هؤلاء الرجال. ويبدأ الفصل على هذا المنوال: «إن المكارين هم أولئك الذين يعلقون ويوآجرون الحميز التي يمتطيها النصارى للتجول في الحقول، من مكان إلى آخر، وهم يقومون بخدمة ومتابعة هؤلاء الزوار، كما يقوم بنفس العملية من نسيمهم الفيتوريين في إيطاليا Vetturins. ولكن المكارين أشد بربرية من أولئك الإيطاليين، إذ أنهم رجال قساة ضعفاء المروءة: ومعظمهم يدعون أنهم نصارى: ولكنهم من أولئك المارونيين المسيحيين ذوي الأنطقة. وهم ليسوا ألطف ولا أرق من العرب، ولا تستطيع تمييزهم من العرب إلا بقبعاتهم السوداء الموضوعة على رؤوسهم، وهذه القبعات غير مغطاة بقماش أبيض قبعات المغاربة المحمدين ولا قبعات العرب».

ومن كلمة المكاري وضع البرتغاليون والأسبان كلمتهم المكرف: Almocreve.

يرتدين «سراويلات هائلة، تتدلى حتى بوابيجهن بل تدخل فيهما، أو قد تندس في خفافهن، وهي مصنوعة من القطن المخطط المجلوب من الهند». ويقول بركهات في كتابه (أسفار في الجزيرة العربية، ح ٢، ص ٣٣٩) إن لهن سراويل زرقاء ومخططة واسعة بأفراط تصل حتى كعوب أقدامهن، وهي من الأسفل مطرزة بالفضة، وقد شاع استعمالها بصورة عامة حتى بين رجال مكة. (راجع علي بيك، ح ٢، ص ١٠٨ مع بركهات، ح ١، ص ٣٣٦).

وإننا واجدون هذا اللباس في الأقطار الشرقية فقد ذكر بكنكهام في كتابه (رحلة إلى بلاد الرافدين، ح ١، ص ٦) الشروال المصنوع من الجوخ الأزرق «Sherwal». (وتجدون أن هذا الرحالة يلفظ كلمة شروال بالشين كما يلفظها الكونت دي شابرول). راجع بيترو دلافاله (رحلة إلى تركيا وفارس ح ٢، ص ١٦١).

وقد انتشر استعمال هذا اللباس بصورة عامة في الجزيرة وفي العراق العربي. إذ يعرض لنا روالف في كتابه (وصف حقيقي للرحلات، ص ١٩٠) وصفاً رائعاً يبعث على التأمل حول رحلته إلى مناطق الفرات. وبعد أن يتحدث عن مدينة Schara الصغيرة وقبل أن يتكلم عن (عانه)، يصور لنا من يسميهم Moren الذين يقارنهم بمن يدعون Zigeuner (الغجر) ولعلمهم البدو ممن يعرفون ببني سعيد، ما دام فريزر في كتابه (رحلات إلى كردستان وبلاد ما بين النهرين إلخ، ح ١، ص ٣٦٦) يسميهم قبيلة بني سعيد Beni Saeed وهم العرب الذين يوجدون أكثر ما يوجدون في الشمال على ضفاف الفرات، في شيرين Shereen. ويقول راولف بهذا الصدد: «إن الرجال لا يرتدون السراويل، ولكن نساءهم وحدهن يرتدينها. وسراويل هؤلاء النسوان معظمها من اللون الأزرق، وهي تصل إلى كعوب أقدامهن، مثلهن مثل النساء التركيات.

وسأتحدث في قابل الصفحات عن تعبير سراويل الفتوة. (انظر كلمة لباس).

السقمان



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويحدثنا المقرئ في كتابه (وصف مصر، ج ٢، مخ ٣٧٢، ص ٣٥٠) إن الأمراء والجنود والسلطان نفسه كانوا يلبسون، أيام حكم السلالة التركية (الجركية) فوق الخف، السقمان (وفي أرجلهم من فوق الخف سقمان وهو خف ثان).

السلاري



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وكان السلاري أو القباء السلاري (قباء الأمير سلار) هو اللباس الذي كان في غابر السنين (بغلطاق). راجع هذه الكلمة.

السَّلْطَة



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويرى لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٥٨) إن هذه الكلمة تشير إلى سترة Jaquette تصنع عادة من الجوخ أو من القطيفة، وهي مطرزة على طراز تطريز الجبة، وإن النساء في القاهرة يرتدينها في غالب الأحيان بدل الجبة. ويكتبها فيسكيه (سلته) في كتابه (رحلة إلى الشرق، ص ٤١)، ويشرح هذه الكلمة بأنها سترة فوقانية للرجال والنساء.

السليضة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويقرر هوست في كتابه (أخبار من مراکش، ص ١١٩) إنها نوع زينة أو إكليل للرأس يشبه العذبة وتستعمله النساء في مراکش. ويكتب كرابردي همسو الكلمة (سفيفة: Sfifa) في كتابه (المرأة إلخ، ص ٨٠). ولكن ربما كانت هذه الكلمة خطأ مطبعياً.

المسماة

هل تكون المسماة طماقا أي غطاء من لباد للساق والخذاء؟ لأننا نقرأ في القاموس (ط كلكتا، ص ١٨٩٥): «واستمى الصائد لبس المسماة للجورب أو استعارها لصيد الظباء في الحر وطلبها في غيرانها عند مطلع سهيل».

السنتبر

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويحدثنا دابر في كتابه (وصف حقيقي دقيق لأقاليم أفريقيا، مج ١، ص ٢٤١) إن أحد الخدام الذين رافقوا سفراء ملك فاس ومراكش، والذين وجدوا عام ١٦٥٩ في امستردام، يرتدي «ثوباً مبطناً بالفرو، مفتوحاً من الجهة الأمامية ومزوداً بقبع كبوشي يتدلى على الظهر، وله كمان مسدلان». ومن هذين الكمين تدخل الذراعان أحياناً. ومن الأعلى إلى الأسفل من الجانبين الأماميين توجد قطع حمراء مستديرة مع شرائط مبرومة أو قياطين في الوسط تصلح لربط هذا الثوب. وهم يشدون

الأقسام العليا منها بصورة خاصة. وهذا الثوب يدعى لديهم *sant à barre* (سانتابار) كما يسمى كبوطا *Kabbout* (راجع كلمة كبوط)، وهو يرتدي في أغلب الأحيان من قبل البحارة وخصوصاً في الشتاء. والحقيقة أنه لباس مريح ملائم لأولئك الذين يتحتم عليهم أن يعملوا، ذلك لأنهم يخلعونه ويلبسونه بيسر وسهولة.

وأعتقد أن هذه الكلمة أسبانية الأصل، ولكن حتى يومنا هذا لم أستطع اكتشاف الكلمة الأسبانية التي شملها الإفساد والتحريف، فتحوّلت إلى: (سانتابار: *Sant à barre*).

الساج

هذه الكلمة حسب مذهب القاموس (ط كلكتا، ص ٢٤٠) هي (الطيلسان الأخضر والأسود)^(١).

السيقان

إن هذه الكلمة، وهي جمع ساق، تشير بصورة خاصة إلى (السيقان)، ولكن يجب إضافة إلى القاموس أن تؤخذ كذلك بمعنى السروال الواسع بإفراط. ويترجم بيدرو دي الكالا (*Pedro de Alcala*) في كتابه (مفردات أسبانية عربية) «*Vocabulario Espanol Arabigo*».

كلمة ساهون (*çahon*) بكلمة سيقان: وأعتقد أن الكلمة الأسبانية ساهون ليست إلا تحريفاً للكلمة العربية سيقان. ويبدو أن العلماء الأسبان في عهد كوباروفياس (*Cobarruvias*) قد حكموا نفس هذا

(١) قال المؤلف في ترجمة هذا النص: «الأخضر أو الأسود». (المترجم).

الحكم. وعلى كل حال، فإن هذا اللغوي يؤكد أن كلمة ساهون هي عربية الأصل.

الشامي

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بالمعنى المراد.

ويقرر النقيب ليون (9Lyon) في كتابه (أسفار في الشمال الإفريقي، ص ١١٧) إن النساء في مرزوق يرتدين قمصاناً من الحرير الذي يطلق عليه اسم الشامي. ويضيف هذا الرحالة إن الناس في هذه المدينة يرتدون هذه القمصان المصرية، ولكن، لما كانت كلمة شامي تعتبر عما هو وارد من سورية، فإنني أعتقد أن هذه الأنواع من القمصان مصنوعة في سورية، وإنها تعبر هذا القطر إلى مصر، وإن سكان مرزوق يظنونها صناعة مصرية، ذلك لأنهم يبتاعونها من تجار مصر. ويخيل إليّ أن الناس قديماً كانوا يقولون (قميص شامي)، ولكن غبرت أزمان فغير معها اسم قميص وظل اسم شامي باقياً لعرب عن القميص الحريري المخطط.

الشاية وجمعها الشايات

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وقد استعار عرب الأندلس هذه الكلمة من جيرانهم المسيحيين. استعاروها من الكلمة الأسبانية سايا وسايو (اعتبرهما المؤلف كلمة واحدة فجاريناه - المترجم) التي هي كما تعلمون، مشتقة بدورها من الكلمة اللاتينية ساغيوم Sagum ويترجم بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) كلمة Saya de muger بكلمة شاية، وجمعها شايات، ويترجم على نفس النمط كلمات Sayo de varon. ونحن نعلم أن كلمة

Sayo تشير إلى عباءة واسعة لا أضرار لها، ويرتديها القرويون الأسبان». أما Saya فهي تنورة امرأة^(١). ونحن نقرأ في الإحاطة لابن الخطيب (مخدي غايانغوس، ص ١٧٨) عن حياة محمد الأول، ملك غرناطة: «وحدث أبو محمد البسطي». قال: «عاينته يوم دخوله وعليه شاية ملف مضلعة أكتافها مخرقة». وإن كلمة مضلع، الواردة في هذا النص، تؤخذ على أن لها معاني متعددة، كما بمقدورنا أن نرى مصداق ذلك في القاموس، لدى كلمة مضلع. راجع كلمة ملف الصفحة ١١٢ من هذا الكتاب، موضوع الجبة.

وقد دخلت كلمة Sayo كذلك إلى لغة المندنكو. وهذا الشعب يلفظها Saio. (راجع مكبرير في كتابه قواعد اللغة المندنكية، ص ٤٢)^(٢).

الشَد وجمعه الشُدود

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بالمعاني المنشودة. ويرى داير (وصف حقيقي لأقاليم أفريقيا، مج ١، ص ٢٤٠) إن كلمة Sied أو Sjed تشير إلى قطعة قماش من القطن الرقيق التي يلف بها الرأس، والتي تستعمل للفي العمامة. ويؤكد هوست في كتابه (أخبار من مراكش، ص ١١٤) كذلك إن كلمة شد تدل على ما يشير إلى العمامة، ومعنى ذلك قطعة من الموصلي، أو من قماش أبيض رقيق آخر، يسطح ويرفق فيتخذ منه الناس عدة لفات فنية تسوى فوق العرقية الحمراء (شاشية). ويبلغ سعرها خمسة ماركات وقد يصل أحياناً إلى خمسة دوكات. ويقول هوست أن هذا التاج لا يرتدي إلا من قبل الإشراف والحجاج (زوار

(١) كلمة صايه دارجة في اللغة العراقية الدارجة.

(٢) لغة شعب مالي؟ (المترجم).

مكة) والقضاة والرؤساء وطلاب العلم والفقهاء^(١). ويقول مارمول في كتابه (وصف أفريقيا، ج ٢، ص ١٠٢، مج ٣) عن سكان فاس: «لبعضهم عادة الاعتماد بالقلانس (Tocas) الرقيقة البيضاء، وهي مقدرة لديهم كل التقدير، وهم يسمونها (تونس Tunecis) ويلفونها ست أو سبع لفات حول الرأس»^(٢).

وكلمة شد لها نفس المعنى في مصر، كما أثبت ذلك كاترمير بالاستناد إلى نص لابن إياس (تاريخ السلاطين المماليك، ج ١، ق ١، ص ١٥٠). والشد يشير كذلك في هذا القطر إلى: حزام من القطن الأبيض البعلبكي (الشد البعلبكي، المرجع السابق). وكلمة شد معنى آخر أيضاً، فهي تشير إلى: قطعة قماش تلف بها الرقبة، وقاية لها من البرد أو الحر، فهي بمثابة رباط Cravate. فنحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناتن، ج ١، ص ٤٠٩): «ألبسه قميصاً رفيعاً وثوباً من ثيابه وعمامة لطيفة وحزاماً رفيعاً ولف له شداً على رقبته». ونلاحظ هنا بسهولة أن المسألة ليست مسألة عمامة: ذلك لأن العمامة قد ذكرت باسمها، ثم أن العمامة لا تلف حول العنق، إلا لإظهار الخضوع والطاعة والاستسلام، وعلى ذلك فإن هذا الشاب اليافع موضوع بحث نصنا لم يكن ليحمله أي شيء على إظهار هذه الحالة. وأخيراً فإن هذا المعنى الذي أعزوه في هذا الموضع إلى كلمة شد قد ثبت بالبرهان، كما يبدو لي، وذلك بتوافر العدد الكبير من نصوص الرحالين الأوروبيين. فنحن نقرأ لدى كوتو فيك في

(١) تشير كلمة رئيس إلى ربان السفينة. راجع كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناتن، ج ١، ص ٩٣، ٩٥، إلخ). ونحن نصادف هذه الكلمة بهذا المعنى في كافة قصص الرحالين تقريباً، هؤلاء الرحالة الذين زاروا الشرق في مختلف العهود، ومع هذا فإن هذا المعنى لم يرد له ذكر في القاموس.

(٢) تونسي (نسبة إلى تونس. راجع كلمة دراعة، التعليق ٢).

قصته (رحلة - ص ٤٨٥): «كانوا أثناء السفر يحيطون رقابهم بقطع من القماش أو بالمناديل (Linteola vel sudario) حماية لأنفسهم من لفح الشمس» ونقرأ في كتاب المعنون (قصة رحلة في مطلع عام ١٦١٠، ص ٢٠٩): «يلفون مناشف من التيل حول أعناقهم». ويعبر روجيه عن الموضوع في كتابه (الأرض المقدسة، ص ٢٠٤) بهذه الكلمات: «يضعون تحت العمامة وفوق رؤوسهم خماراً واسعاً من الحرير الأسود، ويلفون به العنق عدة لفات فيندلى حتى الأكتاف». (راجع الشكل ١، ص ٢٠٦). ويقول بوكوك في كتابه (وصف الشرق، ج ١، ص ٣٢٧): «إن شعب مصر يلف حول رقبتهم قطعة قماش زرقاء اللون تكون مفرطة في السعة أحياناً. وهو يغطي بها الرأس أيضاً، وقاية من البرد ومن أشعة الشمس».

ونجد في كتاب لين (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٤١): «وفي الشتاء يضع كثير من الناس حول رؤوسهم وأكتافهم شالات من الموصلي أو من قماش آخر - شبيه بالنسيج الذي يستعملونه لتكوير العمامم».

المَشْدَّة

ذكر فريتاك إن (المشددة هي التاج، إذا صحت قراءة نص «تحفة الإخوان»). ولعل كلمة مشد تشير كل الإشارة إلى تكوير رأس شبيهة بالعمامة أو بالأحرى شبيهة بالشد. وعلى أقل تقدير فإن الكلمة موجودة في اللغة العربية للدلالة على: طرحة مشدودة حول رقبة الحصان. (المقريزي، تاريخ السلاطين المماليك - ج ١، ق ١، ص ١٥٠).

الشَوَذَر

إننا نقرأ لدى الجوهري (ج ١، مخ ٨٥، ص ٣٠٩): «الشوذر الملحفة. وهو معرب. وأصله بالفارسية جاذر» (كذا). كما نطالع في القاموس (ط كلكتا، ص ٥٦٢): «الملحفة معرب». والحقيقة أن الشوذر هو الكلمة الفارسية جادر، وهذا اللباس يماثل كل المماثلة - من حيث الهيئة، الرداء الواسع أو خمار المرأة، وهو ما نسميه بالملحفة. والشوذر أو الجادر مستعمل في العراق العربي وفي فارس. فنحن نقرأ في القصة المكتوبة باللغة الأسبانية، لمؤلفها البرتغالي الرحالة Teixeira تيخيرا (رحلات من الهند الشرقية إلى إيطاليا - ص ١٢١): «إن جميع النساء الدارجات في الدروب والأزقة (جميع نساء بغداد) مستورات بقطع من القماش تشابه الأزر (Como mantos) ويدعى واحدها Chaudel - ومع ذلك فإن لون هذا الإزار ليس أسود». (كما هو في أسبانيا والبرتغال). وفي قصة بينرو دلافاله، (ص ٧٥٢) نقرأ عن بغداد: «وختاماً فإن الأزر التي تستر بها النساء لدى خروجهن من منازلهن تختلف كل الاختلاف عن بقية أجزاء الملابس الأخرى وعن الأزر التي رأيتها حتى الآن، ذلك لأن هذه ليست ثياباً من الجوخ، كما هي في القسطنطينية (فراجة)، ولا هي قطع من التيل الأبيض، كتلك الموجودة في سورية ومصر (إزار): ولكن عوام النساء يرتدين بعض القطع المنسوجة من التيل الحاوي على مربعات بيض وزرق، كتلك الملاحف التي ترتديها نفس الطبقة في القاهرة (ملاية - ملاعة)، أما نساء الطبقة الأعلى فيرتدين الأقمشة الحريرية من نفس اللون، وهذه الملابس غاية في الرقة والنعومة والسعة والفضفضة، نظراً للحرارة اللاهبة التي تخيم على هذا القطر. وأخيراً فإن نساء الطبقة العليا يلبسن - كما تلبس زوجتي الحساء معاني (Maani) نفس الأقمشة

التي هي أحادية اللون، فهي أما بنفسجية خالصة، أو زرقاء عاتكة، مع بعض الشرائط حول الحواشي التي تكون من لون مغاير. وهذا اللون داكن أيضاً. وهي تشبه كل الشبه الإزار الذي ترسم به سيدتنا مريم العذراء (Notre Dame). ونحن نطالع في قصة الأب پاسيفيك (رحلة من فارس، ص ٤١٢) قوله: «أما اللباس فهو متماثل من الجهة المظهرانية لدى جميع النساء (الفارسيات) فهن لا يملكن إلا كفنأ واسعاً أبيض اللون يسترهن سترأ شاملاً، من الرأس إلى أخمص القدمين». ونجد في رحلة أولياريوس (رحلة إلى موسكو فيا وبلاد التتر وفارس، ص ٨١٩): «إن النساء» في فارس (لا يسفرن مطلقاً عن وجوههن لدى سيرهن في الدروب والأزقة، ولكنهن يكن مستورات تحت أزر بيض تصل إلى سيقانهن، وهن لا يفتحن منها إلا ثقباً صغيرة في مواضع العيون، وذلك بغية القدرة على المشي. وطالما تغنى شعراء الفرس بهذا الإزار قائلين بأن أجساماً لدنة غضة بضة كثيراً ما أخفت نفوساً خبيثة شريرة، وإن تحت مظهر الحياة الصالحة طالما قبع عدد هائل من أمهات الرذائل، وقد يستر هذا الإزار الأبيض في أحيان كثيرة - تحت أزياء هي غاية في الروعة والبهاء، امرأة هي غاية في القباحة والدمامة». ونقرأ في كتاب تيفينو (تتمة رحلة من المشرق - ص ١٧٧): «إذا طوفت النساء الفارسيات في دروب المدينة فإنهن غنيات كن أو فقيرات يرتدين إزاراً هائلاً بل كفنأ من التيل الأبيض، هو غاية في الرقة والنعومة، ولكن نصفه يعصب جبين المرأة حتى عينيها، ويدور فوق الرأس، ويصل حتى أخصيها، أما النصف الآخر فيعصب وجه المرأة، تحت العينين ويرتبط بدبوس على الجهة اليسرى من الرأس، ويسقط حتى يصل إلى نعليها، ويغطي حتى يديها اللتين تمسك بهما جانبي هذا الشراع، بحيث أن المرأة تتكيس فيه بتمامها حاشا عينيها».

ونقرأ في كتاب أوليفيه (رحلة إلى الامبراطورية العثمانية ومصر

وفارس، ص ٢٦٢ وج ٥): «تدفن المرأة الفارسية نفسها لدى خروجها من بيتها في إزار واسع من النسيج الموصلبي أو من قماش قطني أقل رقة ونعومة. أما نساء الشعب فيستعملن قماشاً من القطن الملون».

ويؤكد كبير پورتر في كتابه (رحلات إلى جورجيا وفارس وأرمينيا وبابل القديمة، ج ١، ص ١٣٢، إلخ): «نرى النساء (الفارسيات) حين يبرزن من مكامنهن - إنهن يمشين مترنحات الخطى، ملفوفات من رؤوسهن إلى أقدامهن في شرع أسوي واسع يدعى بالجادر Chadre».

ويقول المرجع نفسه بعد ذلك: «لدى ذهابي إلى القلعة وعند ولوجي في السوق، شهدت بضع نسوة من مختلف الطبقات يمضين لاستنشاق الهواء في كنف الجادر الذي لا يستطيع اختراقه مخترق، ولم يكن سهلاً على أحد اكتشاف ما إذا كان هذا الكن قد حجب ثروة باذخة أم فقراً مدقعاً». راجع (امرأة فارسية مغلفة بجادرها، ج ١، ص ٣٥٤). وفي موضع آخر (ج ١، ص ٢٠٨) في معرض وصف ينگشاه (بين اريقان ونكشيفان): «إنهن يلففن أجسامهن بالجادر الذي هو غطاء من القطن الأبيض، أو من المربعات الزرق والبيض الذي يحيط بهن كما يحيط الكفن بالميت». وأخيراً (ج ٢، ص ٢٦٨): «إن الجنس الطيف كله في مدينة بغداد، النساء الغنيات والنساء الفقيرات، يخرجن من منازلهن مرتديات الجادر ذا المربعات الزرق والبيض: في حين أن هذا النسيج بإحاطته للجسم لا يترك مجالاً للدلالة على أصل المرأة العريق التي ترتديه، اللهم إلا قطعة من الذهب، مكفنة في إحدى حواشيه تومى إيماء إلى نبل محتدها».

ونطالع في كتاب بكنگهام (رحلات إلى بلاد ما بين النهرين، ص ١٩٥، ج ٢): «إن أزياء نساء مدينة بغداد هي كذلك بسيطة بساطة الأزياء التي تستعملها أفقر نساء قرى بلاد ما بين النهرين، ذلك لأن نساء

مختلف الطبقات يشتملن بقطع من التيل تحتوي على مربعات زرق وبيض تشبه تلك القطع التي ترتديها نساء أفقر الطبقات في مصر (ملاية، ملاعة): ويؤكد فريزر (رحلات إلى كردستان وبلاد ما بين النهرين، ج ١، ص ١١٩) إنه لم يكن في مقدوره رؤية النساء الكرديات لأنهن - كما يقول: «لا يظهرن إلا عل هيئة أكوام من الجوادر أو الأغطية الزرق ذات المربعات البيض والزرق». ويقول المؤلف نفسه في موضع آخر من كتابه (ج ١، ص ٢٧٨) في معرض وصفه لبغداد: «إن أغطية النساء الهائلة المصنوعة من التيل الأزرق الغامق أو من اللونين الأزرق والأبيض، التي تغطي الجسم من الرأس إلى القدمين، تخفي في الحقيقة الخصر والقامة والحلة».

والشعراء والكتاب الفرس يذكرون الجادر في مجازاتهم وأمثالهم، ويسرفون في التعريض به. ويرى القاموس (ص ٥٦٢) إن كلمة شوذر تشير كذلك إلى اللباس المشار إليه بكلمة إتب.

الشَّرْبِيَّة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي كما يذهب إليه دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي - ص ٨٢) عصابة تشدها النساء في المغرب حول الرأس *Strophium capitis*.

الشربوش وجمعه الشرابش والشرابيش

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وقد سبق لكاترمير في كتابه (تاريخ السلاعين المماليك، ج ١، ص ٢٤٥) إن استعار، من نص للمقريزي، الكلمات "جوهريّة التي تعنيها

بصورة خاصة على فهم هذه الكلمة. وأؤمل ألا تتضايقوا من إدراج هذا النص بتمامه هنا. فدونكم النص (مخ ٣٧٢، ج ٢، ص ٣٥١): «وأما الخلع فإن السلطان كان إذا أمر أحداً من الأتراك ألبسه الشربوش. وهو شيء يشبه التاج كأنه شكل مثلث يجعل على الرأس بغير عمامة (ويلبس معه على قدر رتبته أما ثوب نخ^(١) أو طرد وحش أو غيره. فعرف هذا السوق بالشرابشين نسبة إلى الشرايش المذكورة. وقد بطل الشربوش في الدولة الجركسية. وكان بهذا السوق عدة تجار لشراء التشاريف والخلع^(٢) وبيعها على السلطان في ديوانه الخاص وعلى الأمراء. وينال الناس من ذلك ويقتنون بالمتجر في هذا الصنف سعادات طائلة^(٣). فلما

(١) تشير كلمة نخ إلى نسيج من الحرير المذهب. فنحن نقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخ دي غايانغوس ص ١٢٩): «لم يبعث إليّ إلّا ثوباً واحداً من الحرير المذهب يسمونه النخ بفتح النون وحاء معجم. وفي موضع آخر (مخ، ص ١٤٣) يقول هذا المؤلف، فتحدثنا عن جوارى الخاتون لدى بلغاريا الفولغا: وعلى كل واحدة ثوب حرير مذهب يسمى النخ. ونقرأ بعد ذلك (ص ١٤٩): على الخاتون حلة يقال لها النخ ويقال لها أيضاً الشيخ مرصعة بالجواهر. وعلى رأسها تاج مرصع.

وتصنع هذه الثياب في مدينة نيسابور، لأن ابن بطوطة يؤكد (مخ، ص ١٦٧) ما يلي: (ويصنع بنيسابور ثياب الحرير من النخ والكمخا وغيرها وتحمل منها إلى الهند».

(٢) وفي المخطوطة ب (مخ ٢٧٦، ص ٥٦٦) يرد هذا الكلام: «كان بهذا السوق عدة تجار لشراء الشرايش وقيل لشراء التشاريف والخلع.

(٣) لا وجود لكلمة طائل بهذا المعنى في القاموس. ونحن نقرأ لدى ابن بطوطة (الرحلة مخ دي غايانغوس ص ١٩٤): «أعطاه أموالاً طائلة. ونطالع في مكان آخر (ص ٢٣٧): صاحب الأموال الطائلة. ونجد لدى المراكشي (المعجب، مخ ٥٤٦، ص ٢٥٨): «ما يعدل أموالاً طائلة. وأعتقد أن كلمة سعادة موجودة بنفس المعنى في هذا النص من كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنائكن، ص ٣٤٦، ح ١) ونقرأ في تاريخ اليمن (مخ ٤٧٧، ص ٣): «شملت سعادات الدولة العثمانية. وفي كتاب سير الأعيان للذهبي (مخ ٣٢٠

كانت هذه الحوادث منع الناس من بيع هذا الصنف إلا للسلطان. وصار يجلس به قوم من عمال ناظر الخاص لشراء سائر ما يحتاج إليه. ومن اشترى من ذلك شيئاً سوى عمال السلطان فله من العقاب ما قدر عليه. والأمر على هذا في يومنا الذي نحن فيه.

وكان الشربوش العمرة المميزة للأمرء، ولم يكن يلبس من قبل الفقهاء (راجع نص جمال الدين بن واصل، الذي ذكره كاترمير. (الكتاب القيم، ص ٢٤٤ وق ١ وج ١).

ويذكر مؤرخو مصر بصورة متصلة هذا النوع من عمرة الرأس. فنحن نقرأ مثلاً لدى النويري (تاريخ مصر، مخ ١٩ ب، ص ١٣٢): «وركب الأمرء - بالتشاريف والشرابيش على عادة أمثالهم». وفي موضع آخر (مخ ٢ م، ص ٢١٥): «أنعم على الأمير سيف الدين قلاوون بتشريف كامل بشربوش كان قد لبسه ثم خلعه عليه».

وهذه العمرة كانت كذلك شائعة الاستعمال في البلاد الشرقية الأناى، في بغداد مثلاً، لأننا نقرأ لدى النويري (تاريخ مصر، مخ ٢ م، ص ٤٩): «إن الملك الناصر داود، يوم كان في بغداد عام ٦٣٣ شمله التشريف ف(خلع عليه قباء أطلس وشربوش).

وقد استعارت إحدى مدارس دمشق كما يظهر اسمها من هذا التاج، لأنني على أقل تقدير أطالع لدى ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي غايانگوس ص ٣٠): فنزلت منها بمدرسة المالكية المعروفة بالشرابشية. وقد عبرت

= وينبغي أن يعني تعبير أهل السعادة المسلمين فقط فهم (أهل السعادة): ونجد في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناتن، ح ٢، ص ٣٥) هذا التعبير: صارت من أهل السعادة - والحديث تخص امرأة أعتقت الإسلام. وقد رأيتم ورود (دار السعادة) في مدخل هذا الكتاب.

كلمة شربوش إلى اللغة السريانية بلفظ سرفوش (راجع الحوليات لابن العبري، ص ٣١٣ وج ١):

(Bar- Hebraeus, Chronicon Syriacum, tom. 1, pag. 313).

ولن نستطيع العثور على هذه الكلمة في القواميس السريانية، كما إننا لن نعثر على كلمة شربوش في المعاجم العربية.

والخلاصة إن كلمة سرفوش أدنى كثيراً إلى كلمة سربوش الفارسية من كلمة شربوش إليها، التي يقول عنها كاترمير: «إن هذه الكلمة العربية تحريف للكلمة الفارسية».

ولست مرتاباً من صحة هذا المذهب، ولكن يجب على أن ألفت الأنظار إلى أن الكلمة الفارسية (سربوش) حسب علمي، لا تشير إلى عمرة رأس رجل، وإنما تدل فقط على إكليل رأس امرأة.

وكانت هذه العمرة Coiffure معروفة الاستعمال في القسطنطينية، وفي إزمير وفي مدن أخرى، أيام برين Bruyn. فهذا الرحالة يكتب الكلمة هكذا Carpous (كربوس)، وأعتقد بوجوب لفظها بعد إضافة السيدي cédille إلى الحرف (c) فيلفظ هذا الحرف بصوت السين، وليس بصوت الكاف، فتنتطق الكلمة على هذا المنوال (سربوس) (çarpous) راجع (الرحلات ص ٣٥، ٥٨، ٥٩ إلخ، الرسم المرقم ١٨).

الشربيل، الزربول، الزربون



لا وجود لكلمة شربيل وكلمة زربون في القاموس. وإنني لأجهل تمام الجهل أين وجد سيلفستر دي ساسي - راجع كتابه الموسوم: (طرائف عربية، ص ١٤٦) إن كلمة زربول (؟) تعني في الشرق: أنعلة ومداسات قديمة، الأمر الذي هو غير مقبول على الإطلاق.

يقول دييغو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر، مجد، ص ٢٧) وهو يتحدث عن نساء مدينة الجزائر: «بعضهن (لا سيما النساء المغربيات) يلبسن نوعاً من المداسات *unas servilas pantoufles* على الطريقة المغربية، وهي مصنوعة من الجلد الملون بلطافة وأناقة. وهن يسميها *Xerecuilla* ونحن نقرأ في كتاب هوست (أخبار من مراکش، ص ١١٧): «جميعهم يلبسون أحذية مصنوعة من الجلد المراكشي تدعى بإسم *Scherbil* شربيل. وتكون أحذية الرجال صفراء، وأما أحذية النساء فحمراء. كما نعلم أن مداسات هؤلاء وأولئك لا كعوب لها». وفي قائمة الكلمات العربية التي انشأها بريتبناك في كتابه (وصف رحلات وزيارات، ص ١١٥) وهو الرحالة الذي زار الشرق عام ١٤٨٣، نجد أن كلمة *Serbul* مفسرة بكلمة *Suhuh* (مداس). (D. Germano de Silesia pag. 905). الذي سبق لها بيحت أن ذكره في مسرد الجزء الثالث من طبعته لكتاب ألف ليلة وليلة، إن كلمة زربول وجمعها (زراويل، هي مداس مزود بكعب: «*scarpa con tallone; calceus cum talo*» وما لم يثبت لي مثبت العكس، فإنني أشعر بكوني مرغماً على الاعتقاد بأن الزربول وكذلك الشربيل لا كعوب لهما. وقد نعثر أحياناً على صيغة زربول في كتاب ألف ليلة وليلة، إذ نجد هذه الكلمة مرتين في الجزء الأول من طبعة مكناتن. وقد تفضل أماري فأعلمني إن كلمة سربون *Sarbon* وجمعها سرايين *Sraben* ما زالت مستعملة حتى أيامنا هذه في مالطة.

واعتقد أن كلمة شربيل مماثلة للتعبير الأسباني *Servilla*، الذي يشير إلى مداس مصنوع من الجلد المراكشي ليس له سوى نعل واحد، والكلمة مشتقة من *Serva* (*Sierva*) ذلك لأن الخوادم والجواري كن يلبسن هذا النوع من المداسات. ومن كلمة شربيل تألفت، حسب رأيي، كلمة زربول، فإن حلول الزاي محل الشين ليس فيه ما يدعو إلى الدهشة

والعجب، وستذكرون أن (و) و(ي) في الشعر العربي يجيئان في قافية واحدة، كما هو الأمر في الشعر الألماني. فمن كلمة زربول تألفت كلمة زربون بإبدال بالنون، وهما حرفان من نفس الصنف. وقد قلت أن كلمة Servilla مشتقة من كلمة 'Servante' Serva (خادمة - أمة - جارية).

وهناك مسألة تدعو إلى الملاحظة وإمعان النظر وهي إننا نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنّاگتن، ج ٢، ص ٢٥): جعله في رجله زربوناً على عادة المماليك Sierpos، بالإضافة إلى إننا نطالع في هذا النص إن كلمة زربون مستعملة استعمال اسم جسم جمعي في كتاب ألف ليلة وليلة للإشارة إلى فردتين من الزربون. وقد لاحظت آنفاً نفس الملاحظة حول كلمة خف^(١).

الشَطْفَة



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويقرر برگهات في كتابه (ملاحظات على البدو والوهابيين - ص ٢٧) إن: «بعض أبناء قبيلة عنزة يشدون حول رؤوسهم طرحات يسمونها شطفات ومفردها: شطفة Shutte.

(١) يقول كوبروفياس (الكنز، مدريد، ١٦١١) حول كلمة Servillas مداس مريح، له نعل يصلح للبنات والخدم، وقد تسمى باسم الخوادم، لأنهن يلبسن هذا المداس الخفيف لسهولة المشي به، مثل القباقيب.

الشَّعْرِيَّة

نرى من قاموس فريتاك إن ريسكه قد علق على هامش گوليوس بأن هذه الكلمة تشير إلى «Vitta, quâ caput tegitur» وهذا التفسير خاطيء. فإن كلمة شعرية تدل على خمار قصير مصنوع من شعر الخيل - كما يدل عليه اشتقاق الكلمة، فإن الشعرية مشتقة من الشعر Crines. ونحن نقرأ في قصة روجيه (الأرض المقدسة، ص ٢٦٠): «وهن يغطين عيونهن بنقاب من شعر الخيل الأسود، ويسمين هذا البرقع شعرية Chaarie ومن خلال هذا الحجاب ينظرن ويستطعن أن يدرجن، ولا يجروئن على كشف وجوههن إذا أردن التحدث إلى رجل كائناً من كان». وفي قصة بلون (ملاحظات، ص ٢٣٣، ٢٣٤): «ولكن نساء المدن الأكبر (في مصر) يتبعن الطريقة التي تعلمنها من النساء التركيات، اللواتي يضعن على وجوههن برقعاً صغيراً معمولاً من نسيج شعر ذبول الخيل». وليس هناك من علة تدعوني إلى الشك في حقيقة ما يرويه بلون هنا، بل إنني ميال كل الميل إلى الاعتقاد بأن استعمال الشعرية في مصر لا يرتقي تاريخه إلا على تاريخ غزو هذا القطر من جانب السلطان سليم، لأنني لم أجد كلمة شعرية لدى مؤلف عربي قد كتب في فترة أبعد من الفترة التي نشر خلالها كتاب ألف ليلة وليلة. وهذه المناسبة دليل إضافي آخر، إذا كانت ما تزال هناك حاجة للإثبات بعد التنقيبات الحديثة، للبرهنة على أن كتاب ألف ليلة وليلة قد دمج بعد اجتياح الأتراك لمصر.

وكانت الشعرية في مصر برقعاً صغيراً لم يكن ليستر إلا العينين، وكان يلبس فوق النقاب. وهو حجاب أكبر يغطي الوجه، محدثة فيه نقوباً لدى موضع العينين. ونقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط هابخت - ج ٢، ص ١٤٦): «فشالت الشعرية فنظرت إلى أحداق سود عظيمة».

ونطالع بعد ذلك في نفس القصة (ج ٢، ص ١٤٩): «وشالت النقاب فنظرت نظرة أعقبني حسرة». ويقول بعض الرحالين، وهم أقل دقة من روجيه، إن هذا البرقع يغطي الوجه. ونقرأ في قصة هيلفريتش (تقرير مختصر واقعي للرحلات، ص ٣٩٣): «وهن (نساء القاهرة) يغطين وجوههن (Mit einem schwartzen gewirckten Thuchlein) بقطعة من النسيج الأسود المخرم الذي من خلاله يستطيع رؤية كل الناس». ونقرأ في كتاب مارمول (وصف أفريقيا، ج ٣، ص ٢١١، مج ٣): «يضعن على وجوههن (Delante del rostro) (نساء القاهرة) براقع سودا، معمولة من شَعَر الخيل». ويقول كوتوفيك في رحلته (ص ٤٨٨)، وهو أدق من سلفه، بأن «النساء يغطين عيونهن (Oculi) ببرقع صغير، على هيئة شبكة مشغولة من شَعَر ذبول الخيل الدقيق الناعم». وكانت الشعرية ما تزال مستعملة في القاهرة في زمان بوكوك (وصف الشرق، تعد ٤، ص ٣٣٠، ج ١) وبوسعنا رؤية شكل هذا الحجاب في اللوحة (٥٩، الصورة ١). ويقول بوكوك إن هذا الحجاب معمول من شَعَر الخيل الأسود ومحبوك حبكاً فنياً. ولكن منذ تلك الفترة حل البرقع محل الشعرية والنقاب، وفي أيامنا هذه يكاد الناس في مصر يجهلون جهلاً تاماً الشعرية والنقاب. وقد رأينا آنفاً عن طريق نص روجيه بأن الشعرية كانت مستعملة في سورية. وهذه الحقيقة قد تأيدت بشهادة راولف في كتابه (وصف حقيقي للرحلات، ص ٥١) إذ يؤكد بأن «النساء في طرابلس الشرق يغطين أوجهن بقطع نسيج سوداء (Schartzen gewürcken) بعضها في غاية الرقة والنعومة، وبعضها مشغول من الحرير، ولكن بعض النساء يلبسن البراقع الم معمولة من شَعَر الخيل، وهذه البراقع تلبسها نساء الطبقات الدنيا». ولم تعد الشعرية في يومنا هذا تلبس في سورية، إذ هجرت هنا كما هجرت في مصر. ومع ذلك فإن الشعرية ما

زالت شائعة الاستعمال في الأقطار الشرقية النائية، كالجزيرة والعراق العربي. ويقول أوليفيه في كتابه (رحلة إلى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس - ج ٤ - ص ٢٢٠) في معرض حديثه عن نساء أورفة: «ويلبسن علاوة على ذلك قطعة مربعة من شعر الخيل الأسود تنساب على الوجه فتسمح لهن بأن يرين دون أن يراهن أحد». وإنني أعتقد والحالة هذه بتوهم بكنگهام (رحلة إلى بلاد ما بين النهرين، ج ١، ص ١٥٢) حين قال عن نساء أورفة: «إنهن يلبسن للتبرقع شفا أسود غليظاً ناتئاً عن الوجه بعقدتين». وأظن وجوب إحلال برقع من شعر الخيل بدل شف أسود غليظ». وعدا ذلك فإن وصف بكنگهام يطابق كل المطابقة هيئة هذا البرقع، كما نستطيع رؤية الحقيقة في لوحة بوكوك. ويقول كيرپورتر في كتابه (رحلات إلى جورجيا وفارس وأرمينيا وبابل القديمة، إلخ، ج ٢، ص ٢٦٩) في معرض حديثه عن نساء بغداد: «إن هؤلاء السيدات يخفين وجوههن وراء أقنعة أكثر بشاعة وشناعة من براقع الفارسيات البيض التي تشابه المناشف والمناديل والقوط، أعني بذلك هذه الحجب السود المصنوعة من شعر الخيل المرزوءة بها وجوه نساء بغداد».

ويقول كذلك فريزر في كتابه (رحلة إلى كردستان وبلاد ما بين النهرين، إلخ، ج ١، ص ٢٧٨) وهو يتحدث عن نساء بغداد: «إن البراقع المعمولة من شعر الخيل الأسود، المنسوجة نسجاً ناعماً رقيقاً، تحمي كل الحماية وجوه النساء اللواتي يلبسها من نظرات السابلة، وفي الوقت نفسه بوسع هؤلاء النسوة أن يرين بصورة عجيبة كل ما يخطر أمام عيونهن، لهذا كله أميل إلى الاعتقاد بأن بكنگهام (ج ٢، ص ١٩٥) قد توهم كذلك حين قال عن نساء بغداد إنهن (يغطين وجوههن بقطع من الشف الأسود الغليظ). وهو يضيف إلى ذلك قائلاً: «لا تلبس نساء الريف المحيط ببغداد هذه الشقوق مطلقاً».

المَشْلَخ

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويقول برغهارت في كتابه (تعليقات على البدو والوهابيين، ص ٢٧): «في شمال سورية، كل معطف صوفي، سواء كان أبيض أو أسود أو مخططاً بخطوط بيض وسمر أو بخطوط بيض وزرق، يدعى مشلخا Meshlakh وكلمة مشلخ موجودة كذلك بهذه الصيغة في قائمة الكلمات العربية، في ختام الجزء ولكننا في موضع آخر (ص ١٣١) نجد كلمة Meshlah مشلح.

المَشْمَد

يفسر القاموس (ط كلكتا، ص ٤٤١) هذه الكلمة بكلمة عمامة . Turban

التَّشْمِير وجمعها التشامير

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويترجم بيدرو دي الكالا هذه الكلمة بالكلمة الأسبانية بالتوك Paletoque في كتابه (مفردات أسبانية عربية). وهذه الكلمة مفسرة في كتاب (كنز اللغات الثلاث، جنيف ١٦٠٩) بـ:

Une casaque ou saye, un palletoc, une iacquette.

بوصفها: «سترة، أو صاية، أو جاكطة».

والحقيقة أن مؤلف كتاب L'Histoire des Abdolwadites يقول في معرض حديثه عن طحان: «وهو لابس تشامير».

الشَّمَرِير

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ونحن نعلم أن القبعة (البرنيطة، الخوذة Chapeau) لم تكن معروفة قديماً لدى المسلمين، لذلك كانوا مرغمين على استعارة إحدى الكلمات، للإشارة إلى هذا الشيء، والمستعار منه إحدى اللغات الأوروبية، فاتخذ المغاربة الكلمة الأسبانية Sombrero. وهذا ما يؤكد هوست في كتابه (أخبار من مراكش، ص ١١٤). ولكن يبدو من قائمة الملابس المغربية التي انشأها دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي، ص ٨٢) إن الشعب قد مسخ كلمة Sombrero فاستحالت إلى شمرير.

الشمشك

إننا نجد في أحدثة أبي الحسن المهرج، وهي الأحدثة التي لا توجد إلا في طبعة هابخت لكتاب ألف ليلة وليلة (راجع لين، ح ٢، ص ٣٥٦) والتي لموضوعها شبه كبير بموضوع المدخل إلى ترويض النمر لشكسبير Taming of the Shrew te Shakspeare. وشبه ب: Krelis Louwen للانكنديك Langendjik.

أقول، إننا نجد النص التالي، الذي سبق لفريتاك إن ذكره: «فقدم له المملوك شمشكاً مطبوعاً بالأبريسم والحرير الأخضر مرصع بالذهب الأحمر فأخذه أبو الحسن ووضعه في كفه وصاح المملوك وقال: يا الله يا الله يا سيدي هذا شمشك مداس لرجلك حتى تدخل المسترفق^(١)». (ح ٤، ص ٣٥٧).

(١) النص بالعامية فلا يطالب كاتبها بالتزام النحو.

ويترجمه لين هنا (ح ٢، ص ٣٥٧): إنه فردتا مداس... ولما كان المؤرخ الإسحاقي يقص علينا قصة مماثلة، كما يقول لين، فسيكون من الأهمية بمكان أن نعلم ما إذا كان يستعمل هنا نفس الكلمة أم كلمة أخرى تفسر لنا كلمة شمشك.

لقد علمنا من (فليشر: M. Fleischer, de glossis Habichtiansis, pag. 92) إنه وجد في مسرد لمعاني كلمات قبطية عربية كلمة (كنسكن) ترجمة لكلمة شمشك. وهذه الكلمة ليست إلا الكلمة الفارسية موزه، التي تعني نعلًا أو مداسًا أو جزمة أو خفًا، وهي في اللغة العربية موزج^(١) ولم أقع على كلمة شمشك في موضع آخر.

الشَمْلَةُ الشَّمْلَةُ الشَّمْلَةُ

ينبغي إضافة كلمة شملة وجمعها شمل إلى القاموس.

وقد رأينا آنفًا، حول كلمة برد، إن الشملة هي البردة، وإن ما يميز الشملة من البردة هو حياكة شيء إضافي (بعض الزينة) في حاشية البردة، وليست الحالة هي هي بالنسبة للشملة. وقد لاحظنا سابقاً (في هذا الباب) إن هذا الكساء كان شائع الاستعمال في عهد الرسول ﷺ إذ أن أحد الرحالين العرب من القرن السابع الميلادي، وهو ابن جبير (راجع كلمة خرقة) بعد الشملة من بين ملابس البدو. وفي هذا النص ذاته نجد جمع كلمة شملة وهو شمل^(٢).

(١) تذكر أن المصريين يلفظون الجيم لفظ الفرنسيين لحرف (G) أمام U, O, A.

(٢) يرى اللغويون العرب أن الشملة والمشملة تدلان على نوع من القطيفة، ولكنهما تختلفان عنها بقلّة الفضفضة والاتساع. وكلمة قطيفة تدل على غطاء فراش. إذ يقول مارمول في كتابه (وصف أفريقيا ج ٢، ص ٤، مج ٢) في وصفه لحيحة، وهي ولاية في =

وهذه الكلمة تذكرنا بالكلمة العبرية شملاً التي كانت تشير إلى رداء كان الفقراء يستعملونه كذلك بمثابة غطاء ودفار أثناء الليل . وقد سبق لنا أن عرفنا في مجال الحديث عن كلمة بردة، إن هذا الكساء كان وما يزال يستعمل نفس الاستعمال .

المِشْمَال

يرى القاموس إن هذه الكلمة تدل على الملحفة . راجع هذه الكلمة .

= أقصى الغرب من مملكة مراكش: (إن السرر الاعتيادية للرؤساء والأعيان تتكون من القطنائف المزبرة التي تراها تجلب من أفريقيا، وهم يطنونها بعدة بطانات ويستعملون إحداها، وهي طويلة - بمثابة غطاء فوقاني) . ونجد في رحلة ابن جبير (مخص ٢٧٧): «القطنائف الجياد يفترشونها عند رقادهم» . والقטיפفة تشير كذلك إلى نوع بساط أو سجادة، ذلك لأن مؤلف كتاب (مهمة تاريخية في مراكش - ص ٥، مج ٢) يقول أن الملك يجلس في مجلس الشورى «على بساط أو قטיפفة من الصوف» . ويترجم بيدرو دي الكالا كلمة Alhonbra (بساط) (سجادة) بكلمة قטיפفة . ونقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخ، ص ٢٥٩) وأتوا بنا إلى بستان عليه حائط خشب وفي وسطه دار بناؤها بالخشب مفروشة بقطنائف قطن» . ولكنني سأجعلكم تلاحظون - بهذه المناسبة - إن كلمة قטיפفة تشير أيضاً إلى المخمل . فنحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناتن، ج ٢، ص ١١٩) رزمة قטיפفة، وهذا ما يترجمه لين (ج ٢ - ص ٣٠٤) بما يلي: «رزمة قטיפفة» a bale of velvet ويترجم بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) كلمة terciopelo (المخمل) بكلمة قטיפفة . ونجد في كتاب تاريخ اليمن (مخ ٤٧٧، ص ٦٢): «أمر له بجملته من الكساء النفيس من ملابسه من القطنائف» . ونقرأ بعد ذلك (ص ٦٥): «أمر له بجملته كساء من الشاش الغالي والقطنائف النفيسة» .

ولكلمة شملة أيضاً معنى آخر لا وجود له في القاموس . فهي تشير، حسبما يقول برگهارت في كتابه (تعليقات على البدو والوهابيين - ص ٣٩)، وهو يكتب الكلمة شملة Shemle، إنها كيس مصنوع من وبر الإبل، ويستعمله البدو لحجب ضرع الناقة عن حوارها لكيلا يرضعه» .

الشنتيان

لا وجود لهذه الكلمة، التي لا ريب في أصلها الأجنبي، في القاموس.

وهي تشير في مصر إلى سراويل امرأة تلبس لبسة التبان. أما في أيام الحملة الفرنسية، فإن كلمة شنتيان لم تكن تدل إلا على «سروال شتائي» للمرأة، في حين أن التبان أو السروال الصيفي كان له اسم لباس. راجع (الكونت دي شابرول) في كتابه «وصف مصر، ج ١٨، ص ١١٢». ولكن في أيامنا هذه لا توجد إلا كلمة شنتيان للإشارة إلى التبان أو السروال النسائي، في حين أن كلمة لباس مخصصة لتبان الرجال، كما يمكننا رؤية ذلك برجعنا إلى كتاب لين (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٣٩، ٥٦، ٥٧، ٥٨) حيث نفع على الوصف التالي للشنتيان: «هناك تبان مسرف الفضفضة والسعة اسمه شنتيان، وهو مصنوع من القماش الملون المخطط، من الحرير أو من القطن، أو من الشاش الثمين الملون أو المطرز أو الموشى أو المفوف، الأبيض اللون الأملس الملمس، وهو يشد حول الخصر تحت القميص بدكة (راجع كلمة تكة) ولكنه على درجة كافية من الطول، بحيث أنه ينساب حتى القدمين، أو يكاد يصل إلى الأرض، عندما يشد على هذا المنوال».

ويقرر المقدم ناپيه في كتابه (ذكريات عن سورية، ج ١، ص ١٤٤) إن هذا الكساء تلبسه نساء بيروت أيضاً. وهذا الرحالة يكتب الكلمة Shintien ويفسرها بهذه الجملة: «تبان حريري فضفاض Loose silken drawers. ويتوهم فيكسيه قليلاً في كتابه (رحلة إلى المشرق، ص ٤١) فيكتب الكلمة شكسيان Chakseiann.

الشَوْبَر

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ونحن نقرأ في أحد كتب برگهارت (ملاحظات حول البدو والوهابيين، ص ٢٨) إن النساء لدى البدو يضعن على رؤوسهن طرحة تدعى Shauber (شوبر) أو (Mekroune مقرونة). وترتدي الفتيات اليافاعات هذه الشوابر من اللون الوردي، أما النساء الطاعنات في السن فيتخذنها من اللون «الأسود» وهذه الكلمة مكتوبة على هذه الصورة (شوبر) في قائمة الكلمات العربية في نهاية الكتاب.

المِشْوَد، المِشْوَاذ

يفسر القاموس (ط كلكتا، ص ٤٤١) هاتين الكلمتين بأنهما العمامة . فهل يا ترى تشير هاتان الكلمتان إلى نفس عمرة الرأس Coiffure كوافير، التي تشير إليها كلمة مشوش؟

الشاش وجمعه الشاشات

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وقد أورد عالمان من الطراز الأول بعض التفصيلات عن كلمة شاش، الا وهما سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية، ج ١، ص ١٩٩) وكاترمير (تاريخ السلاطين المماليك، ج ١، ق ١، ص ١٣٧). وكما هو ديدني، لن أورد أي نص، سبق لهذين العالمين إن ذكراه، دون تنبيه القارئ لمن أنا مدين له بالشكر .

تشير كلمة شاش إلى: قطعة من البز تلف حول طاوية أو عرقية أو كلوة العمامة. فنحن نقرأ لدى النويري (تاريخ مصر، مخ ٢، ص ١٩٢). «تعمم بشاش دخاني عتيق». ونجد نفس الكلمات لدى المقرئ (تاريخ السلاطين المماليك، ج ١، ق ٢، ص ٦٣). وفي موضع آخر (مخ ١٩، ص ١٣٥). «فأكرمه السلطان وأحسن إليه وأنعم عليه بتشريف أطلس معدني مزركش وكلوة وشاش رقم وحياسة ذهب مجوهره على عادة أكابر نواب السلطنة الشريفة». وفي مكان آخر (مخ ١٩، ص ١٣٥): «ركب في الموكب بالأقبية الإسلامية والكلوة والشاش على عادة العساكر المصرية». ونطالع في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنانگتن، ج ١، ص ١٥٩): «فأخذ بدر الدين حسن الرقعة وطواها وخيطها بين البطانة والظاهرة ولف عليها شاشة». في هذا النص يتحتم عليه إضافة (في شاشيته) بعد (وخيطها)، وهذا التصحيح يصبح أكثر احتمالاً لدى حكاية نفس الواقعة في (طبعة هابخت، ج ٢، ص ٢٩، سطر ٣) وفي موضع آخر (طبعة مكنانگتن، ج ١، ص ١٦٥): «وكان عليه الطربوش والشاش». وفي (طبعة هابخت، ج ٢، ص ٤٤): «وعليه شاشه بطرفين». وأخيراً (ط مكنانگتن، ج ١، ص ١٧١): «وقلعه شاشه وعلقها على الكرسي». (الكرسي المخصص لوضع العمامة عليه، راجع كلمة عمامة). ونقرأ في حكاية عربية (لدى كوسان دي پرسفال، النحو العامي، ص ٩ من النص العربي) «اشتري قرطاس حلاوة وجعله في عمامته - فرأى في شاش الحكم حلاوة». والحديث عن حاكم اشترى وخليفة رأى. ونجد في الكتاب المعنون (قصة رحلة في مطلع عام ١٦١٠، ص ٦٣) إن الشاشيات shashes «هي مناديل من البز تلف حول الرأس». ويقول دانديني (رحلة من جبل لبنان، ص ٤٤ و ٤٥) عن سكان طرابلس الشرق: «ويلفون لفاً محكماً حول الطاوية قطعة من القماش

القطني الأبيض يسمونه sessa فيكورون عمامة كبيرة أو صغيرة حسب منازل الأشخاص وأقدارهم. فهؤلاء الذين يعلون عن الآخرين، بمولدهم أو بوجاهتهم، يلبسون العمام الضخمة، وبينهم من يبالغ في تضخيم عمامته إلى حد الإفراط والإسراف». ونجد في كتاب (يوميات رحلات مونكوني، ص ٣٨١، ج ١): «إن الشرفاء يلبسون الشاش الأخضر». ونقرأ في رحلة م.ج.د.ب إلى الأرض المقدسة: «إن القلائس المخملية الحمراء والشاشات البيضاء التي لا يجوز التعمم بها إلا من قبل المسلمين وحدهم، محرمة على النصارى إذا لم تكن مشوبة بلون آخر». ويقول تافرنيه (الرحلات، ج ١، ص ٦٣٠) عن الفرس: «إن شاشهم الذي نسميه نحن عمامة مصنوع من نسيج حريري غاية في النعومة والرقه ومرصع بالذهب والفضة ويكاد يشبه شكل يقطينة مكورة من يقطيننا. وهو مسطح قليلاً من أعلاه حيث ينتهي طرف من القماش المزين بأزهار ذهبية أو فضية بشرائط تشبه طاقة ورد. وهذه القلائس ثقيلة الوزن كثيراً، لا سيما تلك التي يقال فيها الحرير، والتي تكاد تتألف من الذهب والفضة وحدهما. وهذه غالية الثمن بحيث أن أهونها يكلف مائتين من الايكوات.

ونجد من هذا النوع على رأس الملك وعلى رؤوس الكبراء والأعيان بحيث يبلغ سعر القلنسوة الواحدة أربعمائة أو خمسمائة قطعة من العملة المذكورة. «ومن النادر رؤية ضابط كبير لا يضع في قلنسوته بعض الأحجار الكريمة».

ونقرأ في كتاب دي لاموتري (رحلات إلى أوروبا وآسيا وأفريقيا، ج ١، ص ١١): «إن الشاش هو قطعة من الموصلي أو من نسيج القطن الذي يحيط به الشرقيون طاقتهم، فإذا طوقت الطاقية على هذه الصورة سميت (دلبند tulbend)، أو طربان turban عمامة، حسب نطقنا بالكلمة».

وتقرأ في كتاب الرحالة نيبور (وصف الجزيرة العربية، ص ٥٩)^(١): «وهم يحيطون هذا الحشد من الطاقات بقطعة كبيرة من القماش الموصلي المسمى بالشاش، وهو مزدان من الجانبين بحواش وهدايات حريرية بل وحتى ذهبية، ويدعها حاملوها تنساب على الظهر بين الأكتاف». والحقيقة إن كلمة شاش موجودة بهذا المعنى في تاريخ اليمن (راجع رنجرس ص ١٥٩). ولما كانت كلمة الشاش تستعمل للدلالة على قطعة من البز تطوق الطاقية أو العرقية أو الكلوتة أو الكلوتات، فلن يأخذنا العجب إذا قرأنا إن هذا الشيء يستعمل استعمالات أخرى أيضاً. (يستعمل استعمال العمامة ويقوم مقامها أحياناً). وفي تاريخ مصر للنويري (مخ ٢، ص ٨٧) نجد: «فخفقوه بشاش عليه وقيل بوتر وعلقوه بعمامته وأظهروا أنه شق نفسه». ففي هذا النص نجد أن كلمة شاش كما ترون، هي معادلة لكلمة عمامة.

وجمع شاش شاشات، والكلمة موجودة في بيت ذكره السيوطي (راجع سيلفستر دي ساسي، طرائف عربية، ج ١، ص ١٤٥)، وإنني أقرأ لدى المقرئزي (وصف مصر، ج ٢، مخ ٣٧٢، ص ٣٥١): «لبسوا الشاشات».

ولكن كلمة شاش كانت تشير كذلك في العهود القديمة إلى شيء آخر، فهي، كما برهن على ذلك كاترمير (كتابه القيم) مستنداً إلى كتاب السلوك للمقرئزي: «عصبة ابتكرتها النساء عام ٧٨٠». وكانت تشبه سنام البعير. وهي تبدأ فوق جبين المرأة وتنتهي قرب الظهر. ولبعض هذه العصائب طول يقارب الذراع، ولها ارتفاع يبلغ أقل من ربع الذراع».

والواقع إنني أطلع في تاريخ مصر لابن إياس (مخ ٣٦٧، ص ١٦،

(١) ذكر هذا النص سابقاً كل من دي ساسي وكاترمير.

حوادث سنة ٧٨٧): «وفي رجب جرت حديثة وهي امرأة صالحة رأت النبي ﷺ في منام وهو يقول لها: قللي للناس أن ينتهوا عن لباس الشاش. وكان شيئاً قد اقترحته النساء يلبسنه على (رؤوسهم) مثل صنم (سنم) (يلبسنه على رؤوسهن؟). (سنام؟) الجمل. طوله نحو ذراع وارتفاعه ربع ذراع ويزخرفونه بالذهب واللؤلؤ. وبالغوا في ذلك. وكان بدعة سيئة من السيئات».

وكلمة شاش، بمعنى قطعة القماش التي تحيط بالكلوة أو الطاقية أو العرقية كانت معروفة الاستعمال في الجزيرة العربية وفي سورية ومصر وفارس، كما رأينا. ومن هذه الكلمة كون الانكليز كلمتهم Sash التي يستعملونها إشارة إلى طرحة أو حزام أو نطاق أو زنار.

الشاشية

بالرغم من اضطراري مراراً إلى اتهام القاموس بكونه ناقصاً، فإن من العدل كل العدل أن أقول إن كلمة شاشية قد وجدت في هذا القاموس مرتين. المرة الأولى يوم وضعها فريتاك (ج ٢، ص ٤١٩، مج ٢) بمعنى كلوة، عرقية طاقية، في الحديث عن كلمة ششأ، والمرة الثانية (ج ٢، ص ٤٦٤، مج ٢) في موضعها الأصلي، في معرض الكلام عن كلمة شوش، بوصفها تشير إلى الشاش الموصلي... في الموضع الأول لم يكن يكلف أحد نفسه عناء البحث عن هذه الكلمة، فالحقيقة إن الكلمة قد وجدت في موضعها هذا عن طريق الخطأ، ذلك لأن لعباً بالكلمات قد حدث في بيت نقله السيوطي (دي ساسي، طرائف عربية ج ١، ص ١٤٥)، حول كلمتي تشويش وشاشات يضاف إليهما كلمة مشوش وهذا اللعب يؤكد بصورة لا تقبل الشك أن عربياً صميماً لو كان في محل هذا الدخيل لوضع كلمتي شاش وشاشية في باب

كلمة شوش. وقد سبق لكل من سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية، ج ١، ص ١٩٩ وكاترمير (تاريخ السلاطين المماليك، ج ١، ق ١، ص ١٣٧) أن تحدث عن هذه الكلمة، في تفسيره لكلمة شاش.

وتشير كلمة شاش في المغرب، كما كانت تشير في مصر، إلى الكلواتة التي توضع على الرأس، والتي تلف حولها قطعة قماش لتتكون العمامة على هذا المنوال». ونحن نقرأ في كتاب الرحالة المغربي ابن بطوطة (مخ دي غايانغوس، ص ٣٥): «ضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً حتى سقطت عمامته وظهر على رأسه شاشية حرير فأنكروا عليه لباسه». وفي موضع آخر (ص ١٨٩): «والنقباء بين يديه على رأس كل واحد منهم شاشية مذهبة وفي وسطه منطقة» (والحديث يجري عن النقباء ونقيب النقباء في Dehli). وبعد ذلك (ص ١٩١): «ويمشي بين يديه عبيده ومماليكه وكل واحد منهم تكون على رأسه شاشية ذهب وعلى وسطه منطقة ذهب وبعضهم يرصعها بالجواهر». وأخيراً (ص ٢٢٤): «عشر شواشي من لباسه إحداها مرصعة بالجواهر». ويقول دابر في كتابه (وصف حقيقي دقيق لأقاليم أفريقيا، ص ٢٤١، مج ١) إن أحد خدام سفراء ملك مراکش: «كان على رأسه طاقية من الصوف الأحمر، مرتفعة قليلاً، وهي تسمى شاشية Hieissya. وكان رفيق هذا الخادم يلبس نفس النوع من الطاقية (المرجع السالف).

ويقول ديبغو دي توريس (تاريخ الشرفاء، ص ٨٦) عن سكان مراکش: «يلبسون الطواقي الحمراء من أرجوان طليطلة بدل القبعات، ويلبس كذلك كل منهم عمامة أو شدا».

ويذكر مارمول (وصف أفريقيا، ج ٢، ص ١٠٢، مج ٣). إن فلانس سكان فاس هي الطاقيات الأرجوانية الشبيهة بالطاقيات التي يحملها التجار الأسبان للبيع».

ويضيف مارمول إلى ذلك قائلاً: «إن هناك قلة من الأشخاص تلف قطعة قماش حول هذه الطاقية» وهذا الزعم مؤيد بشهادة هوست (راجع كلمة شد). والحقيقة إن الناس في المغرب يكتفون على العموم بالطاقية وحدها، شأنهم في ذلك شأن الناس في أسبانيا، حيث كانت الشاشية تسمى غفارة. (راجع هذه الكلمة).

ويقرر هوست في كتابه (أخبار من مراکش، ص ١١٤) إن قسماً من الرجال المتزوجين لا يلبسون إلا طاقية من الصوف الأحمر تدعى ساسية sesia ولهذه الطاقية وقع خاص لدى المغاربة «بحيث إذا وضعها أحد من النصراري أو اليهود على رأسه ولم ينزعها أمام لابسها من المغاربة، فإنهم في هذه الحالة يعتبرون هذا العمل تصريحاً باعتراف الديانة الإسلامية، ولن يستطيع هذا المسيحي أو ذلك اليهودي إفلاتاً من هذا الاعتبار».

أما بالنسبة لمصر، فإننا واجدنا هذه الكلمة في الأغلب لدى مؤلفي هذا القطر، أمثال المقرئزي، ونعثر على هذه الكلمة مستعملة كذلك بكثرة في كتاب ألف ليلة وليلة. ولكنني لا أفهم على الإطلاق كيف وسع سيلفستر دي ساسي (كتابه القيم) أن يقول: «أعتقد أن الشاشية في نصنا تعني قطعة من الشاش الموصلي، ولها نفس الاستعمال في مصر، هذه الكلمة هي الاسم الذي يطلق على الشاش الموصلي».

إنني محرج غاية الحرج أن أكون في حالة حتمية القول بوجود أخطاء كثيرة هنا بقدر وجود كلمات. فإن العبارة هي (ج ١، ص ٦٧ من النص العربي): «وصار الحاكم يركب حماراً بشاشية مكشوفة بغير عمامة». وهذا ما يترجمه دي ساسي ترجمة حسنة للغاية (ص ١٠٩). والخلاصة أن كلمة شاشية لا تعني الشاش الموصلي البتة، كما يؤكد ذلك دي ساسي، دون الركون إلى أي دليل، وكما تقبل هذا المذهب فريتاك بجراً وتهور. وإنما كلمتا شاش وشاشات هما اللتان تحملان هذا

المعنى، كما أثبت ذلك كاترمير في (كتابه القيم). ولكن ما يضيفه دي ساسي وهو: «إن الطاقات التونسية الحمراء، التي يقلدونها في فرنسا، وخصوصاً في مدينة أورليان، معروفة في مصر باسم طربوش وجمعه طرايش» مطابق كل المطابقة للحقيقة، ذلك لأنه يبدو أن كلمة شاشية مجهولة في مصر في أيامنا هذه، وهم يسمونها اليوم بالطربوش.

ويظهر أن هذه الكلمة تلفظ في سيوه شاشية، ذلك لأن هورنمان في كتابه (مذكرات حول رحلة من القاهرة إلى مرزوق ص ٢٢ و ٢٤) يكتبها tschatschet ويقول إنها طاقة من الصوف الأحمر ومن القطن الأبيض. وكان لهذه الكلمة معنى آخر في مدينة الجزائر، فقد كانت تدل على: طاقة امرأة. إذ أخبرنا ديكغو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر، ص ٣٧، مج ٤) إن نساء هذه المدينة يلبسن فوق البناقة ثلاثة أنواع من عمارات الرأس حين يحضرن الحفلات والأعراس، وهن يضعن أيضاً على رؤوسهن، لا سيما إذا كن موسرات، بيريه مستديرة مصنوعة من الخز أو نسيج الأطلس أو الدمقس المرصع بالذهب بعذوبة وحلاوة وروعة. وهن يسمين هذه البيريه Xixia وبعضهن يزين هذه العماراة بعدد كبير من الجواهر والأحجار الكريمة، ما استطعن إلى ذلك سبيلاً.

المَشْوش



لقد لاحظ غوليوس Golius معتمداً على Maroufi إن هذه الكلمة تدل على عمامة صغيرة. إذن يبدو، والحالة هذه، إن المشوش هو شاشية قصيرة لا تدور إلا عدة دورات حول الرأس.

الشال

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

والشال هو الكلمة الفارسية شال châlê التي تسربت إلى عدة لغات أوروبية . فنحن نقرأ في بحث الكونت دي شبرول (وصف مصر، ج ١٨، ص ١٠٨) : « الشال هو قطعة طويلة من الشاش الموصلي أو من النسيج الصوفي الذي يطوى ويلف عدة لفات حول الطربوش . ويتخذ الأثرياء هذا الشال من الكشمير » .

ونجد في كتاب برگهارت (ملاحظات على البدو والوهابيين، ص ٢٨) إن : « جميع نساء قبيلة (رولة) يضعن على رؤوسهن طرْحاً من الحرير الأسود، تبلغ مساحة كل طرحة مترين مربعين، وهن يسمين هذه الطرحة châlê kâs (شال قز، خز؟، المترجم)، وهي تصنع في دمشق، وأعتقد أن جملة châlê kâs تعني شال قاسح أي الشال الكثيف أو الكثاف .

الصُتِيَّة

يذهب القاموس (ط كلكتا، ص ١٨٥) إلى أن الصُتِيَّة هي الملحفة، أو بالأحرى هي نوع من القماش (أو اللباس) الوارد من اليمن، (الملحفة أو ثوب يماني). وأعتقد أن هذا الكساء كان مخططاً .

الصَّدُود^(١)

توجد هذه الكلمة في طبعة كلكتا للقاموس (ص ٣٨٠) مفسرة بكلمة

(١) لا أعني كلمة الصداد، التي ذكرها القاموس (ط كلكتا، ص ٣٨٠) قائلاً : « ما =

المحول. وأجد كذلك هذه الكلمة بحرف ح في مخطوطات ليدن رقم ٣٧٥ ورقم ٣٧. ولكن مخطوطة المرحوم فان در بالم Van der Palm التي تملكها حديثاً مكتبة ليدن والتي تحمل الآن رقم ١٥٨١، تعرض المجول بحرف ج. فإذا كان هذا هو الإسم الحقيقي للكلمة فإن الصدود يشير إلى: قميص قصير للمرأة.

Une courte chemise de femme.

الصدر

إليكُم ما نقرأ في سفر الجوهري (ج ١ وص ٣١٦): «قميص صغير يلي الجسد». وفي المثل: «كل ذات صدر خالة». أي من حق الرجل أن يغار على كل امرأة كما يغار على حرمه.

وهذا المثل موجود أيضاً لدى الميداني (ط فريتاگ، ح ٢، ص ٣١٠)، حيث أن الصدر كان كساء قديماً قد تبنته النساء كافة دون استثناء. ويفسر القاموس (ط كلكتا، ص ٥٧٦) كلمة صدر على هذه الشاكلة: «ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يغشى الصدر». ويتفق التبريزي (شرح الحماسة، ص ٨٠١) - وقد سبق لفريتاگ إن ذكره - مع القاموس أكثر من اتفاقه مع الجوهري، إذ يقول أن الصدر هو: «الثوب الذي يبلغ الصدر».

الصُدْرَة

إن تفسيرات الجوهري (ح ١، ص ٣١٦) والفيروز آبادي (القاموس ط

كلكتا، ص ٥٧٦) عقيمة الجدوى. إذ يقول الأول: «الصدرية التي تلبس»، ويفسرها الثاني بكلمة الثوب. وأرى إنها تشير إلى ما تشير إليه الكلمة الفرنسية Veste فيست، مثل كلمتي الصدرية والصديري اللتين سنتحدث عنهما بالتفصيل^(١).

الصدَريّة أو الصَدَريّة



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وإننا نجد في مذكرات دارفيو (ح ٥، ص ٢٨٢، ٢٨٣): «بقية ثياب الأتراك في مدينة الجزائر تنحصر في قمصلة لا أكمام لها، والقوم يسمونها صدرية Sadderie وهي محرومة من تقريرية أمامية ومن فتحة خلفية، ولكن لها ثلاث فتحات، الفتحت الأولى لإمرار الرأس، والفتحتان الأخريان لإدخال الذراعين. وهم يدخلون الأيدي بادیء الأمر من الفتحتين، ويرفعون الذراعين بلطف وهوادة، فتنسب القمصلة دون أن يشعر بها شاعر. أما الرأس فيمر من التقويرة الوسطية، وهذه الصديرية تصافح الجسم مباشرة». ونقرأ في رحلة النقيب ليون (أسفار في الشمال الإفريقي، ص ٦) كلمة «صدرية»، Sidrea ويعرفها بأنها صداري يلائم

(١) كل ذات صدار خالة: الصدار كالصدرية تلبسها المرأة. ومعناه أن الغيور إذا رأى امرأة عدها في جملة خالاته لفرط غيظه.. وهذا المثل من قول همام بن مرة الشيباني وكان أغار على بني أسد، وكانت أمه منهم. فقالت له النساء: «أتفعل هذا بخالاتك؟». فقال: «كل ذات صدار خالة». فأرسلها مثلاً. قلت ويجوز أن تكون الخالة بمعنى المختالة. يقال رجل خال أي مختال. يعني أن كل امرأة وجدت صداراً تلبسه اختالت. (مجمع الأمثال للميداني، ١٣٥٣هـ، ح ٢، ص ٧٨، ٧٩). (المترجم).

الجسم تماماً، وهو محروم من فتحة أمامية، وليس له سوى تقويرتين لإمرار الرأس والذراعين». وهذا الثوب يلبسه معظم سكان طرابلس الغرب. ويتحدث الرائد دنهام (رحلات في شمال أفريقيا ج ١، ص ٢٧) عن صدرية من الحرير «Sidiria» تلبس تحت البنش، راجع كانيس (القاموس، ج ٢، ص ٣٤٠، حول كلمة جوستيللو Justillo) إذ يقول الصدرية لباس تحتاني يلامس الجسد، ولا أكمام له. ويترجم دونباي (النحو المغربي العربي ص ٨٢) كلمة انترولا Interula بكلمة صدرية أو صدرية.

وهذا الثوب كان يرتدي أيضاً في مالطة، وما تزال القرويات حتى أيامنا هذه يرتدين صدريات لا أكمام لها في هذه الجزيرة، وهن يسمين واحدها صدرية Sidria. (راجع ج. فيسكيه رحلات إلى الشرق ص ٦، وانظر فاسالي، اللغة المالطية، مج ٦١).

الصُدَيْرِي



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكننا نقرأ في بحث الكونت دي شابرول (وصف مصر، ج ١٨، ص ١٠٨): «الصديري مشد صغير petit corset لا أكمام له». ونطالع في كتاب لين (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٣٩): «ويرتدي بعض الناس في الشتاء، أو بصورة عامة لدى حلول البرد، صديرياً، أي سترة صغيرة لا أكمام لها، مصنوعة من الجوخ، أو من الحرير والقطن، ذات خطوط ملونة». ولا ارتاب مطلقاً في كون هذا الكساء هو الذي يتحدث عنه بوكوك Pocoke في كتابه (وصف الشرق، ص ٣٢٧، ج ١)، (Beschijving van hat Oosten) فيقول: «إن الحلة التركية تتألف قبل كل شيء، من نوع كساء قصير لا أكمام له، منسوج من القطن أو من التيل،

ويكون هذا الثوب أحياناً مقفلاً من الجهة الأمامية، ولكنه مثبت بإحدى الجهات». راجع هيئة الكساء هذا في كتاب بوكوك السالف الذكر، (ج ١، اللوحة ٦٨).

الصِّقَاع، الصَّوْقَعَة

يفسر القاموس (ط كلكتا، ص ١٠٥١) كلمة صقاع «بخرقه تقي الخمار عن الدهن» والبرقع كالصوقعة، أما ابن جني (شرح ديوان المتنبي، مخ ١٢٦، ص ١٠٣) فيميل إلى كلمة صقاع بمفهومها الثاني من المفهومين المذكورين في القاموس. إذن فالكلمة تشير إلى ما يسمى ببرقع، وكلمة صقاع تشير أيضاً، كما تشير كلمة صوقعة، إلى قطعة من القماش تقي الخمار الدهن الذي تدهن به المرأة رأسها أو تعطره. وعلى هذا فالمسألة هي مسألة طاقة.

الصَّوْلُق^(١)

يخبرنا المقرئ (وصف مصر، مخ ٣٧٢، ص ٣٥٠ و ٣٥١) إن

(١) يرى هوست (رحلة إلى مراكش ص ١١٩): (Höst, Nachrichten von Marokos). إن كلمة صوالت التي لا وجود لها في القاموس تشير إلى نوع زينة رأس، نوع عمارة شبيهة بما يدعى عزابة. ولكيلا يظن بأن هذه الكلمة تدل حقيقة على نوع عمارة فإنني سأورد النص التالي لدييغو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر ص ٢٧، مج ٤) التي تثبت لنا أن معلومات هوست خاطئة. فنحن نقرأ فيه: «جميعهن، بصورة عامة لهن عادة قص كل شعورهن بالموسى، الشعور الموجودة حول العنق وحول قفا الرأس، حيث البناقة لا تصل وهن يقصصن أيضاً جزءاً من شعر الجبين: بحيث تبقى لهن من جانبي الرأس خصل من الشعر مشطبة بعناية تنساب على الصدر: وهن يسميها صوالت. =

السلطان والأمراء والجنود كانوا يلبسون الصوالق على الأقبية أيام حكم السلالة التركية (الجركسية): صوالق بلغاري كبار يسع الواحد منهم أكثر من نصف وية^(١) غلة مغروز فيه منديل طوله ثلاثة أذرع. وهذا النص الذي سبق لكاترمير إن ذكره (تاريخ السلاطين المماليك، ج ٢، ق ١، ص ١٥٢) يزودنا بجمع كلمة صولق وهي صوالق التي ينبغي إضافتها إلى القاموس.

راجع كذلك تعليقة كاترمير التي يستخلص منها أن كلمة صولق كانت تشير إلى جيب جلدي كان يضم إلى الحزام أو المنطقة من الجهة اليمنى. ويظهر من عدة نصوص من كتاب ألف ليلة وليلة إن حافظة النقود كانت تشد أيضاً إلى الصولق.

المُضامة



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويقرر هوست في كتابه (أخبار من مراکش، ص ١١٥): «إن الفرد المراكشي يلبس فوق القفطان أما حزاماً من الحرير وأما مضمة Modhéma أي حزاماً جلدياً بابزيم، ويلبسه رجال البلاط وجلساء الملوك بمثابة زينة، راجع اللوحة ١٥ الصورة ٣، ولكن بعض الناس لا يستغنون عن المضامة، لأنهم يلمون أثوابهم بواسطة هذا الحزام، وبدونه تربكهم ثيابهم أثناء العمل». ونرى من اللوحة أن القوم يحملون منديلاً في هذا الحزام.

ولا ريب أن هذه الكلمة عربية الأصل وأعتقد إنها الكلمة المؤنثة من

= ويكتبها بيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية) (صالف وصوالف). ولكن كانيس Canès يكتبها (صالف والجمع صوالف) ويفسرها بأنها خصل الشعر.

(١) الويبة هي مكيال حنطة وهو يبلغ اليوم سدس الأردب، راجع لين (المصريون المحدثون، ح ٢، ص ٤١٧).

الصيغة الثالثة من فعل ضم». وافترض كذلك أن هوست ضل في كتابتها مضممة، في حين إنها تلفظ جيداً Modhéma وذلك لأن (أ) تلفظ في المغرب (é) آية.

إذن فالمضامة تعني تماماً:

«Res unam rem cum alià coniungens».

أي إنها حزام يجعل شطري الجهة الأمامية يتلامسان، أو، إذا صادفت هوى في نفوسنا، هي الحزام الذي يجعل الثوب الواسع يلاصق الجسم.

وبالرغم من أن هذا التخمين يبدو احتمالياً، فإنني لن أسكت عن دونباي (النحو المغربي العربي ص ٨٢) وهو يكتب الكلمة (مضممة) (كذا) وينطقها مُضَمَّة. وهو يفسرها بأنها حزام من الجلد:

«Cingulum er corio, une ceinture de cuir».

الطربوش



ينبغي التمييز بين الطربوش الذي يلبس في مصر والطربوش الشائع الاستعمال في سورية والأقطار الشرقية الأخرى.

ويرى لين (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٤١ و ٤٢) إن: «العمامة تتألف حالياً في مصر من ثلاث مواد - المادة الأولى الكلوتة الصغيرة المسماة طاقية - والمادة الثانية الطربوش الذي هو طاقية (أو كلوتة) من الجوخ الأحمر - الملامس للرأس كل الملامسة والمزود في ذروته بقنزعة من الحرير الأزرق العاتك - أما المادة الثالثة والأخيرة فهي القطعة القماشية الطويلة التي تلف حول الطربوش».

ويقول فيسكيه (رحلة إلى المشرق، ص ١٨٢، ١٨٣): «إن طربوش

مصر هو الكلوتة المستديرة المصنوعة من الصوف الأحمر الملبد المنتهية (بخيوط حريرية) قلت أو كثرت». والنساء أيضاً يلبسن الطربوش (لين، المصدر نفسه، ص ٥٨). ونطلع في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنائتن، ج ١، ص ١٦٥): «وكان عليه كما ذكرنا الطربوش والشاش (العمامة)». (راجع لين، ألف ليلة وليلة، ج ١، ص ٣٢٤). وجاء في رحلة فسان لبلان الشهيرة (ج ٢، ص ١٣٩): «إن نساء القاهرة يلبسن «طاقية صغيرة على الرأس من قماش غالي الثمن يعلوها قيطان مبروم في نهايته ندفة أو قنزعة». ونجد في قصة بوكوك (وصف الشرق، ج ١، ص ٣٢٨): «إن سواد الشعب يلبس بدل العمامة الطاقية الحمراء التي تلتصق بالرأس كل الالتصاق. وهي تلبس أيضاً من قبل الأعراب (البدو) «ويلبسها كذلك المولودون في مصر، ولكن التجار وحاشية الأمراء العرب والقسس الأقباط يستعملون الطاقية». وجاء في كتاب الكونت دي شابرول (وصف مصر، ج ١٨، ص ١٠٨): «الطربوش هو الطاقية أو الكلوتة الكبيرة الملبدة التي تغطي الرأس حتى الأذنين». وبعد ذلك، في وصف أزياء النساء (ص ١١٣): «الطربوش هو الغطاء الذي يوضع فوق الطاقية». ويخص ستيشنس في كتابه (حوادث سفر في مصر، ص ٢٢٥) بالذكر «الطربوش الأحمر» من بين ملابس أحد تجار القاهرة. انظر هيئة الطاقية في كتاب بوكوك، اللوحة ٨٥، وراجع كتاب ج فيسكيه.

وها قد رأينا بفضل نص أورده بوكوك أن هذه الطاقية هي أيضاً يلبسها بدو مصر. والواقع أن منتگاذه يقرر في كتابه (رحلة إلى أورشليم، ص ١١٢) إن: «فرسان البدو يلبسون طاقية صغيرة من التيل». ونجد في كتاب كوپان (درع أوروبا) ما يلي: «أما العوام فيستترون بقطعة طويلة من القماش الصوفي يلفونها حول الجسم (بردة) مع طاقية حمراء مزودة بقطعة من التيل الأبيض والأسود». ونقرأ في كتاب ستيشنس (حوادث السفر -

إلخ - ج ١ - ص ٢٢٤): «وسرعان ما ارتدى پول الحلة العربية البدوية الاعتيادية: القميص القطني الأزرق والطربوش والنعلين البدويين».

ويؤكد بارثي في كتابه (جولة عبر صقلية والمشرق، ج ٢، ص ٧٧) إن البدو المجاورين لاسكندرية يلبسون «الطاقيات الحمراء الصغيرة». وإن ما يميز الطربوش المصري عن الطربوش السوري وطرايش البلاد الشرقية الأخرى، هو أن الطربوش السوري لا يلامس الرأس تماماً - ولكن له نهاية متدلية إلى الورا أو إلى الجانب. ونحن نقرأ في أحد كتب بكنغهام (رحلة إلى بلاد ما بين النهرين، ج ١، ص ٦): «هناك طربوش واسع، أو طاقية حمراء، تتدلى إلى الورا، على الرقبة والكفين».

ويقول ريشتر في كتابه (رحلة إلى الشرق الأوسط، ص ٦٨) عن سكان عكا: «يستعملون كعمرة للرأس طاقية حمراء تتدلى إلى الجانب، وتثبت في الرأس بقطعتين من القماش مرقطتين». وفي موضع آخر (ص ٨٢) يقول عن سكان بعلبك: «يلبسون على رؤوسهم الطاقية الحمراء التي تتدلى إلى الجانب». ويقول بكنغهام (رحلة إلى بلاد ما بين النهرين، ج ١، ص ١٥١) عن رجال أورفة «يلبسون الطربوش الواسع الذي يتدلى إلى الخلف بصورة عامة». ولعل أوليقيه يتحدث عن الطربوش أيضاً في كتابه (رحلة إلى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس، ج ٤، ص ٣٢٧) حين يقول عن نساء بغداد: «إن زينتهن الاعتيادية الطربوش المخملي الأسود الكبير الذي يتدلى إلى الورا، المنتهي بقنزعة من الحرير الأسود أو الذهب: فإذا كانت القنزعة من الذهب فإن المغارز تكون مغطاة بالحرير أو القصب». وهذه الطاقية مثبتة بالرأس بشال كشمير (اللوحة ٢٧). ولكنني لا أريد أن أؤكد إن القضية هنا هي قضية طربوش، لأنني لم أقع في موضع آخر على أن الطاقية تكون من المخمل الأسود.

وسأجعلكم تلاحظون أن الطربوش في الساحل السوري لا يبدو إنه يختلف دائماً عن الطربوش المصري، ذلك لأن ريشتر في كتابه (الرحلة، ص ١٢٣، إلخ) يذكر في وصف الحلة التي اشتراها من بيروت، للولوج إلى داخل سورية: «هناك فيس أحمر يدعى هنا طربوشاً أي طاقيّة صغيرة مدوّرة».

ولعل هذه الكلمة حين استعملت لم تصل إلى العرب إلا في مطلع القرن السادس عشر، ولم تكن إلا تحريفاً لكلمة سربوش الفارسية، وهي في العربية شربوش... حقيقة أن هذه الكلمات تشير إلى نوع عمرة للرأس مختلف، ولكن كلمة سربوش الفارسية في غاية الغموض أصلاً - ما دامت لا تشد إلا إلى زينة رأس على وجه العموم. إذن فمن الممكن كل الممكن - كما أعتقد - إن هذه الكلمة قد طبقت على أنواع من عمارات الرأس.

وتسمى هذه الطاقيّة في الجزيرة العربية بـ(فس) وكذلك تدعى في القسطنطينية. وكان الناس يسمونها قديماً في مصر شاشية، وهو الاسم الذي ما تزال تحمله في المغرب. ومع ذلك فإن كلمة طربوش ليست مجهولة في المغرب - ذلك لأن دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي - ص ٨٣) يترجم كلمة طربوش بكلمتي *Galericus nautarum*. وتسمى هذه الطاقيّة في أسبانيا «غفارة».

الطَّرْحَة



سبق لكاترمير إن زودنا في كتابه (تاريخ السلاطين المماليك، ج ١، ق ٢، ص ٢١ - ٢٢) بتفاصيل حول نوع الخمار المسمى طرحة. ونلاحظ في تعليق هذا العلامة التعمق العلمي الذي يميز كل كتاباته. وقد تحدث كذلك سيلفستر دي ساسي في كتابه (طرائف عربية، ج ٢، ص ٢٦٩) عن

الطرحه، واستشهد به فريتاك. وسأحرص على إعطاء هذه المعلومات التي اصطفها هؤلاء العلماء شكلاً، أن يكن باهتاً من الناحية التاريخية فإنه خلاف ذلك من جهة إضافة ثمرة قراءة التي الخاصة إليه.

ولنشر بوصف طرحه الرجال. فإنها خمار مقور: *Voile empesé* مصنوع من الشاش الموصل الذي يلاص على العمامة، أو يطرح على الكتفين فقط. فيتدلى على الظهر (والطرحه تشبه الطيلسان، وإن التباين الذي ظن دي ساسي إنه قد عثر عليه بين الطرحه والطيلسان هو ظن وهمي. إذ يرى هذا العالم إن ما يميز الطرحه من الطيلسان أن الطيلسان يوضع على العمامة وأن الطرحه تطرح على الأكتاف. وإن كلمات المقريري (لدى كاترمير): «فوق عمامته طرحه سوداء» و: «ألبس طرحه على عمامته» تؤكد أن هذا الافتراض افتراض لا يقوم على أساس. ونحن نقرأ كذلك في تاريخ مصر (مخ كاترمير): «حضر القاضي وعلى رأسه طرحه». وقديماً كان الناس يلبسون الطرحه مع العمامة (عمامة - شاش) كما بوسعنا أن نشهد ذلك في عدة نصوص للمقريري وفي مسالك الأبصار ولدى النويري، وقد استشهد بها كلها كاترمير.

ويظهر أن الطرحه نفسها قد استعملت استعمال العمامة في العصور الحديثة - لأننا نجد في وصف مصر (ج ١٨، ص ١٠٩): «الطرحه قطعة من الشاش الموصل أو جزء من الشال الذي ينساب إلى قفا الرأس بعد أن يكون قد التأت عدة لوثات حول الطربوش، وهذا النوع من الخمار يقف بارتفاع الكتفين ويحدث تأثيراً في غاية الحلاوة: ويكون أحياناً مطرزاً أو مرصعاً بالذهب في حواشيه».

وكانت الطرحه لباس القضاة الخاص، بل شعار قاضي القضاة. وقديماً كان لا يحملها إلا القاضي الشافعي. (السيرافي لدى دي ساسي، ص ٢٦٧، مسالك الأبصار لدى كاترمير). وفي عم ٦٦١ من أيام حكم

الملك الظاهر بيبرس تلقى القضاة الأربعة السماح لهم باتخاذ الطرح. (المقريزي، السلوك، ترجمة كاترمير). وهذا ما يؤيده النص التالي الذي استعيره من النويري (تاريخ مصر، ج ٢، ص ٨٨). إذ يقول هذا المؤرخ وهو يقص علينا (حوادث سنة ٧١٦): «فوض قضاء القضاة الحنفية بمصر للقاضي سراج الدين عمر بن شهاب الدين بن محمود وخلع عليه بطرحة على عادة القضاة». ولكنني أجد من المحتمل على أن أحملكم على ملاحظة إن هذا الأمر لا يطابق البتة أحد نصوص السيوطي (حسن المحاضرة، مخ ١١٣، ص ٣٤٦، حوادث عام ٧٧٣) حيث نقرأ: «وفي هذه السنة أراد السراج الهندي قاضي الحنفية أن يساوي قاضي الشافعية في لبس الطرحة وتقرير القضاة في البلاد وتقرير مودع الأيتام، فأجيب إلى ذلك. فاتفق إنه توعك^(١) عقب ذلك وطال مرضه إلى أن مات ولم يتم الذي أراده». وعلى هذا نرى أن شهادة ابن حبيب (درة الأسلاك، مخ ٤٢٥، ص ٥٧٩) لا تدع أي مجال للشك ب وفاة قاضي القضاة الحنفي سراج الدين الهندي حقيقة في عام ٧٧٣. فهل في المقدور حل هذه المعضلة بافتراض أن القاضي الشافعي كان هو وحده يلبس الطرحة بصورة اعتيادية، وأن القضاة الثلاثة الآخرين لم يكونوا يلبسونها إلا في المناسبات الرسمية؟ والواقع أن القاضي الشافعي هو الذي كان يتمتع في مصر باحتلال الصدارة، وإليه كان يعهد الحكم على قضاة الطوائف الأخرى. (ليون الإفريقي، وصف أفريقيا، ص ٧٠٦) وإن الخطباء كذلك (خطباء الجوامع والمساجد) كانوا يلبسون الطرحة. (السيوطي لدى دي ساسي).

(١) إن التصريف الخامس لفعل وعك لا وجود له في القاموس. وبوسعكم رؤية مثال آخر في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنائتن، ج ١، ص ٤٣).

وأول من خلع الطرحة كلباس تشريف يكرم به عظماء الدولة وكبراء ضباطها كان الملك السعيد بركة خان ٦٧٦ (النويري لدى كاترمير). ونقرأ لدى النويري (تاريخ مصر، مخ٢، ص ٣٢): «خلع عليه خلعة الوزارة. وكانت الخلعة جبة عتابي حمراء وفوقه فرجية زرقاء مسنجة (مقندزة) وطرحة». (مقايسة مع كلمة فرجية). ويخيل إلى أن طرحة القضاء كانت سوداء على الدوام.

وقد قلت آنفاً أن الطرحة كانت مماثلة للطيلسان - وهذه الملاحظة تحتاج إلى بعض التحوير، لأننا نقرأ للنويري (لدى كاترمير): «لبس الطرحة وألقى الطيلسان». فهل الفرق بين الطرحة والطيلسان ينحصر في أن الكلمة الأولى تشير إلى الطيلسان المقور *Voile empesé*؟ فإن ما يدعوني إلى هذه العقيدة هو إننا نقرأ للنويري (لدى كاترمير): «يلبس الطيلسان المقور ويسمى اليوم بالطرحة». ويتحتم علينا الآن التحدث عن طرحة النساء. وهي كذلك خمار يوضع على الرأس ويتدلّى إلى الوراء، ولكن هذا الخمار أطول من الخمار الذي يحمله الرجال. ويخبرنا أبو المحاسن (لدى دي ساسي) إن النساء في مصر قد لبسته أيام حكم الملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ - ٧٤١) فإذا آمنا بما يقوله هذا المؤرخ فإن هذا النوع من الخمار كان يكلف كثيراً، ما دامت كل طرحة كانت تساوي من خمسة آلاف إلى عشرة آلاف دينار. على إنني لا أصدق إن هذه الطرح الثمينة كانت تلبس من قبل العموم، لأننا نرى من النص التالي للمقريزي أن الطرحة كانت تلبس أيضاً من قبل طبقة واطئة من طبقات المجتمع، وإن هذه الطبقة في الأغلب الأعم كانت فقيرة، ومن هذه الطبقة كانت المومسات تلبس الطرح فنحن نقرأ في كتاب (وصف مصر، ج ٢، مخ٣٧٢، ص ٣٤٧): «وأدركت سوق الشماعين عن الجانبين معمور الحوانيت بالشموع الموكبية والفانوسية والطوافات لا

تزال حوانيتها مفتوحة إلى نصف الليل . وكان يجلس به في الليل بغايا يقال لهن زعيرات الشماعين لهن سيماء يعرفن بها وزى يتميزن به وهو لبس الملاوات الطرح . وفي أرجلهن سراقيل حمرة . وكن يعانين الزعارة ويقفن مع الرجال السالفين في وقت لعبهم . ومنهن من تحمل الجديد معها . وكان يباع في هذا السوق في كل ليلة من الشمع بمال جزيل . وقد خرب ولم يبق به إلا الخمس حوانيت بعدما أدركتها تزيد على عشرين حانوتاً وذلك لقلة ترف الناس وتركهم استعمال الشموع» .

ويخيل إليّ أن طرح النساء كانت تعمل من الكتان أو من القطن - فإنني اقرأ لدى المقرئ (ج ٢ ، مخ ٣٧٢ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥) : «وفي أوله كثير من البزازين الذين يبيعون ثياب الكتان من الخام (والأزرق) وأنواع الطرح وأصناف الثياب القطن» .

وفي أيامنا هذه أيضاً تعمل الطرحة من الكتان أو القطن . إذ يقول لين (المصريون المحدثون ، ج ١ ، ص ٦٠) في معرض حديثه عن طرز لباس سيدات الطبقة العليا ونساء الطبقة الميسورة : «إنهن يضعن على رؤوسهن أما قطعاً من الشاش الموصلي الأبيض المطرزة بالحرير اللون والمرصعة بالذهب وأما قطعاً من الكريشة الملونة المزركشة بأسلاك الذهب ، إلخ ، أو بأسلاك معادن أخرى» . وإن الزراكش والتزيينات التي ذكرها لين توضح لنا ، مهما بلغت ضآلة هذا التوضيح ، السعر الفاحش الذي تباع به الطرح طبقاً لرواية أبي المحاسن ، وطرحة نساء الشعب ذات لون غامق وهي من الشاش الموصلي أو من الكتان . (لين ، ج ١ ، ص ٦٤) . وتعمل الطرحة في مصر العليا من قماش صوفي أسمر (لين ، ج ١ ، ص ٦٩) . راجع هيئة هذا الخمار في كتاب (لين ، ج ١ ، ص ٥٧ ، ٦٤ - ٦٨) .

وأعتقد إننا واجدون الطرحة في حلب . فعلى الأقل نراها لدى برين في كتابه (الرحلات ، ص ٣٦٢) إذ يصفها بأنها «قطعة كتان بيضاء مشدودة

إلى عمرونة الرأس ومسبلة إلى الوراء» انظر الكل ١٨٩ في كتابه. على أن طرحة نساء حلب لم تكن طويلة طول طرحة السيدات المصريات. وقد رأينا معتمدين على نصين للمقريزي مذكورين آنفاً وجوب إضافة كلمة جمع طرحة: طرح إلى القاموس. وإنني أجهل كيف ينطق العرب هذا الجمع، ولكن طبقاً لقواعد النحو بوسعنا لفظ طُرُح وطُرَح. (راجع دي ساسي، قواعد النحو العربي، ج ١، ص ٣٥٩ - ٣٦٠). وقد لاحظت كاترمير (كتابته السالف القيم) إن فعل تطرح قد تولد من كلمة طرحة: أي لبس الطرحة^(١).

(١) لا وجود لكلمة طوافة، وجمعها طوافات، في القاموس. وإنني بمنحى هذه الكلمة المعنى المشار إليه في ترجمتي أعتقد بعدم مجانبتي للحقيقة كثيراً. ويخل إلي أن الاستعمال الجاري لفعل طاف يؤيد ذلك. ويقول المقري أو بالأحرى ابن سعيد (راجع فريثاگ، طرائف عربية نحوية، تاريخية، ص ١٤٤) إن الطواف بالليل هم رماة الشباب الحراس الذين يجوسون خلال المدينة، أثناء الليل لإلقاء القبض على اللصوص. ويسمى ابن خلدون (راجع دي ساسي، طرائف عربية، ج ١، ص ١٣٢ من النص) الجولات الليلية لهارون الرشيد بالطواف بالليل، والقضية نفسها مبحوثة آنفاً (المرجع السابق - ص ١٣١) بهذه الكلمات: «تطوفه بسكك بغداد». وهناك نصوص أخرى تشير بالتحديد إلى الاستعمال الذي يصلح له السراج المسمى طوافة. أما هذا النوع المضحك من المصاييح المسمى بالفانوس فراجع بشأن وصفه وصورته كتاب (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٢٢٥، ٢٢٦) لمؤلفه لين.

وتشير كلمة زعر إلى البوهيميين المدعوين كذلك بالرمادية. وعن المشاعلية راجع (كاترمير، تاريخ السلاطين المماليك، ج ١، ق ٢، ص ٤ - ٦) أما عن الزنجية (فراجع (كوسان دي پير سفال، النحو العربي العامي، ص ١٦١) إلخ، حثالة الشعب. فنحن نقرأ لدى ابن إياس (تاريخ مصر، مخ ٣٦٧، ص ٤٤): «الف عليه جماعة من الزعر العياق». وفي موضع آخر (ص ٥٨): «ومعه السواد الأعظم من الزعر والعشير». وبعد ذلك (ص ١٣٨): «ثم أن الزعر تزايد أمرهم حتى أنهم كسروا باب حبس الرحبة». وفي موضع آخر (ص ١٧٦): «ومعه السواد الأعظم من =

الطَرْطُور أو الطَّرْطُور

لقد سبق لكاترمير (تاريخ السلاطين المماليك ج ١، ق ١، ص ٧٧) أن تحدث عن الطرطور، ولكن هذا العالم الجليل لم يتحتم عليه أن يؤلف كتاباً خاصاً عن الملابس عند العرب: إذن فنحن مرغمون على الدخول في التفاصيل والتوسع في منعطفاتها، تلك التفاصيل التي كان بمقدور كاترمير أن يتحفنا بها دون ريب لو أنه شاء، ولكنها لم تستطع أن تحتل محلها في نطاق شرح على أحد المؤلفين.

= الزعر وغيرهم». وبعد ذلك (ص ٤١٤): «نثر على الزعر الذهب والفضة بيده فاجتمع تحته الجرم الحقيق من الزعر والعياق (أي: القعد)». وأخيراً (ص ٤٧٧): «ثار جماعة من العوام على المحتسب أمره (والي الشرطة) بأن يقبض على جماعة من الزعر والعبيد ويقطع أيديهم». راجع حول كلمة عياق تعليقة وردت حول كلمة طرطور. وتعايير (أهل الذعرة، الذعارة، ذوو الذعارة) تشير إلى نفس الصنف من الرجال). وإن أميراً متحلاً من الأخلاق، وهو محمد السادس الغرناطي، سماه ابن الخطيب في (الإحاطة، مخ دي غايانغوس ص ١٦٣): «مالفا للذعر». ونقرأ للمقريري (لدى دي ساسي، طرائف عربية ج ٢، ص ٣٦ من النص): «وكان قد ثار بدمشق جماعة من أهل الذعارة والفساد وحاربوا عمال السلطان واشتد أمرهم. وكان كبيرهم يعرف بابن الماورد» وفي (رحلة ابن بطوطة، مخ دي غايانغوس، ص ٦٠): «اتفق في بعض السنين إن أوتي أمير الحاج بصبي من ذوي الذعارة بمكة قد سرق بعض الحاج». وتشير كلمة دعار كذلك إلى البوهيميين. فنحن نجد لدى المقريري (إيراد دي ساسي، طرائف عربية، ج ٢، ص ٣٩ من النص): «في عدة وافرة من الذعار».

إذن فكلمتا زعيرات الشماعين تعنيان بصورة خاصة: «البوهيميين أو المصريات، بائعات الشمع». والواقع إننا نعلم أن الرافضات العموميات (بائعات الهوى) هن في مصر من طبقة البوهيميات. ونرى فوق ذلك من نص المقريري كلمة ذعارة تستعمل بمعنى Scortatio.

لا بد أن كلمة طرطور تشير إلى: طاقة عالية، وهذا ما ينم عليه اشتقاق الكلمة. حقيقة إن فعل طرطر لا وجود له في القاموس إلا بالمعنى المجازي: معنى التمجيد *gloriatu fuit* ولكن هذا الفعل يعني بصورة عامة الرفع أو الرفع إلى الأعلى *in altum sustulit elevavit* فنحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناتن، ج ١، ص ٨): «طرطر ذيله: *in altum sustulit caudam suam et cacavit* وسترطرت أول ما نتحدث عن طرطور النساء، وبعد ذلك نتناول طرطور الرجال.

نحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناتن، ج ١، ص ١٦١) إن نصابة استطاعت أن تحصل من عشاقها على ملابس نسائية فألبست عشيقها الثالث الوزير (غلالة زرقاء وطرطوراً أحمر). ونجد في هذا الكتاب:

(يوميات رحلات السيد مونكوني ج ١، ص ٣٨١).

إن نساء الشرفاء يضعن «شريطاً أخضر في طرطورهن». وعلى هذا فلا أتردد في التفكير بأن بلون *Belon* يتحدث عن الطرطور، وهو الرحالة الذي زار مصر في الآونة التي كتب خلالها كتاب ألف ليلة وليلة» وذلك حين يصف الطاقة العالية التي تلبسها النساء المصريات. إذ يتناول الموضوع في كتابه (ملاحظات، ص ٢٣٤) على هذا المنوال: «إن ملاحظة طراز لباس الرأس الذي تتخذه النساء المصريات جديرة للغاية بالتسجيل، ذلك لأنه يمثل القدم والعنقا، كما نرى أشباهه مضروبة في الأوسمة وقطع النقود. وقد سماه المؤلفون التاج المبرج أو زينة الرأس على هيئة البرج: «الأشرطة المبرجة»: *turritum capitis* و *turritam coranum vittam turritam* *ornamentum* كما لو قال القائل: «عمارة رأس منصوبة على شكل برج»^(١).

(١) قال حافظ إبراهيم:

يمشي وقد نصبت عليه عمامة كالبرج لكن فوق تل نفاق!
(المرجع).

وبالنظر لأهمية غرابة هذا الغطاء الرأسي فإن شعراء اللاتين القدماء لم يغفلوا ذكره فقد تناولوه بالوصف (راجع الصور المخطوطة في كتاب بلون Belon التي هي ولا مشاحة غير مستوفاة الشروط من الناحية الفنية). وأعتقد إنني واقع على الطرطور في ساحل سورية في بيروت. فعلى الأقل يقول تيرنر في كتابه: (يوميات جولة في المشرق ص ٨١، ج ٢) عن ابنة مضيفه في هذه المدينة (إنها كانت تلبس طاقية حمراء في غاية الارتفاع، مبنوثة فيها أنواع قطع النقود التركية أمثال ما يدعى: rubiehs, sequins وغير ذلك. تلك القطع التي قد يرتفع عددها إلى مائة وخمسين قطعة على أقل تقدير، وهذه القطع النقدية مجتمعة على أشرطة حريرية معلقة بسلاسل فضية». والواقع أن الطرطور تلبسه النساء المارونيات والدرزيات، ولكنه لديهن مشغول من أحد المعادن. وهذا ما يقول باجيس Pagès بالحرف الواحد في كتابه (رحلة حول العالم ط بيرن ١٧٨٣، ج ٢ ص ١٤١ voyage autour du monde): «الطرطور tantoura هو عمارة رأس على هيئة مخروط من الفضة تلبسه النساء الدرزيات^(١). ويذكر ناپيه Napier كذلك الطرطور tontura في كتابه (ذكريات عن سورية، ج ١، ص ١٣٥ Reminiscences of Syria) ويسميه قرن نساء بيروت، وبعد ذلك (ج ١، ص ٢٣٣) يقول: «الطرطور أو قرن نساء لبنان tontura or horn». وهناك وصف مفصل عن الطرطور الذي تلبسه النساء اللبنانيات في كتاب المؤلف ذاته (ص ٢٦٢ و ٢٦٤). وإن كاترمير حين أورد نص باجيس حسب من المحتمل عليه إحلال كلمة tartoura محل كلمة tantoura ولكن بالنظر إلى أن الكلمة توجد كذلك مكتوبة بحرف النون (n) في كتاب ناپيه، وإن حرف الراء (r) وحرف النون (n) هما

(١) ورد ذكر هذا النص من قبل كاترمير (في كتابه الرائع) ولكن في طبعة أخرى.

حرفان يتتميان إلى نفس الفصيلة ويمكن أن يعتورهما الإبدال بسهولة في معظم الأحيان، فلذلك لا يبدو لي من الاستحالة بمكان إمكان النطق هذا اليوم بالكلمة بلفظ طنطورة لدى الدروز. وعلى كل حال فإن هذه الكلمة ليست سوى تحريف لكلمة طرطور.

وقد تحدث عدة رحالين آخرين عن عمارة النساء المارونيات والدرزيات هذه، ولكن دون ذكر لاسمها. فنحن نقرأ في رحلة لايت (أسفار في مصر والنوبيا والأرض المقدسة وجبل لبنان وقبرص، ص ٢٢٠): «إن النساء المارونيات والدرزيات يضعن على رؤوسهن أنبوبة من القصدير أو من الفضة على هيئة مخروط له من الطول حوالي اثنتي عشر عقدة؛ ولعل هذا الجسم كان أضخم مرتين من بوق الحوذي» (انظر الصورة). ويقول الرحالة نفسه بعد ذلك (ص ٢٣٢) في معرض حديثه عن عروس أمير جبل لبنان: «كانت تبدو أحياناً مرتدية حلة القطر، وقد زانت رأسها بقرن من الذهب مرصع بالأحجار الكريمة بدلاً من القرن العادي الذي تحمله عادة نساء الجبل الأخريات (a golden horn) ونقرأ في رحلة تيرنر (ج ١، ص ٥٧): «لقد رأيت بضع نساء مارونيات خارجات من الكنيسة (في بيروت) وكن يلفتن النظر بقرن ضيق يبلغ طوله ثماني عشرة عقدة. وهو مغطى بخمار ويرتفع على الجبهة في نفس الاتجاه وعلى نفس الهيئة اللذين تصور بهما قرن الكركدن (الخريت) أو الحيوان الخرافي كحصان بقرن في جبهته. وإن طبقة النساء تشير إليها ضخامة القرن والمادة المصنوع منها هذا الجسم؛ ذلك لأن بعض هذه الطرايطير مصنوع من الفضة؛ بل هناك طائفة من الطرايطير المصنوعة من الذهب».

وفي موضع آخر (ج ٢، ص ٦٧، سورية ولبنان): «لقد سألت أحد الآباء Padre كيف تعمل النساء لتثبيت القرن على هذه الصورة المرتفعة للغاية بحيث يغطي الجبين فأعلمني بأن هذا القرن يثبت على قفا الرأس

بواسطة عصابة، وإن شريطاً معلقاً بهذه العصابة يحيط الجبين، وإن شريطاً آخر يحيط بالعنق، وإن ثقل وضغط هذا الإكليل كانا فاحشين للغاية، بحيث لا تستطيع أية امرأة حمله ما لم تكن قد اعتادت عليه منذ الطفولة. أما نساء الطبقة العليا فيلبسن الطراوير الذهبية، وأما عوام النساء فيضعن الطراوير الفضية أو تنحصر أكاليهن في قرن اعتيادي أو في قرن مائل إذا كنَّ ميسورات الحال فاستطعن توفير هذا القرن المائل». وبعد ذلك (ج ٢، ص ٦٨ - ٦٩): «في هذه الجبال تلبس النساء نوع قرن لكنه أقصر وهو يمر فوق الأذن اليمنى ويرتفع بزوايا قائمة بدلاً من الارتفاع في خط مستقيم. وقد صادفت إحدى هاته النسوة فحملتها على خلع قرنها، وذلك بإعطائها بعض الباربات. وقد وجدت إن هذا النوع من القرن مشدود بكل بساطة بفضل طرحة، ويكون أحياناً مثقوباً لاستطاعة تثبيتته بسهولة بالغة». وبعد ذلك (ج ١، ص ٧١) نقرأ أن الرحالة على علم بأن النساء اللواتي يحملن القرن على الجبين هن مارونيات، وإن أولئك اللواتي يحملنه على الإذن هي كذلك في الأغلب الأعم مارونيات ولكنهن في بعض الأحيان درزيات، ونحن نقرأ أخيراً في موضع آخر (ج ٢، ص ٧٢): «لقد أقنعت المرأة المارونية بخلع قرنها (وكان يرتفع في خط مستقيم) وأن تريني إياه؛ وكان هذا القرن مصنوعاً من الفضة، دون زينة أخرى، اللهم إلا عدة ثقب صغيرة مستحدثة فيه على مسافات متساوية. راجع كذلك (ريشتر، رحلة إلى الشرق، ص ٩٠ و ٩١) وستناول الآن بالحديث طرطور الرجال. وقد كانت الطاقية الاعتيادية لبدو مصر. فنحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنانگتن، ج ١، ص ٣٦٥) إن سيدة في مقتبل عمرها قالت للأمير (شركان) بعد أن صرعت في مبارزة، وهي تضحك: «كأنك طرطور بدوي تقع في بطشة». والبطشة هي الضربة. وهذا المثل موجود كذلك في كتاب برگهاترت (حول الأمثال

العربية، رقم ٣٩٨). ولكن قد أشير إليه بنجمة، وهذا يعني إنه لم يعد شائع الاستعمال في مطلع هذا القرن. ونحن نقرأ فيه: طرطوري يقع في لطشة. وعلى رغم برگهات بل برغم فليشر (M. Fleischer- de glossis Habichtianis, p. 80) الذي يخيل إليّ أنه يذهب نفس المذهب، فإنني لا يسعني التسليم بأن (طرطوري) هو شكل آخر من طرطور؛ إذ إنني على النقيض من ذلك أترجم طرطوري بكلمتي mon tartour (طرطوري) أي الطرطور العائد لي. إذن فمعنى المثل الذي أورده برگهات في مذهبي: «طرطوري يقع من ضربة واحدة»^(١) ومغزى ذلك: «إنني رجل لين العريكة مطاوع بحيث أن أهون شيء يحملني على تبديل رأيي». وفي نص آخر من نصوص ألف ليلة وليلة (ط مكنّاگتن، ج ١، ص ٤١٩) يقسم بدوي بطرطوره فيقول: «وحق طرطوري». وبطبيعة الأمر يفضي بنا هذا إلى البحث عن ماهية الطاقة العالية التي يلبسها بدو مصر في القرن السادس عشر، بل في العصور الأقدم. وعلى ذلك فإن مؤلف حكاية (فون خيستلا في رحلاته، ص ٣٠) يقول بالحرف الواحد: «إنهم يحملون على رؤوسهم برانيط حمراء واسعة، مصنوعة من اللباد المفرط في الكثافة (الكثاف) وهي على هيئة شبه بيضوية مسطحة؛ إذن فهذا الإكليل يماثل تاج الأسقف، البرطل، الطايبية Mitre ولكنه ليس مديباً من الأعلى». وحول هذه الطاقة يلفون ثلاث أو أربع لفات قطعة من الشاش والعمامة. ونقرأ لسالينيك في (رحلة إلى أورشليم، ج ٨، ف ٢):

(١) تعني كلمة لطشة في اللهجة المصرية ضربة لا هي بالعنيفة ولا الخفيفة - تعليق برگهات. راجع ملاحظة فليشر القيمة في كتابه ص ٨٠:

De glossis Habichtianis.

فأعتقد وجوب إحلال كلمة لطشة محل كلمة بطشة في نص ألف ليلة وليلة المذكور أعلاه.

Itinerarium Heirosol. VIII, cap. 2 «إنهم يكتسون بجلود الحيوانات وبطاقية عالية، مثل الأتراك». ويجزم ميلشور فون سيدلتز، في كتابه (وصف حقيقي لزيارة الأماكن المقدسة، ص ٢٦١): «أن أطفال البدو يعدون بين الماشية وهم لابسون طاقية مدببة سنجابية اللون».

ونجد في قصة هيلفريتش (وصف رحلة مختصرة، ص ٣٧٩): «إن البدو يلبسون في رؤوسهم قبة مدببة زبار (مزببة، محوطة بقطعة من القماش الأبيض». (مسورة بالعمامة؟) وفي قصة الأمير رادزيفيل (ص ٣٨، الحج إلى أورشليم) إن الطيارة للبدويين Tiara (تاج البابا، تاج قدماء الفرس) مذكورة أيضاً. ونحن نقرأ. في رحلة منتكازا (ص ١١٢، قصة رحلة إلى أورشليم): «إنهم يضعون على رؤوسهم نوع قبة عالية محرومة من الثنيات، لونها أسود، وترتفع أطرافها من الأعلى مستديرة أكثر قليلاً من أصبع».

ولم أجد الطرطور أو الطاقية العالية للبدو المصريين المذكورين من قبل الرحالين الذين زاروا مصر بعد منتكازا (زار منتكازا الشرق عام ١٦٠٠). ويخيل إليّ أن الطرطور لديهم قد أقيم مقامه الكلوتة المسماة بالطربوش الذي كما سبق إن قلنا آنفاً، في معرض حديثنا عن هذا الإكليل، كان يلبس سابقاً من قبل الفرسان البدو، أيام كان هذا الرحالة الإيطالي موجوداً في مصر.

ونحن نعلم أن البداة المصريين، وهم رجال غلاظ الأكباد قساة القلوب محرومون من الحضارة، كانوا يعانون ما يعانون من فظائع الازدراء والاستعلاء من جانب سكان مصر المتمدنين المزعومين. إذن فلن يبدو على شيء من الغرابة نظر سكان المدن إلى هذا الطرطور الهائل الذي يضعه البدو على رؤوسهم نظرة مضحكة مستخفة، لواقع أنهم كانوا يضعون دائماً على رأس المجرم، أو على رأس العدو

المقهور، طرطوراً ويطوفون به على هذه الشاكلة الوحشية في الشوارع والدروب. والحقيقة إننا نقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ٢، ص ٩٩): «وأبو ركوة على جمل. وعلى رأسه طرطور. وطيف به على هذه الصفة. وخلفه قرد يصفعه. ثم صلب وضربت عنقه. وجهزت رأسه إلى البلاد». وفي موضع آخر (مخ٢، ص ١٠٨): «فحلقوا ذقنه. وألبسوه طرطوراً. وسمروه. وطاقوا به المدينة السلطانية»^(١).

(١) أبو ركوة أمير من البيت الأموي في الأندلس. وقد حاول أن يخلع خليفة مصر الحاكم بأمر الله عن العرش ولكن خانه أتباعه وسلموه. راجع حول هذا الموضوع فيما تراجعه هامر برگستال في كتابه (قاعة الرسم لأعظم سلاطين الإسلام ج ٣، ص ٢٤٥، ٢٤٦).

وإن فعل سمر، في الضصيغة الثانية، يعني تثبيت مجرم بالمسامير على صليب وصلبه. ولما كان هذا الفعل كثير الذبوع لدى المؤرخين ومفسراً أسوأ تفسير في القاموس، فمن المحتم عليّ أن أدخل بصدد هذا الموضوع في بعض التفصيلات. فإن كلمة مسمار تعني القطعة المعروفة المصنوعة من أحد المعادن. فكلمة مسمار تشير إلى هذا الجسم المعدني. فنحن نقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخدي غايانغوس، ص ١٩٤): ثم صرفه وأعطاه أموالاً طائلة وفي جملة ما أعطاه جملة من صفائح الخيل ومساميرها. كل ذلك من الذهب الخالص. وقال له: إذا نزلت من البحر فأنزل فرسك بها. وفي تاريخ مصر للنويري (مخ، ص ١٥٤): «عشرة مسامير من الذهب». وفي كتاب ابن بطوطة: «مسمار فضة». وفي موضع آخر: «مسامير الفضة». ومن هذه الكلمة نجم فعل سَمَر. فنحن نقرأ في تاريخ الأندلس للنويري (مخ٢، ص ٤٧٩): «أخرج فسمر على خشبة». وبعد ذلك (ص ٤٨٢) يقول المؤرخ عن الشخص نفسه: «انزل شنشول عن خشبته». ونجد في تاريخ مصر للمؤلف نفسه (مخ١، ص ١٣٨): بات في ليلة الاثنين على خشبة التسمير». (وسأحدث تالياً عن كلمة خشبة وجمعها خشب وعن مختلف مدلولاتها. راجع في كلمة طاقة (٣). ولكن ليس من الضروري إضافة كلمتي على خشبة أو على خشب للتعبير عن تسمير أحد على صليب. فإن فعل سمر يكفي للأعراب عن الفكرة، فكرة هذا النوع من =

وسأُنشر بهذه المناسبة نصاً لابن إياس ممتعاً للغاية من عدة وجوه. فنحن نقرأ في تاريخ مصر (مخ ٦٣٧، ص ١٦ وما جاء بعدها، حوادث عام ٧٨٧) لهذا المؤرخ: «ومن الحوادث إن السلطان رسم بإبطال ما كان يعمل يوم النوروز. وهو أول يوم من السنة القبطية. ومما كان يعمل بالديار المصرية ذلك اليوم أنه كان يجتمع في ذلك اليوم السواد الأعظم من العوام وغيرهم من الأسافل. ويركبون منهم شخصاً خليعاً على حمار وهو عريان وعلى رأسه طرطور خوص فيسمونه أمير النوروز. ويكون ذلك قوي الطباع فيتوجه إلى بيوت الأكابر وأعيان الناس ويقف على الأبواب ومعه السواد الأعظم من الأسافل فيكتب على صاحب تلك الدار الوصولات بالجمل الثقال وكل من امتنع من العطا بهدلوله وسبوه ولو أنه أكبر من في القاهرة. ولا يزالوا مرسمين على بابه حتى يأخذوا منه ما قرروه عليه يأخذوا منه ذلك القدر غصباً وكان منهم طائفة يقفون في الطرقات ويتراشقون بالماء المنجس أو بالخمير ويتراجمون في وجوههم بالبيض ويتصافعون بالأخفاف على رقابهم ويتراجمون بعمائمهم حتى قيل في المعنى.

(الطويل): بداري رجال للجنون ترجلت

عمائمهم عن هامهم والطیالس

فللراح ما زرت عليه جيوبها (حبوبها)

وللمار ما دارت عليه القلانيس

= التعذيب المسمى تسميراً. فنحن نجد في تاريخ مصر للنويري (مخ، ص ١٧٠): «فطولع السلطان في أمرهم وأمر بتسمير الخمسة فسمروا تحت القلعة. وشفع بعض الأمراء في إطلاق المرأة. وأطلقت وفكت المسامير فماتت بعد أيام». وفي موضع آخر (ص ١٨٦): «أمر بتسمير جماعة كانوا معتقلين بخزانة البنود». وفي مجلد آخر من نفس الكتاب (مخ ٢، ص ١٠٨): «سمروه وطافوا به المدينة».

مساحب من حر الزقاق على القفا

وصفع بانطاع حبي ريبالس (كذا)

وكانوا يقطعون الطريق على الناس ويمنعونهم من الخروج في ذلك اليوم إلى الأسواق. وتغلق في ذلك اليوم الدكاكين وتتعلل الناس عن البيع والشراء. وكل من ظفروا به في الطريق بهدلوه ولو كان من أعيان الناس أو من الأمراء فيرشونه بالماء المتنجس ويرجمونه بالبيض حتى يفدى نفسه منهم بشيء حتى يخلص من أيديهم فيحصل للناس في ذلك غاية الضرر ويتعلل عن أسبابهم. وكانوا يتجاهرون ذلك اليوم بشرب الخمر وكثرة الفسوق في أماكن المفترجات حتى يخرجوا في اليوم عن الحد. وربما كان يقتل في ذلك اليوم جماعة مما يعربدوا على بعضهم في السكر والعياقة. وكان هذا الأمر ماشي بمصر على القاعدة القديمة من الدولة الماضية ولا تنكر ذلك من ذلك (في الدول الماضية ولا ينكر ذلك) (وكان في ذلك اليوم يحمل إلى أكابر مصر من الأقباط والمباشرين أصناف الفواكه وغيره من جميع الأصناف. وكان يوم النوروز من أجل المواسم بمصر. فلما تسلطن الظاهر برقوق أمر بإبطال ما كان يعمل في ذلك اليوم وأرسل الحجاب مع والي القاهرة ومعهم المماليك السلطانية. فطافوا بأماكن المفترجات وقبضوا على من وجدوه من العياق من يفعل ذلك وضربوه بالمقارع. وربما قطعوا أيدي جماعة منهم وأشهروهم. وأشهروا النداء بالتهديد على من يفعل ذلك بالشنق والتوسيط. فرجعوا الناس عن ذلك من يومئذ وانكفوا عما كانوا يفعلونه في ذلك اليوم. وما رأوا يفعلون جماعة (في، ١) من ذلك اليوم في أماكن المفترجات ونحو ذلك» وهذه الواقعة ذكرها المقرئزي من حوادث سنة سبع وثمانين وسبعمائة^(١).

(١) راجع حول كلمة خليع فليشر في كتابه السالف ص ٩٥.

وليس هناك أدنى ريب في أن ابن إياس يلمع هنا إلى كتاب السلوك للمقرئزي، وهو السفر الذي خلت منه مكتبة ليدن وأأسفاه!

= راجع كذلك لين، ألف ليلة وليلة، ج ٢، ص ٣٧٧.
إن فعل يهدل يعني أهان. راجع ألف ليلة وليلة ٧٢ هابخت، ج ٦، ص ١٤٣، وقاموس الكلمات المضاف إلى المجلد السابع من هذا الكتاب. ونحن نقرأ في موضع آخر من كتاب ابن إياس (ص ٣٨٦): ثم قال (السلطان) إيش أعظم ما تبهدلوا به الناس عندكم. قال نرمهم بشياهم في الماء. وأرى ضرورة إحلال كلمة تبهدلوا محل كلمة تبهدلوا. وتوجد كلمة بهدلة في نص آخر من كتاب المؤلف المذكور. فنحن نقرأ فيه (ص ٤٥٢): وقد حصل للقاصد من العام غاية البهدة من السب والرجم وغير ذلك.

يجب إضافة التصريف السادس من فعل رش إلى القاموس. وكذلك التصريف السادس من فعل صفع.
لقد حذفت البيت الثالث إذ اعترف صراحة إنني لا أفهم شيئاً منه مطلقاً، والمخطوطة كثيرة الأخطاء في هذا الموضع.

لا وجود كلمة مقترحات في القاموس. وفي نص آخر من مخطوطة ابن إياس (ص ٢٩٦) توجد هذه الكلمة مكتوبة مشكلة على هذه الصورة مُقْتَرَجَات. ونقرأ فيه: وكان يحب التنزه والمُقْتَرَجَات (العاهرات). ونجد في موضع آخر (ص ٧٤): «إن أحداً لا يخرج إلى المقترجات قاطبة» (منع ذلك السلطان). بعد ذلك (ص ٢٩٧): «وقد تقدم ما كان يقع له في المُقْتَرَجَات». وأخيراً (ص ٤١٥): «وهو كلام ملحن مطول. وصاروا يغنون به في أماكن المقترجات». ويجب على أن أحملكم على ملاحظة إنني لم أجد هذه الكلمة لدى أي مؤلف آخر، وإن المؤلفين الأوروبيين الذين يذكرون في معظم الأحيان الاسم الذي كانت تحمله المومسات في زمانهم في الشرق، لا يسمونهن أبداً مُقْتَرَجَات.

لا وجود لفعل شهر بهذا المعنى في القاموس، إلا في التصريف الثاني. ولكن التصريف الرابع يعبر أحياناً عن نفس الفكرة. فنحن نقرأ في موضع آخر من كتاب ابن إياس (مخ، ص ٦٦): سمرهم وأشهرهم في القاهرة. وبعد ذلك (ص ١٨٠): «أشهرهم في القاهرة علي جمال». وفي موضع آخر (ص ٤١٦): «ضربه المقارع =

ولعل أناساً سيتأولوني باللوم على نشري وترجمتي للنص بتمامه : ولكن يخيّل إليّ أن من الغرابة كل الغرابة العثور في الشرق على عيد يشابه مهما كانت المشابهة ضئيلة، عيد مجانين العصر الوسيط والكرنفال، بحيث أستطيع أن أقرر نشر بضع فقرات فقط من هذا النص... لذلك كان لا مناص لي من نشر النص بأكمله. وسأحملكم مرة أخرى على ملاحظة أن احتفالاً مثل هذا يقام في بعض أقطار الشرق، في مطلع شهر رمضان. راجع وصف أحد هذه الاحتفالات في كتاب تيفنو (ص ٢٨٧، ٢٧٩، حكاية رحلة إلى الشرق).

وأعتقد أن المعني هو الطرطور في النص التالسي لتيفنو في كتابه (تابع رحلة إلى حلب، ص ٦٩)، الذي وصف الزينة في حلب^(١) بالعبارات التالية: «إن أجمل ما في هذه الزينات هو رؤية مسيرة أصحاب الحرف. فقد بدأت هذه المسيرة بمرور الأساكفة اللذين كانوا يمشون بنظام. وقد انطلقت المسيرة بادیء ذي بدء يتقدمها رهط من الصبيان اللذين كانت رؤوسهم مغطاة بطراطير ورقية مدببة على هيئة قوالب السكر^(٢) Pains de sucie. وما يزال الدراويش يلبسون الطراطير. إذ يقول لين بصراحة في كتابه (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٣٦٩،

= وأشهره في القاهرة». وفي مجموعة القطع المختارة الخاصة بالدروز (لدى دي ساسي، طرائف عربية، ج ٢، ص ٩٠ من النص): «إشهارك بالقاهرة المقدسة وشوارع مصر وأزقتها».

راجع حول العذاب الفظيع المسمى بالتوسيط سيلقستر دي ساسي (طرائف عربية، ج ١، ص ٤٦٨) وكذلك كاترمير (تاريخ السلاطين المماليك ج ١، ق ١، ص ٧٢). وعلاوة على ذلك بمقدوركم مراجعة اتبين دي گننير وغيره.

(١) راجع حول كلمة «زينة» كاترمير (تاريخ السلاطين المماليك، ج ١، ق ١، ص ٢٩).

(٢) قالب السكر هو ما نسميه نحن (كُلة الشكر!). (المترجم).

ج٢، ص١٩٠): «إن بعض الدراويش يلبسون الطرايطير أو الطاقيات العالية المعززة قممها بقنازع من قطع الجوخ المختلفة الألوان، والتي عادة لها شكل قوالب السكر». وإنني أقرأ في (رحلة ستوكوف إلى المشرق، ص٤٣٣) وهو يتحدث عن درويش من دراويش القاهرة:

«كان واضعاً على رأسه طاقية معمولة على هيئة قالب سكر مغطاة كلها بآلاف الريشات الصغيرة من مختلف الألوان». وفي حكاية (كوپان Coppin درع أوروبا، ص٢٣١): «يلبس الدراويش طاقية مشغولة على هيئة قالب سكر». وفي (يوميات أسفار دي مونكوني، ج١، ص١٦٧): «إنهم يضعون على رؤوسهم طاقية ضخمة من اللباد المعمول على هيئة قالب السكر. وكانت إحداها تشابه كل المشابهة تاج الأسقف أو البرطل أو الطابية» وتحف بها نقوش على صورة أزهار خضراء زاهية أخاذة، وقد وجدت إحدى الطاقيات الملفوفة عليها لفافة بيضاء كتلك التي تكور بها العمامة». انظر للمقارنة الصورة المرقمة ١٩، الملصقة في الصفحة ٣٤٦ من الجزء الأول، وتمعن كذلك في الشكل الموجود في كتاب بوكوك، رحلة إلى الشرق، ج١، اللوحة ٥٨.

ولعل من المحتمل الراجح أن دراويش سوريا يلبسون كذلك الطاقيات العالية المسماة بالطرايطير؛ وهذا مؤيد بشهادة روجيه في كتابه (الأرض المقدسة، ص٢٤٥) الذي يقول: «إنهم يعتاضون عن العمامة بالطاقية البيضاء المشغولة من اللباد الذي يصل سمكه أحياناً إلى عقدة وارتفاعه إلى قدم». ويقول دارفيو كذلك في كتابه (مذكرات، ج٦، ص٤٦٥) وهو يتحدث عن دراويش حلب: «إن ما يميزهم عن سواهم هو طاقية من الصوف الأبيض، مفرطة في الطول ومدببة كل المدببة».

والطرطور يلبسه كذلك الفرسان الأتراك الذين يطلق عليهم كلمة دلي

Delis (راجع برغهارت، الأمثال العربية، الرقم ١٤٩، حول مثل: جندي ما قُبِلَ شيع طرطوره).

أما عن طرطور أترك مدينة الجزائر فبوسعكم مراجعة الوصف الدقيق الذي دبجته براعة ديبغو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر: ص ٢٠، مج ٣ و ٤).

وهذا المؤلف يكتب الكلمة على هذا الشكل: تورتورا: Tortora.

الطَّلَس

يذهب القاموس (ط كلكتا، ص ٧٧٢) إلى أن الطلس هو (الطيلسان الأسود)^(١).

الطَيْلِسَان - الطَّيْلُسَان

إن التفاصيل التي أوردتها حول كلمة طرحة تجيز لي الإيجاز في معرض التحدث عن الطيلسان.

يقول لين (ألف ليلة وليلة، ج ٢، ص ٥١٢) عن الطيلسان ما يلي: «لم تتح لي الفرصة أبداً لفحص الطيلسان وعلى ذلك فليس بمقدوري أن أصفه وصفاً دقيقاً. ولكنني أعتقد أنه نوع بسيط من الخمار الذي يطرح على الرأس والكتفين. أو يلقي أحياناً على الكتفين فقط. وهو خاص بالفقراء أو بأساتذة الفقه والشرعة»^(٢).

(١) لعل المؤلف أراد أن يكتب (الطيلسان) فخط (الطيسان). (المترجم).

(٢) ويضيف لين قائلاً: «إنني ميال للظن بأن الطيلسان شبيه بأوشحتنا وقلانسنا الأكاديمية. ليس من ناحية المظهر فحسب، وإنما من جهة الأصل».

وهذه التفاصيل صحيحة دقيقة، وبوسعكم الاقتناع بالرجوع إلى مقالي عن الطرحة.

وقديماً كان الطيلسان لا يلبس إلا من قبل علماء الشريعة، ومن هنا جاء التعبير الوارد في كتاب ابن حبيب (مخ ٤٢٥، ص ٢٨٣): «أهل السيف والطيلسان» ولكننا رأينا آنفاً أن الطرحة قد ارتداها أيضاً كبراء مصر، ابتداء من عام ٦٧٦ فانقطعت عن كونها لا تلبس إلا من قبل القضاة وأولئك الذين لم يكونوا يمارسون إلا سلطة روحية وقضائية. وكذلك شأن الطيلسان. فنحن نقرأ مثلاً في تاريخ مصر لابن إياس (مخ ٣٦٧، ص ٤١، ٤٢): «فلما وقعت عينه على الملك الظاهر برقوق جرى وقبل يده وقال للظاهر برقوق: «أنت أستاذنا كلنا ونحن ممالكك قاطبة». «ثم إن برقوق قام ولبس عمامته ولف عليها طيلساناً كبيراً».

ونقرأ في نص للسيوطي (حسن المحاضرة، مخ ١١٣، ص ٣٠٨): «إن المقور كان يعطي كلباس تشریف (خلعة) لأمر الجيوش».

وفي رحلة محمود بن جبير (مخ ٣٢٠، ص ٤٦) نجد أن الخطيب في مكة كان يرتدي الطيلسان من الكتان الرقيق (وعليه طيلسان شرب رقيق). ويذهب ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي غايانغوس، ص ٦٤) إلى أن الطيلسان كان أسود اللون (عليه طيلسان أسود).

وفي الأندلس كان الطيلسان معروفاً على وجه الإجمال. وشائع الاستعمال بصورة عامة بين الكبراء ولدى عامة الشعب، ولكنه كان يرتدى فوق الكتفين، ولم يكن يضعه على الرأس إلا شيوخ المشايخ المقرئ - أو بالأحرى ابن سعيد، لدى فريتاك - طرائف عربية نحوية وتاريخية، ص ١٤٨). ولا ريب أن هذا الخمار هو الطيلسان الذي نرى الشيخ العجوز يرتديه وسط اللوحة ٦٥ من كتابه Cavanah Murphy الرائع (الآثار العربية في أسبانيا) «The Arabian Antiquities of Spain»

ونقع في كتاب ريحان الألباب (مخدي غايانگوس) على النص التالي الذي يبعث على التأمل والملاحظة: ثم مات هشام، ويقال بل قتله المعتضد، ومشى في جنازته دون طيلسان راجلاً مشى الحجاب».

ويتحدث حاجي خليفة (ط فلوگل، ج ١، ص ١٦٢) عن كتاب معنون: «الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان». وهناك نسختان من هذا الكراس في مكتبة الأسكوريال.

الطاق

يذهب القاموس (ط كلكتا، ص ١٣٠٧) إلى أن الطاق هو الطيلسان أو بالأحرى الطيلسان الأخضر (ضرب من الثياب والطيلسان أو الأخضر).

الطاقية وجمعها الطواقي

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وتعني في اللغة العربية كلوة صغيرة تلبس تحت العمامة. ولعلها من أصل فارسي، ولكنني يجب أن أحملكم على ملاحظة أن الكلمة لا تشير في فارس إلى كلوة صغيرة، ولكنها تسمى على ما يبدو إلى نوع عصاة توضع على الرأس.

يقول ميرخوند Mirkhond (ص ٦٦، تاريخ السلاجقة) في معرض حديثه عن السلطان السلجوقي ألب أرسلان «وطاقية نیز برسر مي نهاده گويند که از سر طاقية تانهايت لحيه، أو دو گز در نظر بيننده آمدي». أما خوندمير Khondemir (حبيب السير، ج ٢، مخ فارسية ٢٩٦، ص ٢٠٤) فيقرر نفس الواقعة بهذه الكلمات: «وطاقية طولاً في (اقرأ: نیز) بر سر ميکداشت - چنانچه بيننده از بدايت طاقية تانهايت لحيه دو

گزمی بینداشت»^(١). وهذا النص الأخير يجب أن يترجم على هذه الصورة: «كان يلبس في رأسه طاقية طويلة، بحيث أن من يرى هذا الإنسان يلمح ذراعين من الطاقية، انطلاقاً من موضع عقد هذه حتى اللحية». والجدير بالملاحظة أن ميرخوند وخوندمير يعدان الطاقية من بين الصفات الحسنة، بل من بين الصفات الأخلاقية العالية للسلطان. ومع ذلك فإنني أعتقد أن ابن بطوطة (الرحلة مخ دي گایانگوس، ص ٨٢) حين يقول - في مقاله عن أصفهان: «وطلبت منه أن يلبسني طاقية من رأسه» كان الموضوع في هذا النص موضوع عرقية أو كلوتة، ذلك لأن هذا على الدوام هو معنى هذه الكلمة لدى الكتاب العرب. فنحن نقرأ في وصف مصر للمقريزي (ج ٢، مخ ٣٧٢، ص ٣٥٨) النص التالي، العظيم الأهمية: «سوق البخانقين» هذا السوق فيما بين سوق الجمelon الكبير وبين قيسارية الشرب الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى عند ذكر القياسر. وباب هذا السوق شارع من القصبة ويعرف بسوق الخشبية تصغير خشبة فإنه عمل في بابه المذكور خشبة تمنع الراكب من التوصل إليه. ويسلك في هذا السوق إلى قيسارية الشرب وغيرها. وهي معمورة الجانبين بالحوانيت المعدة لبيع الكوافي والطوافي التي يلبسها الصبيان والبنات. وبظاهر هذا السوق أيضاً في القبضة عدة حوانيت لبيع الطوافي وعملها. وقد كثر لبس رجال الدولة من الأمراء والمماليك والأجناد ومن يتشبه بهم للطوافي في الدولة الجركسية وصاروا يلبسون الطاقية على رؤوسهم بغير عمامة ويمرون كذلك في الشوارع والأسواق والجوامع والمواكب لا يرون بذلك بأساً بعدما كان نزع العمامة عن الرأس عاراً وفضيحة. ونوعوا هذه الطوافي ما بين أخضر وأحمر وأزرق وغيره من

(١) يجب إضافة فعل بینداشتن إلى المعاجم الفارسية.

الألوان. وكانت أولاً ترتفع نحو سدس ذراع ويعمل أعلاها (مدور مسطح). فحدث في أيام الملك الناصر فرج منها شيء عرف بالطواقي الجركسية يكون ارتفاع عصابة الطاقية منها نحو الثلثي ذراع وأعلاها مدور مقبب بالفواقي بتبطين الطاقية بالورق والكثيرة فيما بين البطانة المباشرة للرأس والوجه الظاهر للناس. وجعلوا من أسفل العصابة المذكورة زيقاً من فرو القرض الأسود يقال له القندس في عرض نحو $\frac{1}{8}$ ذراع يصير دائراً ببجبهة الرجل وأعلا عنقه. وهم على استعمال هذا الزي إلى اليوم. وهو من اسمج ما عانوه. وتشبه بالرجال في لبس ذلك النساء لمعنيين أحدهما إنه فشا في أهل الدولة محبة الذكران فقصد نسائهم التشبه بالذكران لتستملن قلوب رجالهن. فاقتدى بفعلهن في ذلك عامة نساء البلد. ثانيهما ما حدث بالناس من الفقر والفاقة. فاضطر حال نساء أهل مصر إلى ترك ما أدركنا فيه النساء من لبس الذهب والجواهر بل ولبس الحرير حتى لبسن هذه الطواقي وبالغن في عملها من الذهب والحرير وغيره وتواصلين على لبسها. ومن تأمل أحوال الوجود عرف كيف تنشأ أمور الناس في عاداتهم وأخلاقهم ومذاهبهم».

ولعل مؤلف رحلة فان خيستلا (ص ٤٨) يتحدث عن الطاقية، وكان زار مصر عام ١٤٨١، أي بعد وفاة المقريري بأربعين سنة - فعبر عن خواطره في معرض الكلام عن المماليك بالكلمات التالية: «ثمة ناس يضعون على رؤوسهم البيريهات، أي الطواقي المستديرة العالية. وهذه الطواقي ضيقة من الأسفل وعريضة من الأعلى، والجزء الواطيء منها مصنوع من المخمل ومن نسيج آخر، أما الجزء الأعلى فمشغول من الصوف الأخضر الرديء». فإذا لم أكن متوهماً، فإن پير مارتير السفير الفرنسي لدى قنصوة الغوري عام ١٥٠١ يتحدث في كتابه (سفارة بابلية، ص ٤٠١) عن الطاقية أيضاً. وإليك كلماته: «إن المماليك الذين هم في

خدمة السلطان يلبسون طواقبي من الصوف، وهي ثقيلة الوزن وقاسية الملمس، وتتألف من لونين مختلطين، اللون الأول الأخضر في الأسفل، واللون الثاني الأسود في الأعلى». وبالرغم من انطباق هذه الأوصاف بعض الانطباق على أوصاف المقريزي، فإنني أرى من المحتم عليّ أن اعترف بأن التفاصيل ليست هي نفسها بالضبط (ولكن ما لنا لا نفترض أن طاقة الممالك كانت عرضة لتحويلات اقتضتها الطرز المستحدثة؟ ألم يخبرنا المقريزي نفسه أن طاقة الممالك قبل حكم الملك الناصر فرج كانت تختلف اختلافاً جوهرياً عن الطاقة التي يلبسها هؤلاء الممالك في عهده).

وفي أيامنا هذه تشير كلمة طاقة في مصر إلى نفس ما تشير إليه العرقية، أي إلى كلوة صغيرة من القطن تلي الرأس، كما يقول لين (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٤١). ويرتديها أفراد الجنسين تحت الطربوش (المرجع السالف، ص ٥٨) الذي حوله تلف قطعة من القماش، وعلى هذه الصورة تتشكل العمامة. ويكتب ج فيسكيه (رحلة إلى الشرق، ص ١٨٢) الكلمة هكذا Takie وهي في نظر الرحالة «عرقية صغيرة من القطن المنفوش الذي يكون عادة مزركشاً ومطرزاً بنقوش غاية في الإبداع والنفاسة». بل يذهب برگهات في كتابه عن الأمثال المصرية المحدث (الأمثال العربية، رقم ١٠١) إلى القول بأن هذه الكلمة تشير إلى «عرقية أو كلوة بيضاء مصنوعة من القطن الناعم المطرز الحواشي عادة، وهي تلي الرأس مباشرة وتلبس تحت الطربوش الأحمر». ويتحدث بوكوك كذلك في كتابه (وصف الشرق، ج ١، ص ٣٢٨) عن «الكلوة الصغيرة البيضاء المعمولة من الكتان التي تستعمل لتغطية الدماغ أو تلبس تحت الطربوش». وبهذا المعنى كانت هذه الكلمة شائعة الاستعمال في زمان كتابة ألف ليلة وليلة. فنحن نقرأ في هذا الكتاب

(ط مكنانگتن، ج ١، ص ١٧٢): (فَنظَرُوا شَاباً مَلِيحاً بِقَمِيصٍ وَطَاقِيَةٍ كَشَفَ مِنْ غَيْرِ لِبَاسٍ). (أي لم يكن رأسه مغطى بالطاقيّة الحمراء، ولا بقطعة القماش المسماة عمامة) ولم يكن يلبس سروالاً.

وترسم طبعة هاييخت (ج ١، ص ٦٣) هنا كلمة قبع، وهي لفظة تشير بإحكام ودقة إلى نفس الشيء، كما سنرى مصداق ذلك حين نتحدث عن هذه الكلمة.

وفي الفترة التي زار خلالها دانديني سورية، أي عام ١٥٩٩، كانت كلمة طاقيّة تشير في هذا القطر إلى المادة التي يسمونها اليوم فيه بالطربوش. فنحن نقرأ في (الرحلة من جبل لبنان، ص ٤٤) إن «سكان طرابلس يضعون على رؤوسهم عرقية يسمونها طاقيّة، وهي معمولّة من الجوخ أو من الحرير المشوب بالقطن». وبعد ذلك مباشرة يتحدث الرحالة عن الشاش. ويوغل حتى يبلغ (ص ٤٨) فيقول عن النساء: «إنهن يضعن على رؤوسهن طاقيّة من الجوخ أو من الحرير الذي يكون عادة أحمر أو أزرق، وهن يملأن طاقيّاتهن بتطاريز ذهبية وفضية. ومنهن من يلبسن الطواقبي المصنوعة من الذهب والفضة خالصين». وما تزال كلمة طاقيّة حتى يومنا هذا تشير لدى البدو إلى نفس العمارة التي تشير إليها كلمة طربوش، ذلك لأننا نقرأ في كتاب برگهارت (ملاحظات على البدو والوهابيين، ص ٢٧) إن بعض الشيوخ الأثرياء من بين البدو «يلبسون أحياناً عرقيات حمراء أو طاقيات تسمى في سورية طرايش». وما يماثل في سورية الطاقيّة المصرية هو العرقية، وتدعى لدى البدو معرقة.

وقد رأينا آنفاً - من نص المقريزي الذي نشرته، إن جميع هذه الكلمة هو طواقي (طواق). وهذا الجمع موجود كذلك في نص آخر للمقريزي (راجع كلمة حياصة) - وفي نص من تاريخ مصر للنويري (مخ ٢، ص ٥٢) حيث تقع على كلمتي «طواقي الأولياء» «Les tâkîyahs des Saints» :

وتشبه كلمة طاقة كل الشبه الكلمة الفرنسية توك Toque والكلمة الأسبانية توكا Toca. ولكن يتحتم عليّ أن أحملكم مع ذلك على ملاحظة أن القدامى من الأسبان والفرنسيين يسمون توكا وتوك العمامة بقضها وقضيضها، وإنهم لا يطلقون هذا الاسم على الكلوتة. فنحن نقرأ ذلك مثلاً في كتاب أسباني، مكتوب بالحروف العربية (منشور من قبل دي ساسي في صحيفة العلماء عام ٥ - ١٦ جرمينال، رقم ٧): «من تراهم لابس الطواقي البيضاء هم أتراك، أما مرتدو الطواقي الصفراء فهم يهود يتاجرون مع وجهاء الأتراك».

ويقول برتراندون دي لابروكيير في كتابه (رحلة عبر البحار، ص ٥٠٤) وقد زار الشرق في ١٤٣٢ - ١٤٣٣ - إنه اشترى من دمشق توكا كاملاً (Une toque accomplie) وهذه الطاقة فسرّها دوسي الكبير تفسيراً في غاية الصحة بأنها «العامة المثلى».

● تعليقات على نص المقريري:

* شارع القصبه - ما يزال هذا الشارع حتى اليوم هو الشارع الرئيس في القاهرة. ويمتد من باب زويلة حتى باب النصر.

* تشير كلمة خشب بصورة عامة إلى المادة المعروفة. فنحن نقرأ في كتاب القرطاس (مخ ١٧، ص ٨١): «وإذا بطاق في الدار عليه شباك خشب. ولكن كلمة خشبة وجمعها خشب أو خشبات أو أخشاب تستعمل في معاني عديدة». فهي تشير:

١ • إلى جذع شجرة. فنحن نقرأ في شرح الشاذلي على رسالة الفقه المالكي لابن زيد (مخ ١١٩٣، ص ٥٢٦) خشبة ينشرها فيجدها معفونة. وفي رحلة ابن بطوطة (مخ، ص ٢٦٨): «أتوا إلينا في قوارب صغار كل قارب من خشبة واحدة منحوتة».

٢ • إلى وتد. إذ يقول ابن بطوطة (الرحلة، ص ٩١) في معرض الحديث عن جسر الزوارق في مدينة الحلة: «ولها جسر عظيم معقود على مراكب متصلة منتظمة فيما بين الشطين تحف بها سلاسل حديد مربوطة في كلا الشطين إلى خشبة عظيمة مثبتة بالساحل». وفي موضع آخر (ص ١٣٢): «وأخبرنا الناس أن المعذية أسفل من ذلك الموضع. فتوجهنا إليها وهي أربع خشبات مربوطة بالجبال يجعلون عليها سروج الدواب والمتاع ويجذبها الرجل من العدو الأخرى ويركب عليها الناس وتجار الدواب سباحة وكذلك فعلنا». راجع حول كلمة معذية (كاترمير - تاريخ السلاطين المماليك، ج ٢، ق ١، ص ١٥٦). وبعد ذلك (ص ٢٧٤): «لها مرسى عجيب عليه خشب كبار دائرة عليه». راجع أيضاً ابن بطوطة، ص ٢٧٠ حول كلمة الأخشاب.

٣ • إلى عارضة. إذ يترجم بيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية) خشبة (وجمعها أخشاب) بكلمات فيكابارا ايديفيسيو *Viga-para edificio*. فنحن نقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ ٢، ص ٤٧٧): «اتتهب الزاهرة حتى قلعت الأبواب والأخشاب».

٤ • إلى شجرة العصر. راجع الكالا حول الكلمات: فيكا دي لاكار: «*Viga de lagar*».

٥ • إلى خشبة الصلب، إلى الصليب. فنحن نقرأ في تاريخ مصر للمقري (مخدي غوتا، ص ٥٢٨): «وبلغ من سرقة إنه سرق وهو مصلوب لأن ابن عباد أمر بصلبه على ممر أهل البادية لينظروا إليه. فبينما هو على خشبته على تلك الحال إذ جاءت إليه زوجته».

وفي ألف ليلة وليلة (ط مكناتن، ج ١، ص ٢٠٢): «نصب

للنصراني خشبة وأوقفه تحتها. وجاء المشاعلي رمى في رقبة النصراني الجبل وأراد أن يعلقه».

٦ • إلى لوحة. فنحن نقرأ في الحماسة (ط فريتاگ، ص ٣٦٥):
(والمخرش اسم لما يخرش به خشبة كان أو غيرها) ونقرأ لدى ابن هيجان (راجع الذخيرة لابن بسام، مخ غوتا، ص ٤): «خشبة من القنطرة». ويقول ابن جبیر (الرحلة، مخ ٣٢٠، ص ١٩٤) في معرض الحديث عن ميناء مسينا في صقلية: «ومرساها أعجب مراسي البلاد البحرية لأن المراكب الكبار تدنو فيه من البر حتى تكاد تمسكه وتنصب منها إلى البر خشبة يتصرف عليها والحمال يصعد بحمله وذلك لإفراط عمق البحر فيها».

ويقول ابن بطوطة (مخ، ص ٢٣٨) واصفاً حادثة غرق سفينة، عن امرأة: «كانت قد التزمت خشبة في مؤخر الكنك». ومن هنا فإن كلمة خشب في صيغة الجمع تعني ألواحاً تؤخذ بمعنى:

٧ • الروافع - كما نرى في هذا النص لابن بطوطة (مخ، ص ١٠): «ولها قنطرة خشب ترسو المراكب عندها. فإذا كان العصر رفعت تلك الخشب وجازت المراكب صاعدة ومنحدرة». (والحديث عن مدينة أشمون الرومان).

٨ • تشير كلمة خشبة إلى باب. فنحن نقرأ لدى ابن بطوطة (ص ٢٦٢): «ومجلسها مفروش بالحرير وعليه ستور وخشبة من الصندل وعليه صفائح الذهب». ونقرأ لدى ابن هيجان (السالف، ص ٤) وهو يتحدث عن قصور فخمة شيدت في فالنسيا: «واتسع الحدس في عظيم ذلك الانفاق». فمنهم «من قدرت نفقته على منزلة مائة ألف دينار وأقل منها وفوقها حسب تناهيه في سرويها من نضار الخشب».

٩ • وأخيراً فإن كلمة خشبة تشير كذلك إلى غرفة خشبية صغيرة. فنحن نقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخ، ص ٢٤٤): «ولا سجن عندهم بتلك الجزائر. إنما يحتبس أرباب الجرائم في بيوت خشب هي معدة لأمّعة التجار. ويجعل أحدهم في خشبة كما يفعل عندنا بأسارى الروم».

* يشير الزيق بصورة عامة إلى كل حافة وحاشية في الثياب، وليس إلى ما يذهب إليه القاموس في هذا الشأن فقط.

* لا يذكر القاموس إلا كلمتي ابن مقرض. ولكن الكلمة مكتوبة في تاريخ مصر للنويري (مخ، ص ٢٢) على هذا المنوال: (قرظ). إذ نقرأ فيه: «وكان - يبعث إليه بعض أصحابه في الشتاء بفروة قرظ يلبسها».

* راجع حول كلمة قندس بمعنى حاشية تعليق كاترمير في كتابه (تعليقات ومقتبسات، ج ١٣، ص ٢١٧) إذ لم يغفل العالم الجليل أن يورد نص المقريري هذا.

* يقص علينا المؤرخون العرب والفرس، إن الأمين بن هارون الرشيد، حين انغمس في أعمال الفسوق والفجور التي يتهم بها المقريري معاصريه من المصريين (وهو اتهام أيده تأييداً تاماً الرحالون الأوروبيون المعاصرون) ألبست أم هذا الأمير المسماة زبيدة أجمل الجواري لباس الغلمان لتحول بين ابنها وبين سلوكه الشائن الشاذ. ومنذ ذلك الحين اطلق اسم الغلامية في مقاصير حريم الخلفاء على أمثال هؤلاء الجواري.

العَبْرُوق

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكننا نقرأ في كتاب هوست (أخبار من مراكش وفاس، ص ١١٩): «لا يجوز للنساء المتزوجات إظهار شعورهن، لذلك فهن يحطنها بخمار من الحرير، اسمه عبروق Abruq تنساب أطرافه على الظهر، ويسوى من الأمام كما سوى الشد (العمامة)». ويكتب غرابر دي همسو هذه الكلمة (مرآة جغرافية وإحصائية لامبراطورية مراكش، ص ٨١) على هذه الصورة (عبروق) وإليكم ما يقوله: «إن نساء مراكش يحطن رؤوسهن بعصابة أو عصابتين من الذهب والفضة المخططين وتسمى هذه الزينة بالعبروق، وتعتقد في العبروق عقدة بارتفاع الرقبة، أما أطراف هذه العصائب المتداخلة في ضفائر الشعر فتدلى حتى الحزام».

الْعَبَاءَة، الْعَبَاة، الْعَبَايَة

تشير هذه الكلمة إلى نوع ملحفة قصيرة ومفتوحة من الجهة الأمامية، وهي لا أكمام لها ولكن تستحدث فيها تقويرات لإمرار الذراعين. والعباءة هي الثوب الخاص بالبدو وفي جميع الأوقات على وجه التقريب. ولنشرع بسورية. يقول دانديني في معرض حديثه عن سكان طرابلس سورية (رحلة إلى جبل لبنان، ص ٤٥، ٤٦): «إنهم يلبسون فوق العبة سترة فوقانية تدعى سپان Spain أو العبا^(١) Dandini voyage du Mont Liban ويسمى (سبان) حين يكون الجوخ من الصوف الرقيق، وحين يكون متقن الصنع ونظيفاً كتلك الأردنية المستعملة في

(١) يجب عليّ أن أعترف بأنني أجهل كيفية كتابة هذه الكلمة سواء بالعربية أو بالتركية.

إيطاليا. لأنهم في ذلك القطر لا يملكون البراعة التي نملكها. والعباءة منسوجة نسيجاً أغلظ وهي من الصوف المبروم المخطط الموزع على سطور بيضاء وسوداء». ونحن نقرأ لدى روجيه (الأرض المقدسة، ص ٢٠٥) Roger, la Terre Sainte إن «الجنود البسطاء أو الفلاحين، من بين البدو يلبسون عباءة هي رداء مفتوح جهته الأمامية مرقطة بالأبيض والأسود وبالألوان الأخرى». وبعد ذلك (ص ٤٢٦): «إن رجال الدين (المارونيين) لا يرتدون القمصان مطلقاً ولا ما يماثلها مما نسميه (القانسون) أو سراويلات الرهبان (Cannesons)، ولكنهم يلبسون رداءين يسمونهما (عبلا) abla ولهما لون داخن وهما منسوجان من شعر المعزى، مع قبع أسود من الصوف الرديء». وينبغي ولا ريب إحلال كلمة عبا abba محل كلمة عبلا abla في هذا النص. ويشرح دارثيو الموضوع في كتابه رحلة من فلسطين إلى الأمير الكبير، ص ٢٠٨^(١) على هذه الصورة: «d'Arvieux, voyage dans la Palestine vers le Grand Emir» وعندهم أيضاً عباءات من الجوخ الأحمر والأخضر أو من الألوان الأخرى مقصبة بالذهب والفضة من جهة الأكتاف ومطرزة بأزهار والعري والأزرار من الجهة الأمامية. وتؤلف هذه العباءات بتخييط لفقين من الجوخ بكل ما فيه من سعة، كما لو كانوا يريدون أن يعملوا منه كيساً، ثم يشقون المقدم ليوضع على الأكتاف، بعد تقوير الموضع الذي يدور على الرقبة، ويدعون فتحتين في الزوايا لإمرار الذراعين وهذا الثوب معمول بصورة خاصة ليلبس لدى ركوب الخيل». وبعد ذلك (ص ٢١٠ و ٢١١) يقول المؤلف نفسه متحدثاً عن السيدات لدى البدو: «إن ثيابهن الداخلية هي عباءات من

(١) إن عبارات دارثيو ونيبور التي نجدها في هذه المقالة، قد سبق أن أشار إليها كاترمير في كتابه (تاريخ السلاطين المماليك ج ١، ق ٢، ص ٧٣).

الأطلس أو من القطيفة كأردية الرجال، وهي تصنع أحياناً من الأسلاك الذهبية (الزركش) الدقيقة المحوكة مع خيوط أخرى، وهكذا تتكون منها الثياب الفوقانية». وفي موضع آخر (ص ٢١٢) يقول دارفيو في كلامه عن عوام الرجال: «إن كسوة أحدهم هي عباءة من البركان المخطط المرقط بالأبيض والأسود».

وترتدي عوام النساء كذلك عباءة فوق القميص. (المرجع السابق، ص ٢١٣).

والعباءة التي كان يرتديها الرحالة نفسه كانت «مشغولة من نوع من أنواع البركان المرقط بالأبيض والأسود، مع أزهار صغيرة منسوجة من الذهب». (المصدر السابق، ص ٤). ويتحدث برنجهارت كذلك في كتابه ملاحظات حول الوهابيين، ص ٢٧ (Burckhardt, Notices on the Bedouins and Wahabys) عن الكساء المسمى عباءة، ويؤكد إنها ثوب غليظ مخطط بخيوط بيضاء ودكناء». ويضيف قائلاً: «إن عباءات بغداد هي نفس العباءة - ولكنني لم أشهد قط عباءات سوداء لدى قبيلة عنزة، ولكنها كثيرة الوجود لدى شيوخ أهل الشمال. وكانت في بعض الأحيان موشاة بالذهب وقد يصل سعرها حينئذ إلى عشرة جنيهات استرلينية».

ويقول فون ريشتر في كتابه (رحلة إلى الشرق الأوسط ص ٢١) (Von Richter, wallfaheten in Morgenlande) متحدثاً عن بدو سورية: «تشابه عباء الجنسين لديهم» ويعتبر الرحالة العربي الأندلسي ابن جبير (الرحلة، مخ ٣٢، ص ٧٣) العباءات من بين ملابس سكان جزيرة العرب على وجه التخصيص. ويقرر نيور في كتابه (رحلة إلى الجزيرة العربية، ص ٢٦١) ما يلي: «في الصقع العربي من جزيرة العرب لم أجد من يلبس الكساء الفوقاني المسمى عباءة abba اللهم إلا التجار أثناء السفر. ولكن في الصقع الشرقي منها، لا سيما في ولاية الإحساء تؤلف العباءة اللباس

الاعتيادي للرجال والنساء على حد سواء». وإذ يتحدث نيور عن هذا القطر (ص ٣٢٢) يصف العباءة على هذه الشاكلة: «إن ما يدعى عباءة هو ثوب فوقاني فضفاض لا أكمام له ونستطيع تصور هذا اللباس بسهولة باستحداث فتحة في (أسفل) كيس حنطة لإمرار الرأس، وبأحداث فتحتين أخريين على الجانبين لإيلاج الذراعين، وأخيراً بشق الكيس من أعلى إلى أسفل. ولقد رأيت في الزبير أو البصرة القديمة خياطاً أعمى يكسب قوته من مهنته دون أن يكون قد أبصر النور. إذن فعمل العباءة لا يحتاج إلى فن خطير». وعن هذا اللباس نفسه يتحدث علي بيك في (الأسفار، ج ٢، ص ١٠٨) حين يقول: «إن العربي البدوي يرتدي عادة فوق ثوبه كساء فضفاضاً لا أكمام له، وهو مشكل من نسيج من الصوف الغليظ أو من الجوخ الرقيق، وجانباً هذا الكساء متساويان ويكونان عادة مرقطين باللون الأدكن مرة وباللون الأبيض أخرى، وكل خط من هذه الخطوط يبلغ عرضه قدماً واحدة». وهذا اللباس شائع الاستعمال في الأقطار الشرقية. وإنني لا أتردد في حسابه الكساء الذي تحدث عنه راوولف في كتابه (وصف حقيقي للرحلات، ص ١٩٠) Rauwolf, Aigentliche beschreibung der Raysz حين يقول عن البدو الذين أعتقد أنهم بنو سعيد: «إنهم يرتدون عادة أكسية صغيرة من قماش غليظ، وهي مفتوحة للغاية من الجهة الأمامية، ومحرومة من الأكمام وطويلة إلى حد كبير بحيث تبلغ الركب. وقد لبست هذا الرداء بنفسني أثناء السفر وكان مخططاً بخطوط بيضاء وسوداء». ونحن نقرأ في كتاب أوليفيه (رحلة إلى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس، ج ٤، ص ٢٢١) إن رجال أورفة «يرتدون أثناء السفر عباءات Oliver, Voyage dans l'Empire Othman l'Egypte et la Perse شاملة السواد أو ذات خطوط طولية بيضاء وسوداء واسعة أو ضيقة تشبه كثيراً من ناحية الشكل حبة القداس الخارجية

للقميس الكاثوليك». (وبعد ذلك، ص ٢٢٢): «تعمل العباءات من الصوف أو من الصوف وشعر المعز. والعباءة الساذجة منها تباع بعشرة قروش أو باثني عشر قرشاً، أما النوع النفيس فيصل سعر العباءة منه إلى خمسين قرشاً». وإذ يتحدث بكنكهام (رحلات في بلاد ما بين النهرين، ج ١، ص ٣٤٣) Buckingham (Travels in Mesopotamia) فإنه يسطر الكلمات التالية: «إن الناس هنا من أي طبقة كانوا يلبسون العباءة المحوكة من الصوف الثقيل فوق ثيابهم الفوقانية». ويقول فريزر (رحلات في كردستان وبلاد ما بين النهرين إلخ، ص ٨٦) (Fraser, Travels in Koordistan, Mesopotamia) في معرض حديثه عن الأكراد: «إنهم يرتدون فوق ثيابهم جميعاً ما يشبه الملحفة وهي العباءة المصنوعة من وبر البعير ذات اللون الأبيض أو الأسود أو ذات الخطوط البيضاء والدكناء والسوداء، وهي مزروعة من جهة الصدر وتفرغ من الخلف بصورة أخاذاة تستحق التصوير». وفي موضع آخر (ج ١، ص ٢٢٨) يقول الرحالة نفسه عن عرب بغداد، البدو منهم والحضر: «إنهم يلبسون عباءة أو شملة ذات هيئة في منتهى الغرابة. فهذه العباءة واسعة وبغير كُمين، ولكنها مزودة بثقوب لإمرار الذراعين، وهي مصنوعة من الصوف المغزول ومحوكة حبكاً جيداً وفيها خطوط عمودية دكناء وبيضاء ولكنها تكون أحياناً سوداء وبيضاء. وهذا الكساء هو اللباس الوطني وهو الرداء العربي باستحقاق وجدارة». ويذكر بكنكهام كذلك في كتابه (رحلات في بلاد ما بين النهرين، ج ٢، ص ١٩٥): «العباءة أو الرداء الواسع الصوفي» الذي رأى الأعراب البدو يرتدونه في بغداد. وترتدي النساء البغداديات أيضاً هذا الكساء. (فريزر المرجع السابق، ج ١، ص ٢٨٧) راجع كذلك (ج ١، ص ٣٤٠، ج ٢، ص ٦٧ و ٧٦). ونحن نجد هذا الرداء المسمى عباءة في مصر أيضاً، ولكن على وجه التخصيص لدى بدو هذا القطر. فإننا نقرأ

في ألف ليلة وليلة (ط مكناتكن، ج ١، ص ٤٩١): (Mille et une Nuits; éd : Macnagten) «قال البدوي للتاجر: وما يصلح لهذه الكورة (العاهرة) من القماش والله أن هذه العباءة التي هي ملفوفة فيها كثيرة عليها». وجاء في كتاب كوپان (درع أوروبا، ص ٣٢٥) Coppin, Le Bouclier de l'Europe «أما الأغنياء من البدو فلهم فوق ذلك عباءة تشابه ما ندعوه لدينا كازاك casaque أو فيست veste وتكون سوداء». وورد في هذا الكتاب (يوميات رحلات مونكوني، ج ١، ص ٣١٣) Journal des voyages de Monsieur de Monconys هجم بدوي على عباءتي ليسليني إياها»، ونطلع في رحلة بيترو دلافاله، ج ١، ص ٦٧٠: «إن Pietro Del'a Valle البدو يرتدون أحياناً فوق قمصانهم رداء فوقانياً من الصوف الغليظ، ولا شيء سوى ذلك. وهذا الرداء مشقوق تماماً من الجهة الأمامية ولا أكمام له. ويسميه العرب العباءة، وهم يلبسون هذه العباءة، وخصوصاً أولئك الذين يريدون أن يظهروا بمظهر الأناقة والوجاهة، وهي مزررة من طرف الصدر على هيئة الفيرايلو Ferauolo^(١). ونساء البدو يرتدين العباءة أيضاً، ولكن عباءهن كثيفة وضيقة (المرجع السابق، ص ٧٣٩). ويذكر ستيفنس في كتابه (حوادث السفر في مصر، إلخ، ج ١، ص ٢٢٥): (Stephens, Incidents of travel in Egypte) «عباءة من وبر الجمل الأسود التي كان يرتديها أحد تجار القاهرة. ولكن العباية التي تلبس الآن في مصر لم تعد العباءة القديمة للجزيرة العربية وسورية والعراق العربي، فقد تضم كُمين. وهي تتدلى حتى القدمين. ومع ذلك فإن النسيج المصنوعة منه قد ظل هو نفسه، وإن الرجال الموسرين يلبسون العباءة حين اشتداد البرد، وحتى أيامنا هذه بقي هذا الكساء يعمل من الصوف الأسود اللون. ويرتدي

(١) كساء يستعمل في نابولي. (راجع كلمة فرجية).

الفقراء العباءة أيضاً أثناء هجوم القر، ولكن القماش المصنوعة منه العباءة أغلظ. وأحياناً بدلاً أن تكون سوداء تكون مرقطة بخطوط عريضة دكناء وبيضاء أو زرقاء وبيضاء؛ ولكن هذه الحالة شذوذ في القاعدة الأصلية فإن الخطوط بصورة عامة تكون دكناء وبيضاء كما هي في الأقطار الأخرى. انظر لين (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٤١، ٤٥، والصورة اليمنى، ص ٤٤) Lane, Modern Egyptians. وكلمة عباءة غير مجهولة في بلاد البربر، فهي تشير إلى بركان غليظ ثقيل. (راجع النقيب ليون، رحلات إلى أفريقيا الشمالية، ص Le capitaine Lyon, Travels in Northern Africa وانظر هورنمان، ص ٨٥، في كتابه حول رحلة من القاهرة إلى مرزوق، ص ٨٥ Hornemann, tagebuch seiner Reise von Cairo nach Murzuck وسأحملكم أيضاً على ملاحظة أن طبقة الدروايش في بغداد ترتدي العباءة البيضاء (فريزر، رحلات في كردستان الخ. ج ١، ص ٣٠٢).

(Fraser, Travels in Koordistan ect., tom 1. pag. 302).

المَقْبَر

يبدو أن هذه الكلمة تشير إلى نوع من تيجان الرأس وعماراته. فنحن نقرأ للفتح بن خاقان (في كتاب تاريخ بني عباد، ص ٥؛ Historia Abbadidarum) «... ولها بالتداعي تلفع واعتجاز». ومعنى الجملة إن تلك البنايات قد تلفعت بأنقاضها تلفعاً تاماً، كما تلفع المرأة من قدميها إلى رأسها بعباءتها وعمارتها».

العَرَقِيَّة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وهي تشير في مصر كما يرى لين (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٤١) إلى نفس الشيء الذي تشير إليه كلمة طاقية، أي تدل على كلوة من القطن تمس الرأس مساً مباشراً. وهي توضع تحت الطربوش الذي يلف بعد ذلك بالعمامة. وعلى هذا الصورة تتشكل العمامة. ويرى برگهارت (ملاحظات على البدو الوهابيين، ص ٢٧) إن كلمة عرقية (ويكتبها هذا الرحالة أركيه arkye) تشير في سورية إلى ما تشير إليه الكلوة. ويرى كانيس (النحو، ص ١٧٢) إن كلمة عرقية تشير إلى طاقية صغيرة من الكتان (birreta de lienzo) ولكن هذه الكلمة كانت تشير في العصور الأقدم في سورية إلى نوع آخر من تيجان الرأس مختلف كل الاختلاف. فنحن نقرأ في كتاب روجيه (الأرض المقدسة، ص ٢٥٧): «إنها لابسة في رأسها تاج أسقف (قلنسوة، برطلا) من الفضة يسمونه عرقية وهو مصنوع على هيئة قالب سكر». وفي موضع آخر (ص ٢٠٤): «إن عرائس الأمراء البدو يضعن على رؤوسهن تاجاً من الفضة معمولاً على هيئة قالب سكر، وهن يحطنه بخمار حريري أسود مطرز بالآليء ومرصع بالأحجار الكريمة».

المَعْرِقَة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وهي تشير، حسب تقرير برگهارت (ملاحظات على البدو الوهابيين، ص ٢٧) إلى شبه كلوة يلبسها البدو، وهي نفس العرقية

السورية، ولكن المعركة maaraka (هكذا يكتبها برگهات) معمولة من وبر الجمل. ويقول فريزر كذلك (رحلات في كردستان وبلاد ما بين النهرين إلخ، ج ١، ص ٢٢٨) إن معظم عرب بغداد يلبسون تحت الكوفية كلوتة تشبه شعرية غالية perruque gauloise (a welsh wig) مشغولة من وبر البعير^(١).

العري

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي تشير، حسب رأي لين (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٤٤): «إلى قميص طويل واسع أو تدل على ثوب من الكتان الأزرق أو من القطن من نفس اللون، وهو مفتوح من العنق إلى الحزام وله كمان كبيران». ويلبس فقراء الناس هذا الثوب. ولا بد أن كلمات ويتمان Wittman في كتابه «أسفار في تركيا الآسيوية وسورية ومصر، ص ٣٧٣» «Travels in Asiatic Turkey, Syria and Egypt, pag. 373» تشير إلى هذا اللباس وتنطبق عليه، إذ يقول: «ينحصر لباس الرجال المنسوبين إلى الطبقة الدنيا من العرب في قميص من القطن الأزرق». وكذلك كلمات تيرنر Turner في كتابه «يوميات سفرة في الشرق» فهو يقول: «يلبس عوام الرجال عمامة وقميصاً من القطن الأزرق، وهو الزي الكامل للشعب الذي لا يرتدي تباناً ولا سروالاً ولا حذاء ولا جورباً». وترتدي نساء

(١) يقال شعرية وجمة وشعر اصطناعي أو شعر معار مقابل كلمة Perruque الفرنسية.

وكلمة gauloise صفة لهذه الجمة. وبلاد الغال، كما لا يخفى، هي فرنسا. فكلمة

غالي: فرنسي، وغالية: فرنسية (المترجم).

هذه المعركة الوبرية تسمى في الموصل (العراق) طاكية (المترجم).

مصر كذلك هذا النوع من الدرايع، ولكن دراريعين ليست لها سعة وفضضة أخواتها التي يرتديها الرجال، وهي تتدلى حتى الأقدام، أما دراريع الرجال، فهي على نقيض ذلك، إذ لا تصل إلا إلى منتصف السيقان (لين، المصدر القيم السالف، ص ٤٤ مع الصورة، ص ٦٣، ٦٤ مع الشكل، تيرنر المصدر النفيس السابق، ص ٣٩٦). وإنني أجهل الزمان الذي دخلت خلاله كلمة عرى في اللغة العربية واستعملت في مصر، ولكن اللباس الذي يحمل اليوم هذا الاسم كان شائع الاستعمال منذ عدة قرون. ففي حكاية شويكر (الكتاب الجديد للأسفار من المانيا إلى القسطنطينية وأورشليم، ص ٢٨٨) Schweigger.

وهو الرحالة الأوروبي الذي زار مصر عام ١٥٧٧، نقرأ: «لا يرتدي المصريون - رجالاً ونساء - إلا قميصاً أبيض أو أزرق، له كمان واسعان يبلغ عرضهما ذراعين تقريباً، شأنهم شأن العرب البداءة». انظر الشكل (A). أما وايلد في كتابه (وصف جديد لرحلة أسير مسيحي، ص ٢٠٤) الفلاح المصري والشكل (B) ابن الشعب. أما عن دراعة المرأة فانظر ص ٢٧٢ فيقول: «يبدو الفلاح بالغ البساطة، فهو يرتدي قميصاً فضفاضاً واسعاً، ذا لون أزرق أو أسود، وله كمان سعتهما عدة أذرع».

راجع حول سترة بدو مصر الزرقاء: جاك فورمبسر Juques Worbser في كتابه (وصف قيام برحلة ذهاباً وإياباً، ص ٢٢٣).

وكذلك جان هيلفريتش Jean Helffrich في كتابه: «تقرير مختصر واقعي عن رحلات، ص ٣٧٩ و ٣٨٧ و ٣٩٧».

وكوبان Coppin في كتابه (درع أوروبا، ص ٣٢٤ و ٣٢٥).

وييترو دلافالا في كتابه (رحلة، ص ٨٣٨ و ٧٣٩، ج ١ Viaggi).

العَصْبَة، العِصَابَة^(١)



يفسر القاموس (ط كلكتا، ص ١٢٨) كلمة عصابة بالعمامة. ومن الممكن إن هذه الكلمة كانت تعني في العهود الغابرة شبه عمامة (مقارنة مع فريتاك الأمثال العربية، ح ١، ص ٣٣٣)، ولكن في أيامنا هذه لم تعد الحالة قائمة. ويقرر لين (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٦٧): «إن العصابة تشير إلى طرحة من الحرير مربعة الشكل سوداء اللون، لها حاشية حمراء وصفراء، وهي تبطن بصورة منحرفة، ثم يلف بها الرأس، وتتدلى من الخلف عقدة وحيدة منها».

وهذه العصابة لا ترتدي هذا اليوم إلا من قبل النساء وحدهن. فنحن

(١) لقد توهم فريتاك في كتابة الكلمة عَصْبَة، وإن شهادة صريحة قاطعة من رجل مثل لين لا تدع مجالاً للشك بأن عَصْبَة هي الصحيحة النطق.

أما كلمة عصابة وجمعها عصائب فتشير كذلك إلى الراية (راجع كاترمير، تاريخ السلاطين المماليك، ح ١، ق ١، ص ١٣٥، ١٨٢، ٢٢٧، ٢٢٨). وبعد ذلك (ص ٢٥٠) يقول المستشرق الجليل بكل ما طبع عليه من صراحة، إنه أخطأ في ترجمة عصابة إلى (بيرق Drapeau) راية، في نصين للمقريزي، في موضوع النساء ويجب عليّ بدوري أن أحملكم على ملاحظة أن سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية، ح ٢، ص ٢٦٨) قد أخطأ في ترجمته لأحد نصوص السيوطي كلمتي العصائب السلطانية بالطرايش الملكية، فينبغي إحلال الرايات الملكية في هذا المحل. - وحين كانت ترد كلمة طاقية في أحد نصوص المقريزي، والمراد بها عصابة الطاقية، كنت أترجم العصابة بسنام الطاقية، وقد أردت بذلك أن أدلل بهذه الكلمة على الجزء العالي من التاج. وهكذا سرت في الترجمة على هذا المنوال، لأنني كنت قرأت في نص من كتاب للبلاغة والفصاحة لابن الأثير، (لعله المثل السائر - المترجم) الذي ذكره كاترمير من (كتابه القيم، ص ٢٥٠) جملة «عصائب كأمثال الأسنمة، فاعتقدت من باب التوسع أن بوسعنا خلع اسم عصابة على أشياء أخرى مماثلة، من ناحية الشكل، سنام البعير.

نقرأ في كتاب ابن إياس (تاريخ مصر، مخ ٣٦٧، ص ٣٩٨، حوادث سنة ٨٤٠): وكانت الغاسلة إذا خرجت تغسل ميتة تأخذ ورقة من عند المحتسب وتجعلها فوق عصابتها مخيطة في إيزار حتى يعلم إنها غاسلة». لأن السلطان كان قد حرم على النساء الخروج من بيوتهن. ونجد في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنائتن، ج ١، ص ٣٦٩): على رؤوسهن العصائب المزركشة بالفصوص التي هي من سائر أصناف الجواهر^(١). وفي موضع آخر (ط مكنائتن، ج ٢، ص ١٠١): «تعصبت أمة بعصائب الحزن». وأخيراً نقع في نص آخر، سبق لفريتاك أن ذكره، في حديث عن عصابة هائلة، ومعنى ذلك، في ملتي واعتقادي، إن الموضوع عصابة يتدلى طرفاها من جانب واحد (ط هاببيخت، ج ٢، ص ١٤٦) أو ط مكنائتن، ج ١، ص ٢٠٨، ترجمة لين، ج ١، ص ٣٢٨. والكلمة مكتوبة في كتاب هوست (أخبار من مراکش، ص ١١٩) على هذه الصورة: عزابة Azéba: وهي في مراکش تشير إلى شبه عمرة رأس مزينة باللالء وقطع النقود الذهبية من صنف الدوكات. وقد فرغنا منذ برهة من معرفة إن هذا الترف كان موجوداً كذلك في مصر. وتلبس العصابة فوق العبروق. ويكتبها گرابر في كتابه (المرأة، ص ٨١): Azzàba.

ويقول ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي گايانگوس، ص ١٧) في معرض حديثه عن (البجاة) في مدينة عيذاب: «وهم سود الألوان يلتحفون ملاحف صفر ويشدون على رؤوسهم عصائب يكون عرض العصابة منها اصبعاً». وبعد ذلك (ص ٢٥٨) يقول الرحالة نفسه، وهو

(١) راجع حول كلمة فص تعليقة لكاثرمير، (تاريخ السلاطين والمماليك، ح ٢، ق ١، ص ٢٧٠ وما تلاها). وفي كتاب تاريخ اليمن، لدى روجرز، يدور البحث عن خنجر مفصص.

يتحدث عن الجزيرة المسماة البرهنيكار، القريبة من جاوه: «وأتي إلينا سلطانهم راكباً على فيل عليه شبه بردعة من الجلود. ولباس السلطان ثوب من جلود المعز، وقد جعل الوبر إلى خارج، وفوق رأسه ثلاث عصائب من الحرير ملونات، وفي يده حربة من القصب».

العَصَا

يذهب القاموس (ط كلكتا، ص ١٩١٧) إلى أن العصا هي الخمار للمرأة. ولكن يتحتم على هذه الكلمة أن تشير إلى ضرب من الخمار على هيئة شبكة يشبكها البدو على الأكتاف، ذلك لأننا نقرأ في (مقتطفات من قصة عنترة: ص ٢٤): «لبس حوائج^(١) خليقات^(٢) مختلفات وشبك العصا على أكتافه».

المُعَقَّب

تشير هذه الكلمة إلى ما تشير إليه الكلمة السالفة، أي إنها تعني خمار امرأة (القاموس، ط كلكتا، ص ١٣٠).

العَقَال

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

(١) (٢) لكلمة حوائج هذا المعنى غالباً في كتاب ألف ليلة وليلة. فنحن نقرأ مثلاً في هذا السفر (ط مكنائجن، ج ١، ص ١٧٨): أمر بشيل الحوائج. وفي موضع آخر (ح ١، ص ١٩٢): نظر عمامته وحوائجه. ويترجم مويت Mouette في نهاية كتابه «تاريخ غزوات مولاي رشيد». كلمة Vestemens بكلمة Lenhaoiche الحوائج.

ولكننا نقرأ في أحد كتب برگهارة (ملاحظات على البدو والوهابيين، ص ٢٧): «إن أبناء قبيلة عنزة، يحيطون عمرتهم المسماة كوفية بحبل مصنوع من وبر البعير ويدعى بالعقال - بدلاً من العمامة. ويقول فريرز كذلك في (أسفار في كردستان وبلاد ما بين النهرين إلخ، ج ١، ص ٢٢٨) بعد أن تحدث عن كوفية عرب بغداد: «إنهم يشدون، حول قمة الرأس المغطاة بهذه الصورة، وسيدة مصنوعة من وبر البعير البني اللون (A wisp of brown camels hair) المبروم جزئياً».

(قارن بهذا الكلام كذلك الجزء الأول، الصفحة ٣٤٠).

العَقَم، العِقَم، العَقَمَة، العِقَمَة

تشير هذه الكلمات - حسب مذهب القاموس (ط كلكتا، ص ١١٦٦) إلى المرط الأحمر، أو بالأحرى تدل على كل ثوب أحمر (المرط الأحمر أو كل ثوب أحمر). راجع كلمة مرط.

العَلَقَة

إننا نقرأ في القاموس (ط كلكتا، ص ١٣١٦) إن العلقه هي: (أول ثوب يتخذ للصبى). إذن فهي قميص ذلك لأن أطفال البدو لا يرتدون إلا قميصاً حين لا يكونون عراة كل العري، وهذا ما يحدث في كثير من الأحيان. ويجزم ملشيور جزماً قاطعاً في كتابه (وصف دقيق للحج، ص ٢٦١) فيقول: «لا يلبس صبيان البدو، البالغون من العمر خمس أو ست سنوات سوى القمصان، وعلى رؤوسهم الطرطور». ويقول راوولف في كتابه (وصف حقيقي للرحلات، ص ١٥٥):

«لا يرتدي ابن الأمير البدوي البالغ من العمر ستين إلا قميصاً صغيراً من القطن».

ونحن نقرأ في قصة وايلد (قصة جديدة لرحلة أسير مسيحي، ص ٢٢٠): «إن بعض صبيان البدو عراة وبعضهم يلبسون القمص».

ونجد في قصة تيرنر (مذكرات جولة في المشرق، ج ٢، ص ٤٨٠): «إن أطفال البدو عراة في معظم الحالات، فإذا لم يكونوا عراة فملابسهم القمصان القطنية الغليظة البيضاء أو الزرقاء اللون - فقط». ويضيف القاموس (أو قميص بلا كُمين). (أو ثوب يجاب ولا يخاط جانباه تلبسه الجارية. وهو إلى الحجة. أو الثوب النفيس).

العمامة



لهذه الكلمة مدلولان، المدلول الأول يشير إلى العمامة بقضها وقضيضها: أي الكلوتة، أو الكلوتات، من قطعة القماش الملفوفة حولها (وهذه العمامة بتمامها تدعى كذلك عمة) (وصف مصر، ج ١٨، ص ١٠٨) ابن سعيد، المذكور لدى فريتاگ، (طرائف عربية وقواعد وتاريخ، ص ١٤٧)^(١). والمدلول الثاني يعين قطعة القماش وحدها، وهي التي تلف عدة لفات حول الطاقية (الكلوتة) أو الطاقيات، الطواقي. ولو شئنا جمع التفاصيل المتيسرة حول العمامة لمألت سफراً بأكمله. لذلك سنقتصر هنا على إيراد المعلومات الرئيسية، موجّهين نظر

(١) إن سيلفستر دي ساسي، في حديثه في صحيفة العلماء عن كتاب فريتاگ، يرى وجوب إحلال كلمة عمامة محل كلمة عمة في هذا النص. ولكن كلمة عمة موجودة في مخطوطة دي غويا (ص ٤٥)، وهي صحيحة على العموم، ومؤيدة بشهادة دي شابرول.

القارئ الراغب بالمزيد من التفاصيل الواسعة إلى البحث النفيس الذي كتبه فيسكه في كتابه (رحلة إلى الشرق وما تلا، ص ١٨٣) فهو بلا منازع خير من كتب عن العمامة. ولكننا سنحرص كل الحرص في هذا المقال على الإلماع إلى استعمال العمامة.

العمامة في العادة بيضاء اللون، معمولة من الشاش الموصلي. ولكنها تعمل كذلك من أقمشة أخرى ومن ألوان متفرقة. فهي تؤلف مثلاً من الحرير الأسود المرصع بالذهب، أو من الكشمير أو من الوصف الأحمر أو الأبيض، إلخ.

وكان سعيد بن العاص بن أمية يتميز بين العرب القدامى بجمال عمامته (الميداني، الأمثال العربية، ج ١، ص ٣٣٣)، (النويري، نهاية الأرب، مخ ٢٧٣، ص ١٣٧). وكان الرسول ﷺ يعتم بعمامة كانت معروفة باسم السحاب (Le auage) وقد أورثها أو تنازل عنها لعلي عليه السلام (عيون الأثر، مخ ٣٤٠، ص ١٨٩). ولعل ابن جبير في كلامه عن (عمامة شرب رقيق سحابي اللون قد علا كعبتها على رأسه كأنها سحابة مركومة وهي مصفحة بالذهب) قد أشار إلى هذه العمامة البيضاء للرسول ﷺ. (الرحلة، مخ ٣٢٠، ص ٨٣). وذلك أثناء حديثه عن أمير مكة.

وكانت العمامة في الأندلس والمغرب لا تلبس إلا في الحالات النادرة. (ابن سعيد، النص السابق). ومما لا ريب فيه أن الجيش لم يتخذ هذا الإكليل، ذلك لأننا نقرأ لدى النويري (تاريخ الأندلس، مخ ٢، ص ٤٧٤): «ثم عزم على الغزاة وتقدم إليه هشام أن يتعمم هو وسائر الجند. ففعل وعقد ألويته وخرجوا في العمائم. وكانوا بها في أبيض زي لمخالفة العادة». وكان الفقهاء في الأندلس يلبسون العمامة بصورة عامة.

وفضلاً عن ذلك فإن عمامة القضاة أضخم كثيراً من عمامة العرب الآخرين، ومن هذا الوضع كان يسمى واحدهم (المتعمم أو المعتم أو صاحب عمامة أو رب العمامة^(١)). راجع حول هذا الموضوع ملاحظة ممتعة للغاية لكاترمير (تاريخ السلاطين المماليك، ج ١، ق ١، ص ٢٤٥، ٢٤٦).

ويحرص جميع المسلمين، ولا سيما رجال الشريعة منهم، على حصر شرفهم في عمامتهم. وعادة أسبال طرف من قطعة القماش عريقة في التاريخ، وما تزال موجودة في أيامنا هذه. وهذا الطرف يحمل اسم عذبة أو ذؤابة^(٢)، وهو أمر شائع إلى حد أن أحد الشعراء استعمل تعبير (كل ميال عمامة): أي كل عربي. (راجع بيت هذا الشاعر في طرائف عربية، كوزكارتن، ص ٧٦). (والعمامة البغدادية) كان لها عذبتان. (راجع كاترمير في كتابه النفيس، ج ١، ق ١، ص ١٣٣).

يلبس الشرفاء وأحفاد الرسول في يومنا هذا العمامة الخضراء. وكانوا قديماً يعلقون قطعة خضراء من القماش في العمامة، وفي عام ١٧٧٣ أمر سلطان مصر وسورية، الملك الأشرف شعبان، هؤلاء بربط

(١) إن عادة رجال الشريعة بالتمييز بإكليل ضخم أو عال موجودة في الغرب. فإني أطلع في مخطوطة هولندية من مخطوطات مكتبة هامبورك وهي تعالج لعبة الشطرنج، ومسجلة برقم ٤٩ وصفحة ٤٧، ما يلي: «تقرر أن يتألف مجلس الملك من رجلين من الشيوخ، يلبس كل منهما قبة عالية».

(٢) لا وجود لكلمة ذؤابة بهذا المعنى في القاموس. ولكن المقري أو بالأحرى ابن سعيد (لدى فريتاگ، طرائف عربية نحوية تاريخية، ص ١٤٨) والسيوطي (لدى دي ساسي، طرائف عربية، ح ٢، ص ٢٦٧) يستعملونها بهذا المعنى. فنحن نقرأ لدى ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي غايانگوس، ص ١٢٨): «أتى شيخ على رأسه عمامة لها ذؤابة عليه ثياب بيض وعمامته كبيرة لها ذؤابة وهي مائلة إلى جانب».

قطعة من القماش خضراء بعمائمهم. (ابن حبيب، درة الأسلاك، مخذ ٤٢٥، ص ٥٧٨، ٥٧٩، السيوطي، حسن المحاضرة، مخذ ١١٣، ص ٣٤٦).

وتصر الأشياء المختلفة في العمامة، والشرقيون يستعملونها استعمالهم لجيوبهم. فنحن نقرأ في كتاب ابن إياس (تاريخ مصر، مخذ ٣٦٧، ص ٤٢٩): «تغير خاطر السلطان على القاضي عبد الباسط ونقله من المكان الذي كان بالحوش إلى برج من أبراج القلعة. فلما استقر به دخل عليه الوالي وقال له: «إن السلطان رسم بنزع ثيابك» فعراه ثياب بدنه حتى أخذ عمامته من على رأسه وتركه وهو عريان. ودخل بأثوابه بين يدي السلطان. وكان قد وشى به عند السلطان إن معه شيئاً من السحر. فلما فتشوا عمامته وجدوا فيها قطعة من أديم ووجدوا أوراقاً فيها أدعية جليلة وخواتم فضة لا غير. فبعث السلطان يسأله عن تلك القطعة الأديم ما هي. فقال: «هذه من نعل النبي ﷺ». فباسها السلطان ووضعها على عينيه وأعاد إليه ثيابه ونقله إلى المكان الذي كان به أولاً».

ونجد في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناتن، ج ١، ص ٣١٣): «فأخذ الكتاب نور الدين وباسه وحطه في عمامته». وكثيراً ما توضع حافظة النقود في العمامة، ولهذه العلة يحرص اللصوص في الشرق على اختطاف عمائم السابلة فوق كل حرص. (راجع كتاب ألف ليلة وليلة، مكناتن، ج ١، ص ٢٠١، وتعليق لين، ألف ليلة وليلة، ج ١، ص ٤٢٠).

ولما كانت كلمة عمامة تشير إلى قطعة من القماش فارعة الطول يلفها المتعممون حول الرأس، فلن يبدو أمراً مستغرباً أن تستعمل العمامة:

- ١ • لتكتيف سجين أو أسير . فنحن نقرأ في (قصة من قتله الشجن، لدى كوز كارتن، طرائف عربية، ص٦٩) «ربط السجين بعمامته». وفي كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنّاگتن، ج١، ص١٩٠): «اهدموه وكتفوه بعمامته وجروه غصباً إلى عندي من غير أذية تحصل له».
- ٢ • لشد الإنسان نفسه فوق شيء توقياً من السقوط، أو لغرض آخر، فنحن نقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخ دي گایانگوس ص٤): «فكنت أشد نفسي بعمامة فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف».
- ٣ • لخنق الإنسان نفسه أو لخنق سواه . فنحن نجد في رحلة ابن بطوطة (مخ، ص١٥٧): «فذخل إلى بيته وربط عمامة بسقف البيت وأراد أن يخنق نفسه». وفي كتاب القرطاس (مخ١٧، ص٩٩): «فجعلوا عمامته في عنقه وشنقوه بها» ونقرأ في الكتاب المعلنون (حكاية إقامة عشر سنوات في طرابلس الغرب، ص٤): «إن أحد الأفارقة يعتقد أنه لا سبيل إلى قهره عندما يكون معتماً بالعمامة، ولكن هذه العمامة تكون أحياناً مصدر شؤم له، فالحقيقة إن الإنسان يستطيع أن يخنق بطرف عمامة من هذه العمامات التي تحيط بعنق الضحية بأقل من الوقت الذي يستغرقه سحب الحبل المشؤوم لخنقها بالحبل الذي يرسله إليها الباشا». وأعتقد أن تعبير (عمامته في عنقه) نجم من استعمال العمامة في كثير من الأحيان لخنق أحد الرجال (المقريري، لدى دي ساسي، طرائف عربية، ج٢، ص٣١ من النص). وهذا يعني: إن الرجل دان وخضع وأطاع. ذلك لأنني أرى أن الناس كانوا يعبرون بلبس العمامة حول العنق عن اعترافهم للسلطان المطلقة بالتصرف في محياهم ومماتهم. راجع في موضع آخر كلمة منديل. واستعانة بهذه التفصيلات سيكون

بوسعنا أن ندرك بسهولة، حسب عقيدتي، نصوص المؤلفين العرب، التي لا تستعمل العمامة استعمالها الاعتيادي. وبوسعي كذلك أن أضيف إننا نقرأ لدى ابن بطوطة (الرحلة، ص ٢٢٨): «وجعلوا العمام في أعناق خيلهم. وهي عادة أهل الهند إذا أرادوا الموت».

ويجب الحذر من التفكير بسبق استعمال النساء للعمامة. فإن هذا الإكليل خاص بالرجال وحدهم، وفي الشرق ينحت شكل عمامة على شاهدة القبر، في حالة ضم هذا الجذث رفات شخص من جنس الذكور. وبهذه الوسيلة يمكننا بسهولة تمييز قبور الرجال من قبور النساء، ذلك لأن أضرحة النساء ينحت لها إكليل امرأة. (راجع كوپان، درع أوروبا، ص ٢٤٨) وانظر كذلك (حكاية عشر سنوات في طرابلس العرب، ص ٣٧).

الْعَمْرُونَةُ

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكن يبدو إنها تشير إلى نوع إكليل كانت تستعمله نساء الأندلس. ويفسر بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) هذه العبارة Velo o toca de muger بكلمة عمرونة وجمعها عمارن. وتوجد كلمات Toca de muger عمرونة امرأة مفسرة على نفس الشاكلة، ونحن نقرأ حول كلمة «Xativa» Xativa toca de alli عمرونة شطبية.

الغطاية^(١)

تشير هذه الكلمة إلى الكلمة الفرنسية Une tournure لاتورنير - وهي الغلالة. (القاموس).

الغفارة

يبدو أن هذه الكلمة كانت تشير قديماً إلى نوع طاقية من طواقي المرأة. ويقول الواحد في (شرح ديوان المتنبي، مخد٢، ٥٤٢، ص ٣٣) مفسراً هذا البيت (البسيط):

نعج محاجره دعج نواظره حمر غفائره سود غذائره

«الغفائر جمع غفارة وهي خرقة تكون على رأس المرأة توقي بها الخمار من الدهن. وقد تكون اسماً للمقنعة التي تغطي بها الرأس - وإن جعلنا الغفائر المقانع فإنما جعلها حمراً لأنهن شواب. كما قال حمر الحلوى والمطايا والجلابيب. وإنما جعلنا الخرق فهي حمر لكثرة استعمالهن الطيب من المسك والزعفران».

(راجع مدخل كتابي هذا، ص ٧) - ويقول الشاعر كذلك - في معرض حديثه عن الغيد الأماليد:

من الجآذر في زي الأعاريب حمر الحلوى والمطايا والجلابيب؟

ولكن على النقيض من ذلك إذا عنيينا بكلمة غفائر قطع قماش فينبغي

(١) الغطاية ما تغطت به المرأة من حشو الثياب تحت ثيابها - كالغلالة ونحوها (المعجم الوسيط).

افتراض إن الشاعر يصور لنا هذه الجآذر حمراوات لأن النساء اللواتي يتحدث عنهن يفرطن في استعمال العطور كالمسك والزعفران.

وأعتقد أن الواحدي يأخذ كلمة مقنعة بمعنى الطرحة التي توضع على الرأس أو العصابة أو المنديل. وكانت هذه المقنعة نوعاً من الإكليل أوسع من قطعة القماش أو الخرقة التي يتحدث عنها أيضاً. وهذا المعنى الأخير هو الذي تبناه ابن جني في شرحه لقول المتنبي (مخ ١٢٦، ص ١٠٣) - ويضيف هذا الشارح قائلاً: «وقوله: حمر غفائره، يشير إلى أنهم شواب لأن الحمر من لباس الشواب أو يريد به أنهم ملطخاً (كذا) بالطيب^(١) ولكن هذه الكلمة كانت تشير كذلك في الأندلس إلى طاقة، كلوة يلبسها الرجال، وذلك ما ينبغي إضافته إلى القاموس. وإن المقري أو بالأحرى ابن سعيد (لدى فريتاك، طرائف عربية نحوية تاريخية، ص ١٤٧، ١٤٨) بعد أن سبق له أن قال إن عرب الأندلس لم يكونوا يلبسون عادة العمامة، وإن هذا الإكليل كان بصورة خاصة نادر الاستعمال في الجزء الشرقي من شبه الجزيرة، يضيف إلى ذلك قائلاً، بعد أن تحدث عن الطيلسان: «وغفائر الصوف كثيراً ما يلبسونها حمراً وخضراً. والصفير مخصوصة باليهود». وعلى ذلك فإن المراكشي (المعجب، مخ ليدن، وهذا النص قد نشر بعناية مونك في الصحيفة الآسيوية، س ٣، ج ١٤، ص ٤٠، تموز ١٨٤٢) يقول، في معرض حديثه عن اليهود، إنهم كانوا يلبسون «بدلاً من العمامات كلوات على أشنع صورة كأنها البراديع تبلغ إلى تحت آذانهم».

وأعتقد إن هذا النص لا يدع مجالاً للشك في أن كلمة غفارة تعني

(١) أعتقد وجوب قول ملطخات أو متلطخات. إذ يقول ابن بطوطة (ص ٢٤١): «وتلطخون بالغالية المجلوبة من مقدشوا. وفي موضع آخر (ص ٢٤٦): تلطخوا بالصندل.

لدى ابن سعيد كلوتة بالذات، وأفترض أن الأندلسيين قد خلعوا كلمة غفارة على الطاقية التي يسمونها هذا اليوم في المغرب شاشية. والشاشية أيضاً مصنوعة من الصوف الأحمر، وتلبس عادة بدون عمامة.

وتوجد كلمة غفارة بمعنى كلوتة في النص التالي لابن بسام (الذخيرة، مخدي غوتا، ٢٦٦، ص ٦) حيث نقرأ: «ولابن طاهر عدة نواذر أحر من الجمر وأدمع من الصخر. أرسل إليه ابن عمار وقت القبض عليه، وهو معتقل بين يديه، يعرض له خلعة يتسرلها، ويشير إليه بكرامة هل يقبلها. فقال لرسوله: «لا أختار من خلعه أعزه الله إلا فروة طويلة وغفارة جييلة» فعرفها ابن عمار واعترف بها على رؤوس أشهاده وبحضرة من وجوه قواده وأجناده. قال: «نعم إنما يعرض بزبي يوم قصده وبهييتي حين أنشدته، فسبحان من يعطي ويمنع ويرفع من يشاء ويضع».

بغية إدراك مغزى هذا النص، ينبغي علينا أن نعلم أن الشاعر الأندلسي المشهور ابن عمار قد ولد من أبوين مغمورين، وأنه تحت غائلة الفقر والإدقاع طاف الأندلس بأسرها في مطلع شبابه، منشداً أشعاره على الكبراء والأمراء. وبعد أن تألق نجمه حتى وصل إلى الوزارة بفضل حاميه المعتمد ملك أشبيلية، شنَّ الحرب، بأمر هذا الأمير، على ابن طاهر، ملك مرسية فقهره ووضعه في السجن، وإن النص الذي فرغت من إيرادها يكمل ما أردت أفهامكم إياه.

ونقرأ لابن حيان (لدى ابن بسام، الذخيرة، مخدي غوتا، ص ٢٣٢): «ومما وقع التعجب منهم إنه أخذ من البياض المقتولين من أهل طليطلة في تلك الوقعة ألف غفارة من لبوس أهل الرفاهية أيام المباشاة».

ويقول مثل هذا ابن بسام (لدى المقرئ، تاريخ الأندلس، مخدي غوتا، ص ٦١٨): «وكان من جملة ما غنمه الفرنج من أهلها لما خرجوا إليهم في ثياب الترفة ألف غفارة».

ونستخلص من هذه النصوص إن محاربي طليطلة لم يشكوا قط في أن النصر سيكون حليفهم، لذلك ارتدوا أجمل ثيابهم واعتمروا بأجمل غفائهم، بدلاً من ستر رؤوسهم بالأقنعة.

وفي المغرب أيضاً كانت تشير كلمة غفارة في القديم إلى الكلوتة التي توضع تحت العمامة، ذلك لأن مؤلف تاريخ المرابطين والموحدين المعنون بالحلل الموشية (مخ٤، ص ٩) يعد من بين الهدايا المهداة من قبل الأمير يوسف بن تاشفين إلى عمه أبي بكر بن عمر مائة عمامة مقصورة وأربعمائة من السوسة ومائة غفارة^(١).

الْغُفَّارَةُ وَجَمْعُهَا الْغُفَافِيرُ

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكن في قائمة الأسماء العربية التي انشأها بريتنباك Breitenbach في كتابه (وصف رحلة وزيارة، ص ١١٥) وهو الرحالة الذي زار الشرق في عام ١٤٨٣، فسّر كلمة غفارة Goffara بكلمة Mantel (Manteau) كساء. والواقع إننا نقرأ في تاريخ النويري (تاريخ مصر، مخ٢، ص ١٦١): «لم

(١) إن سوس Sous أو سوسة Sousah، اسم مدينة واقعة على ساحل البحر، في ولاية تونس. وفي هذه الولاية تصنع حسب قول الإدريسي (الجغرافية، ج ١، ص ٢٩٧) بعض العمائم التي أطلق عليها اسم عمائم سوسة. ويؤكد البكري في كتاب (ملاحظات ومقتبسات، ج ٧، ص ٤٨٨) وليون الإفريقي (لدى راموسيو، الأبحار والارتحال، ج ١، ص ٦٨) إن شطراً من سكان سوسة هم حاكة ونساجون - ويخبرنا شو في كتابه (الرحلات، ج ١، ص ١٧٣...) والخ،) وقوع السوق الرئيسية للمملكة في هذه المدينة، وهي السوق المختصة بصناعة الكتان.

يبقى أحد إلا ناله منه مكروه من الضرب والنهب^(١) وأخذ المال. وارتفع شأنه عند الأمر بإحكام الله إلى أن كان يستعمل له ملابس مخصوصة به بدمياط وتنيس^(٢) من الصوف الأبيض المنسوج بالذهب. فكان يلبسها ويلبس من فوقها الغفافير الديباج^(٣).

ويقص علينا النويري في موضع آخر (مخ٢، ص٩٦، مخ٢، ص١٨٨) قصة أسر وحبس القديس لويس الذي يسميه المؤرخ - ملك الفرنج ريدا فرانس (ملك فرنسا باللغتين الفرنسية والإيطالية^(٣)) Le roi des Francs Re da Francia ويضيف إلى ذلك قائلاً أن السلطان حين كتب إلى حاكم دمشق (بعث مع الكتاب غفارة ريدا فرانس إلى الأمير جمال الدين فلبسها وهي أسقلاط écarlate أحمر تحته سنجاب وفيها شكل بكلمة ذهب^(٤)).

ويبدو أن مؤرخين عرب آخرين، لم نعثر على كتبهم في مكتبة ليدن،

(١) إن كلمة نهب لا وجود لها في القاموس. ومع ذلك فهي شائعة الورد. راجع دي ساسي، طرائف عربية، ج١، ص٣٧ من النص. وانظر كذلك كوزگارتن، طرائف عربية، ص٨٠، والمراكشي، المعجب، مخ٢٤٦، ص١٣٦.

(٢) كانت تنيس من أغنى المدن المزدهرة بمصانعها في مصر. (راجع كاترمير، مذكرات جغرافية وتاريخية عن مصر، ج١، ص٣٠٨، ٣٣٠). وهذه المدينة الكبيرة التي كانت قبلة إعجاب الشرق والغرب لم يبق في ربوعها ديار هذا اليوم!

(٣) يبدو أن النويري يعتبر هذه الكلمات الإيطالية Re da Francia وكأنها الاسم الخاص لملك فرنسا. ويخيل إلى أن معظم الشرقيين قد تعلموا أسماء الصليبيين من الإيطاليين - ذلك لأننا نجد لديهم جميعاً على وجه التقريب النطق الإيطالي.

(٤) المخطوطة (ب) تذكر مكلة. وأنا أعتقد إن بكلة هي الكلمة الحقيقية وإن كلة اسم وحدة من الكلمة الفارسية گل: (وردة). وعلى كل حال فإنني لا أتقدم بهذا الافتراض إلا على وجه التخمين والحدس.

يستعملون نفس الكلمة بهذا الصدد. وإنني لا أجهل أن كاردون Cardonne في نشره لكتاب جوانفيل Joinville حياة القديس بويس Vie de Saint Louis قد ترجم الكلمة بكلمة Bonnet طاقية الواردة في نصوص المقريري (ص ٥٤٢) وأبي المحاسن (ص ٥٤٩) والإسحاق (ص ٥٥٥)، ولكن إذا كانت مخطوطات هؤلاء المؤلفين تذكر كذلك كلمة غفارة، فهي ليست غفارة، كما يحتمل أن يكون قد توهمها كاردون، ولكن غفارة وهذا ما يبرهن عليه كل البرهنة وزن قصيدة أوردها النويري في (كتابة القيم) التي مطلعها (الخفيف):

إن غفارة الفرنس التي (الأبيات).

ويقول دابر في كتابه (وصف حقيقي دقيق لأقاليم أفريقيا، ص ٢٤٠، مج ٢) إن الغفارة Gacara أو الغفارة Goffara هي ثوب واسع - معمول من الجوخ الملون وهو مزرر بأزرار من ناحية الكتفين.

الغلالة

يرى القاموس إن هذه الكلمة تشير إلى ما نسميه الغطاية une toumure ولكن يبدو إنها تعني كذلك نوع ثوب للمرأة. فإننا نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنائتن، ج ٣، ص ١٦١) إن امرأة ألبست عشاقها ثياب بنات جنسها، وتواصل القصة سيرها على هذا المنوال: فقالت له: «يا سيدي اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه الغلالة الصفراء واجعل هذا القناع على رأسك حتى نحضر بالمأكول والمشروب وبعد ذلك تقضي حاجتك» فأخذت ثيابه وعمامته ولبس الغلالة والقناع. (والكلام يجري مع القاضي). وبعد ذلك بقليل (نفس المرجع): قالت له: «اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه التخفيفة». فخلع ما كان عليه والبسته

غلالة زرقاء وطرطوراً أحمر. (والكلام هنا دائر مع العاشق الثالث الوزير).

والنص الرائع التالي موجود في تاريخ مصر للنويري (مخ٢، ص٨٦، حوادث سنة ٦٤٣): «بعث الملك الصالح إسماعيل إلى الأمير صاحب معين الدين بن الشيخ سجادة وإبريقاً وعكازاً». وقال: «اشتغالك بهذا أولى من اشتغالك بقتال الملوك»^(١). فبعث إليه جنكاً^(٢) وزمراً وغلالة حريري أصفر وأحمر. وقال: «أما ما أرسلت به إليّ فهو يصلح لي. وقد أرسلت بما يصلح لك»^(٣).

وهناك بيتان وردا في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناتن، ج ١، ص١٦٧) حول كلمة غلالة، هذا نصهما:

أقبلت في غلالة زرقاء لازوردية كلون السماء
فتأملت في الغلالة منها قمر الصيف في ليالي الشتاء

ويبدو أن الغلالة كان صفراء على الدوام في العهود القديمة - ومن هناك استعمل الشعراء تعبير غلالة نور. وهذا التعبير موجود في المختارات الأدبية المعنونة (يتيمة الدهر، مخ٢ ٥٠٢، ص٦٥٢). انظر كذلك (تاريخ بني عباد، ص ٤٠، وشرح هذه العبارة ص٨٧ و٨٨). وهناك بيت أورده ابن خاقان في (قلائد العقيان، مخ٢ ٣٠٦، ص٢٦٤) جاء على هذه الصورة (الكامل):

لما تهلل في الظلام جبينها لبس الظلام بها غلالة نور

(١) يعني: تهرب. قايس هذا بنص ابن بطوطة حول كلمة مرقعة، ص١٨٩، سيلفستر

دي ساسي، طرائف عربية، ج ٢، ص٢٦٨.

(٢) انظر صورة الآلة المسماة بالجنك في كتاب لين (ألف ليلة وليلة، ج ١، ص٢٢٨)

وقايس ذلك بكتاب (المصريون المحدثون، ج ٢، ص٨٦) حول الزمر.

(٣) معنى ذلك: «انهمك بالأمور التي تنهمك بها القينة المغنية».

ونحن واقعون على بيت آخر، رواه ابن بسام في (الذخيرة، مخدي غوتا، ص ٢١١) نقرأ فيه (المنسرح):

والشمس قد عصفت غلائلها والأرض تندى ثيابه الخضر
فهنا نرى أن موضوع هذا النص هو أشعة الشمس التي يصفها العرب
بالصفرة. ويصف أحد الشعراء ثوب حسناء يافعة (لدى الفتح بن خاقان،
مخ بطرسبورغ، ص ٥٢) فيسميه غلالة نرجس.

ويظهر أن الغلالة كانت ثوباً مفرطاً في الشفوف والخفة. ومن هناك
جاءنا إن ابن بدرون (شرح قصيدة ابن عبدون، مخ) حين وصف القبة التي
رفع عمادها أحد أمراء طليطلة وسط غدير، وزاد حسننها حسناً بانثاق
نافورة اصطناعية وكان مأوها يحيط بالقبة من كل جهاتها، قد استعمل
تعبير: فكانت القبة في غلالة من ماء.

ومن هناك أيضاً أشرقت التعابير، أمثال: وقد طرزت غلالة خده (ابن
خاقان - المطمح - مخ، ص ٨١) حيث يدور الكلام عن زغب خفيف قد
كسا خدي ساق في ريعان صباه. وهناك شاعر آخر (لدى ابن بسام، مخ،
ص ٢٢٨) عبر عن أحاسيسه بهذه الكلمات (البسيط):

أبقى الشباب عليه من غلائله ما أثرت فيه من لين غلالته

واعتقد إنني مستطيع تحليل هذا البيت على هذه الشاكلة: «ليدم هذا
الثوب الرقيق الذي كست به الشبيبة هذه الكاعب الحسانة! فما أحلاها
وهي كاسية بهذا الثوب الرقيق - وما أرق بشرتها وأشفها!».

واعتقد إنني واجد الغلالة في مدينة الجزائر، إذ يكتب ديبغو دي
هيدو (خطط مدينة الجزائر ص ٢٧، مج ٢، ٣) هذه الكلمة على هذه
الصورة gonila أو goleyla. والمؤلف إذ يتحدث عن زي نساء مدينة
الجزائر يؤكد إنهن يلبسن فوق القميص الثاني عند اشتداد البرد ثوباً

(sayo) من الجوخ أو من القطن المندوف (o de colchas) شبيه بثوب أزواجهن، وهن يسمين هذا الثوب goleya، وأخريات يسمينه gonila. أما النساء التركيات والمرتدات فيلبسن عادة فوق قمصهن ثوباً مسبلاً إلى أوساط سيقانهن، وهو معمول أما من الجوخ الرقيق الملون وأما من (أسقلاط، أرجوان بلنسية) أو من الأطلس أو القطيفة والمخمل، أو من الدمقس. وهذه الأقمشة الثلاثة الأخيرة تكون ملونة على الدوام. وهذا الثوب له ياقة مفرطة في التقور بحيث إنها مفتوحة حتى الصدر. وبارتفاع الصدر توجد بعض الأزرار الذهبية أو الفضية الكبيرة - وهي مصنوعة صنعاً متقناً، والنساء يسمين هذا الثوب نفس تسمية النساء المغربيات له أي: gonila. ويتحتم عليّ أن أحملكم على ملاحظة أن الغلالة إذا كانت تلبس بصورة خاصة من قبل النساء في مصر، كما يؤيد ذلك النصوص الواردة آنفاً، فإن الحالة لم تكن هي نفسها في بغداد وفي مدينة الجزائر وفي أسبانيا. فإن النويري يقول (تاريخ العباسيين، مخ2، ص169) في معرض كلامه عن أحد الخلفاء: «وهو في الحمام فهرب في غلالة (قميص)». ويقول ابن اللبانة (لدى المقري، مخ دي غوتا، ص550) وهو يتحدث عن المعتمد «فبرز من قصره، عليه غلالة ترف على جسده». وهناك مؤرخون آخرون يروون عين الحادث، ويستعملون هنا كلمة قميص (chemise) والمعتمد نفسه يسمى هكذا اللباس الذي كان مرتديه ذلك اليوم^(١). ويعرب ديبغو دي هيدو (ص8، مج2) عن هذا الموضوع في حديثه عن رجال مدينة الجزائر فيقول: «إنهم يرتدون حين استفحال شوك البرد قميصاً أو ثوباً (un sayo) من الجوخ الملون يسبل إلى

(١) لا بد أن البيت المشار إليه هو:

وبرزت ليس سوى القميص على الحشا شيء دفع
(المترجم).

ما تحت الركب، وهذا الثوب يشبه القنّاز الصغير *la petit soutane* وهم يسمونه *gonela* أو *goleila* ولكنهم يهجرونه في الصيف».

الغَمِرة

يذهب القاموس (ط كلكتا، ص ٦٢٠) إلى أن الغَمِرة هي: ثوب أسود تلبسه العبيد والإماء».

الغُنْبَاز

إن فريتّاك هو أول من تقبل هذه الكلمة في القاموس العربي، ولكنني اعتقد أنه غلط في كتابة غنبار بحرف الراء بدلاً من حرف الزاي. فإننا واجدون في تاريخ الأندلس للمقري (مخدي غوتا، ص ٦٢٤) النص التالي: «ولما استولى النصارى على ميورقة، في التاريخ المتقدم، ثار بجزيرة منورقة القريبة منها الجواد العادل العالم أبو عثمان سعيد بن حكم القرشي، وكان وليها من قبل الوالي ابن يحيى المقتول. وتصالح مع النصارى على ضريبة معلومة واشترط أن لا يدخل جزيرته أحد من النصارى، وضبطها أحسن ضبط». قال أبو الحسن علي بن سعيد: «أخبرني أحد من اجتمع به إنه لقي منه برأ حجب إليه الإقامة في تلك الجزيرة المنقطعة. وذكر أنه ركب معه فنظر إلى حمالة سيف ضيقة قد أثرت في عنقه. فأمر له بإحسان وغباز وكتب معه:

حمالة السيف توهي جيد حاملها لا سيما يوم إسراع وإنجاز

وخير ما استعمل الإنسان يومئذ لحسم علتها لباس غنبار

والغنبار عند أهل المغرب صنف من الملبوس غليظ يستر العنق. وأعتقد إن كلمة غنبار هي نفس الكلمة التي كتبها

(D. Germano de Silesia, pag. 276) بهذا الرسم: «غميز من جلد» والتي
 Colletto sorte di veste. Amictorium ex pellibus. فسرنا بهذه الكلمات:
 وهذه الكلمة موجودة أيضاً في الشرق، وهي تشير كذلك، إلى نوع
 كساء، ولكن هذا النوع يختلف عن النوع الذي كان يحمل في الغرب اسم
 غميز.

ويُفسر (D. Germano de Silesia, pag 227) غميزنا وجمعه غميزاء
 وغميز بمصلة من الصوف. ويذكر ريشتر (رحلة إلى الشرق الأوسط،
 ص ١٢٣) من بين الملابس التي اشتراها في بيروت، للولوج إلى قلب
 سورية: «انطاريا، يسمى هنا قمبازا Kombas، أي ثوباً طويلاً مصنوعاً
 من شبه الحرير المموج» ويقول بعد ذلك (ص ٢٠٦): «ارتديت قمبازاً
 مهلهلاً». ونجد أخيراً الكلمة نفسها كذلك، ص ٢١٣. ويرتكب
 برگهات، أو ربما ناشره، نفس الغلطة التي ارتكبتها فريتاگ، لأنه يكتب
 الحرف الأخير (ر) بدلاً من (ز). وإليك ما يقوله (ملاحظات على البدو
 والوهابيين، ص ٢٦): «يلبس الرجال في الصيف قميصاً من القطن
 الغليظ، هذا القميص الذي يضع الأغنياء فوقه كمباراً Kombar - أو ثوباً
 طويلاً - كذلك الثوب الذي يلبسه سكان المدن التركية، المصنوع من
 الحرير والقطن. ومع ذلك فإن معظمهم لا يرتدون الكمبار Le kombar
 - ولا يلبسون فوق قمصانهم إلا كساء من الصوف». ويكتب ناپيه
 (ذكريات من سورية، ج ١، ص ١٤٤) الكلمة هكذا: Khumbaiz،
 ويُفسر هذه الكلمة بكلمة پليس Pelisse الفرو التي ترتديها نساء بيروت.
 ولا ريب أن كانيس (النحو، ص ١٧١) ينظر نفس النظرة إلى هذه
 الكلمة حين يرسم لفظة قنباز، والقنباز لديه لباس طويل يصل إلى
 منتصف الساق.

ويبدو أن كلمة غميز كانت تشير في الأندلس أيضاً إلى نوع ثوب -

فإن بيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية) يترجم: Jubon vestido - nuevo بكلمة غنباز وجمعه غنابيز. (فهل تعني nuevo هذه لديه هنا - جديداً؟ أم شيئاً أدخل حديثاً؟).

الفِدام



يذهب القاموس إلى أن هذه الكلمة تشير إلى العمامة: Le turban.

الفُرُوج



يعرض لنا البخاري (الصحيح، ج ٢، مخ ٣٥٦، ص ١٦٧) فصلاً عنوانه «باب القباء وفروج حرير». ويقول حول كلمة فروج «هو القباء، ويقال هو الذي له شق في خلفه».

يبدو إذن أن الناس في عصر البخاري لم يكونوا يعلمون على وجه الدقة والضبط ماهية الفروج. وأياً كانت الحالة فإن الحديث التالي مروى في الصحيح عن عقبة بن عامر. قال عامر «أهدي لرسول الله ﷺ فروج حرير فلبسه، ثم صلى فيه ثم انصرف فتزعه نزعاً شديداً كالكاره له. ثم قال: «لا ينبغي هذا للمتقين». تابعه عبد الله بن يوسف عن الليث. وقال غيره «فروج حرير».

الْفَرَجِيَّةُ وجمعها الضراحي



يصف لين (ألف ليلة وليلة، ج ١، ص ٣٢٤، النص الانكليزي) هذا اللباس على هذه الصورة: «الفرجية ثوب فضفاض هفواف، يعمل اليوم من الفجوخ عادة، وله كُمان واسعان طويلان يتجاوزان قليلاً أطراف

الأصابع، وهذان الكُمان بغير تفريج البتة. ويلبس هذا الثوب أفراد طبقة العلماء». ونقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ٢، ص ٤٩) إن الملك الناصر داود، لدى وجوده في بغداد، تلقى من بين الثياب التي تؤلف الخلعة (فرجية مموج)^(١) أي فرجية من مادة ما يسمى بالفرنسية (الزملوط - وبر البعير)^(٢). وفي موضع آخر (مخ٢، ص ٣٢): يدور الكلام حول

(١) لا مندوحة من إضافة كلمة مموج إلى القاموس، بوصفها تشير إلى كلمة الزملوط Camelot والمموج هو بالضبط لباس اللاتين: Vestis undulata, vestis cymatilis. ويفسر (D. Germano de Silesia) (موج من الجوخ بـ:

Ciambellotto drappo. vestis undulata.

(ولكيلا تفكروا بوجوب إحلال موج محل مموج، أرى لزماً عليّ أن أنه إلى أن مخطوطة (ب) للنويري مذكور فيها مموج). ونقرأ في قصة كوتوفيك (الرحلة، ص ٤٨٥): «وبالإضافة إلى الحريريات والصوفيات، فإن عندهم ألبسة من الأقمشة المتموجة (الزملوط) وهي تعمل في أنقرة وغلاطية، وذلك من شعر الماعز، ومن هناك توزع على العالم». ونقرأ في نص آخر من تاريخ مصر للنويري (مخ٢، ص ١١٦): «وهو بغلطاق أطلس معدني بسنجاب مقتدرة». وفي موضع آخر (مخ٢، ص ٢٨): «خلعة من خزانة السلطان كاملة مسنجة مفتدرة». وإني لا أتردد في إحلال مقتدرة محل مقتدرة ومفتدرة الواردتين في هاتين المخطوطتين، وذلك لأن كاترمير (ملاحظات ومقتبسات، ج ٨، ص ٢١٦. راجع كذلك ص ٢٧١) قد برهن في تعليقه قيمة، على أن المقتدز أو المقدنس يعني أنه مؤلف من فراء القسطور Le castor وهو مشتق من كلمة قندز أو قندس وهو القسطور. والخلاصة إنني ترجمت النص الأول للنويري.

(٢) ورد في كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب) للدكتور زيفريد هونكه: ترجمة فاروق بيضون - كمال دسوقي أن كلمة Zamlett الألمانية هي زملوط العربية (قماس من وبر الجمل). وهي تقابل كلمة Camelot الفرنسية الواردة في تعليق دوزي والمقابلة لكلمة مموج. فهل المموج يا ترى هو (قماس من وبر الجمل؟) المترجم.

فرجية زرقاء مسنجة مقندزة. وفي مسالك الأبصار لدى كاترمير (ملاحظات ومقتبسات، ج ٨، ص ٢١٦) يجري الحديث كذلك عن الفرجيات المسنجة المقندسة، التي يلبسها سواد الشعب في الهند.

ونقرأ لدى السيوطي (حسن المحاضرة، مخ ١١٣، ورقة ٣٤٩، حوادث سنة ٨٢٧): «جدد للمشائخ الذين يحضرون سماع الحديث بالقلعة فراجي سنجاب. وهو أول ما فعل بهم كذلك». وفي موضع آخر (لدى دي ساسي طرائف عربية، ج ٢، ص ٢٦٧): «وأما من دون هؤلاء فالفرجية الطويلة الكم بغير تفريج». وفي كتاب ألف ليلة وليلة (ط هابخت، ج ٢، ص ٣٤)، من نص مذكور في معجم فريتاك: «فقصد نحو تربة أبيه وشق بين المقابر وأرخى فرجيته وكانت فوقانية بحاجات معطبة مقصبة منسوجة بطراز ذهب مكتوب عليها هذه الأبيات من الشعر». وفي طبعة مكنانغن (ج ١، ص ١٦١) نقرأ هنا ببساطة: «وأرخى ذيل فرجيته من فوق رأسه وكانت منسوجة بطراز ذهب مكتوباً عليها هذه الأبيات». وقد حملت صفتي منسوجة ومعطبة على الثوب نفسه وليس على الأزرار لأننا نقرأ بعد ذلك بقليل، في نفس القصة (ط مكنانغن، ج ١، ص ١٦٥): «الفرجية المنسوجة بالذهب». ويتحدث بوكوك (ص ٣٢٧، ج ١، وصف الشرق) عن هذا الثوب، ويكتب الكلمة Feridsji فريجية ويضيف أن هذا اللباس معمول، حسب الموسم، من الجوخ (الزملوط Camelot المموج، أو الحرير^(١)).

(١) لا أدري، هل ينبغي أن أترجم (مقصب) بـ: Broché أم بـ: Omé de pierreics. ويظهر أن لين من الرأي الأول، ذلك لأننا حينما نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنانغن، ج ١، ص ٥٦٧): بعد أن زوقوا حيطانها بالتماش المقصب، يترجمها هذا العالم (ألف ليلة وليلة، ج ١، Stus interwoven with gold). وحين نقرأ في موضع آخر من نفس الكتاب (ط مكنانغن، ج ٢، ص ٢٢٢): أخذت الستر وطرزته بالحرير =

والظاهر أن الفرجيات المصنوعة في مصر قد اكتسبت شهرة طبقت

= الملون وزركشته بالقصب فإن لين يترجم ذلك بـ:

Ornamented it with the gold and silverthread.

أما أنا فأؤثر أن أترجم (مقصب) بـ: (Omé de pierreries) فإن كلمة (قصب) تشير إلى الأحجار الكريمة، وفي بعض النصوص، مثلاً في هذا النص الذي نقرأه، نكون حيال تكرار للكلام بصورة محسوسة، إذا ترجمنا (مقصب) بـ: Broché d'or.

ولاني أعلم بأن هناك من يعترض عليّ بأن كلمة زركش في نص ألف ليلة وليلة الأخير تعني brocher d'or ولكنني سأحمله على ملاحظة أن كلمة زركش في الكتاب الذي أذكره لا تعني أحياناً إلا Omer magnifiquement زين بصورة رائعة. فنحن نقرأ فيه (ح ٢، ص ٤٦): زركش الرفوف بالذهب والقطع المثمينة. (راجع حول كلمة رف وجمعها رفوف: فليشر (De glossis Habichtianis, pag. 91) وعلاوة على ذلك، فنحن نطالع في تاريخ مصر للنوري (مخ ١٩ب، ص ٢٥): «إن خلع طرد وحش خلع طرد وحش مقصب». وبعد ذلك (مخ ١٩ب، ص ٣٠): «خلع على الاثنين طرد وحش مقصب بذهب». ويدور الحديث في تاريخ مصر لابن إياس (مخ ٣٦٧، ص ٣٧٧) عن: «نحو من ثمانين شقة أطلس مقصب». وفي كتاب (ألف ليلة وليلة، ٧ مكناتن، ح ١، ص ٢٠٨) تسأل امرأة: «هل عندك تفصيل طرد وحش مقصب طرش». ولما كانت كلمة طرش لا تهبنا هنا أي معنى، فينبغي إichلال كلمة بطرز (احتمالاً) محلها. ولأنني أتيت لي فرصة التحدث عن كلمة مقصب، سأحدث أيضاً هنا عن كلمة قصبة، وجمعها قصبات.

نطالع في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناتن، ح ١، ص ٥٧٦): «وفي رقبته طوق من الذهب الأحمر وثلاث قصبات من الزبرجد». فيعترف لين (ألف ليلة وليلة، ح ١، ص ٦٠٧، الطبعة الانكليزية) بجهله معنى كلمة قصبات ومع ذلك يخمن إنها تعني: (خرزات أسطوانية الاستطالة): (Oblong cylindrical beads). وأعتقد أن هذا التخمين فاخر بالنسبة لهذا النص، ولكن الكلمة نفسها تعني قنزعة، على الهيئة التي ذكرها لين، لأنني أقرأ في كتاب النوري (تاريخ مصر، مخ ٢، ص ١١٦): (شاش تساعي معقعر؟) بقصبات زركش (شاش مبروم تسع مرات حول الرأس...». ويقول برين (رحلات، ص ٢١٨ إلخ...) في حديثه عن عمارة عرب القاهرة: «خمار =

الآفاق، فلقد كانت تحمل إلى الأقطار النائية. ويقول ابن بطوطة (الرحلة،

= من الحرير الأسود، المنسوج مخططاً بالذهب، المزركش معظمه بقنازع من نفس الحرير». (انظر الصورة المرقمة ٩٠).

إن كلمة تربة مفسرة في القاموس بالكلمتين اللاتينيتين: ضريح، مقام، Tumulus sepulchrum وهذا التفسير يعوزه بعض الدقة. فإن كلمة تربة تشير في مصر وفي بلاد البربر إلى:

١ - نوع ضريح كبير، أو بالأحرى إلى هيكل مشيد على جدث، أو معبد أو قبة، فنحن نقرأ في تقرير توشر دي نورنبرك (وصف الرحلات، ص ٣٦٨): «وبعد أن اكتفينا بما رأينا، توجهنا إلى مسجد صغير Muschkea غاية في الروعة، وهي تسمى كذلك تربة Turby: إذ هكذا يسمى ضريح أمير دودار Amirey Dyoderij. ولكن هذا الدودار هو الذي أمر ببناء هذا المسجد الصغير البالغ الفخامة والبهاء الذي يمكن أن يكتب فوقه كتابات كثيرة». ونقرأ في تقرير هيلفريش (تقرير مختصر واقعي عن رحلات ص ٣٩٠): «ينبغي أن نعلم أن السادة الكبار يبنون لأنفسهم خارج المدينة دوراً كبيرة أو كنائس، في الأماكن التي يشاؤون أن يدفنوا فيها بعد مهلكهم، ويوقفون على هذه المشيدات بعض الدخول (الأوقاف Gewizs eynkommen) تكون وسيلة تعيش لجمهرة من الفقراء. وهم يسمون هذه الأنواع من الأضرحة ترباً «Turbe» ونقع على كلمة تربة بهذا المعنى كثيراً لدى المؤلفين العرب في مصر. ففي الكتاب المعنون (حكاية إقامة عشر سنوات في طرابلس الغرب ص ٣٧) مسخت كلمة تربة إلى تربر Turbar. ويقول مؤلف هذا الكتاب إنها بناية تشبه المسجد، وهي تضم قبور أعضاء الأسرة الملكية. وسأجعلكم تلاحظون، بصورة عابرة أن الحرف النهائي (h) في هذا التقرير الانكليزي وهو يقابل الحرف (ة) في نهاية الكلمات العربية، قد حُرِفَ إلى (i) بصورة متصلة على وجه التقريب، وهكذا بدلاً من Skieh (سقية) فإننا نقرأ فيه (Skier) سقيفر، وبدلاً من Nubah (نوبه) Nubar نوبر، وبدلاً من Teskerah (تذكرة) تذكر Teskerar (ص ٤٢)، وبدلاً من Aisheh (عائشة)، Aisher، عايشر (ص ٦٩).

وهذه التربة يستفاد منها كخانات وينادق، لأننا نقرأ في موضع آخر من كتاب هيلفريش (ص ٣٨٦): «هذه الدار اسمها لدى المغاربة ()، وحولها بيوت عديدة =

مخ دي گايانگوس، ص ٢٤٦) في معرض كلامه عن وزير الجزائر الملديفية: «وعليه فرجية مصرية عن المرعز»^(١).

ويعرب ديبگو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر، ص ٢، مج ٣) عن أفكاره في معرض وصف أزياء أترك مدينة الجزائر على هذه الشاكلة: «إنهم على العموم يلبسون بدل الأزرار رداء آخر من الجوخ الملون، وهو أرجواني اللون عادة (اشكرلاط، اسقلاط، (écarlate)) أو من جوخ لندن، Drap المعمول على طراز مدينة البندقية، الذي ينزل حتى القدمين. وهو واسع فضفاض مفتوح من الأمام. وهذا اللباس لا ياقة له، ويسمى الفرجية Ferja له كُمان واسعان أكثر من سعة كمي اليلك والخفتان Cafetan و Jalaco tajetan ذلك لأنهما يغطيان الذراعين، ويلبس أصحاب السميت والوقار وحسن الصيت، هذا الرداء فوق الخفتان، في كل المواسم، أما الآخرون جميعاً فيرتدون به إذا عضهم البرد بنابه، ذلك لأن هؤلاء يطرحونه بصورة عامة على الكنف اليسرى مطوياً أربع طيات، إذا كلكل عليهم الحر أو اعتدل مزاج الهواء، والرحالون (مثلنا في بلادنا)

= يقطنها المغاربة والتجار وبجوارها كذلك بيوت تجارية (Kauhäuser) حيث يقيم التجار الأجانب الوافدون مع القوافل، وهي تحمل اسم تربة. وقد أشاد قواعدها كبراء القوم الذين بنوها ليزكروهم الناس بعد هلاكهم. وفي هذه البنايات يحصل كثير من الفقراء على قوتهم».

٢ - تشير هذه الكلمة إلى مقبرة. فنحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناتن، ح ١، ص ٧٥): «جاء إلى قبر في وسط التربة». وفي رحلة نيور (رحلة إلى البلاد العربية، ح ١، ص ٢٠٦) نرى تفسير كلمتي «تربة اليهود»: «قبر اليهود».

(١) توجد كلمة مرعز أيضاً في كتاب ابن بطوطة، مشيرة إلى نوع من النسيج (ص ١٢٩، ١٤٠، ٢١٣) ويبدو أنه نسيج من الصوف، لأننا نقرأ في موضع آخر، لدى المؤلف نفسه (ص ٩٩) في مقالة عن بلدة ماردين: «وبها تصنع الثياب المنسوب إليها، من الصوف المعروف بالمرعز».

يلبسونه مع المعاطف، وعلى هذه الشاكلة يدرج هؤلاء الناس في المدينة».

ويتحدث دابر كذلك في كتابه (وصف حقيقي دقيق لأقاليم أفريقيا، مج ١، ص ٢٤٠) عن فرجية Ferezsyra أحد سفراء ملك مراکش، الذين قدموا إلى امستردام عام ١٦٥٩، ولكن يذهب هذا المؤلف إلى أن هذه الفرجية كساء كُماء قصيران. والفراجة في القسطنطينية (ذلك لأنها تكتب على هذه الصورة: فراجة) لا تختلف عن الفرجية المصرية. وبوسعكم رؤية وصفها لدى بيترو دلافاله في كتابه (الرحلة، ج ١، ص ١٩٠)، وفي كتاب تيفنو (رحلة إلى المشرق، ص ٥٦) وفي رحلة كورني دي بروي (ص ١٣١، الخ). ولكن هذا الرداء يرتدي كذلك في هذه المدينة من قبل النساء لدى بروزهن من دورهن (تيفنو، ص ١٠٦ ودي برين، ص ١٣٢). وهذه الحالة غير موجودة، لا في مصر ولا في المغرب.

وقد تسلفت كلمة فراجة التركية إلى اللغة اليونانية الحديثة: فيرتسيس ويخيل إلي أن الكلمة الإيطالية Ferraiuolo ليست إلا التصغير الإيطالي للكلمة فراجه، وإن الكلمة الأسبانية Herreruelo مشتقة من هذه الكلمة الإيطالية.

الْفَرْمَلَة



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويقرر النقيب ليون في (أسفار في الشمال الأفريقي، ص ٦) إن كلمة فرملة - وهو يكتبها Farmela تشير في طرابلس الغرب إلى: «صديري له شرائط واسعة من الذهب، وهو مفتوح من الجهة الأمامية ومزود بالأزرار، ولكنه محروم من العرى». وهذا الصدر يلبس فوق سترة أخرى تسمى الصدرية. (راجع كلمة صديرية).

الفَرُودِيَّة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكن لين (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٥٨، ٥٩) يعرف الفرودية، وهو يصف زي سيدات القاهرة بأنها: «تنحصر بطاقية أو طربوش أو طرحة مربعة تسمى فرودية معمولة من الشاش الموصل المطبوع أو المنقوش أو من الكريشة. وهي تشد شداً وثيقاً حول الرأس، ومجموع هذه العمرة يدعى ربطة^(١) وكان اثنان أو أكثر من هذه المناديل شائع الاستعمال بصورة عامة، منذ عهد ليس ببعيد وذلك لتكوين عمامة سيدة، وما تبرح هذه الزينة الراسية تستعمل في بعض الأحيان لهذا الغرض، ولكن في هذه الحالة تكون هذه المناديل مسواة بشكل يؤلف منه إكليل للرأس عال مسطح بحيث إنه يختلف كثيراً عن عمامة الرجال.

الفروق

لا بد أن تشير هذه الكلمة - التي عبثاً انقب عنها في جميع المعاجم العربية والفارسية - إلى نوع عمرة رأس، ذلك لأن ابن بطوطة (الرحلة مخ دي غايانغوس، ص ١٩١) يقول، في وصف مدينة Dehli: «ويمشي بين يديه أيضاً النقباء وهم ثلثمائة وعلى رأس كل واحد منهم فروق ذهب وعلى

(١) لا وجود لكلمة ربطة في القاموس. ويقول الكونت دي شابرول كذلك (وصف مصر، ح ٨، ص ١١٣) إن الربطة تشير إلى جماع عمرة الرأس. وكلمة ربطة تشير أيضاً إلى حزمة وطرْد. فنحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنائتن، ح ٣، ص ١٧٧): فأمر التاجر العبد أن يأتيه بربطة الحرير من صدر الدكان. فأتاه بها وأخرج منها عدة قناعات.

وسطه منطقة ذهب». والآن يتحتم علينا أن نعلم ما إذا كانت هذه الكلمة مغربية أم فارسية، ومعنى ذلك ما إذا كان ابن بطوطة يود الإشارة إلى أن هؤلاء الناس كانوا يلبسون عمرة أم طاقية، واسم ذلك في المغرب فروق. أم أن أهل Delhi يسمون هذا الشيء بهذا الاسم. وبما إنني لم أصادف كلمة فروق في مكان آخر، فليس بمقدوري أن أجزم برأي حول هذا الموضوع.

الفَس

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ونحن نعلم أن الأتراك في القسطنطينية يسمون الطاقية التي يلبسونها تحت العمامة (فس)، وهذه العرقية تستعير اسمها من مدينة فاس Fez، وبوسعنا مقارنة الوصف المفصل الذي دبحه فيسكيه في كتابه (رحلة في الشرق، ص ١٨٣ - باللوحة) - وإذا آمنا بما يقوله نيبور في كتابه: (رحلة إلى بلاد العرب، ص ٥٩) فإن الفس يحمل نفس الاسم في بلاد العرب. (ويكتب الرحالة هذه الكلمة: Fâs) ولكن نيبور يعلمنا أن العرب يلبسون عشرة أو خمسة عشر من هذه الفيوس (الطاقيات) مرة واحدة، بعضها مصنوع من نسيج الكتان، وبعضها مشغول من الجوخ الكثاف الموشى بالقطن، والتحتاني منها مطرز بالذهب أحياناً. (ولم أجد هذه الخاصية في مكان آخر). ومعظم هذه الفيوس مكتوب عليه هذه الجملة: لا إله إلا الله محمد رسول الله. أو آية من آيات القرآن الكريم. ويؤكد العقيد سكوت في كتابه (يوميات إقامة في مخيم الأمير عبد القادر الجزائري المسمى «اسم لله» ص ٥، ٦) إن الطاقية أو العرقية الحمراء المسماة بالفيس Fez تلبسها عساكر امبراطورية مراکش عن بكرة أبيها.

الفشطان

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكن يقول ابن بطوطة (الرحلة، مخدي غايانغوس، ص ٥٩) - في معرض حديثه عن شيخ مكة: «وكننت أراه حين ذلك لابساً جبة بيضاء قصيرة من ثياب القطن المدعوة بالفشطان. كان يلبسها في بعض الأوقات». فهل يا ترى يمكن أن تكون كلمة فشطان هي الكلمة التركية فستان؟ إنني لا أجزؤ على الجزم، ذلك لأن هذا الثوب لا يلبسه إلا النساء (راجع معجم مينينسكي Meninski ووصف مصر، ج ١٨، ص ١١٢) ومن جهة أخرى أرى من باب العجائب الوقوع على كلمات تركية تستعمل في مكة في القرن الرابع عشر الميلادي، أي على وجه التقريب قبل غزو العثمانيين لهذا القطر بقرنين.

الفشَطُول

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وكانت عمرة رأس تحمل هذا الاسم في أسبانيا، ذلك لأن بيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية)، بعد أن فسر كلمات: (Velo o toca de muger بـ(عمرونة) قال: «Velo assi وهي فشَطُول وجمعها فشاطل» .

الفشَّجان

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بوصفها تشير إلى شبه عمرة: عصابة Coiffure. ويقول كويان في كتابه (درع أوروبا، ص ٢٢٠) وهو يصف زي سيدات القاهرة: «يعتمر رأس المرأة في القاهرة بقبعة من الكارتون يبلغ

ارتفاعها قدماً واحدة وهي مطلية بطلاء ذهبي أو مرسومة حسب طبقة الأشخاص، وتكون أحياناً مغطاة بأوراق من الفضة، ويخرج من ارتفاع الرأس تحت القبعة جزء من منديل ينساب حتى الجبهة مخفياً كل شعرها الأمامي، (انظر أيضاً المرجع السابق، ص ٢٤٨).

وإنني اعترف بعدم وقوعي في موضع آخر على كلمة فنجان، لا عند مؤلف عربي ولا لدى رحالة أوروبي. ومع ذلك فإن كوپان هو جوابة دقيق الأحكام جدير بكل ثقة واحترام. وهو بالرغم من ضالة شهرته محل للركون إليه أكثر مما يستحق الأفاقون المحدثون الذين يتمتعون بشهرة واسعة. وفضلاً عن ذلك فليس مما لا يحتمل وقوعه أن تخلع كلمة فنجان على نوع من أنواع الطاقات. والفنجان هو كأس القهوة (لاحظ صورة الفنجان لدى لين) (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٢٠٥) الذي لو قلبناه رأساً على عقب لشابه بعض المشابهة من ناحية الشكل القبعة Couvrechef التي يصفها كوپان. وإن ما أعرضه هنا مؤيد، كما يخيل إليّ، بالنص التالي لدارفيو d'Arvieux في كتابه (رحلة من فلسطين صوب الأمير الأعظم - ص ٢١١): (Voyage dans la Palestine vers le Grand Emir, pag. 211 «إن زينة رؤوس نساء البدو هي طاقة من الذهب أو من الفضة - مشكلة على هيئة قصعة صغيرة écuelle أو قدح - gobelet».

لا أقول أن دارفيو يتحدث عن الفنجان، إذ من المحتمل كثيراً أنه يتكلم عن العرقية ليس غيرها. ولكن حين يقارن رحالة أوروبي نوعاً من العمر Coiffure بقدح Gobelet أفلا يحتمل كل الاحتمال أن يكون العرب قد طبقوا اسم كأس على عمرة مماثلة؟.

الفُوطَة ومصفرها الفُويْطَة^(١)

كان سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية، ج ١، ص ١٩٥) قد تحدث بكثير من الإسهاب عن الفوطَة، وكذلك فعل فريتاك.

(١) إنني أثبت هنا مختلف المدلولات التي وجدت أن كلمة فوطَة تدل عليها. وهي لا وجود لها في القاموس، وكذلك مختلف أنواع الألبسة التي تشير إليها هذه الكلمة، الموجودة في النص. فكلمة فوطَة تشير ١ - إلى منشفة. يقول ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي غايانغوس، ص ١٩١) في معرض حديثه عن ملك Dehli «فإن كان عيد الأضحى أتى السلطان بجمل فنحره برمح يسمونه النيزة بكسر النون وفتح الزاي بعد أن يجعل على ثيابه فوطَة حرير توقياً من الدم. وفي موضع آخر (مخ، ص ١٤٦) يقول الرحالة نفسه، متحدثاً عن بلغار الفولغا: «ويأتي الباروجي وهو مقطع اللحم وعليه ثياب حرير قد ربط عليها فوطَة حرير». ونقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنائتن، ج ١، ص ٥٧٨): «سفرة مغطاة بفوطَة من الحرير».

وكان العبيد يرتدون عادة فوطَة، على أوساطهم، حين يتناول السيد طعامه. (راجع ألف ليلة وليلة، ط هاييخت، ج ٣، ص ٣٠٠). وفي أيامنا هذه يستعمل كل واحد فوطَة أو منشفة (Napkin) أثناء تناوله الطعام. راجع لين (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٢١٢). وفي مصر يستعملون اليوم هذا المثل: «فوطَة بحواشي وما تحته شيء» الذي يترجمه برگهارت (الأمثال العربية، رقم ٤٨٢) على هذه الشاكلة: «منشفة لها حواش جميلة ولا شيء تحتها». ويضيف برگهارت: «هذا المثل يعني: كثرة صخب وقلة عمل، اسمع جمعجة ولا أرى طحناً (Puwwithout reality) ويضع المهدون هداياهم التي يقدمونها إلى عليّة القوم فوق لوحة أو طبق ويغطونها بفوطَة أو منديل، مطرز أجمل تطريز».

وتشير كلمة فوطَة ٢ - إلى شرشف، شف. فنحن نقرأ في الرحلة إلى فلسطين صوب الأمير الأعظم (ص ١٨) لمؤلفها دارفيو: «وهناك شرشف عظيم من التيل والكتان المرقط بأزرق والأبيض يسمونه فوطَة، وهو يستعمل كشرشف تحتاني». ونقرأ كذلك في تاريخ أبي الحسن الماجن، الموجود في طبعة هاييخت لكتاب ألف ليلة وليلة (ج ٤، ص ١٧١) إن هذا الرجل تظاهر بالموت فأمر زوجته أن تغطيه =

وكلمة فوطة، الهندية الأصل، كانت تستعمل على رأي الشراح والمعجميين العرب، للإشارة مبدئياً إلى نوع من البز مجلوب من الهند. ولكن بعد ذلك طبقت الكلمة على أنواع مختلفة من الملابس كانت بلا ريب مصنوعة في الأصل من هذا البز. فهي تشير إذن إلى:

١ - نوع من السراويل، أو بالأحرى إلى شقة من البز بحيث أن الأعراب الذين يلبسون السراويل المعهودة يستعملونها لستر عوراتهم وأفخاذهم، ومعنى ذلك مئزر un pagne. فنحن نقرأ في نص من (مقامات الحريري، ص ٢٥٤)، وقد سلف لساسي إن ذكره: «واستشفر بفويطة» ومعنى ذلك على رأي الشارح، لبس فويطة أو فوطة صغيرة لف بها وركيه، وشد طرفها في وسطه، بجعلها تمر بين وركيه. يقول ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي غايانگوس، ص ١٠٦) في معرض كلامه عن سكان (مقدشوا) Magadoxo «وكسوتهم فوطة خز يشدها الإنسان في وسطه عوض السراويل فإنهم لا يعرفونه».

ويقول المؤلف نفسه في موضع آخر، متحدثاً عن ملك (هنور) Hinaur في الهند: «ويشد في وسطه فوطة. ويقرر شو في كتابه (رحلات إلى بلاد البربر والشرق، ص ٣٢٤، ج ١) وقد ذكره دي ساسي، إن النساء في بلاد البربر يخلعن سراويلهن، حين يكن في بيوتهن، ويشددن حول أفخاذهن شقة من البز، تحمل في بلاد البربر وفي المشرق اسم فوطة».

= بالفوطة الحريرية (فانشري علي فوطة حرير).

إذن فقد كان القدماء يغطون موتاهم بالفوطة، أي على ما أرى بشرشف. ونستخلص من تعليقه لين (ح ٢، ص ٣٧٨، ١٧) حول هذا النص إن هذه العادة لم تعد سائدة هذا اليوم. ومن كلمة فوطة استنبط فعل فوط. فنحن واجدون في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنانگن، ح ٢، ص ٤٦): «فوطه في وسطه بفوطة من الحرير مزركشة بالذهب».

وكانت تصنع هذه الفوط من مختلف أنواع البز، ذلك لأنني اقرأ في كتاب ابن بطوطة (مخ، ص ٢٥٩) حول سومطرة: «وأخرج من البقشة ثلاث فوط أحداها من خالص الحرير والأخرى حرير وقطن والأخرى حرير وكتان فلبست فوطة منها عوض السراويل على عاداتهم». وفي الكتاب المعنون عيني اكبري (عيون الأخبار؟) (مخطوطة فارسية ١٣٩٨ إن البز المسمى فوطة يعتبر من الزركش Les brocarts. والظاهر إن الفوطة اليمانية كانت مشهورة. فعلى الأقل نحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنائتن، ج ١، ص ٣٦٠): «قامت الجارية على مهل وأخذت فوطة يمانية وثنتها مرتين وشمرت سراويلها». ويبدو أن هذا الكساء كثير الاستعمال في بلاد العرب الأصلية، إذ طالما تحدث عنه الرحالون، ولا أتردد في الاعتقاد بأن نيبور في كتابه (وصف الجزيرة العربية، ص ٦٠) يعني، بكل ما يستطيع أن يعني، الفوطة حين يذكر (شقة البز المشدودة حول الفخذين، المتدلّية حتى الركبتين، التي يرتديها العرب على العموم». وهي الفوطة أيضاً التي يتحدث عنها برگهات (أسفار في بلاد العرب، ج ١، ص ٣٣٦)، حين يقول: «لا يلبس الرجال من سواد الشعب عادة في الصيف إلا قميصاً، وحول الفخذين شقة من المشوش الأصفر المشغول في الهند، أو من الكتان الأرقط المخطط المصري، بدلاً من السراويل».

ويبدون أن كلمة فوطة تستعمل أيضاً للإشارة إلى ٢ - نوع من العمامة، إلى شقة بز تلف الرأس لفاً. ولا أتذكر إنني وقعت على هذه الكلمة بهذا المعنى إلا عند المقرئ (لدى سيلفستري ساسي، طرائف عربية، ج ١، ص ٦٥ من النص) الذي يخبرنا أن الحاكم بأمر الله كان يلبس أثناء جولاته على جواده، نعلين في قدميه (وفوطة على رأسه).

وتشير كلمة فوطة إلى ٣ - شقة بز توضع على الظهر للتوقي من

الشمس. يقول ابن بطوطة (مخ، ص ١٠٩) في معرض حديثه عن مدينة ظفار (وهي آخر بلاد اليمن على ساحل البحر الهندي، ص ١٠٨): «ولباسهم القطن وهو يجلب إليهم من بلاد الهند ويشدون القوط في أوساطهم عوض السراويل وأكثرهم يشد فوطة في وسطه ويجعل فوق ظهره أخرى من شدة الحر».

وختاماً فإن كلمة فوطة تشير إلى - المئزر الذي يشد حول الوسط لدى الدخول إلى الحمام. ويقول ابن بطوطة (الرحلة، مخ، ص ٩٢) واصفاً حمامات بغداد الفخمة: «وكل داخل يعطي ثلاثاً من الفوطة، إحداها يتزر بها عند دخوله، والأخرى يتزر بها عند خروجه، والأخرى ينشف بها الماء عن جسده. ويسمى دلا موتري De La Motraye في كتابه (الأسفار، ج ١، ص ٧) هذا المئزر (أو الميدة Tablier) (باسمها التركي Esthimale أي: البشمال)، ويقول إنه معمول من تيل القطن الأزرق أو الأسمر.

الفُوقَانِيَّة

نستخلص بالبديهة من أحد نصوص تاريخ مصر للنويري نشرناه حول كلمة «بقيار»، ومن نص آخر نحن على وشك إيراده حول كلمة «قبع»، أن الفوقانية في العهود القديمة لم يكن يلبسها إلا القضاة. ولكن بعد الغزو العثماني لمصر لم تبق الحالة بهذا الخصوص على ما كانت عليه. واعتقد أن كلمة فوقانية تشير إلى شبه «فرجية»، ذلك لأننا بدل الكلمات التي نقرأها في طبعة هابخت لكتاب ألف ليلة وليلة (ج ٢، ص ٧١)، وهو النص الذي أورده فريتاگ قائلاً: «وهذا شاشه على الكرسي»^(١)

(١) إن كلمة كرسي كثيرة الوقوع، بهذا المعنى في كتاب ألف ليلة وليلة. وهي تشير هناك إلى مقعد يستعمل بخاصة لوضع العمامة عليه. أثناء الليل. وهذا الأثاث يسمى =

ونمشته^(١) وفوقانيته»، نرى طبعة مكنانگتن (ج ١، ١٧٨) تقول: «وأخذ الشاش والطربوش وأخذ الفرجية». وعلاوة على ذلك، فإننا نطالع في موضع آخر من الكتاب نفسه (ط هاببيخت، ج ١، ص ٣٤)، «وأرخی فرجيته وكانت فوقانية». ولكن إذا كان هناك فرق بين الفرجية والفوقانية، وهذا ما لا يبدو لي متعذر الاحتمال، فأرى من المحتم عليّ أن أعترف بجهلي بماهية هذا الاختلاف. ولكن استناداً إلى نص النويري الذي ستقرأونه حول كلمة «قبع»، أرى وجهاً للاحتمال بأن الفوقانية هي العجة. وأياً كانت الحقيقة، فإن العجة لا تختلف كثيراً، من ناحية الشكل، عن الفرجية.

القُبْع وجمعه الأقباع

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكن في قائمة الكلمات العربية التي أوردها بريتنباك، في كتابه (وصف رحلة وحج، ص ١١٥) وهو الرحالة الذي زار الشرق سنة ١٤٨٣، فسرت كلمة كوبيث Gobeth بكلمة كاب Cappe (كلوته، طاوية، عرقية). والواقع أن الكلوته هي التي تدعى اليوم في مصر طاوية أو عرقية، وهي التي توضع تحت الطاوية المسماة بالطربوش، الذي يحاط بعد ذلك بقطعة من البز، لتأليف العمامة التامة على هذه الشاكلة. وإذا وجدنا في طبعة مكنانگتن لألف ليلة وليلة (ج ١، ص ١٧٢) هذه الجملة:

= كذلك «كرسي العمامة». ويصفه لين مفصلاً في إحدى تعليقاته الجميلة حول ترجمته الانكليزية لكتاب ألف ليلة وليلة (ج ١، ص ٣٢٥)، وهو يتحدث عن كرسي العمامة كذلك في كتابه (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٤٧).

(١) راجع حول كلمة نمشة كاترمير، تاريخ السلاطين المماليك، ج ١، ق ١، ص ١٧٣.

«فنظروا شاباً مليحاً بقميص وطاقيّة كشف من غير لباس» فإن طبعة هابخت (ج ٢، ص ٦٣) تورد في هذا الموضع: «وهو شاب مليح مخفف اللباس بقبع كشف وقميص بلا سراويل»^(١). ونقرأ في موضع آخر من نفس الكتاب (ط ه، ج ٢، ص ٢٩): «خطها حرزاً في قبة، تحت شاشيته». ومعنى ذلك خطها في القبع الموجود تحت طاقيته أو قبة. وبعد ذلك (ط ه، ج ٢، ص ٦٠): «بقي بقميص وقبع». . . وبعد ذلك بقليل، في نفس القصة (ط ه، ج ٢، ص ٦٢): «وهو على حالته بقبع خطاي أزرق وقميص إلخ». . . وكلمات: «قبع خطاي أزرق» تعني ولا ريب قبعاً أزرق مصنوعاً من بز خطاي، ومعنى ذلك من حرير الصين، لأننا نقرأ كذلك لدى ميرخوند: «تاريخ السلاجقة، ص ١١، Morkhond (Historia seldschukidarum): «وإن نفائس مملكة خطاي جامهاي گرانمايه به او بخشیده». «أهداه ثياباً ثمينة، منتقاة من أفخر ملابس مملكة خطاي»: أي مملكة الصين. والنص التالي موجود في تاريخ مصر للنويري (مخذ، ورقة ١٠٣): «عرضت عليه الوزارة في الدولة المنصورية فأبأها وتنصل منها كل التنصل. وبالح في ردها كل المبالغة. وانتهى حاله في الفصل. إلى أن حضر الدركاه»^(٢) بباب القلعة وقل طيلسانه وقلع عمامته وفوقانيته. وبقي بقبع ودلق. وهو قائم. فقام الأمراء لقيامه وصاروا حوله حلقة. وهم لا يعرفون موجب فعله لذلك. ثم جاء نائب السلطنة الأمير حسام الدين طرنتاني وهو على هذه الصورة. فتألم. وسأله عن خبره، فقال له: «أنا إنما وصلت من بلدي بمثل هذا الملبوس عليّ. وأنا اكتسبت بصحبتيكم وخدمة السلطان زيادة على ما جئت به وهو هذا

(١) لا معنى لكلمة قل هنا وأعتقد «إن الجملة تكون صحيحة لو قلنا»: وقلع طيلسانه وعمامته وفوقانيته. ولعل كلمة قل هي قل.

(٢) الدركاه بباب القلعة: أو صحن للدار.

الطيلسان وهذه الجبة والعمامة. فإن ضمنت لي على السلطان إعفائي من هذا الأمر الذي طلبني بسببه وإبقائي على ما أنا عليه وإلا فلا أرجع إلى لباسي هذا أبداً وأرجع إلى بلدي بهذه الحالة». فبكى الأمراء وعظموه وألبسه نائب السلطنة قماشة وضمن له صرف الوزارة عنه^(١).

وإن جمع كلمة قبع، وهو إقباع، يوجد في مسالك الأبصار (راجع كاترمير، تعليقات ومقتبسات، ج ٨، ص ٢١٥) وفي (وصف مصر للمقريزي، ج ٢، مخ ٣٧٢، ص ٣٥٤). وفي موضع آخر (ج ٢، مخ، ص ٣٦١) يتحدث المقريزي عن سوق الإقباعيين، ولكن في هذه البقعة لا يوجد بأي تفصيل عن اللباس الذي فرغنا من الكلام عنه^(٢).

القُبَّاق، القُبَّاق

القُبَّاق أو كما يلفظ عامة في مصر هذا اليوم القُبَّاق، هو على رأي لين (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٦١، ٦٢) السنبك sabot أو المزليج patin الذي يعلو عادة عن الأرض أربع أو ثلاث عقد، وهو مزركش في الأغلب الأعم ومرصع بأصداف اللؤلؤ أو الفضة، إلخ.

(١) تشير كلمة قبع في المغرب إلى قبعة البرنس أو القبّار - كما يؤكد ذلك صراحة دابر (وصف حقيقي دقيق لأقاليم أفريقيا الشمالية، ص ٢٤، مج ٢)، فهو يكتبها برسم (كوب) Kob. أما ديفغو دي توريس فيرسمها في كتابه (قصة الشرفاء، ص ٨٦) بشكل (كابان) Caban وأما عن كلمة قبعاً الكلدانية فلم أستطع تقبلها في النص، لأنني حتى الآن لم أعثر عليها لدى أي مؤلف عربي، وارتاب كل الارتباب في لباس العرب حقيقة لهذه العمرة. والكلمة الكلدانية تشير إلى ما يشبه العمامة (راجع قاموس بختورف Buxtorf). أما القاموس (المحيط) فيفسر القبعة بالبرنس.

(٢) ظهر لدى التحقيق إن الكلمة بالسريانية (قبعو) وبالكلدانية (قبعاً) وبالعبرية (قوبع) - (المترجم).

ويستعمله الرجال والنساء، دائماً وعلى حد سواء، داخل الحمامات، ولكن النساء لا يلبسنه في بيوتهن إلا نادراً. وبعضهن لا يلبسنه إلا لتفادي تجرير ذلّ أثوابهن على الأرض، وبعضهن يستعملنه لإطالة قاماتهن: أي لإظهار أنهن طويلات القامات. ويقول برگهارت (الأمثال العربية، ر ١٤٣) رايأ هذا المثل: بدال مشيك بقبابك شيلي شراميطك من أكعابك (بدلاً من المشي على القباب ارفعي اسمالك عن كعبيك) وتعني الشرموطة في مصر العاهرة.. والقباقيب هي عكاكيز échasses أو بواييج من الخشب mules de bois ولها من الارتفاع أربع أو خمس عقد، فوقها تدب النساء في الحمامات وتدرج عليها نساء طبقة النبلاء في بيوتهن. ونساء الطبقات الراقية يزركشن قباقيبهن بمختلف القنازع الفضية ويطرزنها ويرصعنها بأصداق اللآلئ».

وبوسعكم رؤية كل هذا النوع الغريب من الأحذية في كتاب «بلون، ملاحظات، ص ٢٣٤ (Belon, observations) حيث إحدى النساء تلبس مزلجين يعلوان عن الأرض كثيراً». ويقول كوپان في كتابه، درع أوروبا، ص ٢٢٠، في معرض حديثه عن نساء القاهرة: «لهن مزالج تعلو ست أو سبع عقد عن سطح الأرض، ولا وجود صنعها إلا في إيطاليا».

ونجد القباقيب كذلك في سورية. فإن راوولف في كتابه (وصف حقيقي لرحلة، ص ٥٠) يعبر عن ذلك بهذه الكلمات: «في البيوت والدروب يلبسون كذلك غالباً أحذية من الخشب (holzschüch) وهي تعلو عن الأرض أكثر من خمسة عشر سنتيمتراً، وهي مقورة تقويراً عميقاً من الباطن، في الوسط، بين القطعتين الخشبيتين اللتين تمانان الأرض، وهي مطلية طلاء جميلاً بعدة ألوان. وتلبسها النساء كذلك».

ونرى من (كتاب كورني دي برين، الرحلات، ص ٣٦٢)

Corneille de Bruyn, Reizen إن هذا الحذاء كانت تلبسه كذلك سيدات حلب. ويعطينا هذا الرحالة شكله (ص ١٨٩). وما يزال مستعملاً في هذه البلدة حتى أيامنا هذه، لأن ريشتر في كتابه، رحلة إلى الشرق الأوسط، ص ٢٦٣ يقول: «النساء في بيوتهن يدرجن فوق المزالج الأنيقة المرصعة بأصداف اللآلئ» (Stelzschuhen) والقباقيب شائعة الاستعمال أيضاً في بلاد العرب. فالأعراب يلبسونها غالباً في منازلهم، كما ذكر ذلك نيبور في كتابه، وصف الجزيرة العربية، ص ٦٠ ويعطينا شكلها (اللوحة ٢، أ.ب.س. (A.B.C.)).

ولما كان لهذا النوع من الحذاء ارتفاع يبلغ عدة عقد، قلن يظهر بمظهر الغرابة أن للور Le Lors، بشهادة مؤلف مسالك الأبصار (ملاحظات ومقتبسات، ج ٨، ص ٣٣١) كان يمشي على الحبل وهو لابس القبقاب، فيشده المتفرجين، ذلك لأن فن الرقص على الحبال في مصر وسورية لم يكن قد وصل بعد إلى هذه الدرجة من الكمال العجيب التي بلغها في بلادنا.

ولم أقع على هذا الحذاء لا في المغرب ولا في الأقطار الشرقية. ومع ذلك فيبدو أنه كان شائع الاستعمال في أسبانيا، ذلك لأن بيدرو دي الكالا يترجم كلمات çanco de palo بكلمة قبقاب.

القَبِيلَة - القَبْلَار - القَبْلَار - القَبَنُور



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكن في اللغة الأسبانية تعني كلمة Capilla القبع، Capuchon. وقد تسللت إلى لغة عرب أسبانية، ذلك لأن بيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية) يترجم Capilla de capa بـ قبيلة - وجمعها قبائل. أي قبع المعطف.

ومن Capilla تألفت Capellar أو Capillar - معطف له قبع . ويفسر كوبروفياس (كنز اللغة القشتالية - مدريد - ١٦١١) : Capellar بأنه :

(La cubierta a la Morisca, que sacan en los juegos de canas por librea, de marlota y capzilar).

ويبدو أن مغاربة أسبانيا كانوا يلبسون آل capellar فوق المرلوطة marlota وإن المؤلفين الأسبان يتحدثون كثيراً عن ال Marlota y capellar التي كان يلبسها الفرسان العرب . (راجع أغاني الموريسكيين الشعبية، ص ٦٠، ١٣٠ - ١٣١، ١٤٧ - وانظر حروب غرناطة الأهلية، ص ١٦٢، ١٧٥، ٢٠٠، ٢٣٧). وإذا آمنا بما يقوله شارح قديم للحروب الأهلية (ص ١٠٩) فإن كلمة Capellar تشير إلى برنس صغير على الطريقة التركية يشد تحت الذراع اليمنى . وفي كتاب (كنز اللغات الثلاثة) لفيكاتور (جنيف ١٦٠٩) كما في (كنز سيزار أودان) (بروكسل ١٦٢٥) نجد كلمة capellar مترجمة بكلمتي: معطف الجندرمة . Manteau de gendarme

وعلى الرغم من ذلك يظهر أن كلمة قبلار كانت تعني في لغة التخاطب العربية في أسبانيا القبع Capuchon وليس المعطف أو الإزار، ذلك لأن بيدرو دي الكالا يترجم (capuchon) capirote vestidura بكلمة قبلار وجمعها قبلارات، ويظهر أن قبيلة كانت شائعة الاستعمال بمعنى المعطف القبعي manteau à capuchon، لأن المؤلف المذكور يترجم cugulla con capilla بقبيلة، وجمعها قبابل .

والأمر في المغرب معكوس . فقبلار كانت تستعمل للدلالة على المعطف المقبع manteau à capuchon إذ يقول ديبغو دي توريس في كتابه (قصة الشرفاء، ص ٨٦) عن سكان مراكش: «إن ملابس الرؤساء مشغولة من الحرير، وهم يسمونها capellares - وهي شبه معاطف

طويلة، ولها إقباع capussons أو cabans (راجع كلمة قبع) من الحرير أو الصوف». ويقول مارمول (وصف أفريقيا، ج ٢، ص ١٠٢، مج ٢): «إن العمال والرجال من سواد الشعب الآخرين، ولا سيما العساكر المشاة ورماة البنادق والقواسين الخيالة، يرتدون معاطف يسمونها capellares، مصنوعة من الجوخ الأزرق أو من لون آخر فوق اللباس المحتمل أن يكون القفطان». وتقرأ في بحث دابر (وصف حقيقي دقيق لأقاليم أفريقيا - ٢٤٠ - مج ٢) عن أزياء السفراء المراكشيين الذين وصلوا إلى امستردام عام ١٦٥٩: «إن السفير محمد كان يرتدي كركا قريب الشبه بـ Chanijf (خنيف) السفير إبراهيم الدوك - ولكن كان له من الخلف قبع له قنزعة^(١) كما يمكن رؤية ذلك في الشكل المرفق. واسم هذا اللباس Bomouz (برنوس) أو Bornos (برنس) ولكنه كان مقفلاً من الخلف تماماً. ويصنع عادة من شعر الماعز - المرعز - مثلاً - أو من صوف نعجة سوداء - واسمه بالعربية Kalmooz أو Sjaraba ويسمى الكپوشون Kob- Le capuchon (القبعة) ولكن قلما يستعملونه لتغطية رؤوسهم».

ولم أعر على كلمة Kabbenur قبنور في موضع آخر - وأعتقد أن كلمة Kabba هي الكلمة الأسبانية Capa - ولكنني لا أستطيع تقديم أي تخمين حول المقطع الأخير nur.

القباء



لو آمنا بما يقوله فريتاگ Freytag لقراءنا لدى الجوهري:

«Tunica virilis exterior. persica: Quae sub axillis per obliquum duplicatur».

(١) القنزعة Houppé- Flocon تسمى كذلك شرابة.

وترجمة هذه العبارة: «لباس خارجي للرجال، فارسي الأصل، يطوي تحت الإبط بصورة منحرفة». ولكن لسوء الطالع لم يقل الجوهري كلمة واحدة من هذه الكلمات المزعومة^(١).

والرحالة الأوروبي الوحيد الذي أوضح لي ماهية قباء الأعراب هو راولف، الذي جاس خلال الشرق عام ١٥٧٣، فهو يقول واصفاً زيه الذي اصطفاه لنفسه بغية السفر من حلب إلى بغداد (وصف حقيقي للرحلات، ص ١٣٣) إنه هو نفسه ورفاقه أوصوا لأنفسهم بادیء الأمر بعمل (أقبية Cabas) طويلة زرقاء (Blawe lange caban)، كانت مقلدة من الأمام بأزرار، ومقورة تمام التقوير في موضع الرقبة، وهي تشبه بعض الشبه ملابس الأرمن (Der Armenier nit ungleich) فعسى أن يكون هذا الثوب هو نفس الثوب الذي تحدث عنه آنفاً (ص ٤٩)، في معرض وصفه لأزياء سكان طرابلس: «إنهم يحبون الملابس البديعة الألوان، إذا لم تكلفهم غالباً، وهذه الملابس مقبولة الطول ولها أزرار من الجهة الأمامية». وتحت هذا اللباس الجبة. إذن فالقباء قد احتل مكانة فرجية في أيامنا هذه. (ولا مشاحة أن كوتوفيك حين يكتب في كتابه، رحلة، ص ٤٨٧، كلمة Gaba يعني بها العباءة وليس القباء). وعلى النقيض من ذلك هناك نصان من تاريخ اليمن يحملان على التفكير بأن القباء هو القفطان نفسه. وعلى هذا فإن القفطان يلبس تحت الجبة. فنحن نقرأ في هذا الكتاب (مخ ٤٧٧، ص ٢٩٨): «خلع على الأمير - خلة نبيلة»^(٢) من أجل

(١) لقد صدق دوزي. لا وجود لكلمة قباء في قاموس الجوهري. (المترجم).

(٢) ينبغي إضافة معنى كلمة Magnifique التي تعطي صفة نبيل أحياناً، إلى القاموس. فنحن نقرأ في موضع آخر من تاريخ اليمن (مخ، ص ٣٠٣): «أمر لهما بصلة نبيلة». وكلمة نبيل كذلك تؤخذ بمعنى لطيف ورقيق وبمعنى البشاشة. فنحن نقرأ في كتاب المراكشي (المعجب، مخ ٥٤١، ص ١٢٩): «تلقاه لقاء نبلاً».

القفاطين القباء». وفي موضع آخر: (ص ٣١٩): «خلع على إبراهيم بن المطاهر قفطاناً من القباء الصراصر»^(١). والعلة التي تجعل هذه النقطة وافية الغموض، هو أنه، منذ أكثر من مرتين، لم يعد هذا اللباس يرتدي من قبل العرب. والمؤلفون القدامى لهذه الأمة لا يصفون حاجة كانت معروفة من قبل العموم في زمانهم، والرحالة الأوروبيون لم يستطيعوا أن يصفوا الأشياء التي لم يعد لها وجود أثناء زياراتهم للأقطار العربية.

لقد كان القباء شائع الاستعمال في عهد الرسول ﷺ. فنحن واجدون في صحيح البخاري (ج ٢، مخ ٣٥٦، ص ١٦٧) باباً عنوانه: «باب القباء وفروج حرير نقرأ فيه»: «قسم رسول الله ﷺ أقبية ولم يعط مخرمة شيئاً. فقال مخرمة: «يا بني انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ». فانطلقت معه. فقال: «ادخل فادعه لي». قال: فدعوته له. فخرج إليه وعليه قباء منها. فقال: «خبأت هذا لك» قال: فنظر إليه فقال: «رضى مخرمة». ويقرر المقرئ (وصف مصر، ج ٢، ص ٣٥٠)، إن الأمراء والجنود والسلطان نفسه كانت ملابسهم أيام الدولة الجركسية هي: (أقبية أما بيض أو مشهرة أحمر

(١) كلمة صراصر التي لا وجود لها في القاموس تعني العظيم، ولا يظهر إنها تستعمل إلا في معرض الحديث عن الجمال من النوع المسمى بختي. ويتحتم علي أن أعترف إنني لم أعثر في موضع آخر على كلمة صرصور وجمعها صراصر، بمعنى نبيل، عظيم: Magnifique الذي تعنيه دون شك هنا. ولكنني سأحملكم على ملاحظة إن كلمة عظيم التي لا وجود لها أيضاً في القاموس، إلا بمعنى كبير، تعبر غالباً عن فكرة نبيل، لطيف، رائع، فاخر. فنحن نقرأ في تاريخ اليمن (مخ، ص ٢١): «خلع عليه خلعة عظيمة». وفي موضع آخر (ص ٦١): «دخل الأمير عبد الله مدينة صنعاء في هيئة عظيمة». وكذلك (المرجع السالف): «عمل هنالك سماطاً عظيماً لم ير مثله». وأخيراً (ص ٢٩٨): «فدخل مدينة صنعاء ذلك اليوم في هيئة عظيمة والزمير والطبل معه والأعلام». ويقول المقرئ (لدى سيلفستر دي ساسي، طرائف عربية، ح ٢، ص ٤٣): «كانت جنازته عظيمة».

وأزرق وهي ضيقة الأكمام على هيئة ملابس الفرنج اليوم^(١). وبعد ذلك (ص ٣٥١) يعلمنا نفس المؤلف أن السلطان المنصور قلاوون أبطل لبس الكم الضيق: (ابطلوا لبس الكم الضيق) وإن ابنه الملك الأشرف خليل أعطى لخاصكيته Khâssékis ولممالكه «الأقبية الأطلس المعدني»^(٢) Des kabâs de satin madini وكانت الأقبية تعمل بصورة عامة من الأطلس كما يظهر. فنحن نقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ ٢م، ص ٤٩): «خلع عليه قباء أطلس وشربوش» وبعد ذلك: «قباء أطلس أسود». وفي موضع آخر (مخ ٢ن، ص ٢٦، حوادث عام ٦٨١): «وقف بين يدي السلطان ألف مملوك وخمس مائة مملوك عليهم الأقبية الأطلس الأحمر بالطرز والكلوات الزركش». وفي كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناتن، ج ٢، ص ١٥٩): «وعلى ذلك قباء من الأطلس الأحمر».

وكان القباء كذلك مفرد في بعض الأحيان (المقريزي، وصف مصر، ج ٢، مخ ٣٧٢، ص ٣٥٨)^(٣). فنحن نقرأ في تاريخ مصر لابن

(١) إن مخطوطة (ب) ترسم الكلمة مشهرة، وكلمة مشهر لا وجود لها في القاموس، ولكنني أعتقد إنها تشير إلى الجزء الخارجي من الثوب.

(٢) راجع حول كلمة معدني (ص ٨٣، موضوع: البغلطاق).

(٣) كلمة (طرز) موجودة في تاريخ أبي الفداء (ج ٥، ص ٨٠) وفي نص لابن خلدون منشور من قبل سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية، ج ٢، ص ١١٨). ولا وجود لها في القاموس. وقد بدل فيرس كلمة طرز في هذه النصوص إلى كلمة طرز، في إحدى ملاحظاته على تاريخ اليمن لمؤلفه Butgers (ص ١٣٥). وعلى الرغم من وجود كلمة طرز في قاموس Richardson بمعنى حاشية أو حواش مطرزة في ثوب من الأثواب، فلا ينبغي معارضة شهادة قاموس برأي عالم، مهما كان شهيراً، ولكن بنصوص عديدة لمؤلفين كثيرين. وهاهم. وإنني أقرأ في تاريخ مصر لابن إياس (مخ، ص ١٢٩): «جبة سوداء بطرز ذهب». وبعد ذلك (ص ٢٤٢): «جبة سوداء بطرز زركش». وفي تاريخ الطولونيين للنويري (مخ ٢ك (٢) ص ١١): «اسقط أحمد =

إياس (مخ٣٦٧، ص٨٨): «قباء حرير بنفسجي يفري بقاقم مطرز بطرز

= دعوة الموفق وقلع اسمه من الطرز. فلما بلغ الموفق ذلك أمر بلعن أحمد بن طولون في المنابر في سائر الأمصار». وفي مخطوطة بخط المؤلف النويري (تاريخ مصر، مخ١٩ب، ص٢٥): «خلع الأطلس المعدني بطرز الزركش». وفي موضع آخر: «فخلع على المشار إليه منهم أطلس معدنياً بطرز زركش». وأخيراً (ص١٣٥): «تشریف أطلس معدني بطرز زركش». وفي كل نصوص هذه المخطوطات ترد كلمة طرز وليس كلمة طرز.

وتعني كلمة طرز أيضاً: «أقمشة زركش». فلإني أقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ٢، ص٩): «أحضر الصندوق إلى الديوان السلطاني وفتح واعتبر ما فيه من الذهب حوائص ذهب وطرز زركش». وفي موضع آخر (مخ٢، ص١١٠): «ركبوا بالكلاوات الزركش والطرز الزركش». وفي تاريخ مصر لابن إياس (مخ، ص١٠٠): «ووجد له عند شخص إسكاف بقج فيها طرز زركش وحوائص ذهب وكنابيش ما يعلم لها عدة». وتوجد كلمة طروزات في نفس المفهوم لدى ابن بطوطة (الرحلة، مخدي غايانگوس ص١٠٧): «فرجة قدسي وتحتها من ثياب مصر وطروزاتها الحسان». (وكلمة قدسي التي لا أعرف أصلها ومعناها موجودة في ثلاثة نصوص أخرى لابن بطوطة)، بوصفها تشير إلى نوع قماش. فنحن نقرأ لدى هذا المؤلف (مخ، ص١٢٩): «ثياباً من الملف والمرعز والقدسي والكمخا». وفي موضع آخر (ص١٣٠): «ثوب قدسي». وأخيراً (١٥٩): «وكان عليه في ذلك الحين قباء قدسي أخضر. وعلى رأسه شاشية مثله». وكلمة طرازات لها نفس المعنى. فإني أقرأ لدى المقريزي (وصف مصر، ح٢، مخ٣٧٢، ص٣٥١): «كلفتات الزركش والطرازات الزركش والكنابيش الزركش».

وسأشر بهذا الصدد نص المقريزي هذا بتمامه، لأنه من الأهمية في الذروة في معرفة مختلف أنواع الفراء المستعملة في مصر، أيام حكم الدولة الجركسية: «ثم سكن فيه صناع الفراء وتجاره فعرف بهم وصار بهذا السوق في أيام الملك الظاهر برقوق من أنواع الفرو ما يبجل أثمانها وتتضاعف قيمها لكثرة استعمال رجال الدولة من الأمراء والمماليك لبس السمور والوشق والقاقم والسنباج بعدما كان ذلك في الدولة التركية من أعز الأشياء التي لا يستطيع أحد لبسها. وقد أخبرني الطواشي الفقيه الكاتب الحاسب الصوفي زين الدين مقل الرومي الجنس المعروف بالشامي =

ذهب يلبغوي عريض (نسبة للسلطان يلبوغا)^(١). وما كان هو قباء سلاي كان البغلطاق (راجع هذه الكلمة).

= عتيق السلطان الملك الناصر الحسن بن محمد قلاوون إنه وجد في تركة بعض أمراء السلطان حسن قباء بفرو قاقم فاستكثر ذلك عليه وتعجب منه وصار يحكي ذلك مدة لعة هذا الصنف واحترامه لكونه من ملابس السلطان وملابس نسائه. ثم تبدلت الأصناف المذكورة حتى صار يلبس السمرور آحاد الأجناد وآحاد الكتاب وكثير من العوام. ولا تكاد امرأة من نساء بياض الناس تخلو من لبس السمرور ونحوه. وإلى الآن عند الناس من هذا الصنف وغيره من القرو شيء كثير.

(١) لا وجود لكلمة سمرور في القاموس العربي. ويفسر دي برين (الرحلات، ص ١٣٢، الخ)، كلمة سمرور Samour بكلمة (Sabel) Zibeline) ويذهب المذهب نفسه يتفنو قصة رحلة إلى المشرق، ص ٥٦: «وفي الشتاء يطنون فراجيهم بالفرو الثمين، وأصحاب الاقتدار ينفقون عن إرادة وطواعية أربعمئة أو خمسمئة قرش للحصول على بطانة سمرور». والكتاب العرب يرسمون هذه الكلمة طوراً بـ(سمور) وتارة بـ(صمور). فنحن نقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخدي غايانگوس، ص ١٤٥): «والسمرور دون ذلك تساوي الفروة منه أربعمئة دينار فما دونها. ومن خاصة هذه الجلود إنها لا يدخلها القمل. وأمراء الصين وكبراؤها يجعلون منه الجلد الواحد متصلاً بفرواتهم عند العنق وكذلك تجار فارس والعراقيين». وبعد ذلك (مخ، ص ١٤٧): «واجتمع لي من الخيل والثياب وفروا السنجاب والسمرور جملة». وفي موضع آخر (مخ، ص ١٥٦): «بعثت إليّ بفروة سمرور». وبعد ذلك (ص ١٦٠): «أعطاني السلطان فروة سمرور تساوي مائة دينار وطلبته منه لأجل البرد». ونجد في نفح الطيب للمقري (مخدي غوتا، ص ٧٧): «مائة جلد سمرور». كذا. (انظر كذلك المرجع السالف ص ٤٠). والكلمة مرسومة بـ(صمور) في تاريخ ابن إياس (مخ ٣٦٧، ص ٣٥، ٤٨، ١٢٣، إلخ).

وكلمة وشق لا وجود لها في القاموس أيضاً. وبتسميتي لها: Le loup-cervier تابعة ري منينسكي Meninski وهي كثيرة الوقوع في كتاب ابن إياس.

وتشير كلمة قاقم بكل تأكيد إلى ما يسمى l'hermine، ذلك لأننا نقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخدي غايانگوس، ص ١٤٥): «والقاقم هو أحسن أنواع الفراء. وتساوي الفروة منه ببلاد الهند ألف دينار وصرفها ذنبها مائتان وخمسون وهي شديدة البياض =

ويظهر أن القباء تلقى تسمية الإسلامي، لأننا نقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ ١٩ ب، ص ١٣٥): «ركب في الموكب بالأقبية الإسلامية والكلوتة والشاش على عادة العساكر المصرية». ويذكر مؤلف مسالك الأبصار، والمقريري كذلك، راجع: (ملاحظات ومقتبسات، ج ٨، ص ٢١٣، ٢٩٥) الأقبية الإسلامية، ويعني هذان المؤلفان ولا ريب الأقبية المفصلة على الطريقة العربية، تمييزاً لها عن التتاريات Tatars (انظر المرجع السابق)، وعن السلاريات Selaris وغير ذلك.

وتسمى أحياناً بالأقبية معاطف الفرسان النصارى وذلك من قبل المؤلفين العرب. فنحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنان، ج ١، ص ٣٨٨): «وإذا بالفارس المقدم عليهم لابس قباء أزرق من أطلس - ومن فوقه زردية ضيقة العيون». ويقول المقرري، أو بالأحرى ابن سعيد لدى فريتاغ (طرائف عربية، ص ١٤٧) إن أقبية عرب الأندلس كانت معمولة من الأرجوان (الأسقلاط) وكانت تشبه أقبية المسيحيين. وإذا لم نكن قد صورنا القباء العربي إلا تصويراً يعتوره النقص، فإننا على العكس من ذلك نعرف معرفة عجيبة صورة قباء الفرس. وإليك وصفه على لسان شاردان (الأسفار، ص ٦٧، ٦٨): «ثوب يسمى Gabai واسع يشبه فستان المرأة ولكنه شديد الضيق من الأعلى، يمر مرتين فوق البطن، ويشد تحت الذراع: الشدة الأولى تحت الذراع اليسرى، والشدة الثانية وهي شدة الفوق، تحت الذراع اليمنى. وهذا الثوب مقور على الهيئة التي يراها عليه في الشكل الجانبي. وله كُمان قصيران، ولكن لما كانا أطول مما ينبغي، فإنهما يثنيان إلى أعلى الذراعين ويزرران حول المعصم. ويلبس

= من جلد حيوان صغير في طول الشبر وذنبها طويل يتركونه في الفروة على حاله.
هذا هو الوصف للحيوان الذي نسميه Hermine هو غاية في الدقة.

الفرسان كذلك أقيية على النمط الجيورجي، وهي لا تختلف عن الأقيية الأخرى إلا بكونها مفتوحة من جهة البطن ولها أزرار وقياطين. وبالرغم من أن هذا الثوب ضيق حول الوسط، فإنه يربط في هذا الموضع بحزامين أو ثلاثة أحزمة فوقية، مطوية طيتين، عرضها أربع أصابع، فاخرة نظيفة، وهذه الحالة تجعل الثوب يبرز فوق البطن جيباً واسعاً قوياً، حيث تصر الأشياء الثمينة فتكون في حرز حريز من جيوب أعالي سراويلاتنا. والوصف التالي، الذي يقدمه تيفنو في (ذيل رحلة إلى المشرق، ص ١٧٣) مفصل تفصيلاً أوفى: «إنهم يلبسون فوق ملابسهم سترة يسمونها قباء Caba معمولة عادة من تيل القطن الناعم للغاية، الملون باللون الأحمر والأصفر والأخضر أو بلون آخر على هوى اللابس، وهو ناعم الملمس حتى ليكاد يشبه الأطلس. وهذه السترة القطنية المزركشة تهبط حتى منتصف الساق. وهي مقورة كل التقوير من الأمام، وينساب الجانب الأيمن على البطن تماماً، ويجري ليستقر تحت الإبط بمعونة شرائط، ويمتد الجانب الأيسر فوقاً حتى يتصل بالجانب الأيمن بقياطين، وينفرد قيطان واحد بعدم الارتباط بشيء البتة، ولكنه يتعلق بالقياطين الأخرى. وهكذا تدع هذه الأشرطة البطن مستوراتاً مضغوطة للغاية، لأن هذا اللباس يمس الجسم مباشرة حتى الوسط الذي هو غاية في الضيق، ومن موضع الوسط يأخذ في الاتساع بحيث يبدو وكأنه ناقوس من الأسفل، ويستدير كما لو كان هناك دائرة من حديد، وهذا بفعل القطن المحصور فيه. وكما هذا الثوب عرضهما عرض الذراع تماماً، ولكنهما أطول من الذراع كثيراً، ولذلك يطويان لثلا يفلت المعصم من هذا الطوق. وبعضهم يلبسون هذه الأقيية مقفلة بدون أزرار حول المعصم، ولكن الذين ينشدون الراحة يضعون فيها أزراراً، والكثيرون من الفرس والأرمن يفضلون هذه السهولة التي تعلموها من الفرنج، وهذه الحالة

تقفل الكم تماماً في موقع المعصم، وتحول دون دخول الهواء. وتكون هذه الأقبية في العادة معمولة من التيل الملون بلون واحد فقط، وفي حالات كثيرة يتخذها أصحاب المقامات العالية من الأطلس أو الزربافت Zerbaft، وهي زركش فارس، وبعضهم يختارها في الصيف من الأليجة Aledgia وليس من القطن». ويقول تيفنو بعد ذلك (نفس المرجع، ص ١٧٥): «يجب أن يكون معك دائماً خادم لعقد قياطين القباء: لذلك فإن معظمهم لا يعقدون إلا شريطاً واحداً ويرسلون بقية الشرائط على رسلها. - ولأجل أن تبقى الأقبية نظيفة على الدوام، فإنهم يتجددون منها حال استقرارهم في منازلهم ويبدلون كل يوم قباء، وكل عشرة أشهر يرتدون مجدداً أحد هذه الأقبية التي سبق لهم ارتداؤها، إذا ظنوه نظيفاً، لأنهم لا يتذكرون رويتهم له. ويثمنون الإنسان بنظافته وجمال ثيابه». راجع أيضاً تافرنيه (الأسفار، ج ١، ص ٦٢٩) الذي يكتب كلمة القباء هكذا: Cabaye. وانظر فريزر، (رحلة إلى خراسان، ص ٦٩). وهو يرسم كلمة القباء هذا الرسم: Kabba. ومن الاسم المفرد (قباي) الفارسية ألف الهولنديون كلمتهم: Kabaai، تلك الكلمة التي يستعملونها للإشارة إلى رداء البيت: Robe de chambre.

القُرْطُق



يقول القاموس (ط كلكتا، ص ١٣٣٠): «لبس معروف معرب كُرْتَه». وعلى ذلك فإن كلمة كُرْتَه أو كُرْتَه تشير في اللغة الفارسية، طبقاً لمذهب قاموس ريجاردسون Richardson إلى: «سترة قصيرة أو قميص، وهذه السترة تسبل على الكتفين وتنساب حتى وسط الجسم». ويبدو أن الكلمة الفارسية كرتي لها نفس المعنى، وإن مصغر الكلمة كرتك يشير إلى

«قميص يلي الجسم مباشرة، وله كمان يصلان إلى المرفقين». وطالما تغنى الشعراء العرب بقراطق حبايبهم ومحظياتهم وجواريهم؛ راجع مثلاً بيتا أورده (ابن خلكان، ج ١، ص ٣٦٤). وعلاوة على ذلك فإننا نعلم أن الفرس كانوا يلفظون قديماً الهاء بقوة أشد من لفظهم لها في أيامنا هذه؛ وإن العرب يقابلون هذا الحرف أو هذا الصوت بقافهم.

القُرُق

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي تشير لدى عرب الأندلس إلى صندل قاعدته الداخلية من الفلين، وكلمة قرق تقابل كلمة *alcorque* الأسبانية. وإن أصل هذه الكلمة غامض، لديّ، والكلمات التي تستعمل في العربية لتعيين كلمة *liège* - فلين، والتي ستقرأونها، لا وجود لها في القاموس. ويقول كوبروفياس في كتابه: (الكنز، مدريد، ص ١٦١١) حول كلمة الكورنوك: (*alcornoque* (alcornoque, cortiche, cortich, Alcalá) «ويطلق عليها اللاتين اسم *suber* وهي نوع من الأشجار الفلينية تشبه شجرة السنديان بمتانة عودها وصلابة خشبها وتشبه أيضاً بثمرها وأوراقها شجرة البلوط القرمزية الدائمة الخضرة، وتختلف عنها بقلّة أغصانها وبكثافة قشرتها، التي غالباً ما تنسلخ عنها لتعاود الطبيعة إكساءها مجدداً».

وكلمة *al dorque* كلمة عربية الأصل، كانت تستعمل غالباً لوصف شخص بالعري أو بسوء الهندام نسبة إلى ما أشرنا إليه حول انسلاخ قشرة الشجرة، ليصنع من هذه القشرة نوع من النعال للنسوة الصغيرات، وهو الموضوع الذي كتب عنه الدكتور لاغونا *Laguna* أشياء جميلة كثيرة، في تعليقاته على *Diosc. lib. 1, cap. 121*. ومن كلمة *dorque* جاءت كلمة

cirque ومنها اشتقت الكلمة corcho «الفلين» في (نعال خشب الفلين المصنوع من شجرة الفلين).

ودخلت أداة التعريف العربية «ال» على كلمة corque لكي تصبح alcorque وهي، كما سبق إن قلنا، نوع من مداس للقدمين صنع نعله من خشب الفلين». (ترجمة لويس رومانوس).

المَقْرُونَة



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي تشير، حسب مذهب برگهاترت (ملاحظات على البدو والوهابيين، ص ٢٨) إلى نفس المادة التي تشير إليها كلمة شوبر، أي إلى الطرحة التي تضعها النساء البدويات على الرأس. وتختارها الكواعب النواهد حمراء، وتصطفينها العجائز الفواني سوداء.

القَشَاب



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويترجم دونباي (ص ٨٢) هذه الكلمة بـ: Indusium sine manicis ولعلها نفس الكلمة التي يكتبها هوست في كتابه (أخبار من مراکش، ص ١١٥) على هذه الصورة: Keséb (كزب)، ويقول المؤلف أن هذا الكزب هو قميص من الصوف بلا كمين، ويلبس بدلاً من القفطان. انظر اللوحة ١٦ من الكتاب المذكور. ويتحدث لمبريير Lempriere في كتابه (رحلة إلى مراکش، ص ٣٩) عن الكاشوف Le cashove الذي يرتديه الرجال والنساء من البدو في مراکش. ويقول هذا الرحالة عن هذا الكاشوف القشاب «إنه ثوب طويل غليظ محروم من الصباغ يشد

حول الوسط . وتلبسه النساء بشكل يؤلفن منه كيساً فوق الظهر، يحملن فيه أولادهن». ولعل هذه الكلمة ليست عربية الأصل، وسأحملكم على ملاحظة إن كلمة Kusabo تعنى لدى المندنكو Mandingos - أهل مالي - كساء أو معطفاً.

راجع (قواعد لغة المندنكو، ص ٤١): Macbrair, Grammar of the Mandingo language.^(١)

القُفَّاص



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويترجم بيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية) كلمة Guante بكلمة قفاص، والجمع قفافيص، ويترجم كلمات Calçado cosa de Guantes بكلمتي: ملابس القفاص، و Guante بكلمة قفاص. ويفسر كانيس Canes كذلك في قاموسه، ج ٢، ص ٢٠٤ (Diccionario) كلمة Guantes بكلمة قفز (كذا). وقد جعلتنا الكلمة العربية نفسها نفكر في إنها قفاز على هيئة شبكة، قفاز مشبك. ذلك لأن كلمة قفص، وهي الكلمة الموجودة في القاموس بمعنى Reticularis و Cavea avis تعني، على سبيل المثال، سلة معمولة من أغصان النخلة (خوص السعف) المبروم برماً شديداً (برگهارت، الأمثال العربية، ر ٣١٠، لين ألف ليلة وليلة، ج ٢١ ص ٢١٠، النويري، تاريخ مصر، مخ ٢، ص ٣٣). وكلمة

(١) قال دوزي في كتابه: (تكملة المعاجم العربية، ح ٢، ص ٣٤٨) ما يلي: «لقد ظننت سابقاً إن هذه الكلمة هي من لغة المالين Mandingos وكنت متوهماً، ذلك لأن Macbrair يقول (٣ - ٢٩٧) إن هذا اللباس يحمل لدى هذا الشعب اسم دوريكى».

قفاز، ولعلها نفس الكلمة، تعني فزاعة épouvantail معمولة من قطع الخشب الخفيفة (برگهارت، ر ١٤٥). والواقع أن بيدرو دي الكالا يفسر كلمتي مونابلا ارمادورا بكلمة قفاص، وجمعها قفايص. وتعني مانوبلا Manopla كما نعلم، قفازاً حديدياً، أو جلدياً.

القُلَصَة



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي الكلمة الأسبانية كالزاس، التي تسللت إلى لغة عرب الأندلس، ذلك لأن بيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية) يفسر كلمة كالساس Calças بكلمة قلصة، وجمعها قلصات، ويفسر كلمات: Calçada cosa de calças بكلمتي ملابس القلصات. ونحن نعلم إن كالزا calza تعني سروالاً، بنظروناً: Chausses, pantalon. وكلمة قلصات لها في مالطة نفس المعنى. (راجع فاسيلي في كتابه قويميس مالطي، مج ١، ص ٤٠).

القُلَنْسُوة، القُلَنْسِيَة



يقول لين (ألف ليلة وليلة، ج ١، ص ٢٢٣ الطبعة الانكليزية) هذه الحاجة موصوفة بصورة غامضة من قبل المعجميين العرب، بحيث إنني لا أستطيع الحصول على فكرة دقيقة محددة عن شكلها.

هذه الكلمات من أعظم العارفين بأخلاق وعادات العرب، يجب دون ريب أن تسقط القلم من يدي، والأتعس من ذلك إن هذه الكلمة، حسب علمي، لم يذكرها أي رحالة أوروبي قدر له أن يزور الشرق في أية

حقبة من الحقب، بالإضافة إلى أن تنقيباتي الخاصة لدى المؤلفين العرب عادت تجر أذيال الفشل. ومع ذلك فيخيل إليّ، بالرغم من أنني لا أعرض كل ما أعرض بوصفه واقعة ليس إلى نكرانها من سبيل، إن هذه الكلمة تشير إلى الطاقية التي توضع تحت العمامة (شقة البز)، وهي مرادفة لكلمة طربوش، الطربوش المستعمل في هذه الآونة. وإليك صورة كيفية وصولي إلى هذه النتيجة.

قبل كل شيء، سأحملكم على ملاحظة عدم وجود كلمة أخرى في اللغة العربية، حسب علمي، بمقدورها أن تعين الكلوتة (الطاقية، العرقية) التي تحاط بشقة من البز لتأليف أو تكوير العمامة التامة على هذا المنوال. وعلى ذلك فهناك أسانيد كثيرة تثبت أن العرب القدامى لم يكونوا يضعون الكلوتة تحت العمامة. وفضلاً عن ذلك، فإن الرحالة المغربي ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي غايانگوس، ص ١٥٢) يقول، في وصفه لعاصمة الامبراطورية البيزنطية: «ودخلت مع الرومي الذي عينه الملك للركوب معي إلى مانستار يشقه نهر وفيه كنيسة فيها نحو خمسمائة بكر عليهن المسوح ورؤوسهن محلوقة عليها قلانس اللبد ولهن جمال فائق وعليهن أثر العبادة». وبعد ذلك (نفس المرجع)، يقول ابن بطوطة في الباب المعنون ذكر الملك المترهب جرجيس (الملك الامبراطور) جورج المترهب: «إذا بهذا الملك ماشياً على قدميه وعليه المسوح وعلى رأسه قلنسوة لبد».

وأرى من المحتمل كل المحتمل أن الرهبان والراهبات في القسطنطينية كانوا يلبسون القلانس. ويقول الرحالة المذكور أيضاً في مادة قباشاق Le Kiptchak حيث النساء ملكات^(١) (ورقة ١٤١): «وربما

(١) تذكروا قصيدة شاعر فرنسا الجميلة، المعنونة: (La nostalgie).

كان مع المرأة منهن زوجها فيظنه من يراه بعض خدامها ولا يكون عليه من الثياب إلا فروة من جلود الغنم وفي رأسه قلنسوة تناسب ذلك يسمونها «الكلا». و يترجم الزمخشري: «مقدمة الأدب (Zamakhschari Lexicon)» «(62) Arab. Pers., part. 1, pag. 62 قلنسوة بكلمة (كلاه)».

ونجد في موضع آخر لدى ابن بطوطة (مخ، ص ٨٣): «نزع شاشيته عن رأسه وهم يسمونها الكلا». وكلمة (كلا) الفارسية الموجودة في هذه النصوص تشير إلى الكلوتة Calotte أو الطاقية أو العرقية (راجع تعليقة لانجليس Langlès على رحلات شاردان: Voyages de Chardin وكلمة شاشية لها نفس المعنى).

وأخيراً فإن المؤلفين العرب طالما ذكروا أن الأولياء أو الرهبان في الشرق يلبسون القلنسوة. وعلى ذلك فإن عمارة هؤلاء الناس تنحصر غالباً في طاقية بسيطة أو كلوتة (Bonnet ou calotte).

يقول ابن بطوطة (الرحلة، مخ، ص ١١٢) في معرض حديثه عن قديس أو ولي جبل (لمعان): «وعليه مرقعة وقلنسوة لبد». ويخبرنا النويري (تاريخ مصر، مخ ٢)، في حوادث سنة ٦١٠، عن موت ولي من أولياء الله الصالحين. فيقول (ص ٢٢): «وكان لا يلبس غير الثوب الخام وقلنسوة من جلد الماعز».

وهذه الأدلة التي عرضتها الآن يمكن أن نضيف إليها أن المسلمين يلبسون غالباً طاقيتين أو كلوتتين (طاقية وطربوشاً إلخ)، وإن ابن بطوطة (مخ، ص ١٢٠، ١٢١) يقول، متحدثاً عن الفتيان الأخية (راجع لين، رحلة ابن بطوطة، ص ٦٨، ٦٩): «وعلى رأسهم قلانس بيض من الصوف بأعلى كل قلنسوة قطعة موصولة بها في طول ذراع وعرض أصبعين. فإذا استقر بهم المجلس نزع كل واحد قلنسوة

ووضعها بين يديه وتبقى على رأسه قلنسوة أخرى الزردخاني وسواه حسنة المنظر^(١).

(١) هذا ما تأخذه كلمة قطعة من معنى معظم الأحوال. (راجع النويري - تاريخ مصر، مخ٩اب - ص٢٤ وألف ليلة وليلة، ط مكناتكن، ج٢، ص٤٦). وكلمتا تقطيع وجمعها تقاطيع ومقطع لهما نفس المغنى. ونقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ٢، ص٢٠٤) خمس تقاطيع سكندري (خمس قطع أقمشة اسكندرانية). وفي ألف ليلة وليلة (ط مكناتكن، ج١، ص١١١): «جاء بمقطع حرير، جاء بشقة حرير».

وكلمة زردخاني موجودة كذلك في نصوص أخرى لابن بطوطة، تحت رسم زردخانه. فهو يقول (مخ٢١٩)، في معرض كلامه عن بعيرين: «وجعلت لهما جلتين من زردخانه مبطن بالكمخا». (وكلمة جلة تعني بردعة، إذ يقول ابن بطوطة في موضع آخر (مخ، ص١٤٩): «وفرسها مجلل بجلل حرير مزركش بالذهب». راجع كذلك نص رحلة في السودان لهذا المؤلف، مترجم في الصحيفة الآسيوية، س٤، ج١، ص٢٠٨.

وأعتقد أنني واجد هذه الكلمة العربية في اللغة الأسبانية - برسم Zarzahan. والواقع أن بيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية) يترجم كلمة Zarzahan بكلمة زردخان. وبمعونة الكلمة الأسبانية أيضاً نستطيع تفسير الكلمة العربية. ويرى كوبا روثياس حول كلمة carçahan في كتابه (كنز اللغة القشتالية × مدريد ١٦١٠) إن كلمة Zarzahan أو كلمة Zarzalian تعني نوعاً من الحرير الفاخر، من صناعة المغاربة وهو شبيه بالفتة (الحرير الرقيق).

وما دامت قد أتيت لي فرصة التحدث عن اسم قماش مفسر باللغة الأسبانية، فسأقول كذلك بعض الكلمات عن كلمة عربية أخرى ليست مفسرة لنا باللغة الأسبانية فحسب، وإنما هي مشتقة من هذه اللغة، وكانت قد ترجمت ترجمة سيئة. هذه الكلمة هي كلمة تليس التي أعالجها. فنحن نقرأ لدى ابن بطوطة (مخ، ص٢٨٢): «يصلحون أسقيتهم ويملاونها بماء ويخيطون عليها التلايس خوف الريح». وهناك نصوص أخرى لابن بطوطة تبرهن إن ترجمة أصلان لهذا النص سليمة لا غبار عليها. وهكذا يقول في موضع آخر (مخ، ص٩٥): «طرحت هنالك أياماً مستورة العورة بقطعة تليس». ويضيف ابن بطوطة (مخ، ص٨٠) عن العزاء =

ويسمح للقلنسوة أن تميل أحياناً إلى أحد الجوانب أو إلى الوراء، كما هي حالة الطربوش المستعمل حالياً في سورية. ونقرأ في كتاب ملتقى الأبحر (مخ ١٢١١ - ص ١٦٤): «ويحل للنساء لبس الحرير ولا يحل للرجال إلا قدر أصابع كالعلم. ويلاحظ على ذلك شارح مجمع الأنهر (ط القسطنطينية، ج ٢، ص ٢٥٨) هذه الملاحظة: «وكذلك إذا كان في طرف القلنسوة لا بأس به إذا كان قدر أربع أصابع». وبعد ذلك (ص ٢٥٩): «وفي القنية تكره التكة المعمولة من الإبريسم وهو الصحيح وكذلك القلنسوة وإن كانت تحت العمامة». ومن كلمتي طرف القلنسوة

= والحداد بمناسبة وفاة ابن ملك ايدج: Idhadj فيقول: «فوجدت مشور دار السلطان ممثلاً رجالاً وصبياناً من المماليك وأبناء الملوك والوزراء والأجناد وقد لبسوا التلايس وجلال الدواب وقد جعلوا فوق رؤوسهم التراب والتبن». ونستخلص من هذا النص إن كلمة تليس لا بد إنها تشير إلى نوع من الأقمشة. والواقع إن دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي) يترجم كلمة تليس بـ *Taoes* و *variegatus*، والكلمة العربية ليست سوى تحريف للكلمة الأسبانية *terliz* وهي بالفرنسية *treillis* وترجمتها الحرفية: «نسيج ثلاثي الخيوط». وقد فرغنا من رؤية أن الكلمة العربية تليس تعني بساطاً غليظاً مختلف الألوان. واجد الكلمة الأسبانية *Terliz* مستعملة بنفس المعنى في الأبيات التالية المنسوبة إلى فيليب الرابع. «هل رأيت في نفس المكان حيث كان التليس مطرزاً كالندى بأشعة الشمس إضاعة الريف لونه الأخضر؟» وفضلاً عن ذلك فإنني إذ اشتق كلمة تليس من كلمة *terliz* لا أخمن تخميناً أعرضه، وإنما هي واقعة محسوسة: ذلك لأن بيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية) يترجم كلمات: *Terliç texido a tres lizor* بكلمة تليس وجمعها تلاليس. وفي مصر الحالية يطلق اسم تليس على كيس أسود، أو مرقط برققات بيضاء وسوداء - وهو معمول من شعر الماعز الذي يستعمله القرويون لحمل قمحهم إلى السوق (راجع برگهارت - الأمثال العربية - ص ٦٨ - ٩٧) - ومن هناك يطلق على مكيال حنطة.

في الفقرة الأولى ينبغي أن نفهم، إن لم أكن متوهماً، الطرف المرفرف من هذه الطاقية. ومن الكلمات الأخيرة في الفقرة الثانية التي تعني في مذهبي: وإن كانت القلنسوة مغطاة تماماً بالعمامة ومحجوبة بها، يبدو أنها تؤيد رأيي في أن كلمة قلنسوة لا تدل على شيء آخر غير الطاقية أو الكلوتة أو العرقية (القلنسوة) التي توضع تحت العمامة.

وكانت القلنسوة شائعة الاستعمال في الأندلس، على الأقل أيام دولة بني أمية، ذلك لأنني اقرأ في تاريخ الأندلس للنويري (مخ، ص ٤٧٨): «وأشار الحاجب بانتزاع قلنسوة شنشول عن رأسه فانتزعت». ولم أجد هذه الكلمة في مفردات بيدرو دي الكالا. وما يسميه الأقباط اليوم فلاسوة أو قلوسية، لا يمت مطلقاً إلى عمارة الرأس بنسب ولكنها عصابة عرضها أربع عقد وطولها قدم، وهم يرسلونها تحت العمامة، وتتدلى على الظهر. (راجع لين، المصريون المحدثون، ج ٢، ص ٣٥٤).

القميص

يلبس الشرقيون القميص فوق السروال، وليس تحت السروال، كما هي عادة الأوروبيين، وقميص الرجال في مصر معمول من التيل (البندقي، ألف ليلة وليلة، ط هابخت، ج ٢، ص ٦٢)، أو من الكتان، أو من القطن، أو الشاش الموصلي، أو من الحرير أو من الحرير والقطن المخططين، ولكن هذه القمصان جميعاً بيضاء لا تشوبها ألوان أخرى (لين المصريون المحدثون، ج ١، ص ٣٩) أما قمصان النساء فمشغولة من الحرير (ألف ليلة وليلة، ط مكناتن، ج ١، ص ٨٧٤ - رحلات فنان بلان المشهورة، ج ٢، ص ١٣٩):

«Les voyages fameux du Sieur Vincent Le Blanc».

ومن القطن الرفيع الخيوط للغاية (منتكازا - قصة رحلة من أورشليم - ص ٩٠):

«Mantegaza, Relatione del Viaggio di Gierusalemme».

ومن الكتان - ومن الشاش الموصلي - ومن الحرير والقطن - وأخيراً من الكريشة الملونة وأحياناً السوداء (لين، ج ١، ص ٥٦). «أما قمصان الأغنياء فهي مزركشة الحواشي والفتحات عادة ومطرزة بالحرير تطريزاً يدوياً بالأبرة» كما يقول كوپان Coppin في كتابه (درع أوروبا، ج ١، ص ٢٠٠).

ونحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنائتن، ج ١، ص ٦٠٠): «قلعت أثوابها وأتت في قميص رفيع مطرز بطرز من الذهب». وفي موضع آخر (ج ١، ص ٨٢٨): «وعليها قميص بندقي رفيع بطرازين من الذهب وهو مزركش ببدايع التطريزات ورأس الكمين مكتوب عليه هذه الأبيات». (لم يذكر المؤلف الأبيات - المترجم). والفقهاء يحللون للرجال أن تكون عرى وأزرار قمصانهم من الحرير (مجمع الأنهر، القسطنطينية، ج ١، ص ٢٥٩).

أما عن هيئة القميص، فله كمان واسعان للغاية، يهبطان إلى المعصم، ويتدلى القميص إلى منتصف الساقين (كوپان ولين، راجع كتابيهما القيمين).

ويقول دانديني (رحلة من جبل لبنان، ص ٤٥): في وصف أزياء سكان طرابلس الشرق «إن قمصانهم وكذلك ستراتهم، لا ياقة لها، وهي معمولة من القطن الأبيض. وبعض القوم يلبسون قمصاناً زرقاء ذات أكمام مفرطة في الاتساع، بحيث يرى الراؤون كل أذرعتهم عارية. ونهاية هذه القمصان غير مشقوقة مطلقاً، وهي على الأقل تبدو مخيطة حتى النهاية

بوصفها خارج السراويلات، ولهذا السبب يجعلونها واسعة فضفاضة». ويقول دارفيو (مذكرات ج ٦، ص ٤٢٥ - ٤٢٦). في معرض حديثه عن نساء حلب: «إنهن يرتدين سراويلات طويلة مثل الرجال، ويلبسن فوقها قميصاً طويلاً عريضاً من الشاش الموصلّي المخطط المرقط، أو من نسيج آخر، لا يختلف في شيء عن نسيج أقمشة قمصان الرجال». ويظهر من كتاب (بيترو دلافاله، رحلة من تركيا ص ٧٥٠، راجع ج ١، من فارس، ص ١٦١): «إن قمصان النساء في بغداد كانت في العادة من الحرير الملون، وكانت لها أكمام مفرطة في السعة والطول». ويقول أوليفيه، رحلة إلى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس، ج ٤، ص ٣٢٧ في معرض وصفه لأزياء نساء هذه العاصمة: «إن القميص الذي هو فوق السراويلات - مصنوع من الشاش الموصلّي المطرز بالحرير الملون بلون الذهب، وهو مفتوح من الأمام، مثل قميص الأوروبيين».

ويقول شاردان (الرحلات، ج ١، ص ٧٠): في كلامه عن النساء الفارسيات: «إن القميص المسمى *Camis* الذي ربما جاءت كلمة *Chemise* منه، مفتوح من الأمام حتى سرة (البطن)».

ويخبرنا هوست (أخبار من مراکش وفاس، ص ١١٤ - ١١٥): «إن قميص المغاربة له كمان مفتوحان، وكل كم من هذين الكمين يبلغ طوله أحياناً خمس أذرع، ويعلقان غالباً فوق الظهر، بحيث أن الذراعين تظلان حيثئذ مكشوفتين. وحول العنق يكون هذا القميص دائماً وأبداً مطرزاً بالحرير الأصفر». وقمصان التيل التي يرتديها المغاربة قد أتى على ذكرها (دييغو دي توريس - قصة الشرفاء، ص ٨٥) ودييغو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر - ص ٢٧ - ٢٨، مج ٢)، ومارمول (وصف أفريقيا، ج ٢، ص ١٠٢، مج ٢).

وإذا لم أكن متوهماً - فإن كلمة قميص هي الاسم الوحيد للباس

المذكور في القرآن الكريم. وهذا الملبوس كان يلبسه محمد ﷺ (عيون الأثر، مخ ٣٤٠ - ص ١٨٨) وكان يصنع من القطن.

ويظهر أن الشرقيين كانوا يعلقون أهمية كبرى على ألا تكون أكمام القمصان مفرطة في الفضفضة والاتساع، ذلك لأن ابن إياس (تاريخ مصر، مخ ٣٦٧، ص ٧٤ - ٧٥) يخبرنا - في حوادث عام ٧٩٣: «وفي شوال نادى الأمير كمشبا نائب غيبه أن لا امرأة تلبس قميصاً بأكمام. وكانوا قد أفحشوا في ذلك حتى خرجوا عن الحد».

ويقص علينا السيوطي (حسن المحاضرة، مخ ١١٣، ص ٣٤٨) نفس الواقعة بالشكل التالي: «وفي سنة ثلاث وتسعين أمر كمشبا نائب الغيبة أن منع النساء من لبس القمصان الواسعة الأكمام وشدد في ذلك». ويسمى *La chemise de nuit* (قميص الليل)، قميص النوم. راجع ألف ليلة وليلة (ط مكنانكتن، ج ١، ص ١٩٢) والشكل الموجود في الترجمة الانكليزية، بعناية لين (ج ١، ص ٣٠١).

ونحن نعلم أن كلمة قميص قد تسلت إلى اللغات الرومانية^(١).

(١) يقول كتاب عيون الأثر: (قميصاً صحارياً وآخر سحولياً). وليس بمقدوري إقرار أي نوع من القماش كان يرد من مدينة صحار *Zohâr* ولكن كلمة سحولي تشير بالتأكيد إلى قماش من القطن الأبيض، ذلك لأنني أقرأ في كتاب «مراصد الاطلاع» (مخ ٢٩٥): «سحول بالضم وآخره لام قرية من اليمن يحمل منها ثياب قطن بيض تسمى السحولية». وينبغي إضافة هذا المعنى من الصيغة الرابعة لكلمة فحش إلى القاموس. فنحن نقرأ في موضع آخر من كتاب ابن إياس (ص ١٣٣): «أفحش في حقه».

القمطة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويفسر الكونت دي شابرول هذه الكلمة في كتابه (وصف مصر، ج ١ ص ١١٣)، على هذا المنوال: «قطعة من الشاش الموصلي تلف عدة لفات حول طربوش (النساء المصريات): وهي تتألف من جزئين. والجزء الفوقاني منهما أحمر أو من لون صارخ فاضح: وجماع العمارة يشكل حول الرأس شبه وسيدة ناتئة تزين باللآلئ وتزركش بالأحجار الكريمة.

القِنَاع، المِقْنَع، المِقْنَعَة

تشير كلمات قناع ومقنع ومقنعة إلى: نوع من القماش (شال) يضعه الجنسان على الرأس. (مقارنة مع عصابة وكوفية). ونجد في صحيح البخاري (ج ٢، مخ ٣٥٦، ص ١٦٨) باباً معنوناً «باب القنق» حيث نقرأ ما يلي: «وقال ابن عباس: خرج النبي ﷺ وعليه عصابة دسماء». وقال أنس: «عصب النبي ﷺ على رأسه حاشية برد».

وفي حكاية مروية في الكتاب نفسه، عن عائشة، نقرأ: «فقال قائل لأبي بكر: «هذا رسول الله ﷺ مقبلاً متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها». وقد رأينا آنفاً، في نص من رحلة ابن جبير (حول كلمة خرقة) إن الأقنعة كانت تؤلف جزءاً من ملابس البدو.

ويقول ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي غايانغوس، ص ١٤٣) في مادته عن بلغار الفولغا: وعلى رأس الوزيرة والحاجة مقنعة حرير مزركشة

الحواشي والجوهر ملبساً بهما^(١). وفي موضع آخر (ص ١٥٦): تعرضت لي بالباب امرأة عليها ثياب دنسة وعلى رأسها مقنعة. ونجد في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنائتن، ح ١، ص ٨٢٠): كان الغلام نائماً (وكان على رأسه مقنعة مروزية أزرق). وفي موضع آخر (ح ٣، ص ١٦١) ألبست افاقة عشاقها ملابس النساء وقالت للعاشق الأول (القاضي): يا سيدي اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه الغلالة الصفراء واجعل هذا القناع على رأسك حتى نحضر المأكول والمشروب وبعد ذلك تقضي حاجتك. فأخذت ثيابه وعمامته ولبس الغلالة والقناع.

والفرق بين القناع والمقنعة كائن، حسب مذهب المعاجم في أن المقنعة ليس له سعة القناع^(٢).

(١) إن كلمتي ملبساً بهما موجودتان كثيراً فيما يقفون، بعد الكلمات: «ويبد كل واحدة منهن (الجواري) عمود ذهب أو فضة أو يكون من عود ملبساً بهما»، حيث تمثل معنى مضاداً، وحيث لا علة تدعو لاستعمال هذه التثنية. وعلى هذا فلا يمكن وقوع هذه التثنية، في النص برمته، إلا اللهم في الجملة التي تدور حول الوزيرة والحاجة. ولعل هاتين الكلمتين قد عثر عليهما أحد النساخ في هامش النسخة التي كان ينسخها، فأدرجها خطأ في موضع لا يلائمها. وفضلاً عن ذلك، فإنني أعتقد أن كلمتي «ملبساً بهما» قد أضافهما ابن بطوطة ليشعر القارئ بأن المقنعة كانت تستعمل لباساً للرأس وعمرة لهؤلاء النساء، وليست خماراً. وفي نص آخر يقول بوضوح: «إن نساء بلغار القولغا لا يلبسن الخمار». والكلمة التي تعني مزركشاً التي يجب أن تسبق (والجوهر) وكذلك المسمى الآخر، قد حذفهما النساخ.

(٢) لعل هذا المقنعة المذكور قد صنع من الملحمة. راجع كلمة جبة. أما عن كلمة مروزية فبوسعنا استشارة ابن خلكان (وفيات الأعيان، ح ١، ص ٤). ولم يدرك لين (ألف ليلة وليلة، ح ٢، ص ٢٢٢، الترجمة الانكليزية) معنى مقنعة في هذه الفقرة. ولو ترجمنا كلمة قناع في هذه الفقرة بكلمة Voile خمار، لأخطأنا:

١ - لأن المرأة لا تلبس الخمار وهي في بيتها، ولدى حضور احتفال، ٢ - لأن =

وكلمة قناع (وربما كذلك كلمة مقنع وكلمة مقنعة) تشير كذلك إلى: خمار وجه تستعمله النساء. ويصفه لين (ألف ليلة وليلة، ح ١، ص ٢١٠) على هذه الشاكلة: «القناع قطعة من الشاش الموصل له طول ذراع أو أكثر، وله أقل من ذلك للعرض، ويوضع شطر منه فوق الرأس، تحت الإزار، ويتدلى سائره، من الأمام، حتى الوسط، وهو يغطي الوجه بتمامه. وطالما رأيت نساء عربيات، ولا سيما نساء الوهابيين، وهن واضعات أخمرة من هذا النوع، وكانت تصنع من الشاش الموصل الملون، وهي تخفي الملامح والقسمات جميعاً، ولكنها مصنوعة صنعةً مخلخلاً لثلاث تحول بين النساء وبين رؤيتهن مواقع أقدامهن في الطرقات». وكان القناع يصنع أحياناً من الحرير (مقارنة مع ألف ليلة وليلة، ط مكناتكن، ح ٣، ص ١٧٧) ويزركش بالذهب. فنحن نقرأ في (ألف ليلة وليلة ط مكناتكن، ج ٣، ص ١٧٦): قل له: «أعطني القناع الذي عندك مرسوماً^(١) بالذهب فإن ما عنده في دكانه أحسن منه فاشتره يا ولدي بأعلى ثمن».

وينبغي إضافة جمع قناع أقنعة إلى القاموس، وهو موجود في نص ابن جبير، الذي نشرته حول كلمة خرقة. ويقول: (بيدرو دي الكالا، مفردات أسبانية عربية): «أقنعة، قناع «Toca de muger o tocado»

= السياق يقضي، في هذه الفقرة إحلال قناع محل عمامة، وأخيراً ٣ - لأن العاشق الثالث (الوزير) قد دعي إلى لبس غلالة زرقاء وطرطور أحمر. وعلى ذلك، وكما رأينا سالفاً، تشير كلمة طرطور إلى لباس رأس بصورة يقينية جازمة.

(١) إن كلمة مرسوم تعني مزركشاً. فنحن نقرأ في رحلة ابن جبير (مخ، ص ٣٢٠، ص ٤٦): لابساً ثوب سواد مرسوماً بذهب. وكلمة مرسوم تعني كذلك مزركشاً بالذهب. فنحن واجدون في الكتاب المذكور (مخ، ص ٨٣): خلعتان من الديبقي المرسوم البديع الصنعة.

ونجد لدى مؤلف فارسي (ميرخوند تاريخ السلاجقة) مقنعة مستعملة كجمع مقنع. ونقرأ فيه: «جهت دختران سراي مقنعه وامتنعه كه مناسب ايشان بود خر يده: «وقد اشتريت لنساء السراي مقانع وأشياء أخرى تناسبهن».

وكانت كلمة قناع مستعملة أيضاً في أسبانيا (مقارنة دوزي، تاريخ بني عباد، ج ١، ص ٦١، س ٦). ومن هنا ألفت الأسبان كلمتهم الكينال Alquinal.

القوج

يبدو من نصي كتاب ألف ليلة وليلة، اللذين أوردهما فريتاك، إن هذه الكلمة تشير إلى شبه عمارة تلبسها النساء مع العصابة، أو العصبة. ويعتقد فليشر (كتابه، ص ٣٩) إنها الكلمة الفارسية سرغوج، المحذوف منها مقطع سراً، إذ يقول هذا العالم الجليل: «حذف مقطع جذري من الكلمة». ومع ذلك فإنني لا أستطيع أن أحل محلها كلمة أقرب أصلاً منها. ويقول فليشر كذلك: «والمصريون الذين سألتهم قالوا إنهم يجهلونها». ويتحتم عليّ أن أعترف بأنني لم أجِد كلمة قوج لدى أي مؤلف آخر. وإذا كانت كلمة قوج تشير إلى ما تشير إليه كلمة سراغوج، وفي اللغة العربية سواقوج، فهي عمارة امرأة مسبلة من جهة على الجبين مغطية الشعر، ومتدلية حتى الكتف اليسرى. (كاترمير، تاريخ السلاطين المماليك، ج ١، ص ٢٣٦)^(١).

(١) إن كلمة سراغوج، التي يتحدث عنها كاترمير في هذا الموضع، تشير بصورة خاصة إلى طاقة تترية، ولهذه العلة لم أتقبلها في كتابي. فإنني أقرأ مثلاً في كتاب النوري (تاريخ مصر، ص ٢٠٣): كان صاحب سبب قد اعتمد ما يقتضي فسخ الهدية التي وقع الاتفاق عليها في سنة ست وثلاثين عند اطلاق ولده ليفون وقطع الهدايا =

الكَبُوت

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وهي الكلمة الأسبانية Capote ، التي تسلفت إلى لهجة عرب الأندلس ولهجة المغاربة ، DES Magrebins ذلك لأن بيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية وعربية) يفسر كلمة Capote بكلمة كبوت ، وجمعها كبايت . ويفسر كانيس : Canes (نحو ، ص ١٧١) كذلك كلمة كبوت بهذه الكلمات : معطف بلا كمين Capote sin mangas .

ويقول دابر في كتابه (وصف حقيقي دقيق لأقاليم أفريقيا ، مج ١ ، ص ٢٤١) إن كلمة كبوت Kabbout تشير إلى نفس اللباس الذي تشير إليه كلمات Sant à Brra (راجع كلمة ستبر) .

الكُجَّة

يقول جان جاك شلتنس ، في قاموس فريتاك :

«Pila maior, quae fit ex complicato panniculo» .

«إنها كساء مصنوع من عدة خرق متنوعة» . ولم أصادف مطلقاً هذه الكلمة ، ولم ألاحظ أي تعليق عليها من قبل شلتنس على نسخة غوليوس التي استعان بها هذا العلامة ، والموجودة حالياً في مكتبة ليدن^(١) .

= المقررة عليه وخالف الشروط من أنه لا يجذ ذنباً ولا يحصن قلعة . وصار لا يطالع بخبر صحيح كما تقرر معه . ثم لم يقتصر على ذلك إلى أن صار يلبس الأرمن السراقوجات ويخيف بهم القوافل ويدعي أنهم من عسكر التار .

(١) الكجة : لعبة للصبيان ، يأخذ الصبي خرقة فيدورها كأنها كرة ، ثم يتقامرون عليها (المعجم الوسيط) . (الترجم) .

الكُرْزِيَّة وجمعها الكُرْزِي، الكرسيَّة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويقول الرحالة العربي الأندلسي ابن جبير (الرحلة، مخذ ٣٢٠، ص ٤٨) إن أمير مكة كان معممًا بكرزية صوف بيضاء رقيقة. ونحن نقرأ في الكتاب المعنون الحلل الموشية (مخذ ٢٤٤، ص ٤٢): قال: كنت ببغداد بمدرسة الشيخ الإمام أبي حامد الغزالي فجاء رجل كث اللحية على رأسه كرسيَّة فدخل المدرسة وأقبل على الشيخ أبي حامد فسلم عليه فقال: «ممن الرجل؟» فقال: «من أهل المغرب الأقصى» ويقول مارمول: (وصف أفريقيا، ح ٣ مجد ٤ وص ٤، مج ١) في معرض حديثه عن بربر ولاية حيحه Héha أقصى بلدان مراكش الغربية: «إنهم لا يضعون الطواقي ولا القبعات على الرأس، ولكنهم يشدون عصائب من الصوف يسمونها كرزِيَّة Cursias وهي واسعة سعة جريدة النخل، وطويلة فيلفون بها الرأس خمس أو ست لفات، باعتبارها عمامة (Como tocas) وأجمل هذه العمام مزرکش بالحواشي القطنية، وهي مصبوغة بالحنة، ولها شرائط وقياطين مبرومة تتدلى على الجوانب بمثابة هذبات» ويقول دابر (وصف حقيقي لأقاليم أفريقيا، مج ١، ص ٢٤٠) في معرض وصفه أزياء سفراء مراكش، الذين وفدوا إلى امستردام عام ١٦٥٩): «كان لباس رأس أحدهم ينحصر في طاقية (Een muts) تدعى في اللغة العربية كرزِيَّة Kurzya، وهي مصنوعة من قماش صوفي غليظ، ولكنها لم تكن مكورة حول الرأس بشكل أنيق، كما تكرر العمامة عادة بأناقة، وهو الطراز السائد لدى المغاربة، ومع ذلك فإن بعض سكان هذا القطر يلبسونها معمولة من نسيج القطن الرفيع ومكورة حول الرأس، ويسمونها حينذاك Sied أو Sjed (شد).

وأعتقد أن هذه الكلمة لم تكن معروفة الاستعمال إلا في أسبانيا

والمغرب وأعترف أن ابن جبير يستعملها أثناء حديثه عن أمير مكة، ولكن هذا التخريج ما زال بعيداً عن إثبات إن هذه الكلمة كانت مستعملة في بلاد العرب، وإلا لكان الرحالة العربي الأندلسي قد خلع على هذا اللباس الذي رآه في قطر آخر الاسم الذي كان يحمله في وطنه.

ونجد لدى شارح عربي أندلسي للحريري (المقامات، ص ٢٥٥) وهو الشريشي جمع كرزية كرازي. وكلمة كرزية لا مشاحة في أن أصلها غير عربي وأعتقد إنها بربرية ذلك لأننا في المفردات البربرية لمؤلفها فنتير (رحلة هورنمان وح ٢ ص ٤٤٩) نجد أن كلمة تركزيت Terkerzit تعني عمامة. فإذا بترنا المقطع (تير) ter تبقى لدينا كلمة كيرزيت Kerzit وهي مماثلة كل المماثلة لكلمة كرزية العربية، فإذا خلعنا على هذه الكلمة الصيغة العربية، حصلت لدينا كلمة كرزية.

الكرك

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي الكلمة التركية كرك أو كورك، ويحسبها كاترمير (صحيفة العلماء، ١٨٤٣، ص ٧٢) من بين الكلمات التي لم يتبناها المتبنون في مصر، إلا بعد احتلال هذا القطر من قبل العثمانيين. والواقع إنني لم أجد هذه الكلمة لدى مؤلف عربي سابق على غزو السلطان سليم لمصر. ونجد في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنائتن، ج ٢، ص ٩٠) كرك سمور.

ويقرر بوكوك في كتابه (وصف الشرق، ج ١، ص ٣٢٧) إن الكرك Keriki كان في مصر شبه فرجية وكان يختلف عن هذا اللباس الأخير بأن كمية مقدودان بشكل آخر - وبأن الكيريكى Keriki لم يكن يرتدي في الحفلات الرسمية، وكان هذا الثوب يعمل من الحرير.

ويعلمنا فريزر (أسفار إلى كردستان وبلاد ما بين النهرين، الخ، ج ٢، ص ١٠٢): «إن شيوخ بدو المتفك لا يتميزون عن أتباعهم إلا بكرك مبطن بالفرو^(١). أو بستره وثوب من الجوخ أو من الأرجوان الأنعم الأرق إلخ. .» (الأسقلاط - الأشكرلاط).

الكساء



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بالمعنى المراد. ونحن نعلم أن هذه الكلمة تشير بصورة عامة إلى لباس، ولو لم يكن لها إلا هذا المعنى الغامض، لما قبلتها في كتابي. ولكن كلمة كساء لها معنى آخر أيضاً، فهي تشير إلى ما تشير إليه كلمة حيك (راجع هذه الكلمة). ويجزم دابر جزماً قاطعاً في كتابه (وصف حقيقي دقيق لأقاليم أفريقيا، ص ٢٣٩، مج ٢) إن الحيك يسمى أيضاً كساء Kissa في المغرب. ونحن نعلم أن من كلمة كساء تألفت الكلمة الأسبانية alquicer وAlquicel، التي حتى المعاجم الحديثة تفسرها بما يلي: «لباس مغربي على هيئة Manteau معطف»، وكذلك تشرحها بما يأتي: «قماس كانت تصنع منه أغطية المائدة». وإليك ما يقول كوبروفياس (كنز اللغة القشتالية، مدريد، ١٦١١) حول كلمة Alquicel «غطاء سرير (شرشف) أو أي شيء آخر، وهي منسوجة، دون خياطة، وتستعمل غطاء سرير (ملاءة شرشف). وهذه الكلمة مشتقة من فعل Queseye (كسا) التي تعني التغطية والألباس. هذا ما يقوله ديبغو دي أوروبا: ويقول الأب كولدي إن كلمة quicel تشير إلى معطف (إزار) موريسكي (Capa morisca) وهناك آخرون

(١) لعله يقصد الفرو (المترجم).

يقولون أن Quise تعني في اللغة العربية مقعداً (Asiento) Siège وعلى هذا فإن كلمة (Alquizel) تعني حينئذ غطاء المقعد (La couverture du siège). ولكن قبل كل شيء ينبغي تصويب أوريا Urrea، ذلك لأنه متعمق في فقه اللغة العربية». وتمثل لنا الأغاني الأسبانية القديمة في معظم الأحيان الفرسان العرب مرتدين الكساء Alquicel (راجع مجموعة أغاني الموريسكيين الشعبية، ص ١٣، ٣٥، ١٦٤). ويتحدث مارمول عن الكساء أو Alquicel، ويجزم بأنه معطف من الصوف الغليظ. ويقول (وصف أفريقيا، ج ٢، ص ٣، مج ٩) في معرض حديثه عن البربر في حيحه: «لباسهم الاعتيادي ينحصر في الأكسية Alquicels. وهي تشبه أغطية المنام، المصنوعة من الصوف التي تستعمل للتدثر بها، ولكن هذ المعاطف أنعم وأرق، وتبطن بها الأجسام^(١)، وبعد ذلك (ج ٢، ص ٣٨، مج ٤) يقول على وجه التقريب نفس الشيء عن سكان سيكسيوا Secsiúa وهي سلسلة من الجبال في مملكة مراكش.

ويقول في موضع آخر (ج ٢، ص ١٠٢، مج ٣) عن سكان مدينة فاس: «أما أناس الطبقة المتوسطة الذين لا يستطيعون توفير العباء لأنفسهم (Cazaques Sayos) فيكتفون بارتداء هذه الكسي التي يلتفون بها». ويتحدث ديكغو دي توريس (قصة الشرفاء، ص ٣٢٧) عن جاكيت يسمونها Alquicel ويقص علينا كاداموستو في كتابه (الملاحه، ص ٩٩،

(١) إن فعل Batanar الذي نجده في هذا النص، والذي تستعمله عدة قواميس أسبانية قديمة وحديثة، وقد استشرتها، لا تعطي إلا معنى واحداً لا يلائم الموقف هنا، فهو يعني الالتفاف بشيء (راجع مارمول، ج ٢، ص ٩ مج ٣ ص ٣٢، م ح ٣)، وهو مشتق من الفعل العربي بَطَّنَ الذي يبدو أن عرب الأندلس قد استعملوه بهذا المعنى. (بيدرو دي الكالا) مفردات عربية، يقول حول كلمة Batanar Aoriste (نبتن، بطن، بطنت).

(١٠٠) إن الزناغة (صنهاجة) Les Sinhadjah كما يلفظ العرب الكلمة، يرتدون معاطف بيضاء يسمونها Alchezeli. وأعتقد أن al هي الأداة العربية، وإا، إذا لم أكن متوهماً، جمع إيطالي لنهاية جمع كلمة في لغة المندنكو (Lo). راجع: (ماكبرير قواعد لغة المندنكو، ص١٣)^(١) Grammar of the Mandingo Language.

فإذا بترنا الأداة ونهاية الجمع فإننا نحفظ Cheze-Kesé: كيزيه، التي هي ولا ريب الكلمة العربية (كساء).

وكلمة كساء بهذا المعنى مؤنثة - فنحن نقرأ للمقري أو بالأحرى لابن سعيد (لدى فريتاك، طرائف عربية، ص١٤٨ و١٤٩): قال لابنه: «اعط هذا الشاب كسك الغليظة يزيدا على ثيابه. فدفع كساءه إليّ. ولما قمنا عند الصباح وجد الصبي منتبهاً ويده في الكساء».

ونرى في تعليق دي غايانغوس على هذا النص (تاريخ السلالات المحمدية في الأندلس، ج١، ص٤١٣) إن مخطوطة المقري التي يملكها هذا العالم تذكر كلمة بردة هنا بدل كلمة كساء. والواقع أن المعطف الكبير المسمى بردة، لم يكن يختلف كثيراً عن الكساء.

وإليكم أمثلة أخرى حول كلمة الكساء مأخوذة بمعنى معطف. يقول ابن خاقان (مطمح الأنفس) مخ سان بطرسبورك ٧٧٦، ص٥٢): قال محمد ابن إسماعيل، كاتب المنصور: «سرت بأمره لتسليم جسد جعفر إلى أهله وولده، والحضور على إنزاله في ملحه، فنظرته ولا أثر فيه، ولا عليه شيء يواريه غير كساء خلق لبعض البوابين».

ويعد مؤلف الكتاب المعنون الحلل الموشية (مخ٢٤، ص٩) من بين هدايا يوسف ابن تاشفين: «سبعمائة كساء بيض ومصبوغة».

(١) المندنكو زواج سودانيون أسسوا امبراطورية مالي القوية عام ١٢٣٠م.

لذلك أرى أن كلمة كساء بهذا المعنى لم تكن مستعملة إلا في الأندلس والمغرب.

الكَف وجمعه الكُفوف

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بالمعنى المراد.
وكلمة كف تشير إلى اليد، ومن هذا نجم أن كفوفاً تستعمل للتعبير عن القفافيز. ونجد في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنائتن، ج ١، ص ٣١): «وكان الملك لابس كفوف من جلد السرداق». أما كلمة سرداق التي يترجمها م. تورنس Torrens. بكلمات «حيوان مفترس» une bête de proie (a beast of prey) فيخيل إليّ إنها تشير بالتأكيد إلى حيوان يستعمل لصنع الأفرية، وأعتقد أن لها نفس المعنى في هذا النص لابن خلدون (تاريخ الأندلس، مخ، ١٣٥٠، ج ٤، ص ١٢): «وعشرة أفرية من غالي جلود الفنك الخراسانية وستة من السرداقات العراقية».
وهذه الكلمة وكلمة قفاص (عدا الصفحات السالفة هما، حسب علمي، الكلمتان الوحيدتان اللتان تستعملان للتعبير عن القفافيز: Des gants وهي جزء من الملابس، نادر الوجود كل الندرة في الشرق.

الكَلْفَه، الكَلْفَتاه، الكَلْوَتَه

لقد سبق لكاترمير إن كتب في (تاريخ السلاطين المماليك، ج ١، ق ١، ص ١٣٨) و(تعليقات ومقتبسات، ج ١٣، ص ٢٧١) ملاحظات غاية في الأهمية ونفوذ البصيرة وثقوب الرأي وصحة الأحكام، حول هذه الكلمة، وبرهن على إنها: «طاقية تؤلف هيكل العمامة»، وعلاوة على

ذلك فإنها نفس كلمتنا: كالوت Calotte. وهذا الجنس من الطاقية لم يكن يلبسه إلا رجال الطبقة الرفيعة.

وإنني أقرأ لدى المقرئزي (تاريخ مصر، ج ٢، مخ ٣٧٢، ص ٣٥٠):
«كان من الرسم في الدولة التركية إن السلطان والأمراء وسائر العسكر إنما يلبسون على رؤوسهم كلوة صفراء مضربة تضريباً عريضاً ولها كلاليب بغير عمامة فوقها. وتكون شعورهم مصفورة مدلاة بدقوقة وهي في كيس حرير أما أحمر أو أصفر».

وبعد ذلك بقليل (ص ٣٥١) يعلمنا المقرئزي إن السلطان الملك الأشرف خليل: «يدل الكلفات الجوخ والصفور ورسم لجميع الأمراء أن يركبوا بين مماليكهم بكلفات الزركش».

وسأحملكم مرة على ملاحظة إن هذه الكلمة تؤلف كذلك في حالة الجمع كلاوات، لأنني أقرأ في نص من تاريخ مصر للنويري (مخ ٢، ص ١١٠): «أنعم عليهم وشملهم بالخلع السنية بالكلاوات الزركش». وفي مجلد آخر مكتوب بخط المؤلف (مخ ١٩ب، ص ٢٩): «فركبوا بالكلاوات الزركش».

الكُمَّة



يذهب القاموس (ط كلكتا، ص ١٦٩٠) إلى أن الكلمة هي: (القلنسوة المدورة).

الكَمَر



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويعلمنا المقرئزي (وصف مصر، ج ٢، مخد٣٧٢، ص ٣٥٠) إن الأمراء والجنود والسلطان نفسه، في أيام حكم السلالة التركية، مرتداهم (من فوق القباء كمران بحلق وإبزيم).

نرى مما تقدم إذن أن كلمة كمر الفارسية قد تسلت إلى اللسان العربي، وإن (كمران) المقرئزي هو مثني كمر في اللغة العربية. ويقول لين (ألف ليلة وليلة، ج ٢، ص ٦٠٠) إن الحزام الذي يحتوي على حافظة النقود يدعى عادة بالكمر.

المَكْمَرَة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكننا نجد في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناتن، ج ٢، ص ٤٢٧): «وقد أرسلت إليكم ملحفة ومكمرة». ويذهب لين في تعليقه على هذا النص (ج ٢، ص ٦٠٠) إلى «إن المكمرة تشير إلى نفس ما يشير إليه الكمر». وقد فرغنا من التحدث عن هذه الكلمة.

الكَمْع

يذهب القاموس (ط كلكتا، ص ١٠٨٦) في تفسير هذه الكلمة إلى أنها القباء نفسه.

الكَنْبُوش وجمعه الكَنْابِيش

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بالمعنى المنشود. ويترجم بيدرو الكالا (مفردات أسبانية عربية) كلمة Antifaz كنبوش،

كنايش، وإن كلمات *Velo de muger* و *Toca de muger* يعبر عنهما نفس التعبير في كتابه. ويترجم دونباي *Dombay* (قواعد ولغة المغاربة العرب، ص ٨٣) كلمة *Velum* بكلمة كنبوش. فهذه الكلمة إذن تشير إلى صنف من الخمار تلبسه نساء الأندلس والمغرب. ولا يخالجني أدنى ريب بمماثلة هذه الكلمة للكلمة الأسبانية *Cambux* التي تشير، حسب مذهب هيروسم فيكتور (في كتابه كنز اللغات):

(*Tesoro de las tres lenguas*, Genève, 1609).

إلى «قناع أو خمار أو نقاب يغطي الوجه». وتذهب المعاجم المحدثّة إلى أنه: «منديل رأس أو عمارة رأس صغيرة من البز تحفظ بها رؤوس الأطفال». وهي توازي كذلك الكلمة الأسبانية التي تشير، حسب رأي فيكتور، إلى كلمة *Antifadz* ذاتها، أي أنها خمار يوضع على الوجه^(١).

المَكْوَر، المِكْوَرَة، المَكْوَار

يفسر القاموس (ط كلكتا، ص ٦٥١) هذه الكلمات بأنها العمامة.

الكُوفِيَّة والجمع الكَوَافِي

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وإليك بادیء الأمر ما يقوله لين (ألف ليلة وليلة، ج ١، ص ١٣٠): «الكوفية مندیل مربع یلبس فوق الرأس، له من الطول ذراع، ومثله من العرض، وهو من ألوان مختلفة، ولونه أحمر غامق أو ضارب إلى الدكنة

(١) ماذا نستنتج من كل هذا الكلام، هل الكنبوش هو الخمار فحسب، أم هو بخنق المولود، الذي ذكره المتنبی؟ (المترجم).

أو من اللون الأخضر الزاهي ومن الأصفر المرقط أحياناً ترقيطات واسعة وأحياناً ضيقة، وعلى طول النهايتين المتقابلتين له هدايات كثيرة مؤلفة من شرائط وقنزعة. وأشيع شكل من الكوفية مؤلف من القطن، وهناك نوع آخر من القطن المشوب بالحرير، ونوع ثالث من الحرير المكفت بالذهب. وهذه الكوفية يلبسها في هذه الآونة الوهابيون وبعض قبائل البدو. ولكن الوهابيين يلبسون النوع الأول من الكوافي فقط، لأنهم يرون أن الملابس المصنوعة كلاً أو جزءاً من الحرير أو الصوف محرمة من قبل الشريعة. وكان هذا اللباس منتشرًا في القديم بين سكان المدن. ويلبسه الرجال بوجه خاص، وتطوى هذه الطرحة بصورة منحرفة وتوضع فوق الطاقية، بهيئة تتدلى منها على الظهر الزاويتان المثلثتان، والزاويتان الأخريان على الجبهة. وهناك قطعة من الصوف، أو عمامة تلف على العموم حول الطرحة، وفي بعض الأحيان يتعمد بعضهم إبراز الزوايا، أو إظهار الأقسام المتدلية على الجبين، وتعقص هذه الزوايا في أعلى نقطة من العمامة. وسكان المدن يلبسون عادة العمامة فوق الكوفية». وبوسعكم مقارنة هذه التفاصيل بتلك التي هيأها لنا فيسكيه Fesquet في كتابه (رحلة إلى الشرق، ص ١٨٥: Voyage en Orient) الذي يكتب الكلمة Couffie أو Caffieh.

وكان السلاطين المماليك في مصر يلبسون الكوفية (تاريخ السلاطين المماليك) وفي عهد تلفيق ألف ليلة وليلة، كانت النساء تلبس هذه العمرة. فنحن نقرأ في هذا الكتاب (ط مكنانگتن، ج ١، ص ٣٣٣): خلعت بعض ثيابها وقعدت في قميص رفيع وكوفية حرير». وفي موضع آخر (ج ١، ص ٤٥): «كوفية بألف دينار». بعد ذلك (ج ١، ص ٥٩٦): «على رأسها كوفية دق المطرقة مكللة بالفصوص المثلثة»^(١). ويرى لين

(١) يفسر هاببيخت في قويميسه - بصدد الجزء الثاني من طبعته لألف ليلة وليلة - دق =

(ألف ليلة وليلة، ج ١، ص ٦١٤) إن النساء كن يلبسن الكوفية مثلما يلبسن اليوم الفرودية أي بلف الطرح حول الرأس، بحيث إنها تؤلف عمامة صغيرة.

ويكتب برگهارت الكلمة Keffie فيخطيء قليلاً (ملاحظات على البدو والوهابيين، ص ٢٧). وإليك كلماته: «يضع جميع البدو على الرأس عمامة». (يفسر برگهارت الكوفية بالعمامة، فيعطي للقارئ فكرة زائفة عن هذا النوع من لباس الرأس) «أو طرحة، مصنوعة من القطن، أو من القطن والحريز، بدلاً من طاقية الأتراك الحمراء - وتسمى هذه العمامة كوفية، وهم يلفونها حول الرأس بحيث إن جانب منها يتدلى إلى الوراء، وإن الجانبين الآخرين يهبطان أمام الكتفين، وبهاتين الزاويتين يغطي الوجه، لوقايته من أشعة الشمس ولحمايته من الريح الحارة، وتجنبيه المطر، أو لإخفاء ملامحه وقسماته، إذا لم يشأ الإنسان أن يعرفه أحد. والكوفية صفراء، أو صفراء وخضراء». ونحن نقرأ بعد ذلك في كتاب برگهارت (ص ١٣١): «إن طرحة الرأس أو الكوفية، ذات الخطوط الصفراء والخضراء، التي يستعملها الرجال، هي شائعة الاستعمال بين كافة قبائل شمال مكة».

= المطرقة بقطع صغيرة من الذهب أو الفضة Paillettes d'or ou d'argent وإن كوفية أو خلعة (ط (Habicht) ح ٢، ص ٤٦) مؤلفتان برمتيهما من قطع صغيرة من شيء غريب مضحك، ولكن كلمتي دق المطرقة، أو دق فقط، دلالة على الزركش. فإني أقرأ في كتاب النويري (تاريخ مصر، مخ ٢، ص ١٥٤) إنه وجد لدى أحد الكبراء: «خمس مائة صندوق من دق دمياط وتنيس برسم كسوة جسده». ونحن نعلم أن دمياط وتنيس كانتا مشهورتين بمصانع الزركش. وقد رأينا في موضع آخر من الفقرة الأولى من ألف ليلة وليلة، التي أتينا على ذكرها في النص، إن الكوفية فيه كانت تعمل من الحريز، ومن الفقرة الثالثة إنها كانت مطرزة بالذهب، وهذا كله يفسر دق المطرقة!

وما دام بكنگهام (أسفار في بلاد ما بين النهرين، ج ٢، ص ١٥٩) يقول: «إن أعراب الصحراء يتميزون بكوافيهم، أو بعمرتهم الحريرية والقطنية، فإنني لا أتردد عن التفكير بأن كيرپورتر (أسفار إلى جورجيا وفارس وأرمينيا وبابل القديمة، ص ٢٩٢، ٢٩٣، ج ٢ إلخ) يتحدث عن الأعراب الزبيديين في العراق العربي قرب بغداد: «بعمرة الرأس تتميز أقدار الرجال لدى الأعراب». والكوفية هي هي أو تكاد تكون كذلك لدى كل الأعراب بصورة عامة، وهي تتألف من شقة بز صفراء أو حمراء ملفوفة حول الجبين بمثابة عمامة طويلة ومدببة تسقط على الصدر. وأحياناً يمرر طرف منها فوق الذقن، وحين تسقط هذه الشقة من البز فوق الكتف فهي تخفي كل الإخفاء العنق والقسم الأسفل من الوجه».

ويقول الرحالة فريزر (رحلة إلى كردستان وبلاد ما بين النهرين، إلخ، ج ١، ص ٢٢٨) عن أعراب بغداد: «إن عمرة رأسهم ليست أقل غرابة. فهي ليست عمامة، كما يفكر الكثيرون، إنما هي على العكس من ذلك لا تشبه العمامة أي شبه. وهذه العمرة تنحصر في نوع من الطرحة الحريرية الكثيفة النسيج، وهذه الطرحة مخططة بخطوط متألثة براق، صفراء وحمراء، في حين أن لحمة الأطراف مبرومة على هيئة حبال رفيعة، بمثابة حاشية بالغة الطول. وبعد أن تطوى شقة البز على هيئة مثلث، توضع على الرأس، كما هي العادة الموجودة لدى العجائز الأيقوسيات تماماً، بحيث يتدلى طرفان إلى أمام الكتفين، أما الطرفان المضاعفان فيطرحان على الظهر». (مقارنة الجزء الأول).

وقد رأينا حول كلمة طاقية في نص للمقريري إن جمع كلمة كوفية هو (كوافي). ولا أعتقد أن أحداً تسول له نفسه أن يخلع على كلمة كوفية أصلاً عربياً. أما أنا فأعتقد إن كلمة الكوفية ليست إلا كلمة Cuffia

الإيطالية، وCofia الأسبانية، وCoiffe الفرنسية وCoiffa البرتغالية. وافترض كذلك أن الشرقيين قد استعاروا هذه الكلمة من الإيطاليين الذين كانوا يمارسون التجارة في الموانئ المصرية والسورية في القرون الوسطى، وهم الذين كانوا ينقلون الصليبيين.

ولعل الأتراك قد نحتوا كلمة أسقوفية (كوفيتهم) من نفس الكلمة الأوروبية - وسأحملكم على ملاحظة أن كوتوفيك Cotovic في كتابه (رحلة، ص ٤٨٩، Itinerarium) قال في معرض كلامه عن الفتيات اليهوديات في الشرق: «إنهن معتمرات بالكوافي الفضية أو الذهبية، يتخذنها كزينة، إذا كن في مقتبل العمر، أما المسنات منهن فيلبسها للمحافظة على هندام الشعر من جهة وعلى السميت والوقار من الجهة الأخرى».

اللبية



يقول الجوهري (ج ١، مخ ٨٥، ص ٩٣): «اللبية ثوب كالبقيرة» (راجع كلمة إتب).

اللبدة



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بمعنى طاقية، عرقية، كلوتة. ويقرر لين ((المصريون المحدثون، ج ١، ص ٤٥) إن كلمة لبدة تشير إلى طاقية من اللباد الأبيض أو الأسمر، التي يلبسها الرجال في القاهرة تحت الطاقية الأعظم المسماة بالطربوش. (إذن فهي نفس الشيء، من حيث الاستعمال، كاستعمال الطاقية لدى الأشخاص من الطبقة المترفة). ونجد في القاهرة أناساً في حالة فظيعة من الفقر والإدقاع بحيث إنهم لا

يلبسون طربوشاً ولا عمامة، فيكتفون باللبدة وحدها: La libdeh ونقرأ في رحلة إلى الشرق (ص ١٨٣) لمؤلفها فيسكيه Fesquet: «لا يضع الفقراء المملقون في مصر على رؤوسهم إلا لبدة، وهي نوع من الطربوش الأبيض أو الأسمر، مصنوع من الصوف المقصور».

اللباس وجمعه الألبسة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بالمعنى المراد.

ونحن نعلم أن كلمة لباس تستعمل لدى أعراب كافة الأقطار بمعنى Vestitus l'habillement الملبوس. ولكن لهذه الكلمة في مصر معنى لا يوجد في الأقطار الأخرى، فهو يشير إلى سروال (Un caleçon) تبان. ويحدث في كثير من الأحيان أن ترد في نسخة من كتاب ألف ليلة وليلة كلمة سراويل وفي النسخة الأخرى كلمة لباس، فيحملنا هذا الوضع على الاعتقاد بأن هاتين الكلمتين مترادفتان. فنحن نقرأ مثلاً، في طبعة مكنانگتن (ج ١، ص ١٧١): «وكانت من غير لباس». في حين أن طبعة هاببيخت (ج ١، ص ٦٠) تكتب: «وكانت بلا سراويل». وبعد ذلك طبعة مكنانگتن (السالفة) تعرض: «حل لباسه». وطبعة هاببيخت (السابقة) تقول: «قلع سراويله» ونقرأ في موضع آخر من طبعة مكنانگتن (ج ١، ص ١٧٢): «وهو بلا لباس» وفي طبعة هاببيخت (ج ٢، ص ٦٢): «وهو بلا سراويل». وبعد ذلك في طبعة مكنانگتن (الماضية) نقرأ «من غير لباس». وفي طبعة هاببيخت (ج ٢، ص ٦٣) نطالع: «بلا سراويل».

ونقرأ في تاريخ مصر لابن إياس (مخ ٣٦٧، ص ٢٣٤، حوادث سنة ٨١٥): «القوة على مزبلة خارج المدينة وهو عريان مكشوف الرأس ليس عليه غير اللباس». ونطالع في ألف ليلة وليلة (ط مكنانگتن، ج ١، ص ٦٠٤):

«حلت لباسي وربطت محاشمي بحبل وأمسكته لجاريتين وقالت لهما: «جرا الحبل. فجرتاه فغشي علي - وقطعت ذكرى وبقيت مثل المرأة»^(١).

وفي موضع آخر (ط مكنانگتن، ح ٢، ص ٧٨): «قلع البدلة ورمهاها على ظهر البغلة إلى أن بقي بالقميص واللباس فقط»^(٢). وبعد ذلك (ط مكنانگتن، ح ٢، ص ١٠٦): «فقامت زوجة الوالي ونزعت عنها ما كان عليها من الصيغة وثياب الحرير وألبستها لباساً من الخيش وقميصاً من الشعر وأنزلتها في المطبخ»^(٣). وقد نشر برگهارت (الأمثال العربية، ر ٦) المثل المحدث التالي: «إذا كانت العمائم تشتكي الفسه ايش يكون حال الألبسة؟»^(٤). ويضيف قائلاً: «إن هذا المثل يستعمل عندما يتذمر

(١) سيلحظ المستشرقون بسهولة علة إضرابي عن ترجمة هذه الفقرة!

(٢) تشير كلمة بدلة إلى: الملبوس الرائع الجديد. فنحن نقرأ في ألف ليلة وليلة (ط مكنانگتن، ح ١، ص ١٢٢): «أرسلتها إلى الحمام وألبستها بدلة». حيث لين (ح ١، ص ١٩٤) يترجم New apparel وحيث طبعة هاييخت (ح ١، ص ٣١٠) تقدم هذه الكلمات: «ألبستها من أفخر ملبوس». ونجد في موضع آخر من نفس الكتاب (ط مكنانگتن، ج ١، ص ٣٤٨): «اشترى لكل شخص منهم أربع بدلات كوامل من أحسن القماش». وبعد ذلك (ج ١، ص ٤٢٥): «بدلة لباس تركية مزركشة». وفي لفيف من فقرات أخرى توجد كلمة بدل مستعملة بنفس المعنى. وعبثاً نبحت عن هذه الكلمة في القاموس.

(٣) إن كلمة صيغة ومصاغ ومصوغ تشير إلى زراكش الذهب لا سيما تلك التي تستعملها النساء. فنحن نقرأ في كتاب النويري (تاريخ مصر، مخ ٢، ص ١٧٠): «ومعها جارية تحمل القماش والمصاغ». (مقارنة حكاية هذه الواقعة في تاريخ السلاطين المماليك، ح ١، ص ٢٤٧). وفي كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنانگتن، ح ١، ص ٢٤٥): «الأموال والقماش والمصوغ».

(٤) معنى هذا المثل البذيء: «إذا كانت العمائم تشتكي من الفساء، فما حال التباين؟» (المترجم).

سكان القاهرة من الاضطهاد في حين أن الفلاحين لديهم أسباب أقوى لجعلهم متذمرين». وألبسة جمع لباس، وهو السروال الذي يلبس تحت السروال الأكبر (Under the great trousers).

ويفسر الكونت دي شابرول في (وصف مصر، ح ١٨، ص ١٠٧) كلمة لباس بكلمة Culotte d'été لباس الصيف المصنوع عادة من الخام. وبعد ذلك (ص ١١٢) يقول: «اللباس هو الكالسون Caleçon التبان أو تبان الصيف Culotte d'été المصنوع من خام الكتان أو القطن». وكذلك يقول لين (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٣٩): «إن اللباس يشير إلى كالسون واسع (تبان) من الكتان أو من القطن». والكالسون يتجاوز الركبة قليلاً أو يصل حتى كعب القدم، ولكن الكثرة الكاثرة من الأعراب لا ترتدي التبان الطويل، لأن ذلك محرم بأمر رسول الله. وحتى أيام الحملة الفرنسية على مصر كان تبان النساء يسمى كذلك باللباس، ولكن في أيامنا هذه لا يحمل هذا الاسم الشنتيان». (راجع لين، ج ١، ص ٥٦).

ويخبرنا هليفريتش (تقرير موجز واقعي عن الرحلات، ص ٣٩٣): «إن رجال القاهرة كانوا يلبسون في عهده، تباناً طويلاً عريضاً، مصنوعاً من الكتان الأبيض، يتدلى حتى يكاد يلامس الحذاء». ويتحدث غليوم ليتكوف (رحلات برية في القرن التاسع عشر، ح ١، ص ١٧١) عن تباين نساء القاهرة الكتانية.

وتحدث كاترمير (كتابه القيم الذي سيرد ذكره، ح ١، ق ١، ص ٥٨، ٥٩) عن كلمة فتوة وتعابير كأس الفتوة وسراويل الفتوة ولباس الفتوة، وذلك في إحدى تعليقاته النفسية، حول تاريخ السلاطين المماليك، وهو الكتاب الذي أدى أجل الخدمات لعلم فقه اللغة العربية، وقد صدر في أوروبا على شكل شروح. ولكنني مستغرب مع ذلك من هذا العالم الجليل لأنه لم يلحظ، في معارضته لنص المقرئزي، الذي ترجمه، مع بيت أبي

الحسين الجزار، إن كلمة لباس هي مرادف لكلمة سراويل، وأتعجب مرة أخرى من ترجمة كاترمير كلمة لباس بكلمات Robe de dessus رداء فوقاني، وهو المعنى الذي لم يخطر ببال كلمة لباس مطلقاً. فضلاً عن ذلك فإن النصين التاليين لابن بطوطة جديران، إذا لم أكن متوهماً، بتوضيح تعبيري لباس الفتوة وسراويل الفتوة، وهما متماثلان. يقول المؤلف (الرحلة، مخ دي غايانغوس، ص ٨٤) في معرض وصف شيراز: «وخلع عليه جميع ما كان عليه من الثياب، وهي أعظم كرامات السلطان عندهم. وإذا خلع ثيابه كذلك على أحد كانت شرفاً له ولابنه وأعقابهم يتوارثونه ما دامت تلك الثياب أو شيء منها وأعظمها في ذلك السراويل». وفي موضع آخر (ص ١٢٤): «وله طائفة كبيرة من التلاميذ ولهم في الفتوة سند يتصل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولباس الفتوة عندهم السروال كما تلبس الصوفية الخرقه». ويدل لباس الفتوة (تبان الفتوة)، يقال أيضاً ببساطة: «الفتوة». فنحن نقرأ مثلاً في تاريخ مصر للنويري (مخ ٢، ص ١٤٦): «وفي هذه الليلة حضر الخليفة إلى خيمة السلطان (بيبرس) وألبسه الفتوة بحضور من يعتبر حضوره في ذلك».

ويستعمل مذيل أعمال المكين Elmacin، وهو يروي نفس الواقعة (لدى كاترمير ص ٥٩)، تعبير «لباس الفتوة».

اللثام



يقول لين (ألف ليلة وليلة، ج ١، ص ٤٨٥): «اللثام هو قطعة بز يغطي بها البدو في معظم الأحيان الجزء الأسفل من الوجه. واللثام يمنع كثيراً معرفة العربي من قبل عربي آخر يروم أن يجعل منه ضحية الثأر أو

الانتقام *La vendetta* وهو وسيلة للتنكر لا يستعملها عادة إلا العرب الذين يقطنون الصحراء». وحين أرادت الأميرة بدور أن تتحل شخصية زوجها أخذت ملابسها: «ضربت لها لثاماً» (ألف ليلة وليلة، ط مكناتن، ج ١، ص ٨٧٨). ونقرأ في موضع آخر من الكتاب الذي ذكرته (ط مكناتن، ج ٢، ص ٥٩): «وإذا بالملك امرأة ضاربة لها لثاماً». وبعد ذلك (ج ٢، ص ١١٧)، في معرض الحديث عن سيدة لا تريد أن يعرفها الناس: «وهي ضاربة لثاماً». فلما كشف ذلك الملك اللثام عن وجهه وإذا هو جارية كالشمس الضاحية في السماء الصاحية ذات حسن وجمال «وهذا النوع من الخمار كان يحجب من النساء الجزء الأسفل من الوجه كما يغطي نفس الجزء من الرجال» ويقول المعتمد (في الخريدة، مخ المكتبة الملكية في باريس، رقم ١٣٧٥ - ص ١٤٦):

«وقبلت ما تحت اللثام من اللمي»

وإن سلالة المرابطين *Morabites* قد استعارت اسمها من (الملمثين) ومن أولاد الملمثة، من العادة التي درج عليها المرابطون بوضع اللثام تحت النقاب. راجع (البكري، ص ٦٣، ج ١٢ - تعليقات ومقتبسات لكاترمير) إذ نرى من تعليق هذا العالم الشارح كاترمير، إن العادة ما تزال باقية حتى أيامنا هذه لدى الطوارق والتبو: «*Les Touarics et les Tibbo*».

الحاف



تشير كلمة لحاف، مثل كلمة ملحفة، إلى كساء واسع للمرأة. ويقرر ابن جبير (الرحلة مخ ٣٢٠، ص ٢٠٠) إن الصقليات (التحفن اللحف الرائقة) وقد احتفظن، أيام الدولة النورماندية، بالزي الإسلامي. ويخبرنا النقيب ليون (أسفار في الشمال الأفريقي، ص ١٥٦) إن الطوارق

يلفون رؤوسهم بخمر زرق تسمى El Khaaf اللحاف. ولا يساورني أدنى ارتياب في أن كلمة El Khaaf هي تحريف للكلمة العربية لحاف، أو اللحاف، إذا أضفنا أداة التعريف.

الملْحَف، المِلْحَفَة

كانت تشير كلمة ملحفة في القديم إلى إزار رجل. ويقرر كتاب عيون الأثر (مخ، ٣٤٠، ص ١٨٩) إن الرسول ﷺ ترك فيما ترك، وهو يوجد بنفسه، ملحفة مורسة (مصبوغة بالورس).

وقد رأينا آنفاً، بصدد كلمة خرقة، بفضل نص من رحلة ابن جبير، إن الملاحف هي ملابس البدو. ويقول ابن بطوطة (الرحلة مخ دي غايانگوس، ص ١٧) عن البجاة في مدينة (إيذاب): «وهم سود الألوان يلتحفون ملاحف صفر». ويستعمل كتاب شريقون آخرون كلمة ملاحف أيضاً عندما يريدون الإشارة إلى الأزر التي تستعملها الشعوب المنعقة من الهمجية. والواقع أن النقيب ليون (أسفار في الشمال الأفريقي، ص ١٥٥) يؤكد أن الأزر المخططة المرقطة التي يرتديها أهل السودان تدعى Melhaffi Zaberma.

ولكن كلمة ملحفة كانت تستعمل في المغرب والأندلس للإشارة إلى الخمار الكبير أو الإزار الذي تتحجب به النساء في الشرق، حينما يبرزن من منازلهن والذي أطنبت في الحديث عنه بصدد كلمة إزار. ويقول الرحالة المغربي ابن بطوطة (الرحلة مخ، ص ٨٣) في معرض حديثه عن نساء شيراز: «ويخرجن ملتحفات متبرعات فلا يظهر منهن شيء». ويقول ديبغو دي توريس (قصة الشرفاء، ص ٨٦) بحزم وصراحة، إن الثياب التي ترتدي في مراکش Liçares ليسارس (الأزر)

تسمى في غرناطة Almalafas الملاحف^(١). وقد قرأنا هذا النص بصدد كلمة إزار، ورأينا فيه أيضاً أن مارمول يتحدث عن الملاحف أو الأزرق Melhafas o lizares ويقول ديبغو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر، ص ٢٧، مج ٢): «ترتدي النساء العربيات في مدينة الجزائر فوق القميص نوعاً آخر من القمصان، على ثلاث هيئات^(٢) أي ملحفة تشبه شرف المنام». (Que es a manera de una sabana) إلا أن هذا الأخير مربع، وأن الـ Malaxa الملحفة عرضها ثلاث أذرع، أو ثلاث أذرع ونصف الذراع، وطولها ثمان أو تسع أذرع، وهن يلففن أجسامهن بها فوق القميص».

ويصور لنا سرفانتس Cervantes في كتابه (أقاصيص نموذجية Novelas Exemplares ح ١، ص ١١) إحدى بطلاته وهي مرتدية على الطراز البربري ملحفة Almalafa من الأطلس الأخضر مرصعة بالذهب (راجع كذلك كوباروفياس، كنز اللغة القشتالية، مدريد ١٦١١) حول

(١) تذكر أن عبودية ثمان سنوات في مدينة الجزائر حملت سرفانتس حملاً على ملاحظة أزياء الأفارقة.

(٢) سبق لنصوص ديبغو دي هيدو وديبغو دي توريس وكوباً روفياس أن أوردها كاترمير (ملاحظات ومقتبسات، ص ٦٥٤). وتعني كلمة ملحفة كذلك غطاء. راجع المقريري (لدى سيلفستر دي ساسي، طرائف عربية، ح ١، ص ٣٥ من النص) وهو يتحدث عن غطاء (ملحفة من الدرجة). وكذلك كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنان، ح ٢، ص ٤٢٧). وكانت مدينة بعلبك مشهورة بصنع هذه الملاحف (ابن بطوطة، مخ دي غايانغوس، ص ٣٠). وكلمة لحاف لها نفس المعنى (ألف ليلة وليلة ط مكنان، ح ١، ص ٨٢). وتستعمل كلمة ملحفة أيضاً في التحدث عن غطاء (أوجل) يوضع فوق ظهر الحصان. فنحن نقرأ لدى ابن خلدون (تاريخ الأندلس، مخ ١٣٥٠، ح ٤، ص ١٢): «ثمانية وأربعون من الملاحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير المذهب».

كلمة ملحفة. وقد حرم فيليب الثاني على نساء غرناطة ارتداء الملحف (مارمول، حكاية المغاربة، ص٣٦، مج١).

الملفة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويذهب ابن جني (شرح ديوان المتنبي، مخ١٢٦، ص١٠٣) إلى أن هذه الكلمة تشير إلى قطعة بز تضعها النساء على الوجه، توقيا للخمار من الدهن الذي يدهن به شعورهن. وإليك كلمات الشارح: الغفارة: كل ما توقي به المرأة الخمار من الدهن. ويقال له الغفار والصقاع والملفة.

اللفاع

لا يمكن لهذه الكلمة أن تحتل محلها في هذا الكتاب إلا بمعنى ملحفة، وهو المعنى الذي يخلعه عليها القاموس. وفضلاً عن ذلك فإن اللفاع معنى يتسم بسمة العموم، ذلك لأن القاموس (ط كلكتا، ص١٠٨٨) يفسره هكذا: الملحفة أو الكساء أو النطع أو الرداء وكل ما تتلفع به المرأة. والواقع أن هذه الكلمة تشير إلى كساء واسع للمرأة. وإن ابن خاقان في كتابه (تاريخ بني عباد، ح١، ص٤٥) يعبر عن الموضوع باستعمال مجاز فيقول: فأضحت ولها بالتداعي تلفع واعتجاز (في معرض وصف حالة الخراب التي آل إليها قصر الزهراء). (أي أنه بعد أن تمتع ما تمتع بالجمال والبهاء والألاء والإشراق والعزة والمجد) أصبح هذا القصر في يوم من الأيام أنقاضاً فوق أنقاض، وقد التف بالخرائب كما تتلفع المرأة بالأزار والعمرة. ومعنى ذلك أن القصر أنهار انهياراً شاملاً. والمؤلف يقارن البناية المخربة بامرأة متلفعة بإزارها

الفضفاض وبتاج رأسها، بحيث أصبح من الاستحالة بمكان تمييز أحد أجزاء جسمها.

المَمْجُون

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

على أن هذه الكلمة المشتقة من فعل مجن (Durus, crassus fuit) تشير، حسب تقرير المقريري (راجع آنفاً ما دار من الكلام حول كلمة جوخة) إلى ثوب له كُمان وهيكل قصار، وهو مفصل من الجوخ، دون بطانة داخلية، ولا بطانة خارجية.

المَرْط

يقول القاموس (ط كلكتا، ص ٩٧٠) عن المرط أنه (كساء من صوف أو خز). ويقول التبريزي (شرح الحماسة، ص ٥٠٤) ما يقارب هذا القول. ويقول الجوهري: «المروط وهي أكسية من صوف أو خز كان يؤتزرها». ويقول ابن جني كذلك في (شرح ديوان المتنبي، مخ ١٢٦، ص ٢٤٩): والمرط شبه كساء تلبسه نساء الأعراب وتأتزرها». ويقرر النووي (تهذيب الأسماء، ص ٣٣) إن الرسول ﷺ كان يرتدي أحياناً (مرطاً أسود من شعر أي كساء).

ولكن يبدو بالبداهة من بيت مذكور في الحماسة (ص ٥٧٩) مستشهد به الجوهري (ج ١، مخ ٨٥، ص ٥٢٠) والشارح ابن خاقان (لدي فيرس، حول ابن زيدون، ص ٤٠، ١٣٧) إن كلمة مرط تعني كذلك نوعاً من التبان، السروال.

ألمار

يفسر القاموس (ط كلكتا، ص ١٩٤٨) هذه الكلمة بأنها (كساء صغير له خطوط مرسلة وأزار الساقى) (الساق) من الصوف المخطط).

المز أو المزد

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي تحريفات من الكلمة التركية مست. ويذهب الكونت دي شابرول في (وصف مصر، ج ١٨، ص ١٠٩) إلى أن: «حذاء المصريين يتألف بادئ ذي بدء من المست Mest، وهو نوع من الجواريب معمولة من السختيان المراكشي، الذي يغطي القدم بتمامها ونحن نقرأ لدى لين (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٤٢): «بعض الناس يلبسون كذلك الخفاف (Inner shoes) المشغولة من السختيان المراكشي الأصفر اللين الناعم الملمس، مع بطانة نعلية من نفس الجلد» ويسمونه «المز» أو بصورة أصح «المزد» وهو تحريف للكلمة التركية المست.

المسح

إن جمع هذه الكلمة هو مسح. ويعرض غوليوس كلمة مسح بوصفها مفرداً، ولكنني أعتقد أنه متوهم. فتحن نقرأ في أساطير بيدبا (ص ١٢): «ألقي عليه مسوحة وهي لباس البراهمة». وبعد ذلك (ص ٣٠): «فلما جاء الرسول قام فلبس الثياب التي كان يلبسها إذا دخل على الملوك وهي المسوح السود». وفي الشرح التاريخي لابن بردون على قصيدة ابن عبدون (مخ، ص ٧٥): «ثم انخلع من ملكه ولبس المسوح

وساح في الأرض». وفي رحلة ابن بطوطة (مخ دي گایانگوس، ص ١٥١، ١٥٢): «وأكثر هؤلاء الملوك إذا بلغ الستين أو السبعين بنى مانستارا ولبس المسوح وهي ثياب الشعر وقلد ولده الملك واشتغل بالعبادة حتى يموت». وفي موضع آخر (ص ١٥٢) يقول نفس المؤلف أن «الراهبات في بيزنطية يلبسن المسوح (عليهن المسوح)». وفي كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناكتن) إن درويشاً قال: «لبست مسحاً أسود». ونستخلص من فقرة خاقان (مطمح الأنفس، مخ سان پترسبورگ، ص ٧٦) إن المسوح في أسبانيا كان يرتديها العبيد النصاري. وإنه كان لباساً لا شأن لتفصيله، ولعله كان يشبه بعض الشبه كيس العبريين^(١). وكان يرتديه الرهبان بصورة خاصة وكذلك العبيد. ونستنتج بالإضافة إلى ذلك من فقرة للمقري (تاريخ الأندلس، مخط دي غوتا، ص ٣٦٥) إن المسح كان لباس الحداد. فإن هذا المؤرخ يجزم بارتداء القيان للمسوح

(١) تشير كلمة مسح كذلك إلى قماش من شعر الماعز أو من شعر الحمير - يستعمل لحياكة العباء. يقول راولف في كتابه (وصف حقيقي للرحلات، ص ١٣٢ و ١٣٣)، واصفاً هذا الزي لدى إزماعه السفر من حلب إلى بغداد: «لباس يلبس فوقه لباس آخر يغطي كافة الملابس، وهو معمول من المسكة: المسوح، وكان شائع الاستعمال لدى المغاربة والبربر. ويعمل غالباً من شعر الماعز وأحياناً من شعر الحمير. وهذا اللباس ضيق لا أكمام له، وقصير لا يصل إلى الركبتين، وهو يختلف عن بعضه. والفاخر منه مشغول برقة، خصوصاً المعمول بصورة مخططة بخطوط سوداء أو بيضاء، وكذلك المرقط، وبعضه الغليظ للخيم، ويستعمل أثناء الأسفار في الصحارى وتتخذ منه العدول التي توضع على ظهور الحمير والبغال لحفظ علف هذه الحيوانات، ومنه يشد في رقابها كما تعمل منه حقائب للصيد. وهذه الأكياس تعود بذاكرتنا إلى عدول العبريين. ونذكر بهذه المناسبة الإصحاح (٣٧) من سفر التكوين من الكتاب المقدس وغيره. (فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحاً على حقويه وناح على ابنه أياماً كثيرة).

بعد وفاة المنصور، فيقول: «لبس قيان المنصور المسوح والأكسية بعد الوشي والحبر والخز»^(١).

المُسُومِي

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكن في أحد كتب برگهات (ملاحظات على البدو والوهابيين، ص ٢٧) نجد ما يلي: «هناك أنواع مختلفة من الكسي، من الأزرق الناعمة الرقيقة بإفراط، من العباءات الخفيفة الهفافة المشغولة من الصوف الأبيض، المعمولة في بغداد، وهي تحمل اسم المسومي Mesoumy قائمة الكلمات العربية المدرجة في نهاية الكتاب».

المُقَلَّة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بمعنى عمامة.

ويقرر لين (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٤٧) إن «العلماء كان من عادتهم ارتداء عمامة غاية في السعة وعلى هيئات مختلفة، وتسمى مقلة، وبعض الذين ينتمون إلى هذه الطبقة ما يبرحون يلبسونها حتى يومنا هذا. ويتحفنا لين بصورة هذه العمامة».

(١) لا أدري كيف أغفل المؤلف قصيدة أبي العتاهية المسوحية - التي مطلعها:
رحن بالوشي وأقبلن عليهن المسوح كل نطّاح من الدهر له يومٌ نطوح
(المترجم).

المَطَر، المِمْطَر، المِمْطَرَة



إن المراد، كما يشير إلى ذلك أصل الكلمة، ثوب يرتدي للتوقي من المطر. وهو معمول من الصوف، وينص القاموس (ط كلكتا، ص ٦٥٨) على ما يلي: «المَمَطَر والمِمْطَر والمِمْطَرَة ثوب صوفي يتوقى به في المطر».

المَلَاءَة، المَلَاءَة، المَلَاية



لا وجود للصيغة الأخيرة في القاموس.

وقديماً كان هذا النوع من المعطف لا يلبسه إلا الرجال، ذلك لأننا نقرأ في كتاب الأغاني (لدى كزكارتن طرائف عربية، ص ١٣٠) إن المغنية الشهيرة عزة الميلاء كانت قد اكتسبت لقبها الميلاء، على رأي بعضهم لأنها كانت تلبس الملاء وتتشبه بالرجال. والواقع أن الهيئة التي يخيل إلينا إن الرجال كانوا يرتدون وفقها هذا الثوب، والتي ما يبرحون يتبعونها حتى يومنا هذا، ليست مخلة كثيراً باحتشام المرأة وحيائها. فنحن نقرأ في كتاب لين (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٤٥): «إن هذا الثوب نوع من المعطف الأزرق والأبيض ويدعى ملاية، ويلبس هذه الملاية كذلك بعض الرجال وعلى الأخص بعض النساء». وسنأتي على وصفها التفصيلي عند التحدث عن زي النساء، والرجال يطرحونها على الكتفين، أو يلفون بها الجسم. وجاء في (وصف مصر، ج ١٨، ص ١١٠): «الملاية شقة من القماش القطني المخطط بخطوط زرقاء وبيضاء، طولها ثمانى أقدام وعرضها أربع أقدام، وتستعمل استعمال المعطف (الإزار) أو استعمال جبة كبار رجال الكهنوت Camail». ولا

يساورني هاجس ريب في أن بوكوك يتحدث عن هذا اللباس (وصف الشرق، ج ١، ص ٣٢٧، ٣٢٨) حين يقول: وهي عادة سارية على وجه التقريب بين الأعراب والمحمدين المولودين في هذا القطر في ارتداء إزار أبيض أو أسمر، وفي الصيف يتخذونه من القطن الأبيض والأزرق، ونصارى الريف يتبعون على الدوام هذه العادة. وهم يغطون الذراع اليسرى بإحدى الزوايا، ويطرحون الثوب إلى الوراء، ويجعلونه يمر تحت الذراع اليمنى ثم فوق الصدر وعلى الجسم ويرمي سائره على الذراع اليسرى، بحيث يجعلونه يتدلى على الظهر. والذراع اليمنى تبقى مكشوفة، بغية استعمالها بحرية. وحين يشتد الحر وهم على ظهور خيولهم، يسبلون الإزار على السرج، بحيث إنه لا يغطي إلا البطن الأسفل، وقد لاحظت قرب الفيوم شباناً يافعين خصوصاً من سواد الشعب، لم يكونوا يرتدون إلا هذا المعطف أو الإزار.

ويخبرنا هورنمان في كتابه (مذكرات حول رحلة من القاهرة إلى مرزوق، ص ٢١) إن الملاية يلبسها الرجال في سيوه. ويقول الرحالة: «إنها شقة كبيرة مخططة بخطوط زرق وبيض، وإنها تطوى وتطرح على الكتف» والملاية أو الملاية النسائية تنتسب إلى أسرة الأزرق الكبيرة أو المعاطف الواسعة، التي تستر بها النساء الجسم كله (مقارنة مع كلمة شوذر وحبرة وإزار وملحفة). ويذهب لين (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٦٦) إلى «إنها نوع معطف يشبه من ناحية الكل الحبرة، ويتألف من شقتي قطن منسوجتين تربيعات زرقاء وبيضاء، أو على هيئة خطوط مائلة منحرفة، مشوبة باللون الأحمر في كل طرف. وعلى العموم فالقوم يرتدونها ارتداءهم للحبرة، ولكنهم في بعض الأحيان يلبسونها لبسهم للطرح». ويضيف لين إلى ذلك معلقاً: «هناك نوع ملاية أفخر وأبدع، وهو مصنوع من الحرير، وله أنواع متعددة، ولكنه قلما يلبس في يومنا

هذا. والشقتان اللتان تتألف منهما الملاية مخيطتان معاً، كالشقتين اللتين تتألف منهما الحبرة». (قارن من ناحية هيئة ارتداء هذا الملبوس، هذا الكلام بالرسم (ص ٦٥) في كتاب لين).

ويذهب هورنمان (مذكرات إلخ، ص ٢٢) إلى «إن النساء في سيوه يلبسن الملاية» التي يلففن بها الرأس ويسلبنها على هيئة الإزار.

ويخبرنا برگهات (أسفار في البلاد العربية، ج ١، ص ٣٣٩): «إن نساء مكة يلبسن ملاية من الحرير المخطط بخطوط بيض مجلوبة من المصانع الهندية». ويرى رويل (رحلة إلى الحبشة، ج ١، ص ٢٠١) إن: «نساء مدينة مصوع يرتدين شقة كبيرة من بز القطن، هي في العادة مخططة بخطوط زرق وبيض، وتدعى ملاية، وهي تغطي عادة الذراعين في أعلى الجسم».

وهذا النوع من الإزار الكبير أو المعطف شائع الاستعمال أيضاً في الجزيرة، لأن بكنگهام (أسفار في بلاد ما بين النهرين، ج ١، ص ٣٤٤) يقول، في معرض حديثه عن نساء ماردين: «إن المحمديات والعيسويات يسترن أنفسهن بشقة من البز ذي التريعات الزرقاء تستعمل في مصر وتضفي مظهر الفقر على اللباس بأكمله». وبعد ذلك (ص ٣٩٢) يعلمنا الرحالة نفسه إن نساء ديار بكر «يلبسن أحياناً معطفاً من القطن فيه تريعات زرقاء، مثل المعطف المرتدي في معظم أنحاء سورية ومصر». وعلاوة على ذلك فيقال اليوم ملاية بدلاً من ملاءة، مثلما يقال عباية بدلاً من عباة، ومراية بدلاً من مرآة (برگهات، الأمثال العربية، ر ٤٩ إلخ^(١)).

(١) تشير كلمة ملاءة كذلك إلى غطاء. فنحن نقرأ في الكتاب المعنون مجمع الأنهر (ط القسطنطينية، ج ٢، ص ٢٥٩): «وكذا لا بأس بملاءة حرير يوضع في مهد الصبي =

الملوطة

لقد لاحظ فليشر: وأحسن الملاحظة، إن هذه الكلمة ليست إلا كلمة (ملوطة) التي أحالها الأقباط إلى (ملوطة). ونرى من تعليق لين (ألف ليلة وليلة، ج ١، ص ٤٨٥) إن المعنى بكلمة ملوطة هو الجبة، وكذلك يراد بها اللباس الفوقاني الواسع، الذي كان يلبس فوق الفرجية. فنحن نقرأ في ألف ليلة وليلة (ط مكنان، ج ٢، ص ٤٤٦): «ملوطة من الحرير» ويعلمنا الأمير رادزيويل Radzivil (زيارة أورشليم، ص ٣٠). إن لباس المماليك التتار كان يدعى ملوطة Marlotta وكان له كمان مفرطان في السعة.

وهذا الثوب كان شائع الاستعمال أيضاً في أسبانيا، وذلك لأن بيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية يترجم كلمات: Cugulla de abito de frayle: بكلمة ملوطة^(١) وجمعها ملايط، وفي اللغة العربية، التي يتخاطب

= لأنه ليس بلبس». وفي كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنان، ج ١، ص ١١١): «أرخوا عليه ملاءة من الحرير». وبعد ذلك (ج ١ - ص ٢٦١) نقرأ أن امرأة طاعنة في السن وسيدة شابة تبارزتا، فأحرزت المرأة الشابة النصر، وطرحت العجوز أرضاً: «فأقبلت الجارية ورمت عليها ملاءة من الحرير رفيعة وألبستها ثيابها وأعتذرت لها». وفي موضع آخر (ج ١، ص ٨٢٠): «اضطجع رجل لابس قميصاً ومقنعا: ثم تغطى بملاءة من حرير». وبعد ذلك (ج ١، ص ٨٢١) نقرأ كذلك في نفس القصة: «وكشفت الملاءة عن وجه قمر الزمان». وبعدئذ (نفس المرجع): «وبعد ذلك أرخت الملاءة على وجهه وغطته بها». وأخيراً (ص ٨٢٧): «وشالت ملاءة الحرير عن وجه قمر الزمان».

(١) يقول كوياروفياس (كنز اللغة القشتالية، مدريد ١٦١١) حول كلمة Cugulla «معطف الراهب الملحق به قبع على هيئة مغزل، ويتتهي بلسان، وهذا القبع يشبه إقباع رهبان شارتر وراهبان الكبوشيين. وهو في اللغة اللاتينية كوكولا Cuculla. ومع ذلك =

بها سكان شبه جزيرة أسبانيا، كانت تشير كذلك إلى الجبة، لأن بيدرو دي الكالا يقول مباشرة بعد المادة المذكورة: *Cugulla assi* أي جبة، وجمعها جباب.

ويفسر المؤلف المشار إليه كذلك كلمات سايا دي موخير *Saya de Muger* (تنورة امرأة) بكلمة ملوطة، وجمعها ملاليط. (وقد قلت آنفاً، ص ٨٧ إنني أرى أن كلمة بلوط وكلمة بلوطة ليستا سوى تحريف لكلمة ملوطة). والواقع أن المؤرخين الأسبان القدماء يصورون لنا الفرسان والسيدات المغاربة مرتدين الملاليط في معظم الأحيان. وهم يتحدثون عن ملوطة زرکش *Marlota de brocart* كان يلبسها ملك غرناطة (حروب غرناطة الأهلية، ص ٣٥) «*Guerras civiles de Grenada*».

وعن ملوطة من المخمل فاخرة رائعة بإفراط مطرزة بالذهب كان يرتديها فارس مغربي (المرجع السالف، ص ٣٦)، وعن ملوطة من الحرير الأملس حمراء اللون (مجموعة أغاني المنتصرين، الموريسكيين، ص ٣٢): «*Romancero de Romances Moriscos*» وعن ملوطة خز ثلاثية الطبقات، كانت تلبسها ملكة غرناطة (حروب غرناطة الأهلية، ص ٧١)، وعن ملوطة من الدمقس، كانت ترتديها سيدة مغربية (المرجع السالف، ص ٧١).

وقد حرم فيليب الثاني على النساء المغربيات ارتداء الملاليط *Marlotas*. (مارمول، ثورة المنتصرين، الموريسكيين، ص ٣٥، مج)،

= فإنني أرى أن (المعطف) *Cugulla* الذي ذكره بيدرو دي الكالا لا قيع له - لأنه يقول مباشرة بعد المواد المذكورة في النص *Cugulla con capilla Cuculle avec un capuchon* (معطف مقيع) قبيلة، وجمعها قبابل، وهذا يبرهن، إذا لم أكن متوهماً، إنه حينما يقول كلمة *Cugulla* لوحدها، فإنه يـ بـ بذلك: «معطف لا قيع له».

Marmol Rebellion de los Moriscos انظر كذلك (مجموعة أغاني الموريسكيين، إلخ، ص ١٣، ٣١، ٣٥، ٤٠، ٤٣، إلخ).
ونحن نعلم أن كلمة مرلوطة Marlota ما برحت مستعملة في أسبانيا.

ويبدو أن هذا الملبوس كان يرتدي في مالطة أيضاً، ذلك لأننا نجد في فاسالي، اللغة المالطية، مج ٤٥٥) كلمة ملوط ومؤنثها ملوطة - والجمع ملاليط وملوطات - ولكن يخيّل إلينا إننا نجعل هذا اليوم معنى هذه الكلمة في هذه الجزيرة، لأن المعجمي يضيف «نحن نجهل المعنى»: «Car le lexicographe ajoute: desideratur significatio».

المُوزَج



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي الكلمة الفارسية موزة - التي تسللت إلى اللغة البيزنطية (متكساكيون - متكساكين) وهي في اللغة السريانية (موقو). وتشير إلى (جزمة Une bottine) راجع: فليشر:

(de glossis Habichtiainis, pag. 92 et 1, Allgemeine Literatur- Zeitung 1843, Ergänzungsblätter, col. 134).

ملحق جريدة عامة عن الأدب لسنة ١٨٤٣.

النجاف



يفسر القاموس (ط كلكتا، ص ١٢٣٠) هذه الكلمة بأنها المدرعة. (راجع هذه الكلمة).

النِّخَاف



يفسر القاموس (ط كلكتا، ص ١٢٣١) هذه الكلمة بأنها الخف .
والظاهر إنها نفس الكلمة مضافاً إليها الحرف المساعد (ن) .

الْمَنْدَل



يذهب القاموس إلى أن المندل هو الخف كذلك .

الْمَنْدِيل



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بالمعنى المراد . وهي تشير إلى

: Le turban

١ • العمامة (شاش، عمامة) فنحن نقرأ في أسفار أولياريوس (رحلات إلى موسكوفيا وبلاد التار وفارس، ص ٨١) : «إن طواقي الفرس وتدعى Mendils مناديل، في اللغة الفارسية، وعمائم في اللغة التركية» كلمة دلبند فارسية، وليست تركية) هي مصنوعة من القطن أو من قماش حريري آخر ناعم رفيع الخيوط له ألوان مختلفة، وهم يلفونها عدة لفات، ولها من الطول ثماني أو تسع أذرع ولها طيات وثنيات خفيفة مخيطة ومقصبة بالذهب . وطواقي رجال الدين الفرس، وخصوصاً الحفاظ، هي خالصة البياض، ومثلها مثل سائر ملابسهم الناصعة البياض . وبعضهم يلحقون بمناديلهم قنزعة من الحرير تتدلى على ظهورهم، أو فوق أكتافهم، ويبلغ طولها نصف ذراع . والسادة، أي أولئك الذين هم من سلالة الرسول، والذين يزعمون أنهم أعقابهم ووارثوه، لهم قنزعة من الحرير الأخضر في عمائمهم . وهذا المعنى

الذي كان لكلمة منديل في فارس، ما زال يجري على أقلام الكتاب العرب. وقد سلف لي أن قلت حول كلمة عمامة، إن لبس العمامة حول الرقبة كان علامة على الخضوع والولاء، وإن المتظاهرين بهذه الشارة كانوا يشهدون على أنفسهم اعترافهم بالمتسلط القاهر وتفويضه حق الحياة أو الموت (الإحياء والإماتة!). فنحن نقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ، ص ٣٧): «شاهد الغلبة فخرج إلى السلطان وفي عنقه منديل». وفي كتاب ابن إياس (تاريخ مصر، مخ ٣٦٧، ص ١٤٩): «نزل من القلعة هو وبقية النواب وأخذوا في رقابهم مناديل وتوجهوا إلى تمرلنك يطلبون منه الأمان». وقلت كذلك حول كلمة عمامة، إن العمامة تستعمل لصبر النقود فيها. وعلى ذلك، فنحن نقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ، ص ٨٧): «تذكر إن منديله وقع في القبر وفيه جملة من الدراهم». وكلمة منديل تشير كذلك إلى:

- ٢ • حزام (منطقة). يقول ابن بطوطة، (الرحلة، مخطوطة دي غايانگوس، ص ٩٧) عن ممالك الجوهريين في تبريز: «عليهم الثياب الفاخرة وأوساطهم مشدودة بمناديل الحرير». ويقول الرحالة نفسه في معرض كلامه عن الملك هرمز (ملك هرمز؟ ص ١١٥): «وهو مشدود الوسط بمنديل». وفي تاريخ مصر للنويري (مخ، ص ٤٦) نجد: «وهو مشدود الوسط بمنديل»، . ونقرأ في كتاب مارمول (وصف أفريقيا، ح ٢، ص ٣، مج ٤) وهو يتحدث عن بربر حيحه HEHA، في المغرب الأقصى من مملكة مراکش: «يتمنطقون على جلودهم العارية بمناديل (Con unis mandiles) من نفس القماش (الصوفي) الذي يغطيهم من موقع الحزام حتى وسط الأفخاذ».

● استطراد للمؤلف حول المنديل:

إن كلمة منديل تعني كذلك Un mouchoir (منديلاً، محرمة) فنحن نقرأ في عيون الأثر (مخ ٣٤٠، ص ١٨٩) إن الرسول ﷺ كان لديه (منديل يسمح به وجهه). وفي رحلة ابن بطوطة (مخ دي غايانغوس، ص ١٤٤): «وبكت ومسحت على وجهها بمنديل كان بين يديها». وفي تاريخ مصر لابن إياس (مخ ٣٦٧، ص ٢٨٨): «فلما سمع ذلك وضع منديله على وجهه وبكى». وفي ألف ليلة وليلة (ط مكناتن، ح ١، ص ١١٢): «حط منديله على وجهه وبكى ساعة». وفي موضع آخر (ح ١، ص ١١٢): «فرميت لها تحت الفراش المنديل الذي فيه الدنانير». ويلاحظ لين (ألف ليلة وليلة، ح ١، ص ٤٢٤) بهذه المناسبة، الملاحظة التالية: «هناك عادة سائدة بين الأعراب هي أن يهدوا نقوداً مصرورة في زاوية منديل مطرز». وفي موضع آخر (ح ١، ص ٦٠٧) يصف لين منديل الشرقيين على هذه الشاكلة: «المنديل على العموم مستطيل الشكل، وله حاشيتان مطرزان بالحبر الملون المكثف بالذهب، والحاشيتان الأخريان محرومتان من هذه الزركشة». ونقرأ في ألف ليلة وليلة (ط مكناتن، ح ١، ص ٥٦٨): «منديل مطرز» وبعد ذلك (نفس المرجع): «منديل أبيض» وفي موضع آخر (ح ١، ص ٥٧٢): «منديل أحمر».

ويربط الشرقيون المنديل بالحزام. (اللوحة ١٥، الصورة ٣، في كتاب هوست، أخبار من مراکش، وبكنغهام، أسفار في بلاد ما بين النهرين، ج ١، ص ١٥٢). والعادة نفسها كانت سائدة بين الفرسان المسيحيين في أسبانيا (مجموعة أشعار الموريسكيين قصة السيد Le Cid). وإذا أعطى أحدهم المنديل إلى آخر فهي إشارة العفو. فنحن نقرأ في ألف ليلة وليلة (ط مكناتن، ج ١، ص ٢٧١): «فقال أخي أراد الأمان فأعطاه منديل الأمان». (راجع تورنس، الليالي العربية، ج ١، ص ٣٣،

ولين، ج ١، ص ٤٣٤). وفي موضع آخر (ج ١، ص ١٧٥): «فقال الشاب: «العفو يا أمير المؤمنين. أعطني منديل الأمان ليسكن روعي ويطمئن قلبي». فقال له الخليفة: «لك الأمان من الخوف والإحسان». وفي تاريخ مصر للنويري (مخ ٢، ص ٧٦): «فجاء الملك الصالح إسماعيل بعساكره إلى القدس وصحبته الأفرنج». فأرسل إلى شيخ الإسلام عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام بعض خواصه بمنديله وقال له: «ادفع إليه منديلي وتلطف به واستر له وعده بعودة إلى مناصبه. فإن أجاب فأتني به وأن خاشنك فاعتقله في خيمة إلى جانب خيمتك» وكلمة منديل تعني:

- منشفة، طرحة. فنحن نقرأ في كتاب ابن بطوطة (الرحلة، مخ، ص ١٠٨): «فأخذها (الثياب) وربطها في منديل وجعلها فوق رأسه وانصرف». وفي تاريخ مصر للنويري (مخ ٢، ص ٣١): «كان يرسل - حلواً ورغيفاً في منديل مختوم». وفي ألف ليلة وليلة (ط مكناتن، ح ٢، ص ٢٥٥): «فجاءتني بكوز من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر ملآن ماء ممزوجاً بالمسك الأذفر وهو مغطى بمنديل من الحرير الأخضر».

- ميدعة. راجع النص الذي نشرته من النويري حول كلمة بقيار. وتستعمل كلمة Mandil الأسبانية في المعنى نفسه. وأخيراً تشير هذه الكلمة إلى الخامات بصورة عامة. فنحن نقرأ في تاريخ مصر لابن إياس (مخ ٣٦٧، ص ١٠٦): «وتزايدت الأقوال بأنه مسمون وأن زوجته خوند سعادات قد سمته في منديل عما يقال». ويوضح الأمر ابن بطوطة (مخ، ص ٩٥) فيقول: «سمته في منديل مسحته به بعد الجماع».

حول السادة الوارد ذكرهم في الصفحة ٣٣٥ من هذه الترجمة، قال

المؤلف:

«إن ما يقوله أورلياريوس غير مطبق في أيامنا هذه، لأن الفرس يلبسون اليوم طاقية من جلد النعاج عالية ضيقة سوداء. وقد رأى كيرپورتر في جورجيا وفارس وأرمينيا وبابل القديمة (ج ١، ص ٤١٥) عمائم كانت تلبس قديماً في فارس، في رسوم شيهل ستون (قصر الأعمدة الأربعين)».

الْمَنْسُورِيَّة



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويقرر هوست في كتابه (أخبار من مراکش، ص ١١٩) أن نساء مراکش يلبسن ١ - القميص ٢ - القفطان ٣ - يلبس بعضهن فوق هذا الثوب منسورية Ueberzug أو ميدعة Surtout من تيل الكتان الرقيق. وأخيراً ٤ - الحيك Le haïk. وقد تأيد هذا المذهب من قبل غرابر دي همسو في كتابه (المرأة إلخ، ص ٨٢) المكتوبة فيه الكلمة Monsoria ويكتبها دونباي (النحو المغربي العربي، ص ٨٢) منصورية، ويترجم الكلمة بأنها indusium.

الْمَنْشِير



يفسر القاموس (ط كلكتا، ص ٦٦٧) هذه الكلمة بأنها المئزر. (راجع الكلمة).

الْمَنْشَف



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وقد سبق لنا أن رأينا آنفاً (حول كلمة مئزر) إن الصيغة المؤنثة لهذه

الكلمة هي منشفة، وهي موجودة في اللغة العربية، وإن مؤلفين من مصر يستعملونها بمعنى Torchon, serviette منشفة.

وفي أسبانيا كانت تشير صيغة المذكر منشف إلى نوع من عمرة الرأس، ذلك لأن بيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية) يفسر كلمة الميزر Almaizar بكلمة منشف، وجمعه مناشف.
راجع عن كلمة الميزر Almaizar كلمة مئزر.

النص راس



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويرى دونباي (النحو المغربي العربي، ص ٨٣) إن هذا التعبير يعني طاقة يستعملها الملاحون: Galerculus nautarum, un petit bonnet dont se servent les matelots: وكلمة نص ربما تكون تحريفاً وتشويهاً لكلمة نصف، لأن الناس في المغرب، وكذلك في مصر (راجع لين، المصريون المحدثون، ج ٢٢، ص ٤١٩) ينطقون هذه الكلمة الأخيرة على هذه الصورة (راجع النحو، ص ١٩). إذن فإن كلمتي نص راس تعنيان بالحرف الواحد: نصف الرأس.

النطاق



إنني أحيل القارئ إلى ما قيل عن هذا النوع من اللباس من قبل العلامة سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية، ح ٢، ص ٣٠٣، ٣٠٤). ونحن نقرأ في شرح الحماسة للتبريزي (ص ٣٨): «وذا النطاقين أسماء بنت أبي بكر، ويسمى البخاري (الصحيح، ح ٢، مخ ٣٥٦، ص ١٦٨) هذه المرأة: ذات النطاقين، ويشرح لنا لماذا منح اللقب هذا لابنة أبي بكر،

وذلك بالكلمات التالية: «فجهزناهما أحب الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فأوكأت به الجراب ولذلك كانت تسمى ذات النطاق».

الْمِنْطَقُ، الْمِنْطَقَةُ

تشير هاتان الكلمتان إلى الحزام، ولكنه دائماً حزام من الذهب أو الفضة. فإننا لن نقرأ أبداً عن منطوق أو منطقة من الجلد أو من القماش، أياً كان نوع القماش. وبالرغم من تحريم التحلي بالذهب أو الفضة على الرجال، فإن الشريعة قد أحلت لهم التمنطق بمنطقة من الفضة أو الذهب. فقد روى في ملتقى الأبحر (مخا ١٢١١، ص ١٦٤): «ويجوز للنساء التحلي بالذهب والفضة ولا يجوز للرجال إلا الخاتم والمنطقة وحلية السيف». ويلاحظ شارح (مجمع الأنهر طبعة القسطنطينية ح ٢، ص ٢٥٩) على هذه الكلمات الملاحظة التالية: «والفضة أغنت عن الذهب لأنهما من جنس واحد». ومن كلمة منطوق تألف فعل تمنطق. فنحن نقرأ في رسائل ابن الخطيب (مخا ١١، ص ٢١): «قد تمنطقوا فوق الأقيّة الديباجية».

النعل

لقد سبق لهامر برسكنال في (كتاب ثيونا السنوي، ج ٦٩) إن برهن بصورة مقنعة للغاية إن كلمة نعل تعني صندلاً، خفاً une sadale وليس أنواعاً أخرى من الأحذية. وبوسعكم مشاهدة شكل الخفاف العربية في كتاب نيپور (وصف الجزيرة العربية، اللوحة ٢). -ين يتحدث في كتابه (يوميات جولة في المشرق، ص ٤٧٨، ج ٢) عن بدر عسراء مصر، نقرأ ما

يلي: «يمشون حفاة الأقدام، ولكنهم في مناسبات أخرى يلبسون النعال المصنوعة من جلود الجمال الفجة، وهم يربطونها بشراكين يمر الأول منهما على وسط القدم، والآخر بين الإبهام والسبابة من القدم. وقد اشترت فردتين من هذه النعال في السويس من غلام عربي صادفته محتدياً من شاكلتها، ولكنها كانت ترد من الحجاز وكانت مزركشة تفوق زركشة النعال العادية». ويخبرنا برگهارت (أسفار في البلاد العربية، ج ١، ص ٣٣٦) إن: «رجال مكة يلبسون نعالاً بدلاً من الأحذية. وأفخر النعال تلك الواردة من اليمن، حيث يبدو ازدهار كل أنواع الصناعات الجلدية».

ويظهر أن نعل الرسول ﷺ أو خفه (صندله) كان من أنفاس المخلفات المباركة. فنحن نقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ ٢، ص ٥١ و ٥٢): «ومما حكاه أبو المظفر أيضاً، قال: «كنت عنده بخلاط. فقدّم النظام بن أبي الحديد ومعه نعل النبي ﷺ. فأخبرته بقدومه. فأذن بحضوره. فلما جاءه ومعه النعل قام ونزل من الإيوان وأخذ النعل فقبله ووضعه على عينيه وبكى. وخلع على النظام وأعطاه نفقة وأجرى عليه جراية وقال: «يكون في الصحبة تبرك به ثم عزم على أخذ قطعة من النعل تكون عنده. قال بعد ذلك: «لما عزمت على ذلك بت متفكراً وقلت: «إن فعلت هذا فعل غيري مثله فيتسلسل الحال ويؤدي إلى استئصاله. فرجعت عن هذا خاطر وتركته لله. وقلت: «من ترك شيئاً له عوضه الله خيراً منه». ثم أقام النظام عندهم شهوراً ومرض وأوصى لي بالنعل. ومات وأخذته بأسره. ولما اشترى دار قايمآز النجمي وجعلها دار حديث ترك النعل فيها ونقل إليها الكتب الثمينة وأوقف عليها الأوقاف».

وفي عام ٧١١ نجد نعل الرسول ﷺ في دمشق، ذلك لأننا نقرأ في مجلد آخر من تاريخ النويري (مخ ٢، ص ٥٧): «أخرج الخطيب جمال الدين القزويني المصحف الكريم العثماني ونعل النبي ﷺ». وبعد ذلك

(ص ٥٧) «وسقط المصحف الكريم والنعل المكرم النبوي إلى الأرض والصناجق ثم رفعت وأعيدت إلى البلد». وقد حدث ما توقعه الملك الأشرف وخافه، فإن نعل الرسول ﷺ أصابه ما أصاب المخلفات المباركة الأخرى فقد شمله التقسيم.

ونحن واجدون في تاريخ مصر لابن إياس (مخ ٣٦٧، ص ٤٢٩) أن قطعة من نعل الرسول ﷺ كانت بحوزة أحد قضاة مصر عام ٨٤٣.

ويظهر أن العرب القدامى قد استعملوا هذا المثل «هي النعل زلت بي». راجع فيرس (ابن خاقان عن ابن زيدون، ص ٢٨، وتعليق العالم الناشر، ص ٩٦).

ويقول المصريون في أيامنا هذه «تأخذ من الحافي نعله» أي تدمره كلياً (برگهات، الأمثال العربية، ص ١٦٢)^(١).

النقاب



إننا حتى هذه اللحظة لم نقع على أية حكاية تصلح لتعيين خمار المرأة الذي كان يحدث فيه نقبان في موضع العينين. على أن خماراً أو برقعاً أو حجاباً أو نقاباً من هذا النوع لا بد أن يكون معروف الاستعمال سابقاً، وذلك لأن الرجال قد تناولوه في كتبهم. وعلى هذا فإن فعل نقب في اللغة العربية و(پوشي) في اللغة العبرية يعني كل منهما Perforavit في اللغة اللاتينية. فمن الطبيعي كل الطبيعي، والحالة هذه، أن تستطيع كلمة نقاب التعبير عن هذه الكلمات: «Velum cui sunt foramina».

(١) لا تعني كلمة حاف حافي القدمين فحسب، بل معنى الحفاء أي الوجيه، وهو وجه القدمين من كثرة المشي.

والواقع إن ابن جني يؤكد الأمر بصورة قاطعة، في قوله: (شرح ديوان المتنبي، مخ١٢٦، ص٢٢٠): «النقاب أن تعمد المرأة إلى برقع فتنتقب منه موضع العين». ونحن نقرأ في قصة (رحلة فان خيستلا، ص٢٣): «إن نساء الريف يضعن أمام وجوههن شقة قماش لها ثقبان تستطيع أن تنظر منهما». ويقول بلون كذلك في كتابه (ملاحظات، ص٢٣٣): «إن مظهر القرويات الأعرابيات والمصريات هو نقاب من أقيح ما وجد من أنقبة: ذلك لأنهن يضعن على عيونهن حجاباً من تيل القطن الأسود أو لون آخر يتدلى على وجوههن حتى الأدقان، فكأنه كمامة آتية من الطبقة العليا أو كأنه عثون صغير، ولكي ترى النساء طريقهن من خلال هذا الحاجز المنسوج، يحدثن نقبين في موضع العينين، بحيث إنهن في هذه اللبسة المضحكة يشبهن أولئك الذين يتصارعون يوم الجمعة المقدس في روما أو في مدينة اثنيون (عاصمة البابا القديمة في فرنسا). (مقارنة مع بيترو دلافاله، الرحلة، ج١، ص٣٣٠). ويقول الأمير راديزفيل (زيارة أورشليم، ص١٨٧): في معرض حديثه عن بنات الريف: «ينحصر نقابهن في قطعة من تيل القطن مفتوح فيه ثقبان في موضع العينين (Foraminibus pro oculis excisis) والريح ترفع بسهولة هذا النقاب، فلا تبقى هناك صعوبة تحول دون رؤية وجوههن». ونقرأ في الكتاب المعنون (قصة رحلة في مطلع عام ١٦١٠، ص٢٠٩): «إن نساء الريف يسترن وجوههن بقطع من البز، شاه منظرها من منظر! Beastly clouts ولهذا الخمر نقوب أمام العينون «Se courvent le visage de pièces d'étoffes horribles à voir» وفي قصة كوپان، درع أوروبا، ص٢١٩: «تبرقع بنات الموسرين بأنقبة حريرية حمراء، وأما بنات الفقراء فلا يتبرقعن إلا بالتيل الأبيض أو الأزرق، وهذان النوعان من الخرق لهما فتحات صغيرة أمام العينون لتستطيع الإناث المتبرقات بها أن يمشين في طريقهن».

وهذا النوع من النقاب كانت ترتديه نساء البدو في مصر أيضاً. فنحن واجدون في قصة هيلفريتش (تقرير واقعي موجز للرحلات، ص ٣٨٧): «إنهن يبرقعن وجوههن بقطعة من القماش المفتوح فيها ثقبان، ليستطعن رؤية مواقع أقدامهن». ويقول روجيه في كتابه (الأرض المقدسة، ص ٢٠٨) في معرض حديثه عن نساء البدو في سورية: «يضعن على وجوههن قطعة من قماش مثقوبة في موضع العينين». ويخبرنا الرحالة الأندلسي ابن جبير أن النساء الصقلييات: (انتقبن بالنقب الملونة). وكان المرابطون يضعون النقاب فوق اللثام، بحيث لا يستطيع الناظر إليهم أن يرى منهم إلا محاجر عيونهم. ويبدو أن هذا النقاب لديهم كان عصاية Bandeau (انظر البكري، في ملاحظات ومقتبسات، ج ١٢، ص ٦٣٣)، كاترمير - العلامة المترجم.

النُقْبَة

النقبة شبه سروال المرأة أو تبانها، وهي مزودة بمجرى لإمرار القيطان فيه، وهذا اللباس ليس له هيئة التبان ولا تغطي به الأفخاذ. (راجع التبريزي شرح الحماسة، ص ٦٨٢ لدى فريتاك). ويذهب الزمخشري: (Lexicon Arab. Pers., part. I, pag. 62) مقدمة الأدب، إلى أن هذه الكلمة تعني منطقة (ميان بند).

النَّقِيَّة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس. ويقرر برگهارت (ملاحظات على البدو والوهابيين، ص ٢٩) «إن النساء لدى البدو يغطين نصف الوجه بخمار ملون لوناً غامقاً، يدعى نقية Nekye وهو يشد بصورة يغطي معها الذقن والفم».

النَمْرَة

لا بد أن هذه الكلمة تشير إلى شبه برد، ذلك لأننا نقرأ في الباب المعنون باب البرود والحبرة والشملة، للبخاري (الصحيح، ج ٢، مخ ٣٦٦، ص ١٦٨) الحديث التالي: قال أبو هريرة: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل الجنة من أمتي زمرة هي سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر». فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه. فقال: «ادع الله لي يا رسول الله أن يجعلني منهم». فقال: «اللهم اجعله منهم». ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله: «ادع الله أن يجعلني منهم». فقال النبي ﷺ: «سبقك عكاشة!!».

الْمُنِيرَة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس. ويقص علينا ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي غايانغوس، ص ٢٢٥) إنه لدى وقوعه أسيراً بأيدي كفرة الهند غدا مديناً بحريته لشاب هندي. ويضيف قائلاً: «فأخذت الجبة التي كانت عليّ وأعطيتها إياه وأعطاني منيرة بالية عنده وأراني الطريق». والصفة منير، التي مؤنثها منيرة، تعني فيما تعنيه Grossier ما هو غليظ، في معرض الحديث عن جلد. لذلك أرى أن منيرة، حين نأخذها من جهة الوصفية، تشير إلى نوع كساء غليظ.

الْمَهْدُون

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي تشير في المغرب إلى كساء من الصوف (دونباي، النحو المغربي العربي، ص ٨٣).

الهميان

يبدو أن هذه الكلمة لا تستعمل إلا في معرض الحديث عن منطقة تتخذ لصر النقود. فنحن نقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخ دي غايانغوس، ص ٤٧): «وكان في وسطه هميان فيه ذهب». وفي كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنانغن، ج ١، ص ٢٦٧): «وجلس أخي وهو طائر من الفرح بالدنانير ثم صرّها في الهميان». وهناك بيت لأبي بكر بن اللبانة (تاريخ بني عباد، ج ١، ص ٧٠) يبرهن برهنة واضحة على أن كلمة هميان تعني بصورة خاصة منطقة توضع فيها الدراهم. فهذا الشاعر يزور مولاه القديم في سجنه، ألا وهو المعتمد ملك إشبيلية، العاثر الجد، فيشده لرؤيته رازحاً في الأغلال، فتطير نفسه شعاعاً وينبعث بهذا البيت (البيسط):

غلطت بين همايين عقدن له وبينها فإذا الأنواع أشتات
فالشاعر يقارن بين همايين الأمس وأغلال اليوم.
وربما كان هذا الهميان من الجلد.

الوسطانية

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس. ولعلها كساء يشبه التحتانية والفوقانية (راجع هاتين الكلمتين). ويقول ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي غايانغوس، ص ٢٥٩) في حديثه عن سومطرة: «أخرج ثلاثة من الشياح مختلفة الأجناس يسمونها التحتانية من جنس القوط».

الوشاح

يذهب المعجميون العرب إلى أن الوشاح هو منطقة عريضة من الجلد، مزركش بالأحجار الكريمة تلبسه النساء. (ضع مقايضة مع تعليق دي غابانغوس تاريخ السلالات المحمدية في أسبانيا، ج ١، ص ٤٠٩) ونحن واجدون لدى المتنبي (الديوان، مخ ٥٤٢، ص ٨٢) البيت التالي (الوافر):

ترفع ثوبها الأرداف عنها فيبقى من وشاحها شسوعا
لفهم هذا البيت ينبغي أن نتذكر أن العرب يحبون كثيراً لدى النساء ضخامة الإعجاز. فكلمة ثوب تشير هنا إلى الإزار الكبير الذي ترتديه النساء في الشرق لدى شخصهن من منازلهن. والشارح الواحد يفسر كلمة وشاحين على هذا المنوال: يريد بالوشاحين قلادتين تتوشح بهما المرأة. ترسل أحدهما على جنبها الأيمن والأخرى على الأيسر. ولكن هذا الشرح لا يشفي غليلي.

والشعراء العرب يستعملون تعبير ذات الوشاح للإشارة إلى المرأة. فهناك بيت لابن حمديس الصقلي (في أخبار الملوك، مخ ٦٣٩، ص ١٦٨) يروى على هذه الصورة (السريع):

قم هاتها من كف ذات الوشاح

وتذهب المعاجم العربية إلى أن هذا النوع من الحزام لا تتمنطق به النساء ومع ذلك فنحن نقرأ للفتح ابن خاقان في كتابي (تاريخ بني عباد، ص ٤٤) في معرض الحديث عن فتى: وقد توشح وكأن الثريا وشاحه. وفي موضع آخر من قلائد العقيان، (مخ ٣٠٦، ص ٨٤): «ملوك لم يتوشحوا إلا بالحمائل». انظر كذلك أبا الفداء (ج ٢، ص ١٧٩) وراجع

حول الجمع أشاح العالم الشارح في طرائف عربية لسيلفستر دي ساسي، ص ٣٩٠، تع (٦٨).

الوقاية

يفسر القاموس (ط كلكتا، ص ٥٤٩) السيدارة بالوقاية تحت المقنعة والعصابة. إذن فالوقاية شبه طاقية. وفي لب الألباب (ص ٢٧٥) تفسر كلمة وقاية بكلمة مقنعة.

اليلك

لا وجود لهذه الكلمة التركية الأصل في القاموس. ونحن نقرأ بعد مادة الصديري في بحث الكونت دي شابرول (وصف مصر، ج ١٨، ص ١٠٨). «اليلك مشدّ corset آخر، أو صدرية أخرى، للمماليك، وهو واسع، قصير وله كمان في غاية الطول والفضضة». فهو، دون أدنى ريب، الصدارى Gilet القصير ذو الكمين الذي جاء على وصفه بوكوك Pocoke في كتابه: (وصف الشرق، ج ١، ص ٣٢٧ اللوحة ٥٨) (Beschrijving van het Oossten, M) واليلك يلبسه كذلك سكان بلاد البربر في طرابلس، ذلك لأننا نقرأ في الكتاب المعنون (قصة إقامة عشر سنوات في طرابلس الغرب، ص ٣) (narrative of a ten years, residence at Tripoli in Africa) «كان الوزير الأول يرتدي يلكاً، أو سترة من الأطلس القرمزي، المطرز بالذهب من جانب الصدر، وهذا الثوب بمثابة صدرية، شائلة من الأمام والوراء وهو يرتدي بإدخال الرأس من فتحة تقور من الجهة العلوية».

(انظر كذلك المرجع السابق، ص ٣١، ٣٨).

ويفسر الكونت دي شابرول (ص ١١٢) اليلك، في معرض حديثه عن أزياء النساء، بأنه «ثوب يلبس فوق القميص، وهو مفتوح من الأمام، وله كمان ضيقان».

والوصف التالي للمؤلف لين (المصريون المحدثون، ج ١، ص ٥٨) فيه تفاصيل أطول وأعرض، إذ يقول: «وهم يرتدون فوق القميص والشتيان سترة طويلة تسمى اليلك، مصنوعة من أنفاس أقمشة الشتيان. وهي تكاد تشبه قفاطين الرجال، ولكنها تضغط الجسم والذراعين ضغطاً أشد، وكذلك فإن كمي اليلك أطول، وهو مفصل بشكل يسهل تزريره من الجهة الأمامية، من الصدر حتى الحزام، أو إلى أسفل من ذلك، في حين أن القفطان يصلب على الصدر وهو كذلك مفتوح من الجانبين، من الخصرين إلى الأسفل. وعلى العموم فإن اليلك مفصل بشكل يسمح بكشف نصف الصدر، ولكن نصف الصدر هذا مغطى بالقميص، ومع ذلك فإن كثيراً من السيدات يلبسنه أوسع في هذا الجزء من الجسم. ووفقاً لهندام الساعة السائد المستحسن، يجب أن يكون طوله كافياً لملامسة الأرض، بل يجب أن يكون أطول من ذلك ثلاث عقد أو نيف». قايس هذه الصورة الخطية بالشكل المرسوم في كتاب لين، ص ٥٧، واللوحة ٢٦ في مصور رحلة أوليفيه: *L'Atlas du voyage* d'Olivier.

بلا عنوان

إن الكلمات التالية موجودة لدى مؤلفين أوروبيين ومن المحتمل كل الاحتمال أنها غير موجودة في المعاجم، ولكنني لم أستطع معرفة كيفية كتابتها باللغة العربية:

Konfil . يرى بانانتي (الرحلة، ج ٢، ص ١٠ من الترجمة الهولندية) إنها طاقة تلبسها النساء في مدينة الجزائر وفي مدينة تونس، وتسمى كونفيله.

Lartia . يرى ديبغو إنها البنافة نفسها. راجع ص ٩٠ من هذا الكتاب والتعليق.

Mugannes موكان. هي النيف، كما يعتقد دابر. راجع ص ٨٨ من هذا الكتاب.

Wischt . (بيشت). يقول وايلد (وصف جديد لرحلة أسير مسيحي، ص ٢٠٤) وهو الذي عاش فترة طويلة في الشرق، خلال النصف الأول من القرن السابع عشر، والذي هو أهل لكل ثقة، لأمانته ودقة أحكامه وتشعب تفاصيلها، إن كلمة بيشت (Wischt) تعني ثوباً يلبسه الفلاحون المصريون. ويضيف قائلاً: «سواد الفلاحين أردياء الملابس، فهم يرتدون كساء

فضفاضاً واسعاً أزرق اللون، أو أسوده، ويسمى (الجلباب). ولهذا الرداء ردنان واسعتان للغاية. وفوق هذا اللباس يثنون بمعطف آخر. يحمل اسم (بيشت Wischt) أو (بردة Burthe). ولديهم كذلك عادة حمل الخناجر في الأحزمة».

فهرس المحتويات

٥	كلمة المترجم
٩	مقدمة المؤلف دوزي
١٣	المدخل
٣١	الملايس عند العرب
٣١	الإثب والمُثَبَّة
٣٣	المُثَبِّب
٣٣	الأُخْرُق
٣٤	الإزار والإزُر وفي اللَهْجَة المصرية الإيزار
٤٣	المُثَزَّر، المُثَزَّرَة، المُثَزَّر
٤٨	الإشاح
٤٨	الأصْدَة، الأصيدة، المُؤَصَّد، المُؤَصَّدة
٤٩	الإلطماق جمعه الإلطماقات
٥٠	الأنطاري أو الأنطاري
٥١	البابوش أو البابوج
٥٤	الباروة جمعها الباروات

٥٤	الْبَتَّة، البتات
٥٥	البِجَاد
٥٦	البُخْمُوق
٥٧	البِذْرِيَّة
٥٧	البِدَن
٥٨	البُرْجُد
٥٨	البُرْدَة، البُرْد
٦٢	البُرْطُل، البُرْطُلُ
٦٢	البُرْقَع، البُرْقُع، البُرْقُوع
٦٥	البَرَّكَان، البَرَّنَكَان، البَرَّكَاني، البَرَّنَكَاني
٦٨	البريم
٧٠	البُرْس، البُرُنُوس، البَرُنُوس
٧٥	البَطَان والجمع البَطَانَات
٧٦	البِغْلَطَاق أو البِغْلُوطَاق
٧٨	البَقِير، البَقِيرَة
٧٨	البَقْيَار
٨٠	البُلْغَة والجمع البَلَاغِي
٨٠	البُلُوط والجمع البَلَالِيط أو البُلُوطَة والجمع البُلَالِيط
٨١	البُد والجمع البُنُود
٨١	البِش أو البَشِش
٨٣	البَنَاقَة والجمع البَنَائِق
٨٥	البُوش
٨٦	التُّبَان

٨٧	التَّرية الجمع التَّريات
٨٧	التَّحانئة
٨٧	التَّكَّة، وفي لهجة مصر الدِّكَّة
٩١	التكلالات
٩١	التاج
٩٥	التاسوم التاسومة التَّسومة
٩٥	التَّبات وجمعه التَّبايت
٩٦	التُّربة والجمع التُّراب، التُّرْدَة والجمع التُّراد
٩٦	التُّوب وفي اللهجة المصرية التُّوب
٩٧	الجُبَّة وفي اللهجة المصرية الجُبَّة
١٠٥	الجَدِيل والجَدِيلَة
١٠٥	الجَرِيَّة
١٠٧	الجَرِيد
١٠٧	الجِرْز
١٠٨	الجُرْمُوق
١٠٨	الجَزْويرة وجمعه الجَزاور
١٠٨	الجَفْشِير
١٠٩	الجِلْبَاب، الجِلْبَاب
١١١	الجَمَّاز، الجَمَّازَة
١١٢	الجُنَّة
١١٢	الجنينة
١١٢	الجَنِيل
١١٣	الجَوْب

١١٤	الجُوخَة
١١٦	الجُوذِيَاء
١١٦	الجَوْرَب
١١٧	المِجْوَل
١١٨	الجِبَرَة
١٢٠	الحَرِيم، الإِحْرَام
١٢٢	الجِزَّة
١٢٣	الحِزَام
١٢٥	المِخْشَاء، المِخْشَاء
١٢٦	الحَشِيَّة، المِخْشَى، المِخْشَاء
١٢٦	الحَقَب، الحِقَاب
١٢٧	الحَقْو، الحِقْو، الحَقَاء
١٢٧	الحُلِيَّة
١٢٧	الحَوْر
١٢٨	الحَوْف
١٢٨	الحِيَاصَة وجمعها الحَوَائِص
١٢٩	سوق الحَوَائِصِيْنَ
١٣٠	الحَيِّك أو الحَائِك
١٣٥	الخِرْقَة
١٣٧	الخُف
١٤١	التَّخْفِيفَة
١٤٣	الخَفْتَان أو القُفْطَان (القُفْطَان)
١٤٨	الخَفِيَّة

١٤٩	الْخُلِّي
١٥٠	الْخُمْر
١٥٠	الْخِمَار
١٥١	الْخَمِيصَة
١٥٤	الْخَنِيف وَالْخَنِيْفَة
١٥٥	الدِّرْع
١٥٧	الدِّرَاعَة
١٥٧	الدَّرَاعَة
١٦١	المِدْرَع والمِدْرَعَة
١٦١	الدَّرَوَزة، الدَّرَوَازَة
١٦٢	الدِّفْع، الدِّفَاء، الدِّفْيَة
١٦٢	الدِّقْرَار، الدِّقْرَارَة
١٦٢	الدِّلْقَى
١٦٤	المِدْمَاجَة
١٦٤	الدِّيْنَة
١٦٥	الدُّوَّاج
١٦٥	الدَّائِرَة
١٦٥	المَدَّاس
١٦٦	الدَّذِيل
١٦٦	التَّرْجِيل
١٦٦	الرِّخَايَة وجمعها الرِّخَايَات
١٦٧	الرُّسْمَة، الأُرْسُوسَة
١٦٧	الرَّسِيَة

- الرُّصَافِيَّةُ ١٦٨
- الرُّطْفَلُ ١٦٨
- الرُّمَقَّةُ ١٦٩
- الرَّكَوبُ وجمعه المَرَاكِبُ ١٦٩
- الرُّوَيْزِي ١٧٠
- الرَّيْطَةُ - الرَّايِطَةُ ١٧٠
- الرِّبُونُ ١٧٢
- الرَّزْبُولُ - الرَّرْبُونُ ١٧٢
- الرُّزْمَانِقَةُ ١٧٢
- الرُّلْحَمُ ١٧٣
- الرَّعْبُوطُ ١٧٤
- الرُّنْجَبُ، الرُّنْجَبَانُ ١٧٥
- الرَّزَنْجَبَةُ ١٧٥
- الرُّنَّارُ ١٧٥
- الزَّنْطُ وجمعه الزَّنُوطُ ١٧٧
- السُّبْجَةُ، السَّبِيجُ، السَّبِيجَةُ ١٧٧
- السَّبْلَةُ ١٧٨
- السَّبْنِيَّةُ ١٧٨
- التَّسَاخِينُ ١٧٩
- السُّدُوسُ أَوْ السَّدُوسُ ١٧٩
- السَّيْدَارَةُ ١٨٠
- السَّرْبَالُ ١٨٠
- السَّرْمُوزُ، السَّرْمُوزَةُ، السَّرْمُوجُ، الزَّرْمُوزَةُ، الجُرْمُوقُ ١٨٠

١٨١	السراقيل
١٨٢	الميروال، الميروال، السرول، السراويل
١٨٨	السقمان
١٨٨	السلاري
١٨٨	السلطة
١٨٩	السليفة
١٨٩	المسماة
١٨٩	المستبر
١٩٠	الساج
١٩٠	السيقان
١٩١	الشامي
١٩١	الشاية وجمعها الشايات
١٩٢	الشد وجمعه الشدود
١٩٤	المشدة
١٩٥	الشوذر
١٩٨	المشربة
١٩٨	المشروب وجمعه المشرايش والمشرايش
٢٠١	المشرب، المزبول، المزبون
٢٠٣	المشطفة
٢٠٤	المشعرة
٢٠٧	المشخ
٢٠٧	المشمذ
٢٠٧	المشمير وجمعها المشامير

٢٠٨	الشَّمْرِير
٢٠٨	الشمشك
٢٠٩	السَّمْلَة السَّمْلَة المِشْمَلَة
٢١٠	المِشمال
٢١١	الشَّيتِيان
٢١٢	الشُّوْبَر
٢١٢	المِشْوَد، المِشْوَاذ
٢١٢	الشاش وجمعه الشاشات
٢١٦	الشاشِيَّة
٢١٩	المِشْوَش
٢٢٠	الशल
٢٢٠	الصُّبَّة
٢٢٠	الصَّدُود
٢٢١	الصِّدار
٢٢١	الصُّدْرَة
٢٢٢	الصِّدْرِيَّة أو الصَّدْرِيَّة
٢٢٣	الصُّدَيْرِي
٢٢٤	الصِّقَاع، الصَّوْقَعَة
٢٢٤	الصَّوْلُق
٢٢٥	المُضَامَة
٢٢٦	الطربوش
٢٢٩	الطَّرْحَة
٢٣٥	الطَّرْطُور أو الطَّرْطُور

٢٤٨	الطَّلَس
٢٤٨	الطَّيْلَسَان - الطَّيْلُسَان
٢٥٠	الطَّاق
٢٥٠	الطَّاقِيَة وجمعها الطَّواقِي
٢٥٥	تعلِيقات على نص المقرِيزي
٢٥٩	العَبْرُوق
٢٥٩	العَبَاءَة، العَبَاء، العَبَايَة
٢٦٥	المُعْجَر
٢٦٦	العَرَقِيَّة
٢٦٦	المَعْرِقَة
٢٦٧	العَرِي
٢٦٩	العَصْبَة، العِصَابَة
٢٧١	العَصَا
٢٧١	المُعْتَقَب
٢٧١	العَقَال
٢٧٢	العَقْم، العِثْم، العَقْمَة، العِثْمَة
٢٧٢	العِلْقَة
٢٧٣	العِمَامَة
٢٧٨	العَمْرُونَة
٢٧٩	الغِطَايَة
٢٧٩	الغِفَارَة
٢٨٢	الغُفَارَة وجمعها الغفافير
٢٨٤	الغِلَالَة

٢٨٨	الْعِمْرَة ..
٢٨٨	الْعُبَّاز ..
٢٩٠	الْفِدَام ..
٢٩٠	الْفُرُوج ..
٢٩٠	الْفَرْجِيَّة وجمعها الفراجي ..
٢٩٦	الْفَرَمَلَة ..
٢٩٧	الْفَرُودِيَّة ..
٢٩٧	الفروق ..
٢٩٨	الْقَس ..
٢٩٩	النشطان ..
٢٩٩	النَشْطُول ..
٢٩٩	النَّجْجَان ..
٣٠١	النُّوْطَة ومصغرها النُّوْطَة ..
٣٠٤	النُّوْقَانِيَّة ..
٣٠٥	النُّبْع وجمعه الأقباع ..
٣٠٧	النَّبْقَاب، النُّبْقَاب ..
٣٠٩	النَّبِيلَة - النُّبْلَار - النُّبْلَار - النُّبْتُور ..
٣١١	النَّبَاء ..
٣١٩	النُّرْطَق ..
٣٢٠	النُّرُق ..
٣٢١	المقرونة ..
٣٢١	النَّشَاب ..
٣٢٢	النُّقَاص ..

٣٢٣	الْقَلْصَة
٣٢٣	الْقَلْئُسُوَة، الْقَلْئُسِيَة
٣٢٨	الْقَمِيص
٣٣٢	الْقَمْطَة
٣٣٢	الْقِنَاع، الْمَقْنَع، الْمَقْنَعَة
٣٣٥	الْقَوَج
٣٣٦	الْكَبُوت
٣٣٦	الْكُجَة
٣٣٧	الْكُرْزِيَة وجمعها الكرازي، الكرسيّة
٣٣٨	الْكِرْك
٣٣٩	الْكِسَاء
٣٤٢	الْكَف وجمعه الكُفوف
٣٤٢	الْكَلْفَة، الْكَلْفَتَاه، الْكَلُوتَة
٣٤٣	الْكُتْمَة
٣٤٣	الْكَمَر
٣٤٤	الْمُكْمَرَة
٣٤٤	الْكَمْع
٣٤٤	الْكَنْبُوش وجمعه الْكَنَائِش
٣٤٥	الْمِكُور، الْمِكُورَة، الْمِكُور
٣٤٥	الْكُوفِيَة والجمع الْكُوَافِي
٣٤٩	الْلَيْبِيَة
٣٤٩	الْلَيْبَة
٣٥٠	الْلِبَاس وجمعه الْأَلْبِسَة

٣٥٣	الليثام
٣٥٤	الليحاف
٣٥٥	الملحف، الملحفة
٣٥٧	الملقة
٣٥٧	اللفاع
٣٥٨	الممجون
٣٥٨	المِرْط
٣٥٩	ألمار
٣٥٩	المز أو المزد
٣٥٩	المسح
٣٦١	المسومي
٣٦١	المُقلة
٣٦٢	الممطر، الممطر، الممطرة
٣٦٢	الملاءة، الملاءة، الملاءة
٣٦٥	الملوطة
٣٦٧	الموزج
٣٦٧	النجاف
٣٦٨	النخاف
٣٦٨	المندل
٣٦٨	المنديل
٣٧٠	استطراد للمؤلف حول المنديل
٣٧٢	المُسْرِية
٣٧٢	التشير

٣٧٢	المُشَفِّف
٣٧٣	النص راس
٣٧٣	النطاق
٣٧٤	المُنْطَق، المُنْطَقَة
٣٧٤	النعل
٣٧٦	النقاب
٣٧٨	الثُّبَة
٣٧٨	الثَّقِيَة
٣٧٩	النَّجْمَة
٣٧٩	المُنِيرَة
٣٧٩	الهُدُون
٣٨٠	الهُمَيَان
٣٨٠	الوسطانية
٣٨١	الوشاح
٣٨٢	الوقاية
٣٨٢	اليلك
٣٨٥	بلا عنوان
٣٨٧	فهرس المحتويات

Inv:9859

Date:4/2/2014

